



TIGHT BINDING BOOK



*

190334

*

دار الكتب المصرية

أحياء الآداب العربية

ملك الأضياء

في

ملك الأمم

لابن فضل الله العمري

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي باشا

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٢ - ١٩٢٤ م

كلية صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

هذا كتاب "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمري !
وهو قد لا يحتاج الى التعريف به ولا بمؤلفه . فقد استفاد منه في القرون الوسطى
كل أكابر العلماء في الشرق : من عرب وفُرس وترك .

حتى إذا ما رحل العلم عن بلادنا وأستقر بأرض أوروبا ، تنبه المستشرقون اليه
فاستقوا من بحر العلم ، مثل "كازيمير" الفرنسي ، و "أماري" الإيطالي . فكان
لها القدر المثلّي والزلية البيضاء في استخراج كنوز المعارف من هذا المعدن الغنيّ
السحيّ الكريم . وأما غيرهم من المستشرقين الذين حذوا حذوهم فهم كثيرون .

مع كل ذلك . بقي المصريون — الى هذا اليوم — محرومين وحدهم من بضاعة
أحداهم ، إلى أن وقفني الله لرحمها اليهم بعد أن بذلت ما بذلت في هذا السبيل من
العَبِّ والعناء فيما لا يقلّ عن ربع قرن من الزمان .

هتديت الى مكانته في دور الكتب بأهمّات العواصم في ديار أوروبا وفي خزائن
المخطوطات بالقسطنطينية العظمى .

لكن الجزء الأول منه بقي في حكم المفقود . فان نسخته التي بخزانة آيا صوفيا
ليست بذلك .

ولقد تداركتني العناية ، فعثرت بطريق الصدفة على كتاب مدشوت في الأضابير
المبعثرة بين الأوراق المنتثرة في أسافل الخزانات بسرّاي طوب قيو بالقسطنطينية .
وكان هذا الكتاب بعنوان "مرآة الكائنات" .

تصفحته قليلا ، وإذا به هو الضالة المندودة !

ومما جعلني أغضب كل الاعتباط بهذه اللقبة أن رجلا من أهل العلم قرأ هذا
الجزء على المؤلف ، وأن المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات وأضاف اليه
زيادات كتبها بيده في ورقات "طيارات" .

نهتُ رشاد بك أمين تلك الخزنة في سنة ١٩١٠ الى هذه الدرة القيمة ،
 وطلبت إليه إعادة العنوان الى أصله ، وإضافة الولد المفقود الى أهله . ففعل .
 وحينئذ أسرعْتُ فأخذتُ بالفتوغرافية صورة الكتاب بأكمله (مع النسخة الأخرى
 من الجزء الأول التي بآيا صوفيا) وأحضرتُ الكل الى القاهرة . وهو محفوظ بدار
 الكتب المصرية . وليس يوجد في أى قطر آخر بالمشارك والمغرب نسخة كاملة
 مثل التي أعدها مصر . وقد كان عند أجدادنا من هذا الكتاب ما لا يقل عن العشرين
 نسخة كاملة ، طوّحت بها أيدي الزمان الى هنا وإلى هنا . وبقي وادي النيل محروما
 من هذه النمرة المصرية التي كانت نتاولها الأيدي وتوثق أكلها في كل حين .
 وقد عُنيْتُ كل العناية ، وبذلتُ غاية الجهد في تحقيق هذا الجزء الأول . وسافرت
 الى فلسطين في صيف العام الماضي لتطبيق ما أورده المؤلف عن "المسجد الأقصى"
 من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية التي لم يعر بها قلم كاتب
 قط . لا من العرب ولا من العجم ، لا قديما ولا حديثا .
 أبرزته على هذا المثال الذي أرجو أن ينال قبولا عند العارفين من أهل العلم .
 وأمل في الله كبير أن يمدني بالتيسير لإكمال على هذا النحو من الخدمة التي أخذتها
 على عاتقي . للقيام بالعمل الجليل الذي أتمهل إليه تعالى في تكليفه بالنجاح ، وهو :

” إحياء الآداب العربية ”

وسأقول في أحد الأجزاء التالية التعريف بهذه الموسوعة الإسلامية المصرية
 الكبرى ، بعد أن أنهى من استخبار المؤلف نفسه عن نفسه . ومن استكمال المواد
 التي ما زالت أجمعها من بطون الدفاتر ومختلف المصادر .

وسأضيف اليه روايات فتوغرافية يمثل فيها خط المؤلف ، وخطوط النسخين
 لكتابه الذي كان أكبر ينبوع للقلقيشندى في ”صبح الأعشى“ .

وأتم ذلك كله بمجمع لغوي للألفاظ الاصطلاحية ونحوها مما أصبح في حيز المجهول
 عندنا . وأهميتها أشد الحاجة لتجديده للتعبير عما لا نجد له مقابلا فيما تدعو اليه
 أسباب الحضارة الحاضرة وما ظهر فيها من ابتكارات القرائع والعقول ما

أحمد زكي باشا

فهرست

الجزء الأول، من كتاب مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

فهرست المضامين

صفحة

فاتحة المؤلف :	١
خطته — كنهه في النقل — فذلكلة عامة عن محتويات الكتاب — اقتصاده على مبادئ الاسلام — شدة احتراسه في نقل المباحث — سبب ابتداءه بالمشرك — تعبه في خدمة الكتاب — التنويه بسلطان عصره الناصر قلاوون...	٢ — ٥
مناهج الكتاب والاشارة الى محتوياته بالتفصيل الوافي	٦
اببال المؤلف الى الله — ورجائه للقراء	١٤

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها ، وفيه [مئة] فصول

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها :

كرهها والبرهان عليه — استقرارها في جوف الماء	١٧
العرش والكرسي ، في رأى فلاسفة الاسلام	١٨
حركات الأضلاع وتقسيم الأقاليم — الفلك الأطلسي وحركته — وعدم يقيني الإدراك البشري	١٨
نظرية في الكواكب الثابتة والمتحركة والبرهنة عليها — شكك ابن سينا في محل وجود النوايت...	١٨
تشبيه العالم لتقريبه الى الأفهام — اعتراض المؤلف على هذا التشبيه	١٩
نظرية الادريسي في استقرار الأرض في جوف الفلك	١٩
تقديره أبعاد الأرض : على رأى المتود — على رأى هرمس — مناقشة المؤلف لمهدين	
التقديرين	٢٠

صفحة	
٢٠	تقدير الحكيم إردستين الذي يسميه المؤلف إردستاس (تحريفاً عن إردستيناس (Eratostene)
٢١	تقدير بطليموس — تصحيح ابن الشاطر القمشي لهذا التقدير
٢١	تقدير صاحب الكائنم
٢١	ماصنعه المأمون العباسي لتحقيق أبعاد الأرض بطريقة عملية
٢٢	استنتاج المؤلف — استدلال ابن الشاطر
٢٢	مقدار الدرجة بحساب المأمون وغيره — ترجيح المؤلف لنتيجة المأمون واعتياده عليها
٢٣	الفرسخ والذراع على حساب المأمون — طول الفرسخ القديم وطول البرابيد
	اختلاف الآراء في تقدير العمران — تحرير نقض الدين الشيرازي لمعادره — قد ابن الشاطر لعقوبة الشيرازي
٢٣	رأى الإدريسي في أسباب العمارة فيما بين القطيعين — قد المؤلف لهذا الرأي — الشمال أكثر عمارة من الجنوب — العمارة في الجنوب بضم المشرق — (جزائر البحر الهندي وبلاد الصين) — عدم العمارة في الجنوب من جهة العرب — العمارة وراء الأقليم السابع — (بلاد الروسية والخر) — (جبل السودان المعروف عند العرب ببحر الدمادم والآن عند الفرس بنهر النيجر) — السبب في عمارة ما وراء خط الاستواء من القسم الشرقي وعدمها في القسم الغربي — سبب العمارة فيما وراء الأقليم السابع — لماذا كان الشمال أكثر عمارة من الجنوب — رأى الإدريسي ثم الكري الأندلسي — حملة العمود على رأى بطليموس والشيرازي وتوفيق المؤلف بينهما — احتراز المؤلف
٢٤-٣٠	تشبيه الأرض بجسد آدمي — علم رضا المؤلف عنه
٣٠	الأرض غير صادقة الاستدارة

من مسائل الأبصار (ج)

مسألة

تحليل علماء الاسلام لوجود أمر يكما قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن ٣١

الفصل الثاني الى الخامس - أسماء الأرض وصفاتها من حيث اللغة :

الأرض وصفاتها ٣٢

التراب وصفاته ٣٧

القبار وصفاته ٣٩

الرمال وصفاتها ٤٠

الفصل السادس - في أحوال الأرض :

الارتباط بين الكائنات الحية وبين الأرض - تمام ارتباط الانسان بالأرض -

(السمند، والنار) - الأرض أم البشر - فحة النار في الحيوان ، ولماذا كانت العذاب

الموعود به - الانسان أرضي ترابي وأسباب معاشه من الأرض - الانسان مقطوع على

طلب البقاء وسيتقن في تطلب المعاش ٤٣-٤٥

كلمة عن الجبال - نظرية في اتصالها ظاهرا أو باطنا ٤٦

جبل قاف عند جغرافيين المسلمين هو أم الجبال - هو الجبل المحيط وكيف سيره ٤٧

جبل القمر - الجبلان المكتنعا نهر النيل عند منبهه... ٤٨-٤٩

كمال الكلام على تسلسل الجبال... ٤٩-٥١

جبال الريع الأول : جبل قدم آدم - جبل الهبط ٥٢-٥٣

جبال الريع الثاني : الجبل السابع ٥٤-٥٥

جبال الريع الثالث : جبال الأندلس ٥٦-٥٧

جبال الريع الرابع : « الهند والصين وشمال آسيا ٥٨-٥٩

[تحقيق على اسم نهر ايتل (الوغلان) - في الحاشية] ٥٩

جبال الشام وأصالتها ٦٠

صفحة

- جبال مصكة : عرفات — أبوقيس — الخندمة — الجبل الأبيض — الأخاضب
والجبابج — قيقعان — أجناد — ابن عمران — جبل البكاء — (سقايات مكة) —
جبال شامة وطغليل — جبل ثير — جبل جرأ — جبل ثور — عارحراء ٦١
- جبال المدينة المنورة : جبل أحد — جبل سلح — جبل ثور — جبل حير ٦١-٦٤
- أنهار الربع الأول ٦٦
- أنهار الربع الثاني :
- النيل : وصفه — كلثان للقاضي الفاضل عنه ٦٧
- أصوله ومنابعه ٦٨
- اكتشاف المسلمين لمنابعه قبل الافرنج : وصول آتسلاطين بن عبد المؤمن
الى منبه ٦٨
- وصف البحيرة التي يخرج منها النيل — ذراعا النيل عند منبهه — مرورهم في بلاد السودان —
بحر يوسف بمصر — مشاهدة المؤلف في بحر يوسف — عموذ النيل في الصعيد ٦٨-٦٩
- رجع الى اكتشاف العرب لمنبع النيل قبل الافرنج : عالم مفرى أقام بالسودان
٣٥ سنة وأغبر المؤلف من أصل النيل — توغل هذا العالم في الأسفار لمعرفة منبع النيل ... ٧٠
- اختلاف الأقوال في أصل النيل — روايات عن بحث ملوك مصر الأقدمين عن أصل النيل —
رأى المؤلف في أن هذه الأقوال مبنية على الطرقات العلية لا على المشاهدة ٧١-٧٢
- محاوله الصالح نعيم الدين الأيوبي معرفة منابع النيل [في الحاشية] ٧٢
- بقية أنهار الربع الثاني ٧٣
- أنهار الربع الثالث :
- نهر إشبيلية (أى الراى الكبير المعروف عند الافرنج باسم inadabnivir) من اسمه
العربي) وما قيل فيه من طرائف الشعر والوصف لأن وهيون وعلام البكرى وابن صاره
وابن خفاجة ٧٤-٧٦

من مسالك الأبحار

(٥)

صفحة

- نهر سرقسطة (Saragossa) وهو المسمى عند العرب أيضا باسم إبرة عن اسمه
الافرنجى (Elbro) وما كان ملوك الطوائف به من زه أبنية وما ارتجله فيه الوزير
اليهودى ابن حسداى من الشعر المفاخر أثناء زمة المستعين بن هود ... ٧٦-٧٧
[تحقيق على اسم بحر بنطش — فى الحاشية] ... ٧٧
- بقية أنهار الأندلس — أنهار فى أوروبا وآسيا ... ٧٨-٧٩
- نهر دجلة (Le Tigre) ... ٧٩
- نهر الفرات (L'Euphrate) ... ٨٠
- « الساجور آسيا الصغرى ... ٨٠
- « فويق (نهر حلب) ... ٨٠
- النهر العاصى (ويسمى العرب أيضا أرنطى عن الأعمدة (Oronte) ... ٨١
- نهر بردى (نهر دمشق) ... ٨١
- « الأردن (Le Jourdain) ، ويسمى أيضا «الشريعة» ... ٨٢
- حمة جَدَن والاستشفاء بمياهها ... ٨٢
- أنهار الربع الرابع : منها نهر لمتل (Le Volga) — نهر الطيب — جيحون —
صيحون — نهر السند (Sogaiano) — نهر مكران (Indus) — نهر عماس — بلاد
الترك — نهر حدان الأعظم بالصين (وهو النهر الأصفر Le Fleuve Jaune) — نهر الكر
(Cyrus) — نهر الرس المذكور فى القرآن (Araxe) — نهر قره صو — نهر أرس ... ٨٣-٨٥
- البحيرات المشهورة : بحيرة كيما — بحيرة أطراغا — بحيرة مَرْتَك — بحيرة السوكران —
بحيرة بخارا — بحيرة غوارزم — بحيرة تامة (بلاد الترك) — بحيرة زَرَه — ... ٨٧
- بحيرات النيل الثلاثة : يخرج النيل من اثنين منها وأما الثالثة فيسمى المؤلف بحيرة القنوم خلف
بلاد غانة (Guinée) لأنها من نيل السودان (Niger) ... ٨٧-٨٨

عبد الحليم بمصر — بحيرة زاقون — بحيرة بايرت بنون (أحد أهم عذبة والأخرى حلقة	صفحة
ونجيب شأنها) — بحيرة نان بأقصى المغرب — بحيرات أبرو — بحيرة الاسكندرية —	
بحيرة نس — بحيرة جارش — بحيرة طبرية (وحمام طبرية ووصفه) — بحيرة دُغر	
وهي المنة (Fétile) — بحيرة أقامية (Ajamer) — بطن العراق (التان بالبحيرة	
وواحدة بالكرة) — بحيرة حلاط — بحيرة أمردان ٨٨-٨٩	
رمل الهجير (ووصفه بالتفصيل) ٩٠	

الانثار البيئة في أقطار الأرض

المساجد الثلاثة : ٩١	
الكعبة : علة عامة سألها ٩٢-٩٤	
بناء إبراهيم — عدها وتعيد هذا أيام عيد الفطر الربيع — بناء الحاج لها — وادخلها : على يد ابنه — ثم إبراهيم — ثم قريش — ثم ابن الربيع — ثم الخنجر — بناء العائلة	
ثم جدهم لها — ترجمها ٩٤-٩٧	
أعلامها وتحتها ماذهب في الجاهلية ثم في الإسلام ٩٨	
تعيد بها في أيام الناصر محمد بن قلاوون ٩٩	
ترجمها في أيام الوليد بن عبد الملك الأموي — ترجم المظفر يوسف بن رسول	
صاحب اليمن ٩٩	
كسوة الكعبة في الجاهلية والإسلام : كسوة المؤمن — كسوتها من مصر ومن اليمن	
في أيام المؤلف — ما رآه المؤلف على سطح الكعبة وما نثره لكسوتها بيده —	
أهداء سلطان مصر كسوة الكعبة القديمة لسلطان المغرب الأقصى — غسل الكعبة	
وتولى المؤلف ذلك بفسده — التباة وكسوة الكعبة — كسوة النبي والخلفاء	
الراشد لها — قول شيخ عبد كسوة الكعبة ٩٩-١٠٢	

من مسالك الأبصار

(ز)

صفحة

- صفة الكعبة وذريعتها (مباحثها) - الحجر الأسود - باب الكعبة - الماترم - موضع
 الخلق ومقام إبراهيم - الحطيم - المستجار ... ١٠٢-١٠٤ ...
- المسجد الحرام المحيط بالكعبة : وصفه - عمر بن الخطاب يبيع الملكية لتوسيعه ،
 ثم عثمان بن عفان يقتدى به ، ثم ابن الزبير - تعمير عبد الملك بن مروان له - توسيع
 الوليد الأعمى له - زيادة المنصور والمهدي العباسيين له - رواه - صفه -
 أساطينه - شراء النبي لاحتوائه له بوزنها ذهباً - حناؤه - مساحه - ارتفاعه -
 شرفاته ... ١٠٥-١٠٩ ...
- المسجد الحرام يراد به الكعبة كلها - يراد به المسجد المحيط بها فقط - يراد به
 مكة أو الحرم بأكمله ... ١٠٨-١٠٩ ...
- بئر زمزم : أصل التسمية - في الحريش من مضائقها - تجديد عبد المطلب حجرها ... ١٠٩-١١١ ...
- الصفاء والمروة : وصفهما - المسمى - موضع المروة ... ١١٢ ...
- بدا ظهور : قرين بمكة - دار ثمود - دخول الدار في الحرم وموسمها مع ... ١١٣-١١٤ ...
- منى : مسجد الخيف - مسجد الكيش - جمع (أي انزدة) - وصفها -
 المشعر الحرام ... ١١٥-١١٦ ...
- أنصاب الحرم : أول من ...ها - تجديد النبي ثم الصحابة لها - بقاها لزين
 المؤلف - حد الحرم ... ١١٧ ...
- تعظيم مكة وتخريمها : حفظ شجرها - قطع شجرها ودية كل شجرة بيضة ... ١١٨-١١٩ ...
- عرفات - قبة آدم - تسميتها ... ١٢٠ ...
- مسجد نمرة (المعروف خطأ بمسجد إبراهيم) ... ١٢٠ ...
- مسجد عائشة أم المؤمنين ... ١٢١ ...
- مسجد ميمونة أم المؤمنين ... ١٢١ ...

صفحة

- المواقيت (أى مواضع الإحرام) : ذو الحليفة (مقات أهل الشام) — آبار هذا الطريق —
 الخلفة واسمها القديم (مهمة) — رابع (عمر الزك المصرى فى عهد المؤلف) — تغليط
 المؤلف للجهرى — يلم (الم) — ذات عرق ١٢١-١٢٢
- المسجد النبوى : الحرم النبوى والروضة الشريفة — تقوم النبى المدينة ومصلافها —
 بناؤه مسجده بها — زيادة عمر وعثمان فيه — مساهة الحرم فى عهد النبى — الزادات
 المتوالية فيه — زادات العباسين — المساهة بين المنبر والمصل والقبر الشريف ... ١٢٣-١٢٦
- بيوت النبى : اضافتها الى المسجد أيام عبد الملك بن مروان ١٢٦
- مسجد قباء (وهو أول مسجد بنى فى الاسلام) — كيفية تأسيسه ١٢٧
- مسجد الضرار ١٢٩
- مساجد المدينة ١٣١
- بقيع الفرقد : بقعة العباس ومن فيها من أهل البيت — بقعة عثمان بن عفان — بقعة ابراهيم
 (ابن النبى) — بقعة فاطمة وأمهات المؤمنين والصحابى والتابعين — بقعة مالك ابن أنس —
 أول مدفون بالبقيع — سبب تسميته بالفرد — متى الفرقد ١٣١-١٣٢
- المسجد الأقصى : كلمة عامة على الحرم المقدسى — بناء سليمان له — فضله — فتحه
 فى أيام عمر ثم صلاح الدين — تسليمه لفرنجة ثم استنقاذه ١٣٣-١٤٠

(وصف الحرم المقدسى ومزاراته الى سنة ١٧٤٣ هـ — تصنيف

خاص به لأحمد بن أمين الملك)

وصف فنيّ عرنيّ للبناء على الطراز العربيّ :

الصخرة الشريفة : البناء المثنى المحيط بها وطاقتها وشيايكه — وصف السقف —
ارتفاعات القبة — صفة الشيايك وأيوابها — أثر قدم النبي (صلم) فيما يقال — درة حرة
(وهي امرأة من السبعة ممدون) — المهراب — المفارة — باطنها — مقام الخضر —
مقام الخليل — الباب الشرق للصخرة — بابها الشمال (باب الجنة) — الباب الغرب —
الصحن ومساحته — قبة الميزان — قبة النجو — المدرسة المغلطة — قبة الملك المعظم —
الامام والطلبة أحناف بهذه المدرسة — القرية المرفوعة عليها (بيت لقيان) — مزولة
المدرسة — قبة التصديق بالحرم — خلوتان للفقراء — درج البراق — أعمدة القبة
وصفها — السلسلة المعلقة بين البناء والأرض — الخشاة الموصلة للحرم — قبة المعراج —

الأبواب والصبايح بصحن الحرم وفي سقفه ١٤٠-١٥٢

السور القليل : مسابله ومحاريبه — خزائن القناديل والحوائج — جامع المنارة

وجامع النساء ١٥٢-١٥٣

السور الشرقي (رفيع مهد عيسى) : مسجد باب الرحمة — باب الرحمة — المقبرة خارج

هذا السور — وادي جهنم وما فيه من عجائب المباني والآثار والقوش والمعادن القديمة —

وصف القصور الأربعة بالحرم المقدسى ١٥٤-١٥٥

السور الشمالي : باب أسباط — المدرسة الكريمة — باب شرف الأنبياء — مدرسة

آل ملك وخانقاه الإسعدي — مدرسة الجاولي ١٥٧-١٥٩

السور الغربي : أبوابه — آثار علاء الدين الأعمى ناظر الحرم (أنظر ترجمة حياته

في كتاب نكت الحميان) — باب الرباط المنصوري — مساكن ومجالس وخلوات

في نخلة الحائط — باب الحديد — الباب الجديد — الخلاوي والعلهارات والمسكن —

باب البهارة — باب السلسلة (وهو باب السحرة) — باب حارة المفارة ١٦٠-١٦٣

الخلاوى والحواصل تحت الصخرة	١٦٤
قبة سليمان : صفتها — حفرة سليمان	١٦٥
المجلس الذى بناه سليمان (ويسى فى عهد الخلف اعطيل سليمان) : وصفه — مريبط	
البراق فى إحدى اسطواناته — زيارة الخلف له	١٦٥-١٦٧
قبر الخليل وما جاوره من قبور بنيه والأزواج : قبر الخليل ابراهيم، وزوجته	
ساره، وابنه إسحق	١٦٨
زيارة الخلف للرداب الذى به قبور الأنبياء	١٦٩
اكتشاف قبور الأنبياء فى أيام احتلال الصليبيين لبلد الخليل	١٧٠
قبر آدم ونوح وسام — قبر يوسف وسبب وجوده خارج الحرم	١٧٠
زخرفة الحرم الخليل وضيافته	١٧٠
زيارة الخلف له سنة ٧٤٥ هـ	١٧٠
فتح الصفاة وأهراؤه	١٧١
استمرار السباط فى أيام تخليين وزاداتهم فيه — زيادة منوك الاسلام فيه	١٧١
قصائد تؤلف فى ملح الخليل — تحصيل الخلف فى زيارته له	١٧٢
إقطاع تيم الدارى — استحضار الخلف للكتاب النبوى الشريف ونقله صورته	
وصفه له — نقله هذه السبع من حمد الخليفة المستنصر (فى الحاشية كلام عن هذا	
الكتاب الشريف خلاص الصندى عن أبي بكر الرازى «وقلا عن العلقمشى» — رؤية	
الخلف هذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩ هـ	١٧٢-١٧٦
قبر يونس بن متى — وزيارة الخلف له مرات آخرها سنة ٧٤٥ هـ	١٧٦
قبر موسى الكليم — رواية فى تحقيق موضعه وسام عجيب	١٧٧
مسجد دمشق : وصفه وأزيلاته — حيطانه — لوح مكتوب بخط عادى وجدعه أيام	
الوليد وزعم وهب بن مبه أنه قرأه — صورة ما فى هذا اللوح	١٧٨

من مسالك الأبصار

(ك)

صفحة

- دخول العرب دمشق فاعتن — الكنيسة نصفها النصارى ونصفها المسلمين إلى أيام
الوليد — حيلة لطيفة للوليد مع أمراء طروا الروم — المصالح على اختصاص المسلمين
به في نظير استئثار النصارى بكنيسة مريم كلها — شروع الوليد في تحميمه — رواية
أخرى في أفراد المسلمين به — أخذ النصارى أربع كنائس في نظير نصفهم فيه ١٧٩-١٨٠
- محاولة التساوسة منع هدم كنيسة لثومته ، ومباشرة الوليد الهدم بنفسه — رواية
أخرى — رواية أخرى — وضع الأساس — نحو يث النجارين النصارى الوليد
ومباشرة الهدم بنفسه ١٨٠-١٨١
- التوصل على النصارى بكنيسة أخرى ١٨٢
- مسامرة الوليد النصارى وتغويفهم أباه بالجئون إذا هدمها ومباشرة الهدم بنفسه
لتكذيبهم — إتمام اليهود هدمها ١٨٢-١٨٣
- طلب الوليد صنما وعملة من ملك الروم — مكتبة ملك الروم بشأن الهدم ... ١٨٣
- سقوط القبة بعد بنائها — حيلة هندسية في تشييدها ١٨٤
- محاولة الوليد عقد رأس القبة بالذهب وتقرع أحد أصحابه له ١٨٤
- قنشة سطوحه بالزجاج — شراؤه وصاها من امرأة يهودية بوزنه ذهباً ثم بيعها
بالقن للبعد لآ رأت من عدل الخليفة ١٨٤
- سليمان بن عبد الملك يتولى أمر الصناعات بنفسه — أداء الأمانة ١٨٥
- ما كان فيه من الزحام والمرمر — مناقشة الخلف عن الزحام والمرمر والجارية وتفصيل
أنواع الزحام الملقون — زحام بيرو من بعده — عدد المرتحين ١٢٠٠ —
ترويقه وتفقاته الباطنة واحتياج الأمة على الوليد ، وردة الخلع ... ١٨٥-١٨٦
- قصة كثر — الفقة على المسجد ٦٠٠٠ و٦٠٠ دينار ١٨٦-١٨٨
- مفاتيح دمشق أربعة ، وبه صارت خمسة ١٨٨
- من عمودين ١٥٠٠ دينار ١٨٨
- رأس يحيى بن زكريا في كنيسة تحت ١٨٨
- تمثال قديم وجدوه في حفر الأساس ١٨٨

صفحة	
١٨٩	الأنباء المقودة تحت المسجد
١٨٩	الوراق الذى كان يحيط به وأقامته وماذا بنى بها
	عمو يضى عموين عبدالعزيز على النصارى بكنيسة أخرى — عموين عبدالعزيز أراد
١٩٠	إرجاعه للنصارى ، وكيف أرضاهم القوم وأرضوا عمر
	شروع عموين عبدالعزيز نزع زحارته لوضع ثمنها فى بيت المال ، وكيف رقدته
١٩٠	عن ذلك
	وفود الروم وإعجابهم به — رواية فى عزم عموين عبدالعزيز على تجريد القبلة مما
١٩١	فيها من الذهب
	إقرار المهدي المامون بفضل بن أمية فى أروسة أشياء — إعجاب المامون ببنائه على
١٩٢	غير مثال تقدم
١٩٣	بجانب الدنيا خمس عند الشافعى : منها المسجد الأموى
	صناعة التفسير وأنواعها — التفسير الذى احترقت سنة ٥٧٤ هـ — الفرق بين
١٩٣	القديمة والجديدة فى أيام المؤلف
١٩٣	هذا المسجد يشوق الى الحلة
	الفرز المسماة (قُلَيْلَة) — الأمين يستزعمها والمأمون رقدتها لتشنج عليه — ضياعها
١٩٣	وانكسار البرنية الزجاج التى وضعت محلها
١٩٤	أمنار المسجد
١٩٤	وصف المؤلف لبنائه الوثيق الأثيق
١٩٤	أبوابه القديمة والمستجدة
١٩٥	حصن المسجد وضياعه — رواق الصحن — أروقة القبلة وقبة النسر
١٩٥	المصحف المائى الذى كان فيه
١٩٥	محراب الصعابة — محراب الحفنة — محراب الحبالبة
١٩٦	وصف الأروقة — وصف قبة النسر

صفحة

مشاهد الخلفاء الراشدين — مجلس الحاكم الشرعي والحكام الأربعة	١٩٦
مجن زين العابدين	١٩٦
المعارات والمدارس التي أضيفت اليه	١٩٧
فرشه بالمرمر، وزنته عمده وعصاهه بالزخام الذهب	١٩٧
فساق الماء	١٩٧
عود الى وصف القبة	١٩٧
طول حلال القبة	١٩٨
وصف ساعة المسجد	١٩٨
طلعت الجامع قبل حريقه	١٩٨
حريق الجامع سنة ٦٩ هـ وسببه — وصف العهد الكاتب لهذا الحريق — آيات في ذلك الحريق	١٩٨
القذارات التي به وتواريخ انشائها وسقوط عمدها وما فوقها	١٩٩
عمل الشذوان بعد سنة ٦١٠ هـ — وصف القبة لقصة القذارة الكبرى وما بنى عوضاً عنها بعد حريق سنة ٦٨١ هـ	٢٠٠
حريق سنة ٧٤٠ هـ وتجديد المئذنة على أجل مثال — مقامة الصفدى في وصف هذا الحريق — وصف ابن غانم له أيضاً	٢٠٠-٢٠٢
وصف المؤلف لما رآه في المسجد بالناس دائماً	٢٠٢
أرفاقه ومرتباته	٢٠٣
مقام إبراهيم يبرزة (بالقوس)	٢٠٣
مغارة الدم — فضلها خصوصاً في صلاة الاستسقاء	٢٠٥
الربوة : مقام عيسى (ع) بها — معجزتان لعيسى (ع) — اختلاف المفسرين في مواقع الربوة — اتفاق المؤلف هذه الأقوال	٢٠٦-٢٠٨

صفحة

- الكهف بناسيون : بناؤه سنة ٨٣٧٠هـ ورواية غريبة في ذلك ٢٠٩
- مسجد عمرو بن العاص بالقسطاط بمصر : وصفه وفضله — وصف الحلال
والشمس فوق النيل في وقت الغروب لابن خاثر، ولابن فلاح وابن المنجم، وهما في تاريخه ٢١١-٢٠٩
- مسجد قرطبة : طوله وعرضه — تسقيته وصحة — فيه سواره — ثرياته — سماراته
وجوائز سقفه ٢١٢
- صناعة الفس وصناعة القمار — بلاده — أعدته — صناعة الفس بالمنيرة ... ٢١٣-٢١٢
- وصف قبله العبية وما فيها من صنعة القوط — أعمدة المحراب لا تقوم بمال —
المخبر الذي ليس بمصور الأرض منه — صنعة قضا سح سنين في عمله ... ٢١٣
- آلات التوقيد في ٢٧ رمضان (ليلة القدر) ٢١٤
- مصنف يرفعه رجلا، فيه أربع وثلاث من مصنف عثمان ٢١٤
- أبراه ٢٠٠ مصفحة بالنحاس وكواكب النحاس ٢١٤
- صومعة الفريفة — درجيان متطابقان للصمود إلى أعلاها — فيها ثمانية عمود — فوقها ثلاث
تقاحات من ذهب وفضة ٢١٤
- ٦٠ رجلا يتقدمون الجامع ٢١٤

بقية المزارات الأخرى : (ركلها بالنام) :

قبر مالك بن الأشتر — قبر حفصة — دير إلياس (عم) — مشهد إبراهيم بيديك — قبر
أسباط بيديك — قبر نوح بالكرك — قبر شيث (عم) بقرية شرميل — قبر حزقيل
(عم) بالبقاع — قبر بنيامين بقرية ظهر حار — قبر شيبان الراعي بالبقاع — قبر أيوب
(عم) بقرية دير أيوب — مشهد جماعة من الصحابة بقرية محبة — حجر يزعمون
كذباً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس عليه بقرية محبة — قبر اليسع بقرية بسر — الأخدود
الذي تخرن بالنام (والحقيقة خلاف ذلك لأنه باليمن) — عبد الرحمن بن عوف بقرية
الهدود — المسيح في ذيل الجلاء — سام بن نوح على ندى — محبي الدين النوري بقرية
نوى — عل الحريري بقرية نوى — مبرك الناقية بمصر — مصحف عثمان عليه أثر

- الدم في مراك الناقة يبصرى — دير الناعنى الذى كان به الراهب بيمرا — قدم
الرسول (صلى) بقرية دثين — قبر وهب بن منبه بقرية غصب — قدم هرون (ع)
بصرخد — مشهد موسى وهرون (ع) بصرخد — قبر هرون بالسقي ببلاد الشوبك —
قبر أبي عبيدة ابن الجراح بقرية عمنا — قبر معاذ بن جبل بالقصر الحقيقى — قبر
أبي هريرة بقرية تبنى — الكهف والزقم (بالقفا أو بأفسس أو بتاليللة) — قبر
جعفر الطيار ، وزيد بن حارثة ، وعبدالله بن رواحه ، والحارث بن النعمان ، وعبدالله
ابن مهمل ، ومحمد بن عامر القيسى ، وأبو دجاجة الأسدي (كلها بقرية مؤتة) —
وقبور أم موسى بن عمران ، ودان ، وأبساخور ، وزبولون ، وكاد ، وأولاد يعقوب
(بإربل طبرية) — قصر يعقوب (ع) ، وبيت الأحرار ، وجب يوسف (في الطريق
الى ياناس والى القدس) — قبر شعيب في حطين ، وبيوذا بن يعقوب في رومة
طبرية ، وصقورا زوجة موسى في كفر مدده — الجلب الذى سقى منه موسى أعتام
شعيب والصخرة التى رفعها عنه في كفر مدده — قبر أشير وقنثال ، ولدى يعقوب في كفر
مدده — وقبر سليمان (ع) بشرق طبرية أو بيشلم — قبر لقمان وإبيه — الطور الذى
رأى موسى النار فيه بالشام ، في قول — قبر راحيل أم يوسف بين القدس والخليل —
قبر لوط بكفر ترك — مقام لوط بقرية تامين — الحجر الذى شربه موسى (ع)
يها — قبر عبادة بن الصامت بالرملة ... ٢١٩-٢١٥
- مشهد الحسين بن على بن أبى طالب بصقلان (المؤلف يشكر وجوده بالقاهرة قرية قول
ان الأظاب انه لم يجاوز دمشق وأن العباسيين حلوا أعظمه فيها بعد دفنوها بالمدينة
المتورة) ... ٢١٩-٢٢٠
- مشهد رأس الكامل صاحب ميفارقين بصقلان (وذكر المختار الكاتب فيه) ... ٢٢٠
- قبر يحيى بن زكريا ببسطة — سعد بن عبادة بالمنية بدمشق (ولا يصح) — قبر خالد
بن زيد الأموى خارج حصص (والعلمة تجمله قبر خالد بن الوليد وهو خطأ) — قبر
ضرار بن الاوزر خارج باب شرق دمشق — مدفن الصحابة في تلك الجهة ... ٢٢٠-٢٢١
- اليوت المظفمة عند الأثمن :
- عبادة الكواكب وهياكلها ... ٢٢٢
- الهوت المحجوبة ... ٢٢٢

صفحة	
٢٢٢	البت الحرام بمكة...
٢٢٢	بيت النار Pyro باصفهان
٢٢٢	بيت مندوسان بالهند
٢٢٣	بيت كورسان بفرنقة
٢٢٣	بيت محمدات باليمن
٢٢٣	بيت الكراكب بأهل الصين
٢٢٣	بيت النوبارقي بلخ
٢٢٤	هاكل اليونان : (بيت انطاكية — هرم الجزيرة — بيت المقدس — صنم لبنان) ...
٢٢٥	هاكل الصقالية ...
٢٢٥	هاكل الصابئة ...
٢٢٦	هيكال بالصين
٢٢٨—٢٢٧	بيوت النيران (بلوس، بجاري، دارابجرد، اسطغر، جور) ...
	الآثار المشهورة :
	بالصين وتركستان وفارس :
٢٢٩	صنم الخطا المصنوع اليه (يشال الصين) — قصر الدعاك — حائط القلاص
	بالعراق :
٢٢٩	قصر ستاد، وشر الأسود بن يفرقه...
٢٣٢	جب بابل
	بالحيرة :
٢٣٠	الخورق والدير، وما قيل من الشرفها وفي مجازة زينبار بانها
٢٣٠	قصر ستاقاد...

بالشام :

الريف الخلق في البرية ٢٣٠

مدينة تدعى — مطب بلك — مدينة برش — جب يوسف — جسر يعقوب ٢٣١

بين الحجاز والشام :

منازل نمود (وهر الجمر والثافة) ٢٣١

باليمن :

الأخدود — البر الحظلة والتصر المشيد — سد مأرب — قصر القشيب — قصر
غمدان ، وشمر ابن أبي الصلت فيه — بربرهوت — قصر زيدان ٢٣٣-٢٣٢

بفارس :

مدينة اسطخر ٢٢٩

قصر الشاذياخ (والشمر الذي ارتجله ابن الجهم حينما صلبوه عليه) ٢٢٩

بمصر :

دار الأتمساط — وشمر ابن قلاص في طليحة مرت بها ٢٣٤

الأهرام — فتح المأمون للهزم الكبير ، وتحقيق المؤلف في ذلك — وصف
المؤلف للأهرام ، وزيارته لها — شعر الخفي وأبي الصلت الأندلسي فيها ٢٣٨-٢٣٤

أبو الهول ووصفه — وشمر ظافر الحداد فيه ٢٣٨

صحن يوسف ٢٣٨

حائط العجوز — ووصف المؤلف وزيارته له ٢٣٩

شامة وطامه (تمتلا بمنون أروسييس الكبير) ٢٣٩

بريارة إنجم — مارة المؤلف فيها — تحقيق الحكم شمس الدين محمد النقاش بشأنها ٢٤٠-٢٣٩

سنة

- عمود الصواري بالاسكندرية — منارة الاسكندرية وأشمار ابن القروي
 وابن تلامس في ٢٤١-٢٤٠
 الملعب، ومكانه قصر بن خليف (كان) وشمار ابن تلامس في وصف هذا القصر ٢٤٢-٢٤١

ببلاد المغرب :

- مدينة لبدة (Lepidus) وأطلالها [وهي في بين برقة وطرابلس الغرب] ... ٢٤٣
 مدينة الملحقة بنونس (وهي قرطاجة) ٢٤٤
 مدينة شمرشال بالجزائر ٢٤٤
 حفرة سبتة بمراكش ٢٤٥

بالأندلس :

- هيكال الزهرة بالأندلس ٢٤٥
 باب الصفير بجمبال البرانس (بين اسبانيا وفرنسا) ٢٥٣-٢٢٩
 [شجرة واحدة في الدنيا لا تاني لها] ٣٠٤

القصور المشهورة :

- قصر العباس بن عمرو النوى — الشعر الذي كتبه عليه سرف الدولة سنة ٤٣٣١هـ
 ثم أخوه نصر الدولة سنة ٤٣٦٢هـ ثم المهدي بن المسيب سنة ٤٣٨٨هـ ثم ابنه
 قرواش سنة ٤٤٠١هـ ٢٤٧-٢٤٥
 [أمير جيش يلم وحده وأمر جيش يؤسر وحده] ٢٤٨
 قصر البصرة — ما حدث فيه من المفارقة بين جرير والفوزق في حفرة الحجاج الضيق ٢٤٨
 قصر الكوفة وما حدث فيه من إحضار رأس الحسين الى ابن زياد، ورأس هذا
 الى المختار بن أبي عبيد، ورأس هذا الى مصعب بن الزبير، ورأس هذا الى عبد الملك
 ابن مروان الذي قطر من مجلته وأمر يده ٢٤٩-٢٤٨

من مسالك الأبصار

(ث)

صفحة

قصص هرقل (بدمشق) — وعُرف في زمان المؤلف بقصر شمس الملوك — وصف	
التفسيرات لبركة ارتجالا	٢٥٠-٢٤٩
قصر أبي الخصب، مولى أبي جعفر المنصور	٢٨٥
قصور مدينة الصالحية بالعراق — وما قيل فيها من الشعر	٢٦٦-٢٦٥
[الدار التي بناها المؤلف لنفسه بدمشق]	٣٥٠
قصر لئى أمة بدمشق — وما كتب عليه من الشعر استغناها وجوابا على سبيل العبرة ...	٢٥٠
قصر عبد العزيز بن مروان بجلوان مصر — وما كتب عليه من الشعر، استغناها	
وجوابا على سبيل العبرة	٢٥٠-٢٥١
مسجد بنية السلاسل من البرمك بالشام رأى المؤلف على بعض جدرانها شعرا في رثاء	
بني سيار أصحاب هذه الجهة الأولين يتلوه شعر في رثاء بني السلاسل، وما كتبه هو	
تحت ذلك من الشعر في رثاء الفريقين على سبيل الموعظة والاعتبار ...	٢٥٢-٢٥١
بيت من الشعر رآه المؤلف على معبد كان يلقه، فارتحل أربعة أبيات في شكاية	
الزمان وأمر بكتابتها تحت ذلك البيت وانصرف باكيا	٢٥٢-٢٥٣

الديارات والحانات المشهورة :

ديارات العراق :

دير الكلب (وهو من عجائب الدنيا)	٢٥٤
دير أجيوان (وهو بقرنوج، يزعمون)	٢٥٥
دير الزعفران (وشعر الخالدي)	٢٥٥
دير قنق
دير العاقول (وشعر ابن مقلة والبصري وابن كاتب طرولون، وحكاية جعفة والبصري فيه)	٢٥٦
دير الطادري (وشعر ابن المعتز وجعفة والصنوبري وابن ضرز والقصص)	٢٥٨

صفحة	
٢٦١	دير الباعوث (وشعر المنجي)
٢٦٢	دير السوسى (وشعر أحمد بن أبي طاهر وابن الحنتر)
٢٦٣	دير عبودن (وشعر البعترى وابن الحنتر)
	دير زكّ (وشعر الصنوبرى وأبي بكر الخوج والزهراوى — وشعر دارون الرشيد
٢٦٩-٢٦٥	بسبب أوفينين فيه)
	دير القناتم الأقصى (ومحدث لاسحاق الموصلى فيه ، وما قاله من الشعر، وما عمله
٢٦٩	الخليفة هارون من رفع الخراج عن هذا الدير سوى عشرة دراهم)
٢٧٠	دير حرقبال
٢٧٠	شعر عقلاء المجانين
٢٧١	دير مامرسى (زيارة المستعم له مع أبي النصر البصرى وشعر هذا فيه)
٢٧٢	دير الرعم
٢٧٢	شعر عقلاء المجانين
٢٧٤	دير الزندورد (وشعر أبي نواس وبهجة البرمكى)
٢٧٥	دير دومايس (وشعر ابن حمدون التميمى)
	دير سمالو (وشعر محمد بن عبد الملك الهاشمى ، وأشعار خاله بن يزيد الكاتب حينما
٢٧٥	استدعاه إبراهيم بن المهدي)
٢٧٧	دير العتاب (وشعر ابن دحقان)
٢٧٧	دير مديان (وشعر الحسين بن الضحاك)
٢٧٨	دير آشوتى (وشعر جعظه ورفس أبي النباهة في سمرية حين سمع التناء به)
٢٧٨	دير سابز (وأشعار ابن الضحاك)
٢٨٠	دير قوطا (وأشعار عبد الله بن العباس الريسى)
	دير جرجس (وأشعار أبي جعفر القزوينى — واستدعاه ابن النيرى لابن الحنتر لأجل
٢٨١	الشرب فيه ليلة الشك)

من مسالك الأبحار

(ش)

صفحة

دير انغرات — ليلة الماشوش به ، والشعر فيها بخلفة	٢٨٢
دير ياشيرا (وشعر أبي العبيد)	...
دير مرمار (وشعر الفضل بن العباس بن المأمون — وما حدث به لستر أيام خلافته	...
حيثما خرج الصيد مع الفضل المذكور ويونس بن جُنا	٢٨٢
دير مرجيس (ويسميه الناس معصرة أبي نواس — شعر أبي نواس وابن الضحاك)	٢٨٤
ديارات الأساف (وشعر علي بن محمد بن جعفر العلوي)	٢٨٥
دير زوارة (خروج يحيى بن زياد وطليح بن أبياس لمحج وقوفهما به لشرب ليلة	...
واحدة وتماذيها حتى عاد الجميع فرجعا منه الى بغداد بعد أن حلقا رؤوسهما	...
كأنهما أدبيا القرينة وشعر طليح في ذلك)	٢٨٦
عُمر مرتومان (وأشعار كشاجم فيه وفي عهد الملاح)	٢٨٦
دير الأبق (وشعر المدايني حيثما سكر به)	٢٨٧
عُمر إزاعيل (وشعر محمد بن حمد الأسم)	٢٨٧
دير باقوفا (وشعر أبي الحسين محمد بن ميمون الكاتب)	٢٨٩
دير حميد (وأشعار الخالدي والسري الرقي — حكاية من قيل مع جماعة من	٠
الفرقاء، وما قاله عمر بن محمد بن الشحنة من الشعر في ذلك التقييل)	٢٨٩
الدير الأعلى (وشعر الخالدي)	٢٩٣
دير مارخايل (حكاية الشهيد الذي وجد بأمنه — وشعر الخالدي وعمر بن الشحنة)	٢٩٤
دير نقي (وما قيل فيه من الشعر — البيان المكتوبان على باب دهليزه)	٢٩٩
دير الخنافس (شعر لأحد بني عروة الشيباني يرقى أخاه — وفيه يتوح شأؤهم على	...
موتاهم — وإذا نزلت أحيالهم بهذا الدير نغروا على قبر مبيهم وأنظموها مائما)	٣٠٠
دير باعريا (زيارة سيف الدولة له وشعره فيه والشعر الذي صنعه له أبو اسحاق	...
اليسري وخناه به سفارة المواد)	٣٠٠
دير القيارة (واستشفاء المرضى من الطل المستعصية بالاستحمام في الحة التي به)	٣٠١

صفحة	
٣٠٢	دير بارفانا (ويكر التلواز البهلى وشعره)
٣٠٢	دير أبى يوسف (وشعر الخالدى)
٣٠٣	دير الشياطين (وشعر السرى الزهراء)
٣٠٤	دير مرمريص (وشعر رطل من آل القبريات)
٣٠٥	دير صبايح (وشعر بعض لصوم بن شيطان)
٣٠٥	عمر الزعفران (وشعر الخالدى والبناء وحصب الكاتب)
٣٠٧	دير باريتا
٣٠٧	دير حنظلة (وشعر ورج فيه)
	دير الجاثليق (ورثاء ابن رقيس الرقيات لصعب بن الزبير المقتول بجانيه — وأشعار
٣٠٨	بكر بن خابجة ومحمد بن أبى أمية بسببه وفيه)
٣٠٩	دير مرميحا (وشعر عمرو بن عبد الملك الوراق وبعض أشعاره الميمونية)
٣١٠	عمر أعوشيا (والشعر فيه)
٣١٠	عمر عسكر (وأشعار محمد بن حازم الباهل)

ديارات الحيرة :

٣١١	دير الأسكون (وصف البدي فيه)
	دير حنة (شعر رجل مستتر بالسك في وقتله — شعر التروانى ويكر بن خابجة
٣١٢	الكوفى وأبى نواس)
٣١٤	دير عبد المسيح (والأشعار المكتوبة على حائطه — وعلى لوح وجده في قبره)
٣١٥	دير الحر بنى (وشعر التروانى . وصف مجلس الشراب به في يوم الشمانين)
٣١٦	دير ابن مزعوق (وشعر التروانى)
٣١٧	دير فاثيوت (وشعر التروانى)
	دير مارت مريم (وشعر التروانى — شعر بكر بن خابجة فيه على قراءة النصارى
٣١٧	وشرب النواقيس)

من مسالك الأبصار

(ث)

صفحة

٣١٨ ... (وقد صار قاتكا) — شمر تيل فيه ...

دير حنة الكبير (شمر الزواني — زيارة ابراهيم بن المديبر مع جعقة له ، وجلس شريها فيه ، وما صمته جعقة من الشر والتمين لهذا السبب — زيارة الوليد ابن يزيد الخليفة الأموي لهذا المديبر متكررا ، وشريه فيه ثلاثة أرمال — وتلطف

التمار حتى عرفه) ... ٣١٩ ...

دير هند (ذهاب النعمان بن المنصور ملك العرب إليه ، وبحيلة في أخذه امرأة حكم بن عمرو الحمصي ، وقول الشاعر في ذلك — مقابلة خالد بن الوليد مع هند بنت النعمان — مقابلة الحجاج لها — غيرة العرب وشهائهم في الفلج عن الحرم —

مقابلتها لسد ابن أبي وقاص حين فتح العراق) ... ٣٢٢ ...

دير ألج (الشر فيه — ذهاب النعمان إليه بمركبه وحشمه وخدمه) ... ٣٢٦ ...

دير بني طقصة (وشمر على بن زيد — وهو ما يخفى به) ... ٣٢٧ ...

دير هند الأقدم (زيارة هارون الرشيد له — وبكاؤه لشمر مكتوب على حائطه

في رقائه بن المنذر) ... ٣٢٧ ...

قبة السنيق (وصف حفلة الصاري به في عيد الشعائين) ... ٣٢٨ ...

دير اعحاق (وأشار إلى عبد الرحمن الهاشمي السلياني) ... ٣٢٨ ...

دير مياس (وأشار ذلك الجن وأبي نواس بسببه وفيه) ... ٣٣٥ ...

ديارات الشام وفلسطين :

دير محلي (وشمر أبي زينة) ... ٣٣١ ...

دير مارصوتا (واحدان سيف الدولة إلى أهله وشمر الصوري) ... ٣٣٢ ...

دير الرصافة (شرأبي نواس وغيره — زيارة المتوكل العباسي له — وقعة الشر التي

عقدتها فيه وجعل من ولد روح بن زباع سرا ، يرثي المروانية - تطير المتوكل) ... ٣٣٢-٣٣٤ ...

دير حطروا ... ٣٣٤ ...

دير البيات (وشمر الطيبي) ... ٣٣٤ ...

دير كفتون (شمر الطيبي) ... ٣٣٥ ...

صفحة	
٣٣٦	دير القاروس (شرح حسن بن علي النزي)
٣٣٦	دير فيق (وهو أول دير لتصاري — شرأبي نواس)
٣٣٧	دير الطور (بالتام و يعرف بدير التجل — أشمار المجلد بن يموت بن المزدج)
...	دير المصلية — (زيارة المؤلف له — صار مسجدا ثم عاد ديرا — ظهر المؤلف اعادته
٣٣٩	مسجدا — أوقاف الدير — شرح حسن النزي)
٣٤٠	دير السيق — (تقصيدة المؤلف فيه)
٣٤١	دير الحواكيس (كثرة مرور المؤلف به — أشماره فيه)
...	دير رمانين — ما حدث لعمري من الخطاب فيه — عجيبه اليه بعد فتح بيت المقدس —
...	ومقابلته لصاحبه الزاهد الذي كان أكرمه — مصالحة له على الجزية —
٣٤٢	وتكاتب عمريد الزهاني
٣٤٤	دير هزقل (وهو خاص بالمجانين) — شعر دعي فيه — حكاية البرد مع أحد عقلاء المجانين
٣٤٦	دير يونس (شعر الفضل بن اسماعيل بن يونس بن عبد الله بن العباس، وشرأبي شاش)
...	دير بصرى (ويسميه المؤلف أيضا دير الناق وهو الذي كان فيه الزاهد ببيرا) —
٣٤٧ و ٣١٧	وصف المازق له ولقصاصة أهله — شعر دريانية من أهله ...
٣٤٨	دير الخان — زيارة المؤلف له — أشماره فيه
...	دير حلبيا (الوليد بن يزيد الأموي كان يكثر الاقامة فيه، بحره ويشرب فيه — وصف
...	مجلس شربه ومشاركته للفنين في اللعب بالآلات الطرب، ويروجه بهذه الهيئة
٣٤٩	على وجوه العرب، وتلطف الحاجب في صرف الناس)
٣٥١	دير يونا (سكر الوليد بن يزيد ومحبوه فيه وشعره)
...	دير صمان — تلطيف المؤلف للهادي وأبي الفرج الأصماني القنبي بجلاده بدمشق، وليس
...	له بها أثر ولا عين — تحقيقه عه داه بقرية تعرف بالبقرة بالقرب من معرة
...	النمان — وهو الذي دفن بجبانته عمر بن عبد العزيز — وصف جريح لنساء الصليان
...	وهم يقلبون الصليان ويسجدون لها يثلك الدبر — مخالاة الوليد بن يزيد
...	في السكر به حيث نزل على أكرم غديره فيه، وأقسم لا يبرح حتى يشرب مائه مزاجا

صفحة

لكنه — والحيلة التي ضلها تدماؤه للتخلص من هذا القسم — وصفه شعرا
لأحمد بن حلال — مقابلة البراق لصبر بن عبد العزيز بالقافية في مرضه،
وشراء الخليفة موضع قبره في الدير لقطة صفة ٣٥١-٣٥٣

دير مران (حكاية المبرد مع أحد غفلاء الجائنين) — شعر الصنوبري فيه — زيارته هارون
الرشيد وما صنعه الضمك فيه من الشعر الذي غناه له عمرو بن بابة بلحن حنين —
وصف إبراهيم الموصلي لمجلس الخليفة هارون فيه وطعامه به ومخادعته مع صاحب
الدير وذكر له زول الوليد بن يزيد بوشعر. في نفس المجلس وقام الوليد وشربه
البحر ملأ خرا ثم ملأه لجرئت دراهم حل سبيل الصلة لصاحب الدير —
موضعه في أيام المؤلف ٣٥٤-٣٥٦

دير صيدايا — هاديران أحدهما يعرف بدير السيدة، يقصده القريش في أيام المؤلف
ولهم فيه اعتقاد خاص — الماء الذي يقطر من مدع فيه — تبركهم به وشدة
احتضادهم فيه — ذكر ماروتة نصرانية معروفة بالم المؤلف عن هذا المعنى —
وصف المؤلف لهذا الماء وتحقيقه بشأته — شعره في الدير ٣٥٦-٣٥٨

دير شق معلولا — والماء الذي ينقط فيه واعتقاد النصارى له ٣٥٨-٣٥٩
دير بلوذان (مرور المؤلف عليه — شعره فيه) ٣٥٩-٣٦٠

ديارات اليمن :

دير نجران (يسميه العرب كعبة نجران) — شعر فيه يتنمى به — ثلاثة بيوت من نضاري
اليمن تبارى في بناء الكنائس وزخرفتها — شعر الأحمى فيه، ولحنه بلحنه من بنان ٣٥٨-٣٥٩

ديارات مصر :

بيضة أبي حور (والاستشفاء بها من داء الخنازير) ٣٦٠-٣٦١
دير يحنس بتاحية سنهور — (وصفته الخاصة بأصبح الشهيد — تحقيق المؤلف فيه) ٣٦١-٣٦٢
دير مريخا بمحارب بساتين الوزير (شعر ابن طاهر) ٣٦٢-٣٦٣
دير نهيا بالجيزة (وشعر ابن البصري) ٣٦٣-٣٦٤

صفحة	
...	دير القصر — وغرة تمارويه به — شعر محمد بن عاصم المصري — طلائع ابن ظافر
٣٦٣ ...	واين مجاوز والأمن المؤيد
...	دير شران — مجالس السراج الوراق وحده — ومع الجزاء الشاعر — حكاية السراج
٣٦٦ ...	الوراق والأدباء مع صديقه الزاهد به واستثناء السراج لشعر بالشعر ...
...	دير البخل — السبب في تسميه — شعر السراج في مدح أبي الفضل ابن الصالح وقد خرجا
٣٧٠ — ٣٧١ ...	الى هذا الدير وتنادما فيه ، فأنتم عليه ابن الصالح بنير سوال
...	دير طمويه (طموه) — شعر ابن عاصم فيه
٣٧٢ ...	كنيسة الطور (دير طورسنا) — ذاها — عمراتها — وصف ابن عاصم لما شعرا ...
٣٧٣ ...	دير طرا — شعر المؤلف فيه
...	الديارات السبع بالوجه البحري — مرورا المؤلف على بعضها في صحبة السلطان
٣٧٤ ...	الناصر محمد بن غلادن
...	الدير الأبيض بالصعيد — (وصف المؤلف له — أوجزة طريفة المؤلف فيه آتى فيها
...	على وصفه بأبداع بيان ووصف السفرة ورتيبها والمآكل عليها وما أشبه ذلك من آلات
٣٧٤ ...	الطعام وألوانه الخ . وهي من غرر الشعر الوصفى — أشعار أخرى له فيه) ...
...	دير ريفة (وحكاية الشاعر المقربى ابن الحداد الذى آتى من بلاده السبع فأنشأه المطايا به ،
٣٨٤ ...	وأشعاره في ديرانية)

الحانات :

حانات الجواز :

٣٨٦ ...	حانة الطائف (وشعر أبى ذؤيب المفلح في تخارها ابن بحيرة)
...	حانة بنى عريقة (واكتباه أبى سفيان بن حرب يمد غزوة السويق الى سلام بن مشكم
٣٨٧ ...	اليهودى وما قاله من الشعر في مدحه على إرأى كرامه له بكل انحراف الذى فيها) ...
٣٨٨ ...	حانة جهم (وتصرف بحانة ريمان باسم صاحبها) وشعر الراعى النخيري فيها

صفحة

حانات الحرية :

- ٣٨٩ حانة حون (وشعر أبي الهيثم فيها في ليلة الثلث من رمضان)
- ٣٨٩ » حانة (وشعر الأقيصر في صاحبها التي سميت بها الحانة)
- ٣٨٩ » جابر (وموافاة أبي نواس لماعنة أبي الصلصال، وأغراء هذا له على الشرب بشعر لطيف، ومخافته لأمر أمير المؤمنين، وما فعله الأمين معه حينما علم بفعله)
- ٣٨٩ حانة شهلاء (امرأة يهودية) — وتضمن الأقيصر الشاعر بها حينما دفعه الشرطى، ومحاولة الشرطى الشرب، وحيلة الأقيصر في منازلة الخمر دون أن يخرج له، وشعره في ذلك
- ٣٩١

حانات العراق :

- حانة طبرتا باذ (وموقوف سليمان بن نويخت بها مع أبي نواس حينما تجربا للبحر فأقاما بها إلى أن عاد الجميع فراقاه على أنها جاج - وشعر أبي نواس في ذلك)
- ٣٩٢ حانة قُطْرُبَل (ورحلة أبي نواس إليها مع أبي الشبل البرجمي، وشعره في ذلك)
- ٣٩٢ » الشط (والجلس الذي بناه الخليفة الراقي به ووصفه ووصف آلاته — ذهب الخليفة المذكور إليها مع الحسين بن الضحاك واستنشاده أيام شعره فيها)
- ٣٩٣ حانة غويث (وكانت منفاة من الضرائب والخراج) — وشعر عبد الله بن محمد بن
- ٣٩٥ عبد الملك الزيات فيها
- ٣٩٦ حانة مجيستان (وشعر أبي الهيثم فيها)

حانات الشام :

- حانة عزاد (ذهب اسمها الموصل إليها وهو في كتاب الرشيد، وما قاله من الشعر، وما فعله الخليفة)
- ٣٩٦ حانة هثية باسم صاحبها — (شعر الخليفة الوليد بن يزيد فيها)
- ٣٩٧

النَّبِيُّ الْخَلِيلُ

②

الحمد لله خالق الأرض ومن عليها ، ومُبدئ الخلق منها ومُعِيدهم إليها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تحفظ مالهديا .

وأشهد أن محمدا سيدنا عبده ورسوله الذي فتح به لأمته من خافها وبين يديها .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة تفيض على المشرق والمغرب من جانيها .

وسلم تسليبا كثيرا !

أما بعد ، فلما كانت النفوس لا يصلحها إلا التنقل من حال إلى حال ، والتوقل

على شُرُفات الشدة والارتحال ، لا تطلع على الغرائب ، والاستطلاع للمجائب .

وقد قال تعالى : "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ" ، وقال : "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" ، وقال تعالى : "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" .

وقال تعالى : "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ" .

ولقد ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خطبة قس بن ساعدة بـُحْكَاطٍ ، وفيها قوله :

"إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لِمُسِيرًا" .

ولقد طالعْتُ الكتبَ الموضوعَ في أحوالِ الأقاليمِ وما فيها ، فلم أجدَ منَ قَتَنِ
أحوالِها ، ومَثَلٍ في الأفهامِ صَوَرِها ، لأَنَّ غالبَ تلكَ الكتبِ لا تتضمَّنُ سوىَ الأخبارِ
القديمةِ ، وأحوالِ الملوكِ السالفةِ ، والأُممِ البائدةِ ، وبعضِ مُصطلحاتِ ذَهَبَتْ بِعَهابِ
أهلِها ، ولم يبقَ في مجرَّدِ ذِكْرِها عَظِيمُ فائِدَةٍ ، ولا كَبِيرُ أَمْرٍ . وخيرُ القولِ أَصْدَقُهُ ، والناسِ
بِزَمانِهِمْ أَشَبَهُ مِنْهُمُ بِأَبائِهِمْ .



خطة المؤلف

فَاسْتَخَرْتُ اللهَ تعالى في إثباتِ نُبْذَةٍ دالَّةٍ علىِ المقصودِ في ذكرِ الأرضِ وما فيها
وَمَنْ فيها : الأَظْهَرُ فالأَظْهَرُ ، والأَشْهَرُ فالأَشْهَرُ ، وما لم أجدُ بُدًّا منَ ذِكْرِه في ذلكِ
ومثله ، وحالةِ كلِّ مملكةٍ ، وما هي عليه ، هي وأهلُها في وقتنا هذا ، مما ضَمَّهُ نِطاقُ
تلكِ المملكةِ ، واجتمعَ عليه طرفاُ تلكِ الدائرةِ . لأَقْرَبُ إلىِ الأفهامِ البعيدةِ غَالِبُ ما هي
عليه أَثْمُ كُلِّ مملكةٍ منِ المُصْطَلَحِ والمعاملاتِ ، وما يوجدُ فيها غالبًا : يُبَصِّرُ أَهْلَ كُلِّ
قطْرِ القَطْرِ الآخَرِ . وَيَبَيِّنُهُ بالتصويرِ : يُعَرِّفُ كيفَ هو ، كأنَّهُ قُدَّامَ عَيونِهِم بِالمُشاهدةِ
والعِيانِ . مما اعْتَمَدْتُ في ذلكِ علىِ تحقيقِ مَعْرِفَتِي لَهُ ، فَمَا رَأَيْتُهُ بِالمُشاهدةِ ؛ وفيما لم
أَرَهُ بِالنَّظَرِ يَمُنُّ بِعَرَفِ أحوالِ المملكةِ المنقولِ عنه أخبارُها ، مما رآه بعينه أو سمعه
منِ الثَّقَاتِ بِأُذُنِهِ .

ولم أَثَقُلْ إلا عن أعيانِ الثَّقَاتِ ، من ذوىِ التدقيقِ في النظرِ ، والتَحْقِيقِ للروايةِ .
وَاسْتَكْتَرْتُ ما أمَكَّنِي منِ السُّؤالِ عن كُلِّ مملكةٍ ، لِأَمَّا مَنْ منَ تَفَقُّلِ الغُفلاءِ ، وتَحْيِيلِ
الجهالاتِ الضَّالَّةِ ، وتَعَرِّيفِ الأفهامِ القاسِدةِ .

تدقيق المؤلف
في النقل

فإنَّ نَقْلْتُ عنِ بعضِ الكتبِ المصنَّفةِ في هذا الشأنِ ، فهو منِ الموثوقِ بهِ فيما لا يَدُ
منه : كَتَقْسِيمِ الأقاليمِ . وما فيها منِ أقوالِ القَدَماءِ ، واخْتِلَافِ آراءِ الحُكَماءِ ، إلى غيرِ

الإشارة إلى
مضمون الكتاب

ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام. مما هو مسرّح أمل، ومطمّح ذى عمل، لأجل به كلامي، وأجل به نقصي، وأتمم به بهجة النظر، ورويق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخلال في الخلد. لا لأكثر به سواد السطور، وأكبر به حجم الكتاب. ولم أقصر بذكر الأقاليم، عند ذكرى الممالك، مقصد الجغرافيا، كالأول والثاني والثالث، ولا بما تطلق عليه المُسمّيات، كالعراق وخراسان وأذربيجان^(١).

بل أذكر ما أشتملت عليه مملكة كلّ سلطان، جملة لا تفصيلا، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة الملك: كقريش والسرائي من قسَمي تُوَران وتُوريز من إيران؛ أو ما لا بد من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولأعني ذوى الممالك الصّغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهر عليهم، أمر فيهم: إذ هم جزء من كلّ. بل الذّكر لكلّ سلطان يستحقّ اسم السلطنة: لآتساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال؛ ويتغلّى بذيله من لعله يكون في مملكته من ذوى الممالك الصّغار: كصاحب حمّة مع صاحب مصر، وصاحب مازين مع صاحب إيران. اللهمّ إلا أن تكون تلك المملكة مُفرّدة لملك أو ملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضي فيهم أمره: كملوك الحليل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا الجري، ويمري كوكبه هذا الممرى.

(١) هكذا ضبطه البكري في "سبعم ما استعجم". والنسبة إليها أذربي.

(٢) هي المدينة المسماة في الأشهر باسم تبريز. (فتح التاء ويكسرهما) وهي قاعدة أذربيجان. (فاموس).

ولم آلُ جُهْدًا في تصحيح ما كتبتُه بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل .
ولم أُعْرِجْ إلى ملوك الكُفَّار ركابي، ولا أُرْسِيتُ بجزائر البحر سفيني، ولا أَسْهَرْتُ
في الظلمات عيني، ولا أُنْعَبْتُ في المحفورة يدي. إلا ما أَلَمْتُ منه لِإِسْأَمَةِ الطيف
الْمُنْقَرِ، وَنَبَيْتُ مِنْهُ نُبْتَ الطَّائِرِ الْحَيْرِ. لِأَنَّهُ غَالِبٌ مَا يُقَالُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) أَسْمَاءُ لَا يُعْرَفُ
لَهَا حَقِيقَةٌ، وَجَاهِلٌ لَا تُوصَلُ إِلَيْهَا طَرِيقٌ.

ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة، ولا خرجت في جهاتها عن الطريق
المستقيمة: إِكْتِفَاءً بِالْحَقِّ الْوَاضِعِ، وَالصَّدَقِ الظَّاهِرِ، مِمَّا أَتَّصَلْتُ بِهَا حَقِيقَةَ أَخْبَارِهِ،
وَصَحَّحْتُ عَنْدَنَا جَلِيَّةً أَحْوَالَهُ.

انقصه عن
لك الإسلام .

وَقَعَيْتُ بِمَا بَلَّغَهُ مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَمَّتْ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِهِ النِّعْمَةُ. وَلَمْ
أَتَجَاوِزْ حَتْمَهَا. وَلَا مَشَيْتُ خَطْوَةً بَعْدَهَا، إِلَّا مَا جَرَّهَ سِيَاقُ الْكَلَامِ، أَوْ طَارَحَ بِهِ شُجُونُ
الْحَدِيثِ: مِمَّا أُنْدَرَجُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، أَوْ اضْطَرَّتْ إِلَيْهِ تَعْرِيجَاتُ السَّالِكِ، أَوْ اقْتَضَاهُ
سَبَبٌ، أَوْ دَخَلَ مَعَ غَيْرِهِ فِي ذِمَّةٍ حَسَبٍ.

بِقِيَّةِ

وإن كان في العمر فسحة، وفي الجسم صحة، وللهممة نشاط، وللنفس أنبساط،
(وما ذلك على الله بمعزٍ، ولا من عوائد الطائفة الخفية بعجيب)، لِأُذْيِنَ بِمَمَالِكِ
الْكُفَّارِ هَذَا التَّصْنِيفِ، وَأُجِئُ بِفَارَسِهِ الْمُعَلِّمِ وَخَلْفِهِ مِنْ سَيِّئِهِمْ رَدِيفٍ.

لَكُنْتُ لَمْ آتِ فِي هَذَا الْكَلَامِ بِذِكْرِ مَمَالِكِهِمْ (على آساع بلادها) إِلَّا عَرَضًا. وَلَا
سَطَّرْتُ مِنْ تَفْصِيلِهَا إِلَّا جَمَلًا: تَوْفِيرًا لِلآدَةِ، وَتَيْسِيرًا لِلْحَاقِدِ، وَلَا تَتَمَعُّ بِرَوْنِ الْأَوَارِ،
وَلَا أَشُوبَ بِسَوَادِ اللَّيْلِ بِيَاضِ النَّهَارِ.

على أتى ربما ذكرت في مكان ما قارب من بلاد الكفار، وذكرته للجاورة رجاء
أن يؤخذ بشفعة الحوار.

شقة أخذه
في قل العباب

ولم أذكر عجيبة حتى غصت عنها، ولا غريبة حتى ذكرت الناقل، لتكون عهدتها
عليه، وتبرأت منها. وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لتقصان العقول.
لأن الذي يعرف الجائر والمستحيل، يعلم أن كل مقدر بالإضافة إلى قدرة الله تعالى
قليل. وقد وصف الله تعالى الجهال بعدم العقل، فقال: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ". وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، في الأرض والسموات،
كما قال تعالى: "وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مُعْرِضُونَ". وقد أرانا من عظم قدرته، وبدائع صنعه، ما جلا الشك، وأوضح الحق.
فا ذا بعد الحق إلا الضلال؟

سب آتداه
بالشرق

وأقول ما بدأ بالشرق، لأن منه يتفتح نوار الأنوار، وتجري أنهار النهار. إلى أن
أختمته بنهاية المغرب، إلى البحر المحيط، لأنه الفايه، وإليه النهاية. إلا فيما لم أجد
بدا من الابتداء به من المغرب إلى المشرق: كتخريج الأقاليم، لأبتداء الأطوال
من الجزائر الخالدات بالبحر الغربي، أو ما هذا حكمة، أو وقع عليه قسمه.

تعب في حدة
الكتاب

وقطعت فيه عمر الأيام، والليالي، وأثبت فيه بالأقلام أخبار العوالم، وشغلت
به الحين بعد الحين، وأستغلت ولم أسمع قول الألاحين. وحرصت عليه حرص الضنين،
وخلصت إليه بعد أن أبحرته ورائي السنين.

لويه سلطان
الدم

وشرعت فيه في أيام من ماتنا بإحسانه، وأقمتنا في سلطانه: سيدنا ومولانا، ومالك
رقابنا، السلطان آبن السلطان، السيد الكبير الملك **الناصر**، العالم العادل المجاهد
المرابط المشاهر، المؤيد المظفر المنصور، ناصر الدين، سلطان الإسلام

والمسلمين، سيد الملوك والسلطين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، نائب
الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البحرين، خدام الحرمين، حامي القبلتين،
مبايع الخليفتين، بهلوان جهان، إسكندر الزمان، ناشر علم العدل والإحسان، مُمَلِّك
أصحاب المنابر والأسرة والتخوت والتيجان، جامع ذبول الأقطار، مُبِيد البُغَاة والطُغَاة
والكفار، هازم الروم والفرنج والكرج والأرمن والتتار، سلطان البسيطة، مُمَثِّل
أركان المحيطة، إمام المتقين، ولي أمور المؤمنين، متعهد حج بيت الله الحرام، زيارة سيد
المرسلين، أبي العالي محمد بن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي المظفر قلاوون،
سيد ملوك الأرض على الإجماع، المخصوص بملك أشرف البقاع.

سَلِّ عَنْهُ وَأَنْطِقْ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَعَبَدُ : يَلَاءُ الْمَسَامِيحِ وَالْأَقْوَاءِ وَالْمُقَلِّ!

فأدام الله أيامه، وأدار على مفارق النجوم أعلامه!

وتمت به :

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

٧

وعلى الله أعتد، ومنه أستمذ، وإياه أسأل التوفيق والإعانة، وأبرأ من الخول والقوة
إلا به، وهو حسي ونعم الوكيل!

وفهرست ماتضمنه وجُمِلَتْ قسماً :

القسم الأول - في الأرض .

القسم الثاني - في سكان الأرض .

- (١) قال العرب إلى لقبهم اسم الجبل المعروف بـ France، ضلّهم الإفرنجية بزيادة ألف في أوله لتسهيل
النطق، كما ذكر وجنت الزاء والجيم، وبه صاحب القاموس على أنه معرب لإفرون، وبه على أن القياس كسر
الراء، ثم حذف التّكّاب حرف الألف من الأول وقالوا: مرّج بكسر الفاء والراء، وأصله للدلالة على أهل
فرنسا التي يسمي العرب فرنجية وفرنجة، ثم شاع استعماله للدلالة على أهل أوربة قاطبة، ما عدا الروم .
- (٢) هم أهل البلاد المعروفة عند الإفرنج باسم Géorgin .

القسم الأول من الكتاب

في ذكر الأرض وما أشتملت عليه برأ وبحراً .

وهو نوعان :

النوع الأول — في ذكر المسالك .

النوع الثاني — في ذكر الممالك .

٥

أما النوع الأول المشتمل على المسالك ففيه أبواب :

الباب الأول — في مقدار الأرض وحالها .

وفيه فصول :

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها .

الفصل الثاني — في أسمائها وصفاتها .

١٠

الفصل الثالث — في أسماء التراب وصفاته .

الفصل الرابع — في النِّبَار وصفاته .

الفصل الخامس — في أسماء الرمال وصفاتها .

الفصل السادس — في أحوال الأرض .

(ويستفرد في ذلك ذكر الجبال ، والأنهار ، والبحيرات ، والمساجد الثلاثة ، وما يدرج معها ، وذكر جبل

١٥

من الآثار القديمة) .

الباب الثاني — في ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

الفصل الأول — في تقسيم الأقاليم.

الفصل الثاني — فيما وقع في الأقاليم من المدن، والجزائر العامرة.

٥ برأ وبحراً، وتصويرها بأشكالها.

(ويتعل بذلك كلامٌ جليلٌ في أمر مشاهير ممالك عباد

الصليب، في البر دون البحر.)

الفصل الثالث — في ذكر أطوال النهار في كل إقليم.

الباب الثالث — في البحار وما يتعلق بها.

وفيه فصول:

١٠

الفصل الأول — في ذكر البحار.

الفصل الثاني — في ذكر الرياح، وصوره القُبُص^(١).

الفصل الثالث — في ذكر نبذة من العجائب، برأ وبحراً.

الباب الرابع — في القبلة والأدلة عليها.

وفيه فصول:

١٥

الفصل الأول — في أقوال الفقهاء.

الفصل الثاني — في الاستدلال عليها بالنجوم.

الفصل الثالث — في الاستدلال عليها بالرياح.

الفصل الرابع — في الاستدلال عليها بالجبال.

٢٠

الفصل الخامس — في الاستدلال عليها بالأشجار.

الفصل السادس — في قبلة كل أرض.

(١) هذه الكلمة معربة عن لفظة Compa الإفرنجية. وشرح المؤلف لها راف وافر في أول

الجزء الثاني. فراجع هناك.

وخاتمة الباب فصل جامع يشتمل على ذكر تداخل الشهور، والكواكب الثابتة، والسيارة، وصورة الأفلak، والقول في الخسوف والكسوف، وما يستطرد في ذلك، ويندرج معه: لاستخراج القبلة، وما أندرج في ذلك. وتسميته استطراداً لتعلق بعضه ببعض.

الباب الخامس — في ذكر الطرق.

وفيه فصلان:

الفصل الأول — في تعاريج الطريق.

الفصل الثاني — في سواء الطريق.

النوع الثاني — في ذكر الممالك.

وهو خمسة عشر باباً:

الباب الأول — في مملكة الهند والسند.

الباب الثاني — في ممالك بيت جنكرخان.

وفيه فصول:

الفصل الأول — في الكلام عليها بجملياً.

الفصل الثاني — في مملكة القان الكبير، صاحب التخت. وهو

صاحب الصين والخطا^(١).

الفصل الثالث — في التورانيين. وهم فرقان:

الفرقة الأولى — فيما وراء النهر؛

الفرقة الثانية — في خوارزم والتبجاق.

الفصل الرابع — في الإيرانيين.

(١) الخطا (مصحح الخطاء) هي بلاد الصين الشمالية.

الباب الثالث — في مملكة الجبل.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في يومين .
- الفصل الثاني — في تُولِيم^(١).
- الفصل الثالث — في كَسَكِر .
- الفصل الرابع — في رَشَفَت .



الباب الرابع — في مملكة الجبال.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في الأكراد .
- الفصل الثاني — في اللُّز^(٢).
- الفصل الثالث — في الشُّول .
- الفصل الرابع — في شنكارة .

الباب الخامس — في مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلا:

- الفصل الأول — في مملكة كَرْمِينَان .
- الفصل الثاني — في مملكة طَنْغَرَلُو .
- الفصل الثالث — في مملكة نَوَازَا .
- الفصل الرابع — في مملكة عَيْدِل .
- الفصل الخامس — في مملكة كَصْطَمُونِيَّة .

(١) الذي في أبي العدا أنها فتح اللام ومبيرة.

(٢) أورد أبو العدا هذا الاسم في تحويته بالإشباع هكذا: اللوز.

- الفصل السادس - في مملكة طوريا .
- الفصل السابع - في مملكة برسا .
- الفصل الثامن - في مملكة اكيرا .
- الفصل التاسع - في مملكة مرمرا .
- الفصل العاشر - في مملكة مغنيسيا .
- الفصل الحادي عشر - في مملكة نيف .
- الفصل الثاني عشر - في مملكة بركي .
- الفصل الثالث عشر - في مملكة فولة .
- الفصل الرابع عشر - في مملكة أنطاليا .
- الفصل الخامس عشر - في مملكة قراصار .
- الفصل السادس عشر - في مملكة أرمناك .

٥

١٠

- الباب السادس - في مملكة مصر والشام والحجاز .
- الباب السابع - في مملكة اليمن .
- وفيه فصلات :

- الفصل الأول - فيما هو بيد أولاد رسول .
- الفصل الثاني - فيما هو بيد الأشراف .

١٥



- الباب الثامن - في ممالك المسلمين بالحيشة .
- وفيه سبعة فصول :

- الفصل الأول - في مملكة أوقات .
- الفصل الثاني - في مملكة دوارو .

٢٠

الفصل الثالث - في مملكة أرابيى .

الفصل الرابع - في مملكة هندية .

الفصل الخامس - في مملكة شرخاء .

الفصل السادس - في مملكة بالى .

الفصل السابع - في مملكة داره .

الباب التاسع - في ممالك مسمى السودان على ضفة النيل الممتد إلى مصر .

وفيه فصلان :

الفصل الاول - في مملكة الكانم .

الفصل الثانى - في النوبة .

الباب العاشر - في مملكة مالى .

الباب الحادى عشر - في مملكة جبال البربر .

الباب الثانى عشر - في مملكة إفريقية .

الباب الثالث عشر - في مملكة بر العنوة .

الباب الرابع عشر - في مملكة الأندلس .

الباب الخامس عشر - في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأما كتبهم ،

ومضارب أخبيتهم ومساكنهم .

القسم الثاني من الكتاب

في سكان الأرض من طوائف الأمم .

وهو أنواع :

النوع الأول — في الإنصاف بين المشرق والمغرب .

وهذا النوع له شَبَهان : شَبَهُ بالقسم الأول بحسب موضوعه ، وما آتدرج معه ،
وتعاق بذيل المفارقة بين الجانبين من النبات والمعدن ، وله شَبَهُ بهذا القسم بحسب
ما آتدرج فيه من ذكر طوائف العلماء ، الذين هم أعيان الناس ، وذكر سائر الحيوان .
إلا أن هذا الشَبَهُ أقوى ، لأن المقصود من المكان ساكنه . فالحقناه بهذا القسم .

النوع الثاني — في الكلام على الديانات : وهي ست نحل ، وأربع ملل .

النوع الثالث — في الكلام على طوائف المتدينين .

النوع الرابع — في ذكر التاريخ .

وفيه بابان :

الباب الأول — في ذكر الدول التي كانت قبل الإسلام .

الباب الثاني — في ذكر الدول الكائنة في الإسلام .

ومن حيث عينا التبويب، وبيننا الترتيب، نشرع في ذكرها باباً باباً إلى انتهاء الأبواب، ونوعاً نوعاً إلى آهضاء الكتاب.

والله المؤمل في عمر يوقى بحماه، ويوفر المواد على مدد أقسامه، مع ما هو أبقى من الإتهال إلى الله فيها هو أهم: من التفويض إليه، والالتجاء بما لديه، مما يوقى المهجات، ويرقى الدرجات، في الدنيا والآخرة. إنه ولي ذلك والقادر عليه، والمقدر له والهادي إليه!

إتهال المؤلف
إلى الله

والرغبة إلى من وقف على هذا الكتاب، ووقع منه نظره على خطأ أو صواب، أن يصنع عما جنع فيه القلم إلى الزلل، وتغطي إليه الفكر من الخطأ، وييسر العذر لمن لم يحب البلاد. ولم يحل في الآفاق، ولم يهتم في تهامة ولا أعرق في عراق؛ ولا خطب الدأماء، ولا خبط الظلماء، ولا اقتحم بلج البر والبحر، ولا تعدى مصر والشام والمجاز، ولا فارق ممالك كان هو وأسلافه فيها تحت قيد العلق والشواغل، لِمَا كان يتقلده منهم ابن عن أبيه، وأخ عن أخيه. من أعباء الدول وأمور الممالك، وأتقال الفكر والمهمات. وشغل الأسباع والأبصار، مما يستغرق بعضه الأوقات، وبتقطع عن الأسباب، حتى عن لفظة سؤال، ولحظة كتاب، إلى أن وهبى الله فراغا ألقت فيه هذا الكتاب.

رحمته إلى القراء

(١٧)

١٥

وهذا أو أن سرد ما أشغل عليه كل قسم من الأبواب.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأستغفر الله إن الله غفور رحيم!

الفَسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكِتَابِ

في ذكر الأرض وما أشملت عليه برأ وبحراً

وهو نوعان

النوع الأول

في ذكر المسالك وفيه أبواب

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول

في كيفية الأرض ومقدارها

الذي نبداً به، بعون الله وقدرته، في القول في هذا الفصل، ما قام عليه البرهان. وهو أن العالم كروي. ويدل عليه المشاهدة بالبيان، لمن رعى الشمس من مطلعها إلى مغربها؛ وكذلك النجوم من مشارقها إلى مغاربها: لأنها تطلع حتى تنوسط السماء نقويساً، ثم تنحط حتى تغيب عن العين كذلك. فتقطع نصف دائرة. فعلم بالضرورة أنها تقطع في القبوة عن العين نصف دائرة، نظير ما قطعت في الظهور، ليكمل تمام الدائرة.

والذي تلخص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيئة: أن العالم كروي، والأرض مركزها، والماء محيط بها لا يفارقها، إلا ما أنكشف.

فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء، والهواء في جوف القلك: استقرار الأرض كالمنحة في جوف البيضة في القشر.

استقرار الأرض

- ووضعتها وضع متوسط . والهواء إما جاذب لها إلى جهة الفلك أودافع عنه .
 وذهب بعضهم إلى أنها مستقرة بالوضع : فالأرض في فلك الماء ، وفلك الماء
 في فلك الهواء ، وفلك الهواء في فلك النار (وهو الأثير) ، وفلك النار في فلك القمر ،
 وفلك القمر في فلك عطارد ، وفلك عطارد في فلك الزهرة ، وفلك الزهرة في فلك
 الشمس ، وفلك الشمس في فلك المريخ ، وفلك المريخ في فلك المشتري ، وفلك
 المشتري في فلك زحل ، وفلك زحل في فلك البروج (وهو المَكْوَب) ، وفلك البروج
 في الفلك الأطلس .

والمكوكب في رأى فلاسفة الإسلام أنه المعبر عنه عند أهل الشريعة الشريعة
 بالكروسي . وأن الأطلس هو المعبر عنه عندهم بالعرش .

ما هو العرش
 والكروسي في رأى
 فلاسفة الإسلام

- وحركات الأفلاك الثمانية من فلك القمر إلى الفلك المكوكب ، من الغرب إلى
 الشرق . ويرى هذا بالمشاهدة في طلوع القمر .

حركات الأفلاك
 وتقسيم الأولي

ولهذا كان تخرج الأقاليم من الغرب إلى الشرق بالمتابعة .

فأما التاسع ، الأطلس ، فحركته من الشرق إلى الغرب . وبحركته تحرك . كما يتحرك
 راكب السفينة بحركة السفينة .

الفلك الأطلس
 وحركته . وحده
 يتبع الإحداث
 المشرق

- وقد تكلمت الفلاسفة على مقعر الأطلس ، ولم يتكلموا على محدبه . وغاية ما قالوا :
 إن بعد التاسع . لا خلا ولا ملا . وإلى هنا آتت عليهم وأنقطع نظهم . والله أعلم بنيه !

قلت : وزعموا أن في الثامن كل الكواكب إلا السبعة .
 قالوا : والبرهان على أنها في الثامن ، أن حركات هذه الكواكب الستة أسرع
 من حركات سائر الكواكب . والكوكب لا يتحرك إلا بحركة فلكه . ولا يمكن أن

خفية في الكواكب
 الثمانية والمتحركة
 والبرهان عليها

يكون في التاسع لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم ليلة بالتقريب دورة واحدة،
فإذ لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في الثامن.

على أن ابن سينا قد قال في الشفاء: "لم يبق لنا بيان واضح أن الكواكب الثابتة
في كُرَّة واحدة أو كُرَّات متطوِّرة بعضها على بعض، إلا بإقناعات. وعنى أن يكون ذلك
واضحاً لغيري".

وقد شبه بعضهم العالم، فقال: "بطيخة في بركة ماء، فالزُّرُّ المَدُنُّ، وبيوت البذر
العمرائ، والماء مجموع الأرض، والماء البحر المحيط، ومقعر البركة الهواء، ودائرها
الخارج الفلك".

قلت : وهذا التشبيه ليس بشئ .

اعتراض المؤلف
على هذا التشبيه

طرية التبريد
الإدريسي في
استقرار الأرض
في خوف الفلك

وقال الشريف الإدريسي في كتاب رُجَّار^(١) (وَأَسَمَ هَذَا الْكِتَابَ : "نَهْجَةُ الْمُشْتَأَقِ
فِي آخِرَاتِ الْآفَاقِ" صَفَّهَ لِلَّك رُجَّارُ صَاحِبِ صَقَلِيَّةَ ، وَكَانَ فَرَنْجِيًّا حُجَّاءً لِلْعِلْمِ وَأَهْلُهُ
مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ) . والذي قاله : "الأرض مستقرَّة في خوف الفلك ، وذلك لسرعة
حركة الفلك ، وجميع المخلوقات على ظهرها . والنسيم جاذبٌ لها في أبدانهم من الخفة ،
والأرض جاذبةٌ لها في أبدانهم من الثقل ، بمنزلة المغنيطس الذي يجذب الحديد
إليه . فالأرض مقسومة بقسمين ، بينهما خط الاستواء . وهو من المشرق إلى المغرب .
وهذا هو طول الأرض . وهو أكبر خط في الأرض ، كما أن منطقة فلك البروج
أكبر خط في الفلك".

⑪

(١) هو Roger وأسمه الطليان المتقول عن اللفظ العربي Ruggiero .

قال: "وأستدارة الفلك في موضع خطَّ الاستواء ثلثمائة وستون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، والإصبع ست حبات شعير، مصفوفة، مملصة بطون بعضها لظهور بعض".
تكون هذه النسبة إحاطة الأرض مائة ألف ذراع وأثنى وثلاثين ألف ألف ذراع، وهي من القراخ أحد عشر ألف فرسخ. قال الشريف: "وهذا بحساب أهل الهند. وأما هرمس فإنه قدر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزء مائة ميل. فتكون ستة وثلاثين ألف ميل. وتكون من القراخ اثني عشر ألف فرسخ".

تقديره لأبعاد الأرض على رأي الهنود، وعلى رأي هرمس

قلت: فالتفاوت بين الحساين ألف فرسخ، زائدة في حساب هرمس على حساب أهل الهند. وذلك نصف الشدس.

منافسة الخراب
هذين التقديرين

وقد زعم مرجان الفيلسوف أن إردستاس الحكيم قال إنها مائة ألف ونخسون

تقدير الحكيم
إردستاس

(١) الظاهر أن هذين الأخيرين محرفان.

فالغالب أن الأول هو مرقيان (Marrianus). وربما يكون بعض المترجمين الأولين كتبوه "مرخيان" تبعاً لقاعدة التعريب التي تقتضي بقل حرف (هـ أو و أو ك) إلى (ق، ك، خ) كما قالوا أنطندورس في Alexandria (وأظن فهارس الطبري) ثم حُرف الفاسخون "مرخيان" إلى "مرحيان".

أما الاسم الثاني فكان الخطيب فيه أسهل، لأنه محرف عن "إرستاس" [Erastostène] ثم "إردستاس" ثم "إردستاس". ولا غرابة في ذلك، فإن العرب كثيراً ما يخلطون التاء دالاً كما قالوا "بد" عند تعريبهم لفظة "ببت" بمعنى الصنم (وأظن تاج المروس). وكما قالوا "زردق" و "زردك" في تعريب لفظة فارسية هي "زرتك" ومعناها عصير المصفر. (أظن ابن اليطار، وأظن تكة المعجمات العربية للعلامة دوزي) هذا و "مرقيان" هو من جنس الهندي الروم في القرن الرابع بعد الميلاد. وقد كتب سياحة بحرية حول الأرض (Périple du monde).

وأما الثاني وهو إرستاس أو إردستاس فقد ولد سنة ٢٧٦ وتوفي سنة ١٩٦ قبل الميلاد. أصله من المستعمرة اليونانية التي كانت ببلاد بركة [Dyrénaique] ثم أشهر في بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف =

ألفا اشتياديوات. واشتياديو هو ثمن ميل، عنه أربعمائة ذراع عندهم. فذلك احد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل ونحسون^(١) ميلا.

وقد ذكر صاحب المجسطي أن دوركة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلا، وأن قطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستمئة ميل وثلاثون ميلا.

قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري. عرف بابن الشاطر: "الأولى أن يقسم دوركة الأرض على ثلاثة وسبع لأنه نسبة قطر كل دائرة إلى محيطها. وهو أصح. وعلى هذا فيكون الدور أربعة وعشرين ألف ميل، ويكون القطر سبعة آلاف وستمئة وستا وثلاثين ميلا وثلاث خمس مجبورا.

قلت: وذكر صاحب كتاب الكائن أن طول الأرض ظاهرا وباطنا، وبرأ وبحرا، معمورا وغير معمور، أربعة وعشرون ألف ميل. قال: "وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليها".

وذكر أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك أن حبيشا المنجم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون يريته ديار ربيعة وهي باسم الفريجت [Ptolomée Evergète] بمدينة الإسكندرية، لأن هذا الملك دعاه منذ سنة ٢٢٦ ذم لتول إدارة المكتبة الفسفية التي كانت بالإسكندرية. وبين الرجل في هذه الوظيفة إلى أن كف بصره في آخر عمره، ما قطع عن الطعام حتى وافاه الجماد. كان عالما بالفلك والمهتمة، يتعلم الفريض ويتعامل الفلاسفة. وهو الذي قال بمدينة أسوان محيط الأرض، برصده الشمس في بئر هناك. وقد قال إنه ٣٥٢٠٠٠ سنة. [Stade] يكون أين فضل الله قد جبر الكسور.

(١) في الأصل: "اشتياديو". ووضح أنها محركة عن "اشتياديو" تعريا لكلمة Stadion اليونانية التي قلها الفريسيون إلى Stado. ونحن في هذه الأيام قلنا عنهم القبط اليوناني فتقول "إسناده". "والإشاديو" يساوي ثمن ميل والميل يساوي ٤٠٠ ذراع، قال أين فضل الله. (٢) في الأصل: "وثلاثون". وقد صححت الرقعة على ما يقتضيه المناسبات.

تقدير بطليموس

تقدير ابن الشاطر
الدمشقي

تقدير صاحب
الكائن

(١٥)

ماضيه المأمون
العاصي لتصفيق
أجناد الأرض

برية شيطان المقاربة لسنجار . فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلا من الأرض . فضرب العدد في ثلثمائة وستين ، التي هي جملة درج الفلك بمجموعه ، فأتتهى ذلك إلى أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلا . قال : ” فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر “.

- ٥ إستنتاج المؤلف فقطرها على هذا ستة آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلا ونصف ميل ونصف عشر ميل ، بالتقريب .

قال : ” والمعمور نصف هذا المحيط ، من خط الاستواء إلى الشمال . ومنها العمران في الشمال يؤول في بريطانيا ^(١) . فيكون ذلك تقدير الربع “.

- ١٠ قال ابن الشاطر : ” إن واجب الحساب ، على ما ذكره ، عشرون الف ميل ومائة وستون ميلا ، وإن القطر يكون ستة آلاف وأربعمائة ميل وأربعة عشر ميلا ونصف ميل مجبورا “.

قلت : والذي حرر في زمن المأمون ، لكل درجة ، ستة وخمسون ميلا وثلاثا ميل . وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه ستة وخمسون ميلا ، لا غير .

- ١٥ ولعل الأول أقرب : لأنه قد يكون هذا الكسر أهمل في القياس . وعلى الأول الأكثر . وعليه عملنا في هذا الكتاب . وسيأتي في ذكر سواء الطريق إيضاحه ، إن شاء الله ! في مكانه . ولم نعمل على ما حرر للمأمون دون ما حرره القدماء ، إلا لأنه أقرب إلينا وأشبه بنا .

(١) أي بريطانيا العظمى La Grande Bretagne .

(٢) في الأصل : القى .

الفرسخ والميل
والذراع على
حساب المأمون
وهو المخذة عليه
في هذا الكتاب

(١١)
طول المرحم القديم
وطول البريد

وكل فرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع مأموني. فالدرجة تسعة عشر فرسخاً إلا تسع فرسخ، وهو الذي عليه عمل هذا الكتاب.

وأما على رأى القدماء، فتكون كل درجة اثنين وعشرين فرسخاً وتسعى فرسخ. وأما البريد، فكل أربعة فراسخ بريد.

اختلاف الآراء
في تقدير العمران

وأما العمران من الأرض، فقال البكري: تقدير الربع. وقد ذكرنا مقاله آنفاً. وقال آخرون: الربع. وقال آخرون: الثلث. وقال بعضهم: إن العمران من الأرض ما بين الثلث إلى الربع. أقل من الثلث وأكثر من الربع.

نحو بر قطب الدين
الشيрази لمقدار
العمران

وقال شيخنا، فريد الدهر، ووارث العلم والحكمة، شمس الدين، أبو الشتاء محمود ابن أبي القاسم الأصفهاني، أطال الله مدته! إن العلامة قطب الدين الشيрази قال له إنه حرر دور المعمورة من الأرض. فكان اثني عشر ألف ميل مجبورة، قطرها أربعة آلاف ميل مجبورة، فتكون ألف فرسخ وثلاثمائة فرسخ مجبورة.

مذآب الشاطر
لنظرة الشيрази

قال ابن الشاطر: "وفي الذي ذكره الشيрази ما لم يفهم معناه. فإن كان أراد به ما بين أول المعمور وآخره، فهو غير موافق ولا يطلق عليه محيط، وإن كان أراد بالقطر ما بين خط الاستواء ونهاية المعمور في جهة الشمال، فهذا لا يقال له قطر ولا يخط المعمور بمقدار ما ذكره. ولا نسبة لما ذكر أنه ذراع القطر إلى ما ذكر أنه دور المعمورة نسبة قطر الدائرة إلى محيطها". وقال: "وإذا فرضنا مبدأ الهارة خط الاستواء بخمسة عشر جزءاً إلى حدود خمسين جزءاً وثلاث في الجهة الشمالية كان نسبة المعمور

إلى باقى مسطرة الأرض تقارب الثمن ونصف السدس . وإذا نسب إلى
 حدود ستة وستين جزءاً كان نسبة المعمور إلى باقى يقارب الربع . لأثر
 ماوراء من الخراب يقارب ما قبل من المعمور . ولا يكون أكثر“^(١)

- وقال الشريف : إن بين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين ، الجنوبيّ
 والشماليّ ، تسعين درجة . وأستندارُها عرضاً مثلُ ذلك . إلّا أنّ العارة في الأرض
 بعد خط الاستواء أربع وستون درجة ، والباقي من الأرض خلاء ، لا عمارة فيه ،
 لثلاثة البرد والجود . وأتخلى بجلته على الرّبع الشماليّ من الأرض . والرّبع الجنوبيّ
 الذى هو فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور ، لثلاثة الحرّ به ، وممرّ الشمس
 (وهى أسفل فلکها) على سبّته . جفّت مياهه وعُدم حيوانه ونباته ، لعدم الرطوبة .“
 قلتُ : وفيما ذكره الشريف في الانتهاء إلى أربع وستين درجة فقط . وإن كان
 الصحيح ، نظراً . فإنها في صورة لوح الرسم تنهاى إلى أكثر من ذلك ، وتشكل من
 خط الاستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة ، سوى ما هو خارج عن خط الأقاليم ،
 جنوباً وشمالاً ، على ما نذكره في مكانه . وإنما غالب الجنوب والشمال لا عمارة فيه :
 إذ لا يمكن سكّنه .

رأى الإدريسيّ
 في أسباب العارة
 ما بين القطبين

قد المؤلف هذه
 النظرية وبحثه

(٧)

- ومن تأمل وضع العالم في لوح الرسم . رأى ذلك بالبيان : نُحْلو ما تحت
 القطبين . الجنوبيّ والشماليّ . وانحالى تحت الجنوبيّ أكثر بما لا يقاس . وهكذا
 في الجغرافيا وَضَعُهُ .

(١) إنحت الكتابة في هذا الموضع من الأصل ، بسطو المجلد على الماش .

(٢) هو المعروف الآن بالمرصة الجغرافية .

وقد ذكر أبو عبيد مبلّغ طول النهار في الأقاليم السبعة . حتّى انتهى إلى الإقليم السابع . ثم قال : "وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور ، فإنه يبتدئ من المشرق من بلاد البَرْغَر وأرض الترك إلى اللان ، ثم يمرّ على البرّيجان والصّقالبة ، ويتّسّى إلى بحر المغرب ، وهو خارج عن الأقاليم السبعة " . انتهى كلام البكري . وسيأتى (إن شاء الله تعالى) مبسوطا في موضعه .

وإنما ذكرناه هنا للاستدلال على أنّ الشمال أكثر عمارة من الجنوب . لأننا وجدنا وراء الإقليم السابع عمارة ممتدة . وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأول . اللهمّ إلّا ما هو في قسم المشرق ، وراء خط الاستواء ، من الجزائر الممتدة في البحر ، أخذة إلى المحيط ، أو ما هو في حكمها بالصين .

فإنما قسم المغرب ، فإن لم نجد وراء الأول فيما يأخذ إلى جهة الجنوب عرضاً ، وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً ، عمارة ، بل ولا على خطه المستقيم ، بل ولا وجدنا العمارة به إلّا ما هو داخل خط الإقليم الأول إلى الإقليم الثاني . وسندكر ما وجدناه من العمارة في كلّ منهما على ما نرينه .

فإنما ما وقع من العمارة في قسم المشرق ، من وراء خط الاستواء الذي هو أول الإقليم الأول ، فنقول : إنّ صاحب الجغرافيا صوّر ، فيما هو خارج عن خط الاستواء من مركز دائرة الأرض المسماة عند أهل هذا الشأن قبة آرين ، جزراً عامرة مسكونة في البحر الهندي ، من وراء سرّندب في الجنوب ، وهي متصلة بها . وتقدير هذه الجزر في العرض ، عرض إقليم واحد ونصف إقليم تقريباً ، خلف الإقليم الأول ، زائداً على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقي . وعرض هذا المقدّر بإقليم واحد

العمارة في الجنوب
بقسم المشرق
(جزائر البحر الهندي
وبلاد الصين)

(١٨)

ونصف إقليم من حيث يأخذ من قبة أرين على خط الاستواء العرضى جنوبا محضا، ثلاثه أقسام: كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرض أولها، وهو المأز مع خط الاستواء فى خارجه ممتدا على جانب الإقليم الأول فى غالب النصف الشرقى من قبة أرين إلى جزيرة الجوهر فى البحر المحيط، خمس درجات. وقد علم عليه فى لوح الرسم هـ .

وعرض ثانيا، وهو الذى يليه، عشر درجات، لارتفاع رأس الجبل والميزان. وقد علم عليه فى لوح الرسم ك .

وعرض ثالثا، وهو الذى يليه، خمس عشرة درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم يه .
وذكر بها من الجزر العاصرة: فلاى، وجزيرة القمر، وذكر أن طولها أربعة أشهر؛ ومنها سرتديب، داخل خط الاستواء فى الإقليم الأول مائة له حيث هو من الطول ١٠ من قبة أرين مائة وخمس وستون درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم قسه .
كل ذلك بحساب الجمل .

وذكر فى هذه الجزيرة، مما هو وراء خط الاستواء، مدنا، منها: حمران، ودحمى، ودافور، وديى، وعماء، ونخل لاني، وتمكاد، ومرباتا، وتيباو، وموضع قدم آدم، عليه السلام (جنوبى سرتديب، من وراء خط الاستواء) ، وفردزا، وسونيه ، ١٥ وكياما، وعيسى، ومعللى، ومللى، وسمردى، يليهما جبل الذهب والحديد، قال إنهما به كير، وأتونا، ومعللا، وقنصورا، وأسفيل . ثم جزيرة تعرف بالموجة، ثم جزائر الصين . ثم جزيرة الفشمير . ثم جزائر الواق واق، وجزيرة الدجال إلى جزيرة الجوهر، فى البحر المحيط .

(١) فى الأصل مكة والحساب ياباه .

وصور، في البر المتصل من جهة الصين، برزخا بين البحرين الهندي، حيث
أنعطف شرق جزيرة الموجة أم جزائر الصين إلى الشمال، وبين البحر المحيط . وذلك
البرزخ من ثلاثة أبحر : في الشرق، المحيط، وفي الجوف البحر الهندي حيث خرج؛
وفي الغرب، حيث أنعطف . ويبقى الشمال مكشوفاً، متصل به هذا البرزخ بالصين .
وذكر فيه عدة من المدن .

وأول ما نبدأ بما تنفل إلى الجنوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من
الطول في الجغرافيا مائة وخمس وستون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قسمه
ومائة وسبعون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قسماً .

وأولاً مدينة حمسه، ومدينة قيطفون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا،
ومدينة خانقو (وهي الخنفسا على فُرْضة من البحر الهندي خرجت هناك في الصين
ولم تمتد) مسامتة لجزيرة الباقوت في المحيط، وقد سماها الشريف بجزيرة بسياره .
وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة .
كل هذا خارج عن خط الاستواء .

وما وراء خط الاستواء (في القسم الغربي من قبة أرين إلى البحر المحيط الغربي،
مسامتة لجزائر الخلدات، في جميع العرض إلى منتهى الجنوب) لاحظ له
في العارة .

عدم العارة
في الجنوب من
جهة الغرب

البارزة . راء
الإقليم السابع

وأما ما وقع من العارة وراء الإقليم السابع (تأ ليس في حساب السبعة الأقاليم، وهو
الذي أشار إليه أبو عبيد، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نهنا
عليه، وسبأني إن شاء الله تعالى مبسوطة في موضعه، وتقديره في العرض نصف

إقليم، ممثلاً على جانب الإقليم السابع من أول المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نيينه (فاقوله من جهة الشرق قطعة معمورة بياجوج وماجوج، فيها هو داخل السد، وبلاد مسيبان (وهي آخذة عرضاً من هذا الجزء المقتر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس)؛ وبلاد الروسية الثانية (وكلها خارجة عن الإقليم السابع في الجزء الذي يليه)؛ وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخله إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمس وسبعون درجة. وقد علم عليه في لوح الرسم **حـ هـ**. وفي بلوغ الهامة هذا الحد وتجاوز اربع وستين درجة، نظراً.

قالوا : فأما الروسية، فعامرة آهلة. وكذلك الأنكرية. وأما بلاد مسيبان، فقد كانت عامرة آهلة مسكونة، ثم خربت من قديم، لإغارات يا جوج وماجوج عليهم. ومن تأمل لوح الرسم، رأى ذلك ممثلاً لعينه في الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأول خالبا في القسم الغربي، والمعمور من داخله على فوق النيل : الفريقة الآخذة على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتى يصب في البحر المحيط، والفريقة الآخذة على غربي الحبشة إلى شرقي التوبة إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي.

نيل السودان
المعروف الآن بنهر
تيجر

نيل مصر



فعلينا أن سبب عمارة ما وراء خط الاستواء من الجزر في القسم الشرقي، وما هو في حكمها، لاكتشاف البحر الهندى لها، فوطب هواها، وأنبط ماعها، وأزال جفاف أرضها. فنبت بها النبات، وسكن الحيوان. ولم يقع في قسم القسم الغربي، وراء خط الاستواء، بحر يؤثر فيه هذا التأثير. فبقى على كيفية طبعه من اليأس والجفاف، لا يمكن به نبات نبات ولا حياة حيوان.

نسب في عمارة
ما وراء خط
الاستواء من القسم
الشرقي، وعندها
في القسم الغربي

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان بكيفية طبعه، لا بسبب آخر من خارج.

فظهر حينئذ أنَّ الشمال أوفق لمزاج الحيوان. فكان أعمر من الجنوب، لشدة حر الجنوب على ما يئناه. وهو موافق لرأى الشريف.

قال الشريف: "لا يكون الحيوان والنبات أبدا، إلا حيث تكون المياه والرطوبات".

وقال البكري: "وركب الله على الأرض جرم الشمس. علمه بالحكمة التي ينبغي أن يكون عليها تركيب العالم في تلك أخرج مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف من درج تلك البروج. فذلك أختلفت حركة الشمس. فمما مزاج جوهر الهواء المحيط بالناحية الجنوبية، فكان الجزء المعمور في الناحية الشمالية. إذ كان كل حيوان، بطبعه، أحمل للبرد منه للحر. ألا ترى أنه يتولد في الماء من الحيوان ما لا يبيض كثرة، وكذلك من النبات، ولا يكون في النار منه شيء، إلا الشاذ النادر. إن صح ذلك فيه. كما زعموا أنه يتكون في أفوان الزجاجين ضرب من سام أرض. وقد سماه أرسطو بالسرفوت وهي حمر الألوان، إذا خرجت عن النار، هلكت.

فوجب لهذه العلة أن يكون أسم الأقاليم السبعة وتحديدها في الجزء الشمال من الأرض، كما ترى في لوح الدائرة^(١).

وقد ذكر صاحب جغرافيا أن جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل وثلاثون ميلا. وهذا أزيد مما حرره الشيرازي بخمسمائة ميل وثلاثين ميلا. ولعل جملة المعمور على رأي بطليموس والشيرازي^٥ وتوفيق المؤلف بينهما

(١) لوح الدائرة هو الخريطة الجامعة التي نسجها الآن مايموند تمريبا للفتة فرنسية «Mappemonde».

سبب العارة فما وراء الإقليم السابع

لماذا كان الشمال أعمر من الجنوب

رأى الإدريسي في ذلك

رأى البكري الاندلسي

هذه الزيادة هي بعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقى ، وما هو خارج الإقليم السابع ماؤه . فإن الشيرازى ، والله أعلم ، لم يجرّ إلا معمور الأقاليم السبعة خاصة ، وصاحب جغرافيا ذكر المعمور كله . فكان هذا التفاوت كله .

- قلت : ولا أدعى أن ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغل في الشمال ، خارج
 خروجاً ما بيناً كلياً . ولكنه خروجٌ مماسٌ مجاورٌ ، حكمه حكم ما هو على الخط .
 إذ لو كان خروجاً ما بيناً ، لكان إقليماً ثامناً ، وليس كذلك . إذ لا يمكن وجود نبات
 ولا حيوان لإفراط البرد والجهد ، كما لا يمكن لإفراط الحار واليبس .

- والحكاه تشبّه الأرض بمجسد آدمي : التراب لحمه ، والمياه دمه ، والمحجار عظمه ،
 والرياح أنفاسه ، والبخارات فضلاته ، برأسه الصين ، ووجهه الهند ، وجيده ما وراء
 النهر . وصدرة خراسان وما يليها ، وقبلة العراق . ويداه الجنوب والشمال ، وبطنه الشام ،
 وشرته جزيرة العرب . وعجزاه مصر والقسطنطينية ، ونفثاه إفريقية ورومية ، ورجلاه
 بر العدو والأندلس .

وليس هذا التشبيه بشئ .

عدم رضا المؤلف
 بهذا التشبيه

- قال الشريف : " ومع كون الأرض كرة ، هي غير صادقة الاستدارة . منها منخفض
 ومرتفع . ولهذا قيل فيما آنكشف إنه تضاريس . والبحر محيط بنصف الأرض
 إحاطة متصلة ، دائرتها كالمنطقة . لا يظهر منها إلا نصفها ، وهو ما دارت عليه الشمس
 في قوس النهار . مثل بيضة مفرقة في ماء . آنكشف منها ما آنكشف ، وأنفمر ما آنفمر . "
 وقد تقدم هذا التمثيل .

الأرض غير صادقة
 الاستدارة

تخيل علماء الاسلام
لوجود أمريكا
قبل اكتشافها
بقرن ونصف

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، أمتع الله به !
” لا أمتنع أن يكون ما أنكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ،
منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمتنع أن يكون منكشفاً من تلك
الجهة ، لا أمتنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ،
أو من أنواع وأجناس أخرى“ .

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً وقلاً ، ذكرناه . وبالله التوفيق !

(١) الأصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كريستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال هذه النظرية
قبله بقرن ونصف قرن . والأصفهاني فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة العقل
والاستدلال ، وأما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي أمير التاج
في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . وأما كولومب فقد آجته في إقناع فرديناند وإيزابلا ساحي الأندلس بصدى
نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) .

الفصل الثاني

في أسماء الأرض وصفاتها

أسماء الأرض
وصفها من حيث
الصفة

قال الترمذی، في فقه اللغة :

” إذا آتت الأرض، ولم يغلغلها شجر أو نحر، فهي الفضاء، والبراز، والبراح،
ثم الصحراء، والعراء، ثم الرها، والجھراء.

فإذا كانت مستوية مع الآساع^(١)، فهي : الخبت، والحدّ، ثم الصّصح،
والمرّدح، ثم القاع، والفرق، ثم القرق، والصّصف.

فإذا كانت مع الاستواء والآساع، بعيدة الأطراف، فهي، السّهب
واخرق، ثم السّسب^(٢) والسّملق^(٣).

فإذا كانت مع الآساع والاستواء، والبعد، لا ماء فيها، فهي : القلاة والمهمة،
ثم التّؤفة والقيفا، ثم النّفنف والعمراء.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لا يتعدى فيها الطريق، فهي : البهامة.

فإذا كانت تطلّ سالكها، فهي : المضلة، والمعتبة^(٤).

(١) أورد اليسوعيون نسخة اللفظ بالهاء في آخره في طبعهم هذا الكتاب (ص ٢٩١) وبعبارة القاموس

(٢) في مادة قرق) تؤيد رواية آ ب فضل الله . وهو ضخم الرأ وكبرها .

(٣) أورد آ ب فضل الله هذه اللفظة بالهاء المهمة . وصوابها بالحاء المحجمة كما في طبعة اليسوعيين وبها يشهد به القاموس .

(٤) في طبعة اليسوعيين : والخلق بدل السلق .

(٤) المتبة كصفة وتسم الميم مع كراتها . وتضع الميم مع فتح الاء . وقد اختار المؤلف القول الاول واختار

يسوعيون القول الثاني .

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالمٌ، فهي : المَجْهَلُ، والهَوَجَلُ.^(١)

فإذا لم يكن بها أثرٌ، فهي : الغُفْلُ.

فإذا كانت قفرًا، فهي : القِيَّ.

فإذا كانت تُبِيدُ سالِكها، فهي : البَيْدَاءُ. (والمفاضة كناية عنها).

فإذا لم يكن بها شئٌ من الثَبْتِ، فهي : المَرْتُ والمَلِيعُ.

فإذا لم يكن فيها شئٌ، فهي : المَرَاتُ والسُّبُوتُ والبَقْعُ.^(٢)

فإذا كانت الأرض غليظة صلبة، فهي : الجُبُوبُ، ثم الجُلْدُ، ثم العَزَازِيْ، ثم الصِّدَاءُ، ثم الجُدُجُدُ.^(٣)

فإذا كانت صلبة بإساسة من غير حصي، فهي : الكَلْدُ، ثم الجَمْعُجَاعُ.^(٤)

فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي : البرِّقَّةُ، والأَرَقُّ.

فإذا كانت ذات حصي، فهي : المَحْصَاةُ والمَحْصِيَّةُ.^(٥)

(١) في طبة اليسوعيين لها أعلام ومعالم.

(٢) هكذا في الأصل . والذي في طبة اليسوعيين : " المَرَوْرَاة " . وهي الصحفة وقد أوردتها

في القاموس : في مادة (م ر) .

(٣) في الأصل : الخدسد (يعملتين) . ولعل الإهمال إهمال من الناسخ .

(٤) في طبة اليسوعيين فتح الصاد . وهو غلط مطبوع .

(٥) في طبة اليسوعيين : " المَحْصَاة " والقاموس يؤيد الضبط الذي اختاره آبن فضل الله .

(٦) في طبة اليسوعيين : " المَحْصَاة " . والأوجه أن تكون الكلمة بالياء لأن الاشتقاق من المحصى .

وإذا اخترنا الباء بدل الياء وجب أن نقول المحصبة كما في القاموس .

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي : الأُمَمَر والمَعَزَاء.

فإذا أشتملت عليها كلها حجارة سُود، فهي : الْحَرَّة وَاللَّابَةِ.

فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي : الْخَزِير^(١).

فإذا كانت الأرض مطمِئنة، فهي : الْجَوْف، والنائط بتم الهَجَل، والهَضَم^(٢).

فإذا كانت مَرْتَعَة، فهي : النَّجْد والنَّشْرُ.

فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلَظ، فهي : المَتْن، والصَّمَد، ثم الْقُفْ، والتَّدَقْد، والْقَرَقُر^(٣).

فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي : الْيَفَاع^(٤).

فإذا كان طولها في السماء مثل البيت وعرض ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي :

١٠ التل، وأطول وأعرض منها : الرَبْوَة، والرَّايِبة، والأَكْسَة، ثم الرُّبَيَّة وهي التي

(١) لم أجده في القاموس معنى للجزير ولعل اشتقاقه من الجزأى القطع . بدلالة وجود الحجارة التي كالسكاكين . وقد وردت هذه القفلة في طيبة السويين بالخاء المهملة . ومعنى الجزير كما في القاموس . المكان الغليظ المتعاد . وهو لا يدلُّ على المراد هنا . فليحذر .

(٢) في الأصل بالصاد المهملة . وصوابه بالضاد المعجمة كما في القاموس . وقد ورد على وجهه في طيبة السويين .

(٣) في طيبة السويين : القَرَدَد . وكلا القفلين لا يدلُّ بطريق الحصر على المعنى الذي أرادته العالمة . قال في القاموس : "الفردد ما ارتفع من الأرض" . وقال : "الفرقر الأرض المطمئنة اليئة والفافع الأملس" .

(٤) في الأصل من .

لا يعلوها الماء. (وبها ضرب المثل، في قولهم : بلغ السيل الزبى) ، ثم التَّجْوَة (وهي المكان الذي تظنُّ أنه نجاء بك) ، ثم الصَّمان، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل) .
 فإذا أرشعت عن موضع السيل وأتحدت عن غَلَط الجبل ، فهي : الخُيف .
 فإذا كانت الأرض ليّنة ، سهلة ، من غير رمل ، فهي : الرُّقاق (والبرث) ، ثم المَيْثاء (١٢)
 والدَّهْمَة (١٣) .

فإذا كانت طيبة التربة ، كريمة المنيب ، بعيدة الأحساء ، والتزوز ، فهي : العُدَاة . (١٤)
 فإذا كانت تحيلة البت والخير ، فهي : الأريضة . (١٥)
 فإذا كانت ظاهرة ، لا شجر فيها ولا شئ يختلط بها ، فهي : القَرَّاح ، والقِرَّواح .
 فإذا كانت مهيأة للزراعة ، فهي : الحقل ، والمشارَة ، والدَّهْرَة .
 [فإذا لم تبيأ للزراعة ، فهي : بور] (١٦) .

(١) جملة وبها ضرب الخ وردت هنا . ولم ترد في طبعة اليسوعيين .

(٢) في طبعة اليسوعيين : نجاؤك . ونجا مقصور لا مهموز . فرواية ابن فضل الله أوجه .

(٣) وردت في طبعة اليسوعيين بالناء المتناة . ورواية ابن فضل الله أفضل ويؤيدها القاموس . وإذا كان اللفظ بالناء فالنوى ورد منه هو البرث على وزن سكيت بمعنى المستوى من الأرض . ولم يرد بلهط البرث في القاموس . وعلى كل حال فإعادة ب ر ت لامتصق لها بالمعنى الذي قصدته الصمالي .

(٤) في طبعة اليسوعيين : الدَّهْمَة .

(٥) » » : بعيدة عن الإحساء .

(٦) » » : تحيلة للبت .

(٧) الزيادة من طبعة اليسوعيين .

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهي ^(١) : القَصْل والجُرْز. ^(٢)

فإذا كانت غير ممطورة، وهي بين أرضين ممطورتين، فهي : الحَطِيطَة .

فإذا كانت ذات ندَى ووَخامة، فهي : النَمَقَة .

فإذا كانت ذات مباح، فهي : السَّبَخَة ^(٣) .

فإذا كانت ذات باء، فهي : الوَيْثَة والوَيْثَة [على مثال فَيْبَلَة وفَيْلَة] ^(٤) .

فإذا كانت كثيرة الشَّجَر، فهي : الشَّجَرَاء والشَّجَرَة .

فإذا كانت ذات حَيَات، فهي : الحَيَوَات ^(٥) .

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي : المُسَبَّة والمُذَبَّة ^(٦) .

(١) في طبعة اليسوعيين : فإذا لم يسبها المطر .

(٢) في الأصل : الجراز . ولم يرد في القاموس سوى : جُرْز وجُرْز وجُرْز وجُرْز ولا وض لم يسبها
مطر والجمع أجاز . ولو قال أين فضل الله أجاز لصح .

(٣) في الأصل : السلخة .

(٤) الزيادة في طبعة اليسوعيين .

(٥) هكذا ضبطه في طبعة اليسوعيين .

(٦) وضبطه في طبعة اليسوعيين : المُسَّة والمُذَابَة . والذي ضبطه أين فضل الله أوجه .

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته

أسماء التراب
وصفاته من حيث
الصفة

تراب وجه الأرض يقال له البَوَّعَاء.

والدَّقْعَاء، التراب الرخو الرقيق الذي كأنه دَرِيرَةٌ.

الترى، التراب الندي [وهو كل تراب لا يصير طينا لازبا إذا بَلَّ] ^(١).

المور، التراب الذي تمور به الريح.

الهباء، التراب الذي تُطْفِئُهُ الريح، قتره على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم.

[يلزق لزوقا (عن ابن شميل) ^(١)].

[الهاب، الذي دَقَّ وأرْثَعَ (عن الكسائي) ^(١)].

السايفاء، التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح.

النَّبَيْتَة، التراب الذي يخرج من البئر عند حفرها.

الراهِطَاء والدَّامَاء، التراب الذي يُخْرِجُهُ اليربوع من حجره ويَجْمَعُهُ.

الجُرْثُومَة، التراب الذي تجعه النمل عند قَرَبَتِهَا.

العَفَاء، التراب الذي يُعْفَى الآثار. وكذلك العفر.

الرَّغَام، التراب المختلط بالرمل. ^(٢)

(١) الزيادة من طبعة السويجين.

(٢) من أول الفصل إلى هنا مقول عن الفصل الرابع من الباب ٤٦ من هذه القصة.

السَّيْداءُ، التراب الذي يُسَمَّد به النبات . فإذا كان مع السَّرِقين ، فهو الدَّمَال .

وإذا كان الطين حُرًّا يابسًا ، فهو : الصَّلْصال .

فإذا كان مطبوخًا ، فهو : الصَّخَّار .

فإذا كان عَلِيكًا لاصقًا ، فهو : اللَّارِبُ .

فإذا غيَّرَ الماء وأفسده ، فهو : الحَمَاء .

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة .)

^(١) فإذا كان رَطْبًا ، فهو : النَّاطِطَةُ والنُّرْمُطَةُ [والطُّرَّةُ] .

فإذا كان رقيقًا ، فهو : الرَّذَاعُ .

فإذا كان تَرْتِطِمَ فيه الدوابُّ ، فهو : الوَحْلُ . وأشدُّ منه ، الرَّدْغَةُ والرَّرْغَةُ وأشدُّ ^(٢)

منهما الورْطَةُ : تقع فيها النَّمَمُ فلا تَقْدِرُ على التخلُّص منها . (ثم صارت مثلاً لكل شدة يقع فيها الإنسان) .

فإذا كان حُرًّا طَيِّبًا عَلِيكًا ، وفيه خُضْرَةٌ ، فهو : النَّفْضَاءُ ^(٤) .

فإذا كان مخلوطًا بالطين ، فهو : السَّيَّاعُ .

فإذا جعل بين اللَّين ، فهو : المِلَاطُ ^(٥) .

(١) الزيادة من طيبة اليسوعيين .

(٢) أورد اليسوعيون هاتين الكلمتين بكون الدال في الأولى (وهو جائز) وبكون الزاي في الثانية ولم يقل به القاموس فإنه ص قطع على الفتحين في (رذخ) .

(٣) في الأصل : منها . وقد آخرا رواية اليسوعيين لأنها أصوب .

(٤) في طيبة اليسوعيين : "وهي" . ولعلها سبق قلم .

(٥) من أول هذه الصفحة إلى هنا منقول عن الفصل السادس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

الفصل الرابع^(١)

في اسماء الفبار وصفاته

اسماء الفبار وصفاته
من حيث اللغة

النَّشَقُ والمَكُوبُ، الفبار الذي يشور من حوافر الخليل وأخفاف الإبل.

المُجَاوِةُ، الفبار الذي تثيره الريح^(٢).

الرَّجْحُ والقَسَطَلُ، غبار الحرب.

الخَيْضَمَةُ، غبار المعركة.

العِثَرُ، غبار الأقدام.

المَيْنُ، ما تقطع منه.

(١) هذا الفصل منقول عن الفصل الخامس من الباب ٢٦ من هذه اللغة.

(٢) في طيبة اليسوعيين السجاج.

الفصل الخامس

في أسماء الرمال وصفاتها

(١) ما أَسْتَرَقَّ من الرمل ، يقال له : العَدَابُ .^(٢)الْحَبْلُ ، ما أَسْتَطَالَ منه .^(٣)

الْلَبَبُ ، ما أَسْعَدَرَ منه .

الْحَقِيفُ ، ما أَعْوَجَّ منه .

الدَّعْصُ ، ما أَسْتَدَارَ منه .

الْمَقْدَةُ ، ما تَقَعَّدَ منه .

الْمَقْتَلُ ، ما تَرَكَمَ [وتَرَكَبَ] منه .^(٤)

السَّقَطُ ، ما جَعَلَ يَنْقَطِعُ وَيَتَّصِلُ منه .

الْتِهْبُورَةُ ، ما أَشْرَفَ منه .

الْتِهْيُورُ^(٥) ، ما أَطْمَأَنَ منه .

الشَّقِيقَةُ ، ما أَتَقَطَعَ وَغَلَطَ منه .

(١) في الأصل : ما أَسْتَطَالَ . والذي ضلناه عن فقه اللغة يؤيده القاموس .

(٢) في الأصل : العذاب . وهو غلط .

(٣) في طبعة اليسوعيين : أَسْتَدَقَّ . والقاموس يؤيد رواية ابن فضل الله .

(٤) الزيادة من طبعة اليسوعيين .

(٥) جارينا طبعة اليسوعيين . وإن كان التيهور منه ما أنهار من الرمل وما أطمأن من الأرض والذي

في الأصل التيهورة .

الكثيب^(١) والنقاء، ما أحْدَوْدَب وانْهالَ منه .

العاقِر، ما لا يُنبت شيئاً منه .

الهْدَملة^(٢)، ما كثر شجره منه .

الأَوْعس، ما سهل ولانَ منه .

الرَّغام، ما لانَ منه، وليس بالذي يسيل من اليد .

الْهَيَام، ما لا يُجَالك أنْ يُمْسك منه باليد، لئنه^(٣) .

الدَّكَادِك، ما آتَبَد بالأرض منه .

العائِك، ما تَعَقَد منه، حتى لا يقدر البعير على المسير فيه .

والكثير من الرمل، يقال له : العَقَنْقَلُ ؛

فإذا نَقَصَ، فهو : كَثِيبٌ ؛

فإذا نَقَصَ منه، فهو : عَوْكلٌ ؛

فإذا نَقَصَ منه، فهو : سِقْطٌ ؛

(١) في الأصل : الكثيف . وهي سبيل قلم .

(٢) في طبعة اليسوعيين : الهَرْملة . وهو غلط .

(٣) في طبعة اليسوعيين أى يسيل من اليد إليه . وهو تعريف ظاهر . ورواية كرين : ضل الله مفاسكة مع كل ما فيها ، ولذلك كانت أحسن سبكا .

(٤) إختار كرين : ضل الله صيغة الجمع . والذي في طبعة اليسوعيين : الذكالك بصيغة المفرد (أطرا الناموس) .

(٥) إلى هنا مقول عن الفصل التاسع من الباب ٢٦ من هذه القصة .

(٦) في طبعة اليسوعيين : حه .

(١) فإذا نقص منه ، فهو : عَدَابٌ ؛
(٢)
(١) فإذا نقص منه ، فهو : لَبَّابٌ .
(٣)

وقال صاحب الغريب : "إذا كانت الرملة مجمعة ، فهي : العَوَكَّةُ ؛ فإذا أنبسطت
وطأت ، فهي : الكَثِيبُ ؛ فإذا انتقل الكثيب من موضع إلى آخر بالرياح ، ويبقى
منه شيء رقيق ، فهو : اللَّبَّبُ ؛ فإن نقص ، فهو : العَدَابُ ."
والله أعلم .

- (١) في طبعة اليسوعيين : عنه .
(٢) في الأصل بالهال المحجمة وهو خطأ .
(٣) إلى هنا منقول عن الفصل العاشر من الباب المذكور .

الفصل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصصنا إفراده، انزيده وضوحا، وسند ذكره جملة وتفصيلا، ونستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما ينسدرج معها، وذكر جمل من الآثار القديمة.

فتقول، وبالله التوفيق:

الارتباط بين
الكائنات الحية
وبين الأرض

إنه لما كانت الأرض وما عليها من المركبات من الطبائع الأربع، وهي: التراب، والماء، والنار، والهواء، نظرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عنصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مقره، وما غلب عليه عنصر الماء (كالسمك) فكان في الماء مقره. ووجدنا الطير، وإن طلب مركبه المركب منه أكثر أجزائه وهو الهواء، والسمك وإن طلب مركبه المركب منه أكثر أجزائه وهو الماء، لم نجد واحدا منهما ولا شيئا من الحيوان مطلقا يطلب النار ويحتاجها، إلا السمندر وهو نادر. ووجدناه يطلب الأرض ويحتاجها كالطير إذا حط إلى الأرض، والحويت إذا أوى بيته. فعلمنا حينئذ أنهما من لوازم الأرض.

تمام ارتباط
الإنسان بالأرض

(٢٨)

فبالأولى أن يكون من لوازمها، ما غلب على عنصره التراب، كالإنسان. ويدل على هذا قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا أُسْبِدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى".

(١) في الاصل: ولا يساعها. والظاهر أن زيادة (لا) سبق قلب.

فطلب حكما على بقية العناصر، في خلق الإنسان، قال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ" إشارة إلى التراب، وجعلها البداية والنهاية، قال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ". ثُمَّ أَكَّدَ لها التغليب على بقية العناصر الثلاثة التي لا تقوم المركبات إلا بها، بقوله: "وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى"، فجعل منها النشأة الأولى في أول الخلق، والثانية في المعاد، وما بينهما، وهو: الموت.

فإن أعترض معترضٌ بالسندر وأنه يأوى النار، قلنا: هذا شاذٌ نادر. والشاذُّ البادر لا حُكْمَ له.

وإذ قد تبين أن التراب في تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركزة: منها الميلاد، وإليها المعاد.

١٠. فعلمنا ضرورة أن الأرض أم البشر. اخرجهم من بطونها، فكانوا كالولدان لها. وقوت المولود. تدعى الأم، وهو: ما أخرجت لنا من نباتها.

فعلم حينئذ أن نوع الإنسان من لوازمها، يطلب مركزة منها: لما فيه من ثقل التركيب بها. ألا ترى أن النار ولو عكست. أبت إلا طلب الثقل: تطلب مركزها؛ والفرجة المشوخة التي قُبرت بقاير إذا أُطِقت. طلب الهواء المملوء به العلو:

١٥. يطلب مركزة به والماء لا يجري إلا من العالى إلى المنخفض من الأرض. يطلب مركزة. وكذلك التراب، حيث رميت به الحق، يخطئ إلى الأرض: يطلب مركزة.

فهكذا الإنسان: لا يطلب إلا مركزة، وهو التراب: إذ كان أكثر أجزائه من التراب. وإلى هذا أشار الشريف بقوله: "والنسيم جاذبٌ لِمَا في أبدانهم من الخفة. والارض جاذبةٌ لِمَا في أبدانهم من الثقل". وقد ذكرناه آنفا.

١٩

ولهذا لم يُقدِّروا في المركبات وجود الاعتدال الكامل المتساوي في أجزاء التركيب :
إذ لو كانت كذلك ، لجذبتها العناصر الأربعة ، جذبا متساويا ، فلم يكن له مركز خاص .
وذلك محال .

فلة النار
في الحيوان . ولماذا
كأس العذاب
الموعود به

وأقل أجزاء العناصر في الحيوان غالبا ، النار . ثم يتفاوت الحيوان في ذلك . ولهذا
لا تنقوى [الحيوانات] على النار قوتها على الماء والتراب والهواء . ثم يتفاوت الحيوان
في ذلك ، سأل كل إلى ما غلب على تركيبه . ولا يهاب الحيوان شيئا يفتححه ، كما يهاب
أفتحام النار . ولهذا كانت النار العذاب الموعود به : لمنافرة ما بينها وبين الحيوان ، لقلة
موجودها به في جزء التركيب ، كما أشرنا إليه . والله يفعل ما يشاء لارادة لأمره ،
ولا مُعقَّب لحكمه .

الإنسان وحي
زاني . وأنساب
معدته من الأرض

فلما كان الإنسان ، بما غلب على تركيبه ، أرضيا ترابيا ، من الأرض مبدؤه ، وإليها
معاده ، ثم منها عوده . كما قال تعالى : ”مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَى“ اضطُر إلى مركزه ، واحتاج إلى الاضطراب في أرجاء الأرض ، للكسب :
إما للصيد ، وهو أقل رتب المعاش ، أو الزراعة ، وهي ثاني رتب المعاش ، أو التجارة ،
وهي ثالث رتب المعاش ، على ما يأتي بيانه . فلم يكن له غنى عن معرفة جهات
الأرض ، ليمتد فيها لأسباب معاشه ، فيأخذ كرهه أو غير ذلك ، مما يتفرع منه أو يرتب
عليه .

الإنسان ممتلئ
على طلب البقاء

زعموا أنه لو وقع إنسان إلى برية يهماء^(١) ، لساكن بها ، لم يكن له دأب إلا طلب
سبب البقاء ، بما يصيد منه لياكل ، فإذا أكل ، طلب ما هو أزيد سببا ، فزرع به

(١) الفلاة لا يمتد فيها .

فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سببا، فتاجر . ثم تفرع معاشه، وتشعبت أسبابه،
فاحتاج حينئذ إلى معرفة أجزاء الأرض وعواملها، ليعرف أين كسبه . ومن أين
معاشه . ولا يمكنه أن يقصد أرضا في بر ولا بحر، إلا بأعلام دالة عليها، كالنجوم
الالامحة، والجبال المائلة، والأنهار الجارية، والأهوية المسابة . وليس هذا موضع
ذكرها . لكن تذكرها، إن شاء الله تعالى، عند ذكر معرفة القبة في كل أرض .

﴿٢٠﴾

وأما تذكرها ما هو لائق به . وهو ما هو بحلي من أحوال في الأرض لازمة
لها . من مضايتها المشهورة في جميع الأقطار : كالجبال العظيمة، والأنهار المتبحرة .
لأن بمواقع تلك الجبال الشجرة . والأنهار المعروفة . يعرف موقع كل جهة من الأرض .
فأما البحار، فإنها قد أفردناها بذاتها . وسيأتي ذكرها في موضعه . ولم تذكرها هنا
مع الأرض . كما نذكر الجبال والأنهار . لأن الجبال والأنهار من عالم الأرض . وأما
البحار، فإنها عالم آخر، أكبر من عالم الأرض . بما لا نسبة بينهما، فوجب إفرادها
بذاتها . إذ كانت كشيء آخر .

أحوال الأرض
على الإيجال

البحار وأسباب
في براد الكلام
طبيعا

ونحن نُقدم الجبال على الأنهار . لأنها أعلى أعلما، وأثبت في مواضعها مقاما،
وأكثرها على حالها، لا تتغير دواما .

كلمة من الحول

والذي نقول الآن : إن الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور
الأرض . وهو المسمى بجبل قاف . وهو أم الجبال . كلها انتشعب منه . فتصل
في موضع . وتتقطع في آخر . وهو كالدائرة، لا يعرف له أول على التحقيق . إذ كانت
الحلقة المستديرة . لا يعرف طرفاها . وإن لم تكن أستدارته أستدارة كرية، ولكنها
أستدارة إحاطة، أو كالإحاطة .

نظرة في اتصالها
ظاهرا . ثم باطنا

فلما لم تنف له على أول على التحقيق، قدّرنا له أولاً، وهو: كَيْف السدّ الجنوبي .
وَيُدْرُهُ بالمعمور . يتصل في موضع اتصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلى كَيْف
السدّ الشمالي: حيث الفُرْجة التي ساوى الإسكندر ذو القرنين فيها، كما قال تعالى
”بين الصّدّيقين“ وأقام السدّ وعمل الباب، على ما هو مرسوم في لوح الرسم.



ما هو جبل
قاف عند جغرافيين
المسلمين، هو أم
الجبال

و بمجموع هذا الجبل - متصله ومنقطعه في كل مكان، شرقاً وغرباً وجنوباً
وشمالاً - هو جبل قاف . وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائر بين العالم، بما
يسير به عند كلّ منهم، على ما يقتضيه اختلاف الألسنة واللغات.

وقد زعم بعضهم أن أمّهات الجبال جبالان: تخرج أحدهما من لُذْن البحر المحيط
في المغرب، وأخذ جنوباً، وخرج الآخر من لُذْن البحر الرومي، وأخذ شمالاً، حتى
تلاقيا عند السدّ . وسَمّوا الجنوبي قاف، وسَمّوا الشمالي جبل قافوناً . والأظهر - والله
أعلم - أنه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة
الأرض، وأنه هو الذي تصدق عليه التسمية بجبل قاف في كل قطر ومكان، ولا
يُعرف في الجنوب إلا بهذه التسمية، ويُعرف في الشمال بجبل قافونا . وبهذا تزول
شبهة من ظن أن كلا منهما غير الآخر، والله أعلم .

ما هو الجبل المحيط
وكيف سببه

والذي يقول، وبالله التوفيق! إن هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مبدؤه من كنف
السدّ أخذاً من وراء صنم الخطأ المحجوج إليه، إلى سُمعيته الخارجة منه المعمول بها
باب الصين، أخذاً على غربيّ صين الصين، ثم ينعطف على جنوبيّه مستقيماً في نهاية
الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفُرْجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة،
ثم يتقطع عند مُخْرَج البحر الهندي المحيط مع خطّ الاستواء، حيث الطول مائة

وسبعون درجة) عَلمَ عليها في لوح الرسم قع بحساب الجبل^(١)، ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقى لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من وراء مُخْرَج البحر الهندي في الجنوب، ويتقى الظلمات بين هاتين الشعبتين : شعبة المحيط الجاثية على جنوب الظلمات شرقا بغرب، وشعبة البحر الهندي الجاثية على الظلمات شرقا بغرب، حتى تتلاقى الشعبتان عند مُخْرَج هذا الجبل، كتفصيل السراويل . ثم ينفرج رأس البحرين المتلاقيين شعبتين على مبدأ الجبل، ويتقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء، ومبدأ هذا الجبل قد هنا وراء قبة أرين، عن شرقها، وبعدة منها خمس عشرة درجة . وقد عَلمَ صاحب جغرافيا قبالة مبدأ هذا الجبل في القسم الشرقي طولا . وذلك بعد أن آتته درجات القسم الغربي عند قبة أرين إلى تسعين درجة، عَلمَ عليها في لوح الرسم **ح** فكان هذا المقدار **ده** . وهو تفاوت ملين المديدين .

وتقال لهذا الجبل في أوله : المُجَرَّد . ثم يمتد حتى ينتهي في القسم الغربي إلى طول خمس وستين درجة من أول المغرب . وقد عَلمَ عليها في لوح الرسم **سه** .
هناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر . وينصب منه النيل . ويقال إن به أجمارا برأفة كالفضة البيضاء . تتلأأ، تسمى صنجة الباهت : كل من نظرها، ضحك وألتصق بها، حتى يموت . وتسمى مضايطيس الناس . قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو في كتاب الأبحار .

جبل القمر

(١) في الأصل : ومخرج .

(٢) صله بعض أهل الجغرافيا فتح القاف والميم . والفتاح منهم على أنه يضم القاف وسكوت الميم (أنظر تقويم البلدان طبع باريس سنة ١٦٤٤) .

وتتشعب منه شعب تسمى آسيفي . يقال إنه مسكون، وإن اهله كالوحش .
والله أعلم بصحة ذلك .

ثم يفرج منه فرجة، ويمر منه شعب إلى نهاية المغرب في البحر المحيط، تسمى
جبل وحشية: به سباع لها قرون طوال، لا تطاق.

وينقطع دون تلك الفرجة من جبل قاف شعب، منها شعبتان إلى خط
الاستواء يكتنفان مجرى النيل، من الشرق والغرب.

فالشرقي، يعرف بجبل قافولي، ويتقطع عند خط الاستواء.

والغربي، يعرف بأدممة . يجري عليه نيل السودان . المسقى في جغرافيا يعبر
الدمام . ويتقطع تلقاء مجالات الحبشة، بين مدينتي سمفرة وجيمي .

وراء هذه الشعبة، تمتد شعبة منه، هي الأم من الموضع المعروف فيه الجبل بآسيفي
المتقدم الذكر إلى خط الاستواء، حيث هو الطول هناك عشرون درجة . وقد علم
عليها في لوح الرسم ك .

ويُعرف هناك بجبل كرسقانة . وبه هناك وحوش ضارية . ثم يمتد إلى البحر
المحيط ويتقطع دونه فرجة مفروجة . وذلك وراء الكور، عند مدينة قلوبو . ووراء
هذا الجبل هناك سودان، يقال لهم نغم^(١)، يأكلون الناس . وسأتي جلة من أخبارهم
في موضعها، إن شاء الله!

ثم تنصل الأم من شاطئ البحر الشامي في شماله، شرقي رومة الكبرى، مسامتا
للشعبة المسماة أدممة المنقطعة بين سمفرة وجيمي لا تكاد تحيطها، حيث الطول نحس

(١) هكذا في الأصل . ولعلها نغم . (وأعتبر لفظة Niam Niam الأفرنجية).

وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له . ويقع منشأ اتصال هذه الأُم في رسم خط العروض على ن . رَسَمَها في لوح الرسم . وكذلك تقع شُعبتها آخذاً في الجنوب إلى الخط المَعْلَم عليه الأطوال في لوح الرسم ، عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية على ن .

- ٥ . وتناهى وصلة هذه الأُم إلى البحر المحيط في نهاية الشمال ، قبالة جزيرة بريطانيا . وتبقى سوسية داخل الجبل . ثم تمتد هذه الأُم بعد انقطاع لطيف وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقلب المسماة ببحر الأقاليسين^(١) تمتدًا إلى غاية المشرق . ويسمى هناك بجبل قاقوتا . وتبقى وراءه البحرة الجامدة أشدة البرد . ثم ينعطف من الشمال المشرق جنوبًا بتقريب إلى كَتِف السد الشامي . فيتلاقى هناك الطرفان . وبينهما في الفرجة المنفرجة ، ساوى الإسكندر بين الصدين .
- ١٠ . ونحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الجبال ، ونقسمه على أربعة أقسام ، نتجزأ بها المعمورة طولاً وعرضاً .

- ففي العرض مما وراء خط الاستواء من المعمور المقدر عرضه بإقليم ونصف إقليم مما أخذ له عرض لأرتفاع الجبل والميزان وهو جزء مقدر بنصف إقليم فيكون ذلك شَمَّة لقدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيث انتهى أخذ العرض هناك
- ١٥ . مما ابتدئ من قبة أرين جنوباً عشرين درجة ، وقد علم عليها في لوح الرسم ك إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسية الثانية ، خارج الإقليم السابع في الجزء المقدر بنصف إقليم مازا مع الإقليم السابع من أول المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى

(١) الإقليمين تحريب لفظة English بصيغة الجمع العربي ومعناه : بحر الانكليز .

أخذُ العرض هناك إلى خمس وسبعين درجة على ما تقدمنا ذكره. وقد علم عليه في لوح
الرسم **د** قاطعا في الطول على خط مستقيم من المشرق إلى المغرب يقع وسطه
على خط العروض في جزء أخذ عرضه على خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خوز
وعبادان. وقد علم عليه في لوح الرسم **له**. ووقع هذا الخط في المشرق أخذا على
جنوب السد، ما زلنا على جنوب كرمان إلى أن ينتهي إلى البحر الشامي حيث مخرج
الخليج القسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلى آخر المغرب. وموقع هذا الخط
على وسط الأقاليم السبعة المقسمة. فيكون على خط نصف الإقليم الرابع مقسومة
عليه الأقاليم السبعة نصفين على جانبيين. ووقع هذا الخط الوسط منها.

(وأما جبال مكة والمدينة. فإننا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها. انتتوقر عليها

المادة بإفرادها.)

(١) في الأصل الست.

فالقرب الأول

من هذه الأرباع المقسومة الآن، هو الربع الشرقى الآخذ إلى الجنوب .
 وبه من الجبال في جزيرة القمر العظيم من المعمور الخارج عن خط الاستواء :
 جبل يعرف بجبل قدم آدم . يقال إن آدم (عليه السلام) أطيء عليه . وهو
 جنوبى جزيرة سرنديب .

جبال الربع
الأول

جزيرة القمر

جبل قدم آدم

ووراء جبل كانه باء محذوفة الذيل (ب) . ذكر صاحب جغرافيا في لوح
 الرسم أن أهله سود ياكلون الناس . تقع حفرة ذيله على خط الاستواء على جزء
 بلغ طوله مائة درجة وخمس درجات . وقد علم عليه في لوح الرسم من
 حساب الجمل .

- ١٠ ووراء ثلاثة جبال منقطعة ، صفارا ، يتلو بعضها بعضا ، أولها جبل شرقى
 هذا الجبل عند قائمته الأولى المشبهة برأس ياء متلو كقول الأرقم [ياء] .
 في سفحه مدينة علم ، ويليه من شرقه الثانى وهو جبل آخذ على مدينتى ملای
 وسمردى . ذكر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران ، ويليه من شرقه ،
 الثالث . وهو : جبل هو أصغر الثلاثة ، غربى مدينة معلأ .

- ١٥ ثم ما هو داخل تحت خط الاستواء جبل كثير الشهرة ، وهو المشهور فى أواخره
 بجبل الديلم . ومنشؤه من البحر الهندى غربى المنيار . ياخذ ممتدا إلى الشمال

جبل الديلم



(١) اللد يدل على أنها : قد

(٢) فى الأصل : باء .

على وراي . في ذيله الغربي كابل . ثم يخرج إلى قسم هذا الريع الآخذ إلى الشمال .
ويقع هناك على أصفهان ، وتنتهي شُعبته على منبع نهر مكران ، المآذ إلى السند .
وعليه من ذلك الميل في شرقه ، المُحمّدية . ذكرناها هنا علامة لهذا الجبل . وإذا قد
ذكرنا هذا الجبل يجموعه هنا ، لم يبق حاجة إلى ذكره في قسم هذا الريع .

ومن ذلك جبل آخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وسط الأقاليم السبعة .
المُخرجة هذه الأربع عليه . ويمتد هذا الجبل مُشرقاً على تلّو في أوله ، ماراً ، إلى
مسامنة باب الصين على جنوبية . وهناك يتصل بالآثم . وتمتد منه شعبة آخذة
في الجنوب إلى البحر الهندي ممّا وراء المعبر ، مدينة ازهونة . وذلك جميعه خارج
عن الآثم ، منقولاً من لوح الرسم .

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربي الآخذ إلى الجنوب .

به من الجبال تحت الأُمّ الخارجة من شعبي البحر المشبهة بتفصيل السراويل
المقدمة الذكر، ثلاثة جبال :

- ٩ (الأول) منها وهو الشرق جبلٌ آخذ عن الأُمّ على جانب فرجة بينهما،
ممتدا إلى خط الاستواء حتى وقع عليه وينقطع عنده . وتقع مدينة لقمرانه في ذيله
على شريقه، وبوشة في ذيله على غريبه .
- وبليه (الثاني) على غريبه وهو جبلٌ آخذ إلى مدينة نسويه . وينقطع هناك .
- وبليه (الثالث) على غريبه وهو جبلٌ يعرف بجبل حاقولي . ذكر صاحب
جغرافيا في لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين . يأخذ على شرق النيل حتى
١٠ ينتهي إلى مدينة فرقة حيث آخر نرجة البحر الهندى . وقد نبهنا على ذكر هذا
الجبل . عند وصفنا للأُمّ المذكورة، وأشرنا إلى أن مخرج الأُمّ يقع قبالة من شمالي
البحر الشامي، على ما تقدم ذكره .

وعن يسمته جبلٌ آخذ على شرق النوبة .

- ١٥ ومن ذلك جبلٌ يقع منه جنوبا مع تغريب كثير كأنه "لا" معلة بالخط
المغربي [لا] .

ومن ذلك جبلٌ آخر منقطع ما بين خاخة وجيمي .

ومن ذلك دونهما جبلان آخران أحدهما يأخذ على الواحات والآخر يأخذ
وراء غربي بحيرة نافر، وشرقي بحيرة كوكورة .

ومن ذلك وراعه في غريبه جبلٌ كأنه رأس صاّد بالخط المغربي [د]
وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والازول إليها
جانبه الداخل . يجرى منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهى إلى البحر الشامي .

ويليه جبلٌ يعرف بالناع كأنه فردة صولجان . عليه حصن الملح وجزولة .
وتنصب منه أنهارٌ إلى المحيط .

ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس ومجملاسة وينصب منه نهرين أمسيني
والمزقة حتى يصب في البحر المحيط، شرق طنجة .

ومن ذلك جبلٌ متقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غربا، حيث الطول
من القرب خمس عشرة درجة، علم عليها في لوح الرسم يد من حساب الجمل .
ويأخذ جنوبا إلى البحر المحيط .

ومن ذلك جبلان يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية . وقد تقدم ذكرهما .
وذلك كله خارج عن الأتم، منقول من لوح الرسم .

والربع الثالث

الغربي الآخذ إلى الشمال

جبال الربع
الثالث وهو
جبال الأندلس

- به من الجبال جبل آخر في جزيرة الأندلس، في جنوبها من البحر الشامي من إشبيلية إلى بطلبوس، وأنصب منه نهران : أخذ أحدهما على إشبيلية ماراً بينها وبين مالقة حتى صب في البحر الشامي ، والثاني منهما أخذ على البيرة وصب في البحر المحيط .

- وفي شرقيه جبل أخذ من قورة إلى وادي آش، عليه هيكل الزهرة، وأنصب منه نهر مر على وادي آش وأخذ شرق غرناطة إلى قرطبة، وصب في البحر الشامي .
- وفي شرقيه جبل خرج من البحر المحيط، من شمال مغرباً وأخذ ماراً في الأندلس إلى بلنسية وأتتهى إلى البحر الشامي .

- وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأثم الخارجة على شرق رومة الكبرى .
- ولولا تخرج الأثم هنا لما أمتنع سبيل الأندلس في البر إلى بلاد القسطنطينية الكبرى والألان والأصص والصلقب . ولوصل منه إلى جميع الأرض، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، من غير بحر حائل ولا عجز مانع . فلبا لم يبق للأندلس سبيل إلا من البحر، بقيت كأنها داخلة هذا الجبل المحيط بالمعمور، وإن كان موقعه وراءه من غربيته .

ذكرنا هذا هنا لمقتضيه، إذ لم يمكن السكوت عنه .

ثم نعود إلى تنمة الجبال الواقعة في هذا الريح الثالث .

فمن ذلك جبل يأخذ على بحر بنطس^(١) المتصل بالبحر الشامى، من شرقى هرقله ويمتد إلى أنطاكية وحلب ويمتد في الشام على شمالى ملبك ودمشق . ويحصر هذا الجبل البحر الشامى آخذاً معه إلى الجنوب، على فرجة بينهما تلك الفرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم، مثل قونية وقيصرية وأنطاكية .

(٢٩)

ومن ذلك جبل يمتد على ماردين وشهرزور وأخلاط . ينقطع ويتصل بجبل أذربيجان . وتنصب منه أنهار كثيرة : منها ما يصب في البحر الشامى، ومنها ما يصب في بحر بنطس^(١)، ومنها ما يصب في البحر الهندى، ومنها ما يصب في البحيرة البلاءة المقاربة للسند . ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المازين أذربيجان وغزنة . وكذلك يتصل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان، حيث يخرج خط أخذ العروض .

ومن ذلك جبالان منقطعان، وراء بحر بنطس، من شماله بشرق . آخذان على بحيرة الجارلس عن شرقها وغربها .

وذلك كله خارج عن الأمم، مقولاً من لوح الرسم .

(١) في الأصل "بنطس" وكذا هو في تعريب البلدان لأبى القداء . ولكننا اعتمدنا ضبط باغوت .

والربع الرابع

بحال الربع
الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها .

به من الجبال، جبلٌ منقطع ما بين بلاد السند وبين بوار . وشمالي القموج^(١)
يخري نهرٌ مكان حيث يقطع مدي الصحرَاء على ذيله ويخرج هناك .

ومن ذلك جبلٌ يتزل به غوغر النار . به باب الصين .

ومن ذلك جبال الخطا المحيطة بها على باش بالقي ، وآل بالقي ، وخان بالقي .

ومن ذلك جبلٌ منقطع ، كأنه صليبٌ ذهبٌ أحد شعبه . ومدينة طفقار في ذيله
المقزوب . وشعبته الخارجة تقع بلاد اليأش في ذيلها .

ومن ذلك جبلٌ منقطع متلو كالأرقم ، من غربي بلاد أسخورت إلى نهاية الهارة

في الشمال . ومنه ينصب فرع نهر جيحون .

ومن ذلك جبلٌ في صحراء الفجاف ، آخذ على منعطف النهر المتصل بالبحيرة
الجمامة من شقة البرد .

(١) أطلق كثيرا أن المير وقعت في هذا الاسم بدلا من اللون بطريق السيو . فهذا المكان مشهور باسم قنوج
ويسمى عند الفرنسيين "Canoge" .

(٢) سماء أبو العلاء نهر مهران وكذلك المزاب مما يأتي من هذا الخزر، وهو المشهور باسم اسند
وعند الفرنسيين "Indus" .

(٣) لها : النار .

(٤) لها : شش .



ومن ذلك جبلٌ منقطع ينصبُّ منه فرعٌ إلى نهر إيتيل في شرق صحارى
القبچاق أخذنا بشرق مدينة أوتتا . ووراعها عبدة الشياطين ، على مارسم صاحب
جغرافيا في لوح الرسم .

ومن ذلك شعبة أخذة من الأثم إلى جنوب مغرب . ينصبُّ منه ماء إلى النهر
المنتهى إلى البحيرة الجامدة .

ثم إننا نذكر هنا مارأيا إفراده في هذا المكان ، ليكون أوضح ليانه ، وأدل على مكانه .
وهو الجبل الممتد على الشام ، وجبالٌ شهيرة يميزرة العرب .

(١) هو المعروف الآن في الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا ، Volga ، ومعنى إيتيل مع ألف أو يكسرهما
النهر في لغة الأتراك . وهو بلاد الروس ، وأكبر أنهار أوراسيا .

فأما الجبل الممتد على الشام

- فإن أوله بالشرق من الصين من البحر المحيط . فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتي فرغانة إلى جبال اليم الممتد بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فينقطع، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطِع ثم وُصِلَ في وسطه . ويستمر الجبل إلى الجوزجان ويأخذ على الطاقان إلى أعمال مرو الرود إلى طوس . فتكون جميع مدن طوس فيه . ويتصل به جبال أصبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي . وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور إلى مِهْرود . فيمر على جباله بسائر دجلة . ثم يتصل بجبل الجودي، موقف سفينة نوح (عليه السلام) . ولا يزال هذا الجبل مستمراً من أعمال آيد وميا فارقين حتى يترى بغور حلب . ويسمى هناك جبل اللكام . ويستمر جبل اللكام إلى أن يعدي الثور فيسئ بهذا حتى يجاوز حص فيسئ لبنان . ثم يمتد على الشام حتى يتهى إلى بحر القلزم من جهة، ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى المقطم، ثم يتشعب وتتصل أواخر شعبه بنهاية المغرب .
- ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل، كلياً وجزئياً، مما تقدم على ما اقتضاه الإيضاح في موضعه على ماصور في لوح الريم في أما كنه ولكننا أردنا هنا اتصال لحيته ليعرف كيف هو بحيث أنه فيما يتر على في الأرض من شرقها إلى مغربها .

فأما جبال مكة

فأعظمها وأحقها بالتقديم وإن بعد عن مكة مكانا جبل عرفات ، موقف الحج الأعظم ، وركن الحج الأكبر .

ومنها جبل أبي قبيس ولونه أذكري إلى البياض قليلا وإنما قيل له أبو قبيس لأن الحجر الأسود أقبل منه وقيل هو اسم رجل من مذبح كان يحيى أبا قبيس عرف به لأنه أول من بنى فيه . كذا قال الزمخشري : وقال أبو القاسم السهلي : عرف برجل من جرهم كان قد وثى بين عمرو بن مضايا ، وبين أبنه عمه ميه فنذرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكآف . يا خلف ليقتل قبيسا ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وأقطع خبره . فإذا مات . وإنما تسمى الجبل أبو قبيس . وقال ابن عباس : هو أول جبل وُضع على الأرض . رواه أبو عروبة وأبو بكر بن أبي شيبة . وقال الزمخشري : كان يسمى في الجاهلية الأمين . لأن الركن كان مستودعا فيه ، عام الطوفان . وفي أعلاه منار إبراهيم عليه السلام . وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المنار على الموضع الذي نادى منه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بحج بيت الله الحرام . والأكثر أنه نادى من أعلى المقام . وفي أصله الصفا . ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد . ويصعد إليه أيضا من شئب أجياد الصغير . وأبو قبيس أحد الأخشين . وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام . وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة .

وجبل الخندمة^(١) وهو على أبي قبيس من ناحية المشرق . وهو جبل أحمر حَجَر . فيه حفرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلقة ، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها

(١) في الأصل "الحندة" بالهمزة ، ولكن ياقوت والقاموس ذكراه في باب الحاء المعجمة .

من بعيد. تبدو من المسجد من باب السهميين الصغير. وفي هذا الجبل تحصن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمس وجميع ما كان في الكعبة، إلى أن رده الله إلى موضعه، على يد ولده الذي قلعه. وتحت هذا الجبل شُعب على بن أبي طالب (رضي الله عنه).

٥. والجبل الأبيض. الذي على الأطلح إلى باب الملى يسمى عاصرة.
١٠. والجبل الآخر. على المحجون ووجهه إلى قُيعقان، على قبر عبد الله بن الزبير. والأخاشب والجبابب. جبال مكة. وفيه الثنية، وهي العقبة. وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلى الجبل الأبيض بنى المقتدرُ السور، وجعل له بابا من حديد وهو المعروف بباب منى، وشعب المُصَّيب.
١٠. وجبل قُيعِقَان. وهو يقابل أبا قُبَيْس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة ما بين الركن العراقي والميزاب. وهو حد أخشي مكة.
١٥. وجبل أجباد. إنما سمي بأجباد لأن الله تعالى لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كتزا من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل: "إني معطيك كتزا من كنوزي، لم أعطه لأحد قبلك. فأتخرج فتأيد بالكتز، يَأْتِكْ". قال فخرج إسماعيل -وما يدرى ذلك الكتز ولا يدرى كيف الدعاء به- حتى أتى أجباد. فآلمه الله إسماعيل الدعاء بالخيل: "يا خيل الله، أجيبي!" فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس إلا أتاه وذللّه الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سمي ذلك الموضع بأجباد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال شاعر قصير يرتجز^(١) بذلك:

الجبل الأبيض

⑪

الأخاشب
والجبابب

جبل قُيعِقَان

حسن أجود

أبونا الذي لم تُركب الجبل قبله . « ولم يدّر خلق قبله كيف تُركب !

وجبل آبن عمران . وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قُبَيْس وأجباد . وهو خلفها . يظهر على يده كأنه بينهما . يقابل من الكعبة الشق الباقى . فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام .

٥ ثم في العطف في آخر ذى طوى في طريق التنعيم جبل البكاء . وقربه على يسار الماز إلى التنعيم ، الحجر الذي قد عنده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستريحاً عند إقباله من العمرة . فلآن فيه موضع رأسه ، حتى استند إليه . وهو مشهور بقعد الناس عنده ، عند أنصرفهم من العمرة . وعند جبل البكاء تحته مما يلي القرب .

قال الفاكهي : وبمكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منار مسجد التنعيم وجميعه نحو من مائة سقاية . وفي أصله مما يلي الشمال مياه ، وكانت قديماً بساتين . والوادي أسفل منها في المحجة . كل ذلك على يمين الماز إلى التنعيم . وشامة وطُفَيْل . تحت الثنية السفلى غربي ذى طوى .

جبل ثبير . وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة في عطف وادي إبراهيم (عليه السلام) من يسار الماز إلى منى .

١٥ قال السبيل : "عرف برجل من هُدَيْل . مات فدفن به فعرف به الجبل" . وقال الزخشمي : "شيران جبلان مفترقان تصب بينهما أفاعيّة ، وهي واد يصب من منى ، يقال لأحدهما شير غيتا وللآخر شير الأعرج" .

ثم جبل حراء . وهو على يسار الماز إلى منى أيضا . وهو الجبل الذي كان

(١) لله حين

(٢) مكافئ الأصل . ٢٠

حُبِّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَلَاوَةُ فِيهِ، حَتَّى أَتَاهُ الْوَحْيُ. وَلاَ يَسَ فِيهِ غَارٌ.
إِنَّمَا كَانَ فِيهِ مَوْضِعٌ مِنْهُلٌ شَبِيهُ بِالْحَوْضِ فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ.

وجبل ثور ليس في جبال مكة أعلى منه ولا أوعر . وهو خلف مكة على

طريق مكة . يسمى ثور أطلعل . والنار في جانب منه ، في أعلاه دون التنية

قليلا . وفيه زل جبريل على النبي ، صلى الله عليه وسلم . والغار الذي أخفى فيه

عليه السلام مع أبي بكر صخرة واحدة مقبية ، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلا ثلثا

وعرضه في أوسع مكان فيه . شبر وأربع أصابع . وصفة الغار أنه مستطيل من

ناحية الغرب إلى الشرق ، وليس بفائض إلى أسفل . طوله ثلاثة وعشرون شبرا ،

وعرضه تسعة أشبار إلا ثلثا . وله باب ثان في آخره . من ناحية الشرق . وهو

الذي فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه بمخاضه إلى الصخرة ، فأنفتح هنالك باب

طوله ستة أشبار وعرضه أربعة . ومنه نخرج عليه السلام ، يوم نخرج إلى المدينة .

وأما جبال المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فأشهرها

جبل أحد . وهو جبل أحمر أعلاه دَكْدَكٌ . بينه وبين المدينة ميل وأفسح قليلا .

في شمال المدينة . وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أَحَدٌ جَبَلٌ مُيَمَّنٌ وَمُجِئٌ " .

وفي الحديث أنه يكون يوم القيامة أحد ركني باب الجنة . وبعضه قوله صلى الله

عليه وسلم : " المرء مع من أحب " . كذا قال السَّهْلِيُّ . وجبل سَلْعٌ . وهما

أشهر الجبال هناك . وجبل ثور وغلط فيه بعضهم . وجبل عير والحرم ما بينه

وبين أحد .

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها .
لم نحلّ منها إلا بما لعلّ صاحب جغرافيا لم يُصوّر في لوح الرسم؛ وإن كان، فهو
القليل . وفيما ذكرناه كناية .



• وأما الأنهار المعروفة فنحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الأنهار ونقسمه على
أربعة أقسام تُجزّى بها المعمورة طولا وعرضا، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال .
وبالله التوفيق !

فالقربع الأول

أنهار الربع الأول من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرق الآخذ إلى الجنوب . وبه من الأنهار ما يُذكر .

فإن ذلك في جزيرة القمر العظمى^١ ثلاثة أنهار :

• شرقها أخذ من قنطورا ومغلا .

ويليه ثانيا في غربيه ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سيابا ، وياخذ مازا إلى مدينة قزدر . ويمر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كياما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس .

• ويليه ثالثا في غربيه ، ويخرج من الجبل المشبه بباء محذوفة الذيل [٥] .
 ١٠ يطوّق بمدينة دهمى ، فتبقى مدينة دهمى بينه وبين البحر الهندي في جزيرة بينهما .
 يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا . فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي . وتقع مدينة فورانة في غربيه حين يصب في البحر الهندي^(١) .

ومن ذلك نهر ينصب من جبل قاف عند وصلة الأثم في شعبي البحر المشبه بتفصيل السراويل . وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبين على مدى غير بعيد . وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم .

١٥

(١) لله : " حيث " . [والكلمة الآتية في الأصل ربما يصح التصحيح بها .]

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربي الآخذ إلى الجنوب.

أنهار الربع الثاني

وبه نهر ينصب من جبل قاف، مازا في الشمال إلى خط الاستواء حتى ينصب في البحر الهندي شرقاً قبة أرين .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الماز على غربي مدينة لقمرانية حتى ينصب عند خط الاستواء في البحر الهندي .

ومن ذلك نهر النيل . وهو النهر الأعظم الذي لا يعدله في عظيم نفعه شيء . لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأمم . وهو ينصب من جبل القمر . وقد قدمنا عند ذكر الجبال طرفاً فيه ، وإن كان لامقال يوقيه ؛ لأنه إحدى الكبائر ، وأولى العبر ؛ آية من آيات الله في أرضه ، وعجيبة لمن تأمل من خلقه . ساقه الله تعالى إلى مصر وأحيا به بلدة ميتا وسقاه أمة عظمت^(١) . وإن لم تكن هي المتفردة بنفعه ، فإنها كالمتمردة به : لعظيم منفعتها منه وعيم مصلحتها به . يحيى إليها أحوج ما كانت إلى مجيئه . وينصرف أحوج ما كانت إلى أنصرافه . وذلك تقدير المميز العليم . **فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** .

وفيه يقول القاضي الفاضل : " النيل المصري الذي يكسو القضاء ثوباً فضياً ، ويذكر في الأرض ماؤه سراجاً من النور مضيئاً ؛ ويتدافع تياره دافعا في صدر الخلد بيد الخصب ، وترضع أمهات خلجانه المزارع ، فتأتي أبناءها بالمصف والائب " . وفيه

كثيران القاضي
الفاضل

(١) لعل الأوجه : أحيا به بلدة ميتا وسقاه أمة عظمت .

يقول أيضا: "وأما النيل فقد أمتدت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يُعرف الآن بمصر قاطبة نهر سواء، ولا من يرجي ويُخاف إلا إياه".

- ونحن نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم: إن النيل ينصبُّ عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم الذكر. كل خمسة أنهار من شُعبة. ثم ينبعُ تلك العشرة الأنهار في بحيرتين: كل خمسة أنهار تبحر بحيرة بذاتها. ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قافولى، ويمتد إلى مدف هناك، ثم يصب في البحر الهندى. ثم يخرج من تلك البحيرتين ستة أنهار. من كل بحيرة ثلاثة أنهار، ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة.

أصول النيل

(١١)

- حدثني أفضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى، أن الأمير أبا دبوس ابن أبي العلأ أبي دبوس ووالده آخر سلاطين بؤ العدة من بنى عبد المؤمن حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة، في أيام هربه من بنى عبد الحق، ملوك بنى مرين القائمين الآن.

وصول آخر سلاطين بنى عبد المؤمن إلى منبع النيل

رجعنا إلى ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة. فنقول.

وصف البحيرة التي يخرج منها النيل

- وفي تلك البطيحة تضريسة جلي: يُفَرَّق بها الماء نصفين. ١٥ يخرج النصف الواحد من غربي البحيرة. وهذا النصف هو المعروف بنيل السودان. ويستقل نهرًا يسمى بحر الهمادم. يأخذ مُقَرَّبًا ما بين سمفرة وغانة، على جنوبي سمفرة وشمال غانة. ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا إلى غانة، ثم تمر على مدينة برسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبها خارج عن خط الاستواء إلى رُقيلة.

دراعا النيل عند منبعه

- (١) هو المعروف في الجغرافية الحديثة بنهر النيجر For Niger.

ثم يتبحر في بحيرة هناك . وتستمر القوقازية مغربية إلى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط ، شمالي مدينة قَلْبُو .

ويخرج النصف الآخر مقشاملا آخذا على الشال إلى شرق مدينة جِيْنِي . ثم ينشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا إلى مدينة سَحَرَة . ثم ترجع جنوبا ، ثم تعطف شرقا بجنوب إلى مدينة سَحَرَة . ثم إلى مدينة مركة ، متبها في العود هناك إلى خط



الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة علم عليها في لوح الرسم سله . ويحجر بحيرة هناك .

مرور النيل
في بلاد السودان

ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرق مدينة شيمي مقشاملا آخذا على أطراف بلاد الحبش . ثم يتشامل على بلاد السودان إلى دُقْلَة ، حتى يرى على الجبال إلى أسوان إلى قوص ، منحدرًا ينسقي بلاد الصعيد شرقًا ، حتى يقابل قرية تعرف بذرورة سَريام . وقد تعرف الآن بذرورة الشريف : نسبة إلى الشريف ابن ثعلب ، الثائر في الأيام الظاهرية الركنية بالصعيد ، لمقامه بها .

بحر يوسف بمصر

وينشعب منه في غربيه شعبة تسمى المني . تستقل نهرًا يصل إلى الفيوم . يقال إن يوسف (عليه السلام) أحضره أيام توليه لأُمُور ملك مصر . وهو يعرف إلى الآن بحر يوسف . وهو نهر لا ينقطع جريانه في وقت من أوقات السنة ، بخلاف بقية ما ينشعب بالديار المصرية من خُلجان النيل . فيسقى الفيوم عاتمة ، سقيا دائما لا ينقطع . ثم يحترق فاضل مائه في بحيرة هناك .

مشاهدة للزوار
في بحر يوسف

ومن العجب - وهو مما رأيته بعيني - أنه ينقطع ماؤه من قُوْهَتِه أوانَ انقطاع المياه من خُلجان الديار المصرية ، ويندّي دون قُوْهَتِه ، ثم يكون له بلل دون المكان

(١) هي بهذا الضبط في معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروط الشريف (أو بيا) قبل الرد . وهو تصحيف جرى على ألسنة العامة واستغاض .

النسدى، ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان الليل، ثم يستقل نهرا جاريا لا يتقطع إلا بالسفن . وينشعب منه أنهار، وتنقسم قسما تم الفيوم لسقى قرآه ومزارعه وبساتينه وعطاة أماكنه .

ثم نعود إلى ذكر عمود النيل المحتد : فنقول .

عمود النيل
في الصعيد

- ٥ إنّه من دروة سرام حيث ينشعب المنهى يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقا إلى مدينة القسطنطين (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر) حتى يتعداها . ثم يتفرق فرقتين : تأخذ إحداهما على دمياط، والأخرى على رشيد . وعندها آتياه النيل، ويصب في البحر الشامي .

٤٨٨

- ومن مبدأ حيوطه من أسوان مازا في الصعيد إلى أن تصب فرقته في البحر الشامي، تنقسم منه البحار والأنهار، وتنشعب منه الخللج والمساقي . تجري في زيادته . وتنقطع في قصه .

- وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدكالي (وهو من أقام بمالي نسا وتلاين سنة . مضطربا في بلادها، مجتمعا بأهلها)، قال : ” المستفيض ببلاد السودان أن النيل في أصله ينحدر من جبال سود تبارك على بعد كان عليها الغمام . ثم يتفرق نهرين : يصب أحدهما في البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي، والأخر يصل إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي “ .

هذه مفرق في أقام
السودان ٣٥ سنة
وأصح المؤلف عن
أصل النيل

- ١٥ قال الشيخ سعيد الدكالي : ” ولقد توغلّ في أسفار في الجنوب مع النيل . فرأيتّه متفرقا على سبعة أنهر، تدخل في صحراء منقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة، (١) وأسمها الآن مصر القديمة، ومصر النيقية . (٢) هو نهر النجر الذي سبق الكلام عليه في صفحة ٦٨ وحاشيتها .

هذه هذا الماء
في الأسفار لمرة
مع النيل

وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعا . كلا الرويتين في بلاد السودان . ولم
أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها ، إذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها .

استلاف الأقوال
في أصل النيل

قلتُ : والأقوال في أول مجرى النيل كثيرة . ذكر فيها المسعودي وغيره مالا فائدة فيه .
والشائع على ألسنة الناس أن أحدا ما وقف على أوله بالمشاهدة . وجعل كل واحد
منهم سببا لعدم الوقوف على حقيقة أوله .

فقال بعضهم : إنه انتهى أناس وصعدوا الجبل فرأوا وراءهم بحرا عجاجا ، ماءه
أسود كالليل ، يشقه نهر أبيض كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ،
ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك . وزعموا أنه هرمس المرامسة ، وهو المسمى
بالمثلث بالحكمة^(١) . وزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام . بلغ ذلك الموضع وبنى به
قبة . قالوا : وسمى بالمثلث ، لاجتماع الثلاثة له : النبوة ، والحكمة ، والملك .

وقال بعضهم : إن أناسا صعدوا الجبل ، وبقى كلما تقسم منهم واحد ، ضحك
وصفق بيديه وألقى روحه إلى ما وراء الجبل . تخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك ،
فرجعوا .

وزعم بعضهم : أن أولئك إنما رأوا حجر الباهت . فبقى كل من رآه منهم ، ضحك
وتقدم إليه وألصق به ، حتى مات .

روايات عن بحث
ملوك مصر
الأقدمين عن
أصل النيل

وسياتي إن شاء الله مذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو في خاصية هذا الحجر .
وقال بعضهم : إن ملكا من ملوك مصر الأول جهز أناسا للوقوف على أوله .

(١) في الأصل : أن .

Triomphiste (٢)

فاتَّوْا إلى جبال من نحاس، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها،
أحرقت غالبهم فرجع البقية .

وقال بعضهم : إنهم آتَوْا إلى جبال بَرَاقة لماعة كالبلور . فلما انعكست عليهم
أشعة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم .

وقال بعضهم - وهو الصحيح - والله أعلم : إنه لتوغل منبعه في الخراب المنقطع
من وراء خط الأمستواء، تضرر السلوك إليه : لبعده المسافة وشدة الحر .

فان قال قائل : فما منع قدماء الملوك - مع ولهم بمعرفة أحوال البلاد وحفائقي
ماهي عليه، أن يجهزوا من يقف على حقيقة أزمه ؟ قلنا له : وأى فائدة نرى ركوب
هذا المهلك في أرض لا ينبت بها نبات ولا يعيش حيوان^١، ولا يعرف مقدار
ما يستعد له المسافر، ولا ما يستظهر به الظهور^(١) .

وإنما غالب ما يقال في هذا (والله أعلم) مما أظهره نظر العلم لانظر العيان .
والله من ورائهم محيط .

وإذ فرغنا من الكلام في النيل، فلنذكر بقية الأنهار الشهيرة الواقعة في هذا الربع
الثاني . فقول :

- (١) مما يجب ذكره في هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف
تسمية النيل . فمضى شراء عبدة صغار زبرج وما شاكلهم . جلب لم يستمريرا . وسلمهم لصيادي السمك
ونشارة يعطوهم صفة البحر وسيد سمك وأن يكون قوتهم من السمك لاغير . فاذا مهرؤا في ذلك تصع
فهم مراكب صغار ليكبوا بها و يأتيوه بنهر النيل . (انظر مطالع البدور في مآزل السرور، ج ٢ ص ٧٤)
[والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظرا للاضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أولا بهجوم
الصلبيين وثانيا ففرض السلالة الأيوبية . وهذا المشروع قد تم بفضل اسماعيل خديو مصر الكبير في هذا
العهد الجديد .]

رأى المؤلف في أن
هذه الأقوال مبينة
على نظريات
'علمية' لأعلى
المشاهدة

بقية نهار الربع
الثاني

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبه برأس صاڤ بالخط المغربي [ح].
 يأخذ أحدهما مشرقاً ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاى،
 شمالى كوكورة وجنوبى محالان جاى . ثم يخرج مشرقاً إلى بحيرة أخرى يتجر بها
 غربى مدينة زافون . ثم يخرج متشاملاً شمالاً بغرب ، على غربى أرض الملح السواخة .
 ثم تنشعب منه شعبة تأخذ جنوباً إلى مدينة أودغست^(١) وتستمر سائرة نهراً ماذا إلى
 مدينة فاس . فيصب في البحر الشامى .
 وثانيهما ينصب آخذاً إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر
 الشامى .

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وبجلماسة ماذا بين أسبى
 والمزمة حتى يصب في البحر الشامى ، شرق طنجة . ١٠
 ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان : تجرى من
 جنوب بجلماسة ، واحداً بعد واحد . وتصب الثلاثة مفرقة في البحر المحيط .
 ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المشبه بتعينة لا معلقة بالخط المغربي [لا]
 وراء خط الاستواء . يصب في المحيط . وقد تقدم ذكر بعض هذه الأنهار ، في ضمن
 ذكر الجبال . وذلك جميعه منقول من خط الرسم .

(١) كذا في باقرت أودغست مضبوطة بالعارة ، وكذا في تجميع البلدان إلا أنه نص على إهمال القال .
 وفي الأصل أودغش ولعله تصحيف من التاج .
 (٢) في الأصل . "وتصير" .

والربع الثالث

أنهار الربع الثالث

من هذه الأربع المقسومة وهو الغربي الآخذ إلى الشمال، به ما يذكر من الأنهار:

نهر إشبيلية
أو الوادي الكبير

فمن ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصب من الجبل الفاصل بينها وبين قرطبة، وينصب في البحر الشامي. وهو من أحسن الأنهار وأجلها، محفوف

- بالبساتين والدور والقصور. ومضت فيه - أيام ملك المسلمين لها - أوقات مسرة وهوى.

وحكى الفتح بن خافان، قال: "ركب عبد الجليل بن وهّيون، وأبو الحسن غلام البكري

من إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشدّ سوادا من طرف الظلي النافر،

ومعهما غلام وضئ قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه. على غصن بان من قوامه؛

وبين أيديهم شعثان قد أزرنا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب

- نورهما بلّين الماء. فقال عبد الجليل آريجالا:

كأتما الشمعتان إذ سمنا * خذا غلام محسن الفيسد.

وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى إلى كبدى.

وقال غلام البكري^(٢):

أحسب بمنظر ليلة ليلا * متجنى بها اللذات فوق الماء.

- في زورق يهوى بفرّة اغيد * يختال مثل البانة الغنماء

(١) هذه السمات ينهر أباها من صفة أين فضل الله. وإلا فالذي في "فلاذ القيان" (ص ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤)

وفي "فتح الطيب" (ج ١ ص ٤٣٥ من طعة أوربة) يخالفها، وهما متماثلتان أيضا في بعض الألفاظ.

(٢) هنا سمات أعلاها مؤلفا.

(٣) في النسخ: متجنى.

قَرَنْتَ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بَوَجْهِهِ * كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجَوْزَاءِ .

وَالْتَّاحَ فَوْقَ الْمَاءِ ضَوْءُهُمَا * كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ .

قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا النِّهْرِ أَخَذْتُ إِشْبِيلِيَّةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ " لَسَبُ إِشْبِيلِيَّةٍ عَقْرِيَّهَا ،
وَسَاوَرَهَا أَرْقَمُهَا " . يَرِيدُ بِالْعَقْرِ شَرَفَهَا الْمَطْلُ ، وَهُوَ عَقْرِي الشَّكْلُ ، وَبِالْأَرْقَمِ
نَهْرَهَا . قَالُوا : وَهُوَ مِنَ الْمَجَانِبِ .

وَحَكِي بْنُ ظَافَرٍ ، قَالَ : " رَكِبَ [الْأُسْتَاذُ] (٥) أَبُو مُحَمَّدٍ بِنَ صَارَةَ [مَعَ أَصْحَابِهِ لَهُ] (٦)
فِي نَهْرِ إِشْبِيلِيَّةٍ فِي عَشِيَّةٍ سَالَ أَصِيلُهَا عَلَى الْخَيْنِ الْمَاءِ عَقْبَانَا ، وَطَارَتْ زَوَارِقُهَا (٧)
فِي سَمَاءِ اللُّهُو عَقْبَانَا ، وَأَبْدَى نَسِيمُهَا مِنْ الْأَمْوَاجِ [وَالدَّارَاتِ سُرًّا وَأَعْكَانَا ،
فِي زُورِقٍ يَحْوِلُ جَوْلَانِ الطَّرْفِ ، وَيَسُودُ أَسْوَدَادَ الطَّرْفِ] . قَالَ بَدِيًّا :
تَأْتِلُ حَالَتَا الْجَوْطِ طَلْقُ * مَحْيَاهُ ، وَقَدْ طَفَلَ الْمَسَاءُ .
وَقَدْ جَالَتْ بَنَاتُ عَذْرَاءٍ حُلِيٍّ * تَجَادِبُ مِرْطَلَهَا رِيحُ رُخَاءٍ .
بِهَرِّكَالْجَنِّجَلِ كَوْثَرِيَّ * تُعَيِّسُ وَجْهَهَا فِيهِ السَّمَاءُ .

(١) فِي التَّلَاذُّدِ فِي الْفَحْ : تَحْتُ .

(٢) لَسَبُ : بِمَعْنَى لَدَغُ .

(٣) هُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ عِنْدَ أَهْلِ إِسْبَانِيَا بِاسْمِ Aljarafe .

(٤) أَوْرَدَهَا صَاحِبُ نَهْجِ الطَّيِّبِ عَنِ الْبَدَائِعِ بِرَوَايَةِ قُرْبَةِ جَدَّامِ . رَوَايَةُ آيَنَ فَضْلِ اللَّهِ (ج ٢ ص ٢١٥)

(٥ وَ ٦) الزِّيَادَةُ مِنْ " بَدَائِعِ الْبَدَاةِ " .

(٧) فِي الْبَدَائِعِ : سَالَ أَسْهَلُهَا . وَهُوَ غُلْظُ مَطْبَعٍ . [وَوَرَدَتْ بِالصَّحِيحِ فِي نَهْجِ الطَّيِّبِ] .

(٨) فِي آيَنَ فَضْلِ اللَّهِ : جَوَارِيهَا [وَقَدْ اسْتَحْسَنَتْ رَوَايَةَ نَهْجِ الطَّيِّبِ] .

(٩) فِي الْفَحْ : التَّهَرُّ . [وَقَدْ اسْتَحْسَنَتْ هُنَا رَوَايَةَ الْبَدَائِعِ وَآيَنَ فَضْلِ اللَّهِ] .

(١٠) فِي الْبَدَائِعِ : وَطَارَتْ زَوَارِقُهَا فِي سَمَاءِ الْمَاءِ عَقْبَانَا . وَرَوَايَةُ آيَنَ فَضْلِ اللَّهِ أَفْضَلُ .

(١١) الزِّيَادَةُ عَنِ الْبَدَائِعِ وَالْفَحْ .

ولما وقف عليها ابن خفاجة، استحسنها واستطرفها وأستطابها، فقال يعارضها،
على وزنهما ورويتها وطريقها:

أَلَا يَجِبُ إِذَا صَحَّحْتُ الْحُمَيَّا * بِحَاتِبِهَا، وَقَدْ عَبَسَ الْمَسَاءُ!
وَأَدْهَمُ مِنْ جِيَادِ الْمَاءِ نَهْدُ * تَسَاوَعِ حَبْلُهُ رِيحُ رُخَاءُ!
إِذَا بَدَتْ الْكَوَاكِبُ فِيهِ غَرْقُ * رَأَيْتِ الْأَرْضَ تَحْمِلُهَا السَّمَاءُ.

ونهر سَرَقُطَّة، وهو نهر جليل كبير متسع الجوانب.

نهر سرقطة

وذكر ابن خاقان أن المستعين بن هود ركب هذا النهر يوما لتفقد بعض معاقله،
المتظلمة بجسد ساحله. وهو نهر غزر مائه وراق. وأزرى على نيل مصر ودجلة^(١٦)
العراق. قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلها عليه، فاكاد عين الشمس^(١٧)
تنظر إليه. هذا على أنساع عرضه، وبعد سطح مائه وأرضه. وقد توسط زورقه^(١٨)

(١) في البدائع وأن فضل الله: الليل. وقد استحسن رواية فتح الطيب.

(٢) في الفتح: تحدها.

(٣) يشير إلى فلاند العقيان (ص ١٨٥ و١٨٦). والحكاية بنصها وبعضها في بدائع الدلائل (ص ٢١٤).
وأفترق فتح الطيب طبع بولاق (ج ١ ص ٤٢٥ ج ٢ ص ١٨١). ولكن السجلات التي في الفلاند هي
مخالفة بالحكاية التي أوردتها ابن فضل الله عن البدائع، والتي قلها أيضا صاحب فتح الطيب. وأفترق مع
الطبيب، طبع أدروية (ج ١ ص ٣٠٥ ج ٢ ص ٨١٨).

(٤) في البدائع وفي الفتح: ري. وهي أدق.

(٥) في الفتح: وزرى.

(٦) في الأصل: على نهر نيل مصر.

(٧) في البدائع: ودجلة والعراق. والوارد الثانية زائدة بالطبع في أثناء الطبع.

(٨) في البدائع: أن تنظر. ورواية ابن فضل الله أفضل، ومنها في الصح.

(٩) في البدائع: وبعد سطح الماء من أرضه. وهذه الرواية أحسن وأمتن. وفي الفتح: وبعد سطح
مائه من أرضه.

زوارق حاشيته توسط البدر للهاله، وأحاطت به إحاطة الطفاوة بالنزله . وقد اعتوا
من مكاييد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتى] حوت السماء . وأهله
الحالات طالمة من الموج في سحاب، وقانصة من نبات الماء كل طائفة كالشهاب .
فلا ترى إلا صيودا كصيد الصوارم، وقنود الهازم، ومعاصم الأيكار النواعم . فقال
الوزير أبو الفضل بن حسداى، والطرب قد استهواه، وبديع ذلك المرأى قد استرق
هواه، وأرتجل :

لله يوم أنيق واضح الفرر * مفضض مذهب الأصال والبكر!
كأنما الدهر لما ساء، أعتبا * فيه بعثي وأبدى صبح معتذر.
نسير في زورق حف السفين به * من جانيه بمنظوم ومتثر.
مد الشراع به نثرا على ملك * بذ الأوائل في أيامه الأخر.
هو الإمام الهام المستعين حوى * علياء مؤمكي في هذي مقتدر.
تحوى السفينة منه آية عجا * بحر تجمع حتى صار في نهير.
تثار من قعره التينات مضمدة * صيدا كما ظفر القواص بالدرر.
وللشدائى به عب ومبر تسف * كالراح تعذب في ورد وفي صدر.
والشرب في ود مولد خلقه زهر * يذكره وغرته أبهى من القمر.

(١) في آت فضل الله وفي الفتح : الموج .

(٢) في الفتح : كقصه .

(٣) في البدايع : حداء . وهو غلط مطبوع .

(٤) في فتح اليب شرح لطيف وافي على هذا الجمع (ج ٢ ص ١٨١ ، ١٨٢) .

(٥) في الأصل : كالريق ، وكذلك في الفتح ، وفي القلائد . [وأعتمدت رواية البدايع] .

(٦) في البدايع وفي آت فضل الله : ويجه . [وأعتمدت رواية القلائد والصح] .

بنة أهارا الأندلس ومن ذلك نهر ثان ينصب من ذلك الجبل أيضا . يزل على مدينة البيرة . وينصب إلى المحيط .

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل الفاصل بين طليطلة ووادي آش . المنبئ بسفحه الجنوبي قبة الزهرة . يأخذ الأول منهما جنوبا إلى قرطبة ، وينصب في البحر الرومي . ويأخذ الثاني شمالا بين بطليوس وقورة ، وينصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر ينصب وراء خليج البنادقة ، من وصلة الأثم الخارجة من البحر الشامي ، شرق رومية الكبرى . يأخذ من هذا النهر غربا شمالا على مدينة بطيرة شمالا قرنية . وينصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط ، حيث يسئ بجبل فاقونا أخذا شرق مدينة سوسية إلى مدينة قسطنطينية العظمى . وينصب في البحر الرومي عندها .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المحيط المذكور . شرق هذا المصب ، أخذا على بلاد الصقل ، ما زنا شرق بلاد الحركس والماسجار إلى أن يتنهي إلى مدينة قروم وينصب في بحر بطنس^(١)

ومن ذلك نهر ينصب من جبال همسان وخلاط من شمالا ماردين ، أخذا على شمالا ملطية ، حتى يشق بين مدينتي شهر وقمر . وينصب في البحر الشامي . ومن ذلك نهر جيحان . يخرج من بلاد الروم تحت حصن المنقب . يأخذ ما بين عين زربا وكفر بنا . ثم يمتد إلى المصيصة وينصب في البحر الشامي .

(١) في نفوس منط بضم الطاء بالعبارة ونص على إهمال السين . وفي الأصل : ينطش . وهو تعريف من الساسخ شاع في كثير من كتب العرب . وقد سبق التنبيه على ذلك في حاشية صفحة ٥٧ . وسنبري على التسمية المتعددة في بقية الكتاب . لأن هذا الاسم مأسوذ عن اللغات الافرنجية وهو المعروف عندهم باسم Pont-En-ven واسمه الجغرافي عند الفرنسيين Pont-En-ven .

ومن ذلك نهر سِيحَان . يخرج من شماليه ويمر على أَذْنَه ^(١) . ثم يصب في البحر الشامي .

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار : منها اثنا ينصبان من الجبل الأثم المذكورة ؛ وثمانية تنصب من الجبلين المكتنفين شرقا وغربا لبحيرة جَارَس ، يزل من كل واحد منهما أربعة أنهار . تنصب هذه العشرة الأنهار في هذه البحيرة المذكورة .

ومن ذلك أربعة أنهار تنصب من جبال الديلم : يزل الأول غربي أرجان ، ويليه الثاني يزل من شرقيه ، ويليه الثالث يزل من شرق المسن ، ويليه الرابع يزل من سابور . وتنصب الأربعة في البحر الهندي .

- ١٠ . ومن ذلك نهر دَجَلَة . يصب من جبال شهرزور وآمد . ويمتد بين آمد وميافارقين إلى الموصل . ثم يمتد الزابان : الزاب الأكبر والزاب الأصغر . وهما نهرا ن كبيران . ثم يأخذ إلى تكريت غربي ديار بني سَيَّان (تَامَرِيٌّ وَمُعَكَّبَرٌ وَالِدَادَان) إلى بغداد . ثم يتشعب ما بين بغداد والمدائن ، جنوبي بغداد وشمالي المدائن شعبه منه ، يأخذ منه شرقا محضا ، هو المسمى بالنهروان . ثم يمتد عمود دجلة مستقيما على الجنوب ، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جَرَّجَرَاءَ جنوبي النعمانية ؛ وشرقي جبل جَرَّجَرَاءَ شعبه أخرى ، ١٥ . تأخذ شرقا محضا ، تمر بين حُلُوان و بَغْدَاد ، ثم يمتد عمود دجلة إلى واسط . فإذا عداها إلى سوادها ، لا بقاه أَقْرَاتُ هنالك . ويجتمع الكل إليه نهرا واحدا ، يمتد إلى المَنَظَع . ويتشعب منه نهر مَعْقِل ، وهو النهر المشهور . وينصب بعضه إلى بطائح البصرة .

(١) هي المدينة التي يسما الترك الآن : أَلَمَة ، مما للاختلاط في الكتابة بينها وبين أدره .

(٢) في الأصل : لآله .

(٣) الذي يقال فيه : إذا جاء نهراؤه ، بطل نهرا سفل .

ويستدير باقيه بالمربد والأبلة شرق البصرة. ثم يمد عمود دجلة مستقيماً على الجنوب. ثم تنشعب منه شعبة أخرى صغيرة، تسمى على جنب الأبلة قششق أرضها عرساً، وتلاقى الشعبة المستديرة بها. ثم يمد عمود دجلة آخذاً جنوباً إلى عبادان. ويصب هناك في البحر الهندي.



نهر الفرات

- ومن ذلك نهر الفرات. يصب من جبال الروم ويأخذ على ملطية، إلى مُمَيْسَاط، إلى الرقة، إلى قرقيسيا، إلى الرجة، إلى الدالية، إلى عانة، إلى هيت، إلى الأنبار. ثم تنشعب منه أنهار: منها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر الملك، ونهر صورا، ونهر الصرة، وهو المشهور، وإياه غنى الشاعر في شعره. بقوله:

أوما وجدتم في الصرة ملوحة * ثما أرقق في الفرات دموعي؟

- ثم يمتد عمود الفرات ويمتد ما بين القسرين والكوفة على بابل. ويستدير منه شعبٌ بخانقين، وتكون هي جزيرة بوسطه. ويصب ذلك الشعب من تحت خانقين في بطائح الكوفة. ثم يأخذ عمود الفرات فوق خانقين من حيث أستدار ذلك الشعب عليها ما تلا على الجنوب مشرقاً. ثم ينشعب منه شعبٌ آخر إلى بطائح البصرة. وينعطف عمود الفرات آخذاً شرقاً بشمال على وراي خليل إلى سواد واسط. ويلاق هناك دجلة. ويتجمع عمودهما هناك نهراً واحداً، حتى يصب غربي عبادان، في البحر الهندي.

- ومن ذلك نهر الساجور. يصب من جبال الروم آخذاً شرقاً حتى يُحاذي مَنبِج. ثم يصب في الفرات. وينشعب منه شعبٌ لولاهما لم يُذكر الساجور. وهو نهر يسمى قُوق. يمد من مغارب إلى أن يتدل حلب. ويسق الأرض والمزارع. وبتناهي إلى شرق قسرين. ويحترق هناك بحيرات لطيفة. وإنما ذكرناه لشهرة نهر قُوق. ولهذا علمناه بالأحمر.

نهر الساجور

نهر قوق

النهر العاصي

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي . يصبُّ من وراء نهر بعلبك ، من منابع شتّى في وطاءة أرض . قلتُ من قرية تعرف بالبوّة ومغارة الراهب . ثم يأخذ شمالاً مائلاً حتى يقارب غربي حصص . فيصبُّ هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع . ثم يخرج منها ويمتد غربي حصص إلى حماة إلى شيزر إلى أقميّة . فيصب في بحيرة بها . ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب . إلى ديركوش . إلى بلد يعرف بالإقليم . ثم يتدلّ العمق إلى أنطاكية إلى السويدية . ويصب في البحر الشامي ، حيث ينطفئ هناك . وقد سميّا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد على الشام شرق طرابلس المستجدة البناء ، حيث يسمّى الجبل هناك بلبنان . يجري من قرية تعرف الآن برشعين ، فيدخل تحت قناطر معقودة جدها الارنس حين غلبت الفرنج على طرابلس ، تُعرف به . فيشق المدينة المستجدة ويصب في البحر الشامي .

نهر بردى

ومن ذلك شهر برداً . ويخرج من عين في صحراء الزبداني بين بعلبك وبين دمشق . ثم يمتد نهر يخرج من الجبل الممتد على الشام من مكان يعرف الآن بالقيجة تحت حصن عزّتا ويمتد إلى دمشق . ويتقسم قبلها وبعدها أنهاراً ، يعم دورها وبساتينها ، ويسقى بعض قراها ومزارعها ، ثم يحرف فاضل مائه شمالاً في القوطة في بحيرة هناك .

(١) إشارة إلى ما فعله السلطان قلاوون حين أخذه من الفرنج فانه هدمها . ثم بنى المدينة الجديدة الباقية إلى الآن بيّدة عن مكان الأول التي كانت واقعة على البحر مباشرة .

La Prince. (٢)

(٣) المشهور بكتابه باليا . ردى . وهو نهر دمشق المشهور

(٤) وهذا الاسم باق إلى الآن . ويرف المكان في عصرنا بين القيجة . وقد جرّوا منه الماء في أنابيب إلى مدينة دمشق

ومن ذلك نهر الأردن^(١).

ولا يسمى بهذا الاسم إلا حيث نخرج من بحيرة طَبْرِيَّة. ويسمى الآن الشريعة. ويشق وادي كنعان شقاً في الطول حتى ينتهي إلى بحيرة زُغَر (وهي سَدُوم، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالْمُنْتَنَة)، والوادي بالفور. وله في كل مكان اسمٌ بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرى التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والمهرماس. وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاحَة، وهي عين بيضة العمق جداً، ونهر بانياس.

وتسمى هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية. وترى تحت جسر يعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية. ثم تمتد فتتلاقى هي والشريعة القبلية بقرية تعرف بالبقرارية، وإتيان جسر الصنيرة إلى الجسر العادل، وهو تحت عَقْبَة فيق، قرب الديرا الأسود، ثم تأتي جسر شامة المقارب لقرية المجامع، وتمتد فيلحقها نهر الزرقاء، دون دامية. ثم تمتد ترمى في البحيرة المنتنة.

وسنذكر أصل الشريعة الشمالية. وهومن دير المَرْير والجولان والريموك ووادي الأشعرى والفوار والمدان، مع ما يضاف إلى ذلك من ينابيع. ويحصل من البلاد المرتفعة، ويجتمع تحت حمة جَدْن. وهي تحت فيق، وعليها قبو معقود ببناء خشن طويل. وبه أحواض. يقال إن كل حوض لعلة من العليل يربثها، بإذن الله، إذا أَسْتَحْمَ منه العليل بها. قالوا: ولم تزل على هذا حتى أتى بعض قدماء الحكماء فهدم القبو والأحواض وجع الماء كله إلى مجرى واحد. إلا فرعين تركهما: أحدهما إلى به ريح، والثاني إلى به جرب. والماء الصّعل لسائر الأسقام. وماء هذه الحمة عذب. وآثار الأبنية باقية.

(١) في الأصل بياض مقدار خمسة سطور. وضع المؤلف بهذا تحريجة مضافة على صحائف الكتاب

وهي عبارة عن الكلام التالي.



الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرق الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكر من الأنهار: أنهار الربع الرابع

فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبه بصليب ذهب أحد شعبه.

ينصب أحدهما من جنوبي هذا الجبل واقعا شرقي مدينة طغان الواقعة في شمال هذا الجبل بغرب. يمر بين طغان وتركستان مغزبا، حتى يصب في بحيرة خلّاط.

والنهر الثاني منهما ينصب من شرقي هذا النهر الأول وعلى سمته. يمتد نهر، ثم يتشعب على شعبتين: الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شمالاً مدينة طغورا مشرقاً على قصر الدّھال المقارب لبلاد كنفد، ثم ينعطف آخذاً إلى الجنوب يسوق بلاد الهند حتى يصب في البحر الهندي، شرق كوام. والشعبة الثانية منهما تأتي جنوبي الأرض المحفورة، على ما قيل، حتى تصب في البحيرة البلاءة.

ومن ذلك نهر ^(١)أيسل. وهو المركب عليه مدينة السراي. ويخرجه من عين تنبع في ذيل جبل قافقونا، ثم يقبل الجنوب آخذاً بغرب في صحاري القبحاق على شمالي معادن القضة، حتى يصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهران ببلاد الخطا، نازلان من الجبل الغربي من جبال المحيط بها. يأخذ الشمالى منهما مشرقاً ويحمر جنوبي خانباليق. ثم يمتد مشرقاً بجنوب حتى ينتهي إلى المائلي والآخري ينتهي إلى باش بالي. وينتهي عندهما.

(١) أنظر حاشية ١ ص ٥٩.

(٢) سبق ورود هذا الاسم: المائق، بغير وصل

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين . ينزل على قراقوم
ويأخذ مشرقاً على بلاد المياطلة^(١) حتى يصب في بحيرة السودان هناك .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد من وراء العوج . ينزل من شرقيه
على مدينة قلندر . ويمر في بحيرة هناك .

٥٦

ومن ذلك نهر يسمى نهر الطيب . يخرج من قشدير السفلى .
ومن ذلك نهر ينزل من الجبل ، شمالي السد حتى يصب في بلاد عبدة الشياطين ،
في بحيرة هناك ، تسمى بحيرة الشياطين .

نهر الطيب

ومن ذلك نهر جيحون . ينزل من جبل قاقونا . ويمتد أنهار من جبال تيمه فيمتد
حتى يخرج من هذا الريح إلى الريح الغربي القسم له . فيصب في بحر طبرستان .

نهر جيحون

ومن ذلك نهر سيحون . الآخذ على بلاد فرغانة ويمتد نهر الشاش ويخرج إلى
حائط عبد الله بن حيد حتى يصب في بحر طبرستان .

نهر سيحون

ومن ذلك نهر السغد . ينصب من جبال البتم ، وينتهي إلى بخارا ، ويمر في بحيرة
هناك .

نهر السغد

ومن ذلك نهر مكران . ينصب من جبل الديلم فيمتد أخذاً على مدينة الحمديّة .
على كرمان إلى بلاد السند .

نهر مكران

١٥

ومن ذلك نهر عماس . في بلاد الترك .

نهر عماس

(١) Les Huns .

(٢) أي بستان .

ومن ذلك الأنهار العشرة . الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط، وتمتد أنهار من جبال النواذر الواقعة شرق الصين حتى يصب في نهر حمدان، ثم يمتد الجميع نهرا واحدا حتى يصب في المحيط .

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم . وهو يتزل من جبال أرمويه وغانوس على مدينة اطراغا، ويحمر هناك . ثم يمتد مشرقا إلى مدينة لوفر . وينعطف في الصين حتى تلاقيه هناك الأنهار العشرة، أعني المتقدمة الذكر، دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأول . يقال إنه يصب به نهر كل المنصب من الصين الداخل . ويمتد الجميع نهرا واحدا موغلا في الفرجة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهندي، إلى وراء خط الاستواء . ثم يصب هناك في البحر المحيط .

ومن ذلك نهران : أحدهما نهر الكر^(١) والآخر نهر الرّس . يصبان من جبل الديلم نهر الكر^(١) ويصبان من جبل الديلم يسمى جبل قابولا . ويحمر الكر على تفليرس . ويلقى الرّس نهر يتزل من سبلان بين ترزند ووزان، ثم يصب الكر جنوبا شروان . ويصب الرّس غربيه . كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان .

ومن ذلك نهر يسمى الآن قراصمو^(٢) . وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وتماخي ويسكب في بحر طبرستان .

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس . يأتي على شرق المكان المسمى الآف صحراء بيلسون . ويصب في بحر طبرستان .

(١) في الأصل : أحدهما على نهر .

(٢) في الأصل : قرانوا [وهو تحريف ظاهر] .

ومن ذلك - على ما قيل - نهران يتزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج
وماجوج. يتزل أحدهما جنوبى السد، والآخر من شماليه. وهكذا صوره صاحب
جغرافيا في لوح الرسم.

فهذه هى جميع الآثار المشتهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . ولم نُخَلِّ منها
إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره فى لوح الرسم . وإن كان . فهو القليل . وفيما
ذكرناه كفاية .

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة . ونحن قسمها على نصفين : نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً .

فالنصف الأول هو الشرق فيه ما يذكر من البحيرات :

٥ من ذلك بحيرة كيأما . بحيرة القمر الخارجة عن خط الاستواء . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة مَرَنك بالهند . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة ، شرقى قراقم بشمال . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة بخارا . وهي عذبة .

١٠ ومن ذلك بحيرة خوارزم . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة تهامة . يصب بها نهر انكش في بلاد الترك .

ومن ذلك بحيرة زَرَه ببلاد بيجستان . وهي ملح .

وذلك على ما نقل في لوح الرسم .

والنصف الثاني وهو الغربى ، به من البحيرات ما يذكر . :

١٥ فن ذلك بحيرات النيل الثلاثة .

اعلاها بحيرتان ، حيث تنصب في أوله ، ثم البحيرة الكبرى التي دونهما وتسميها
البحيرتان اللتان
يخرج منهما النيل
البلطجة .

ثم بحيرة الفيوم ^(١) ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان خلف بلاد غانة . وهي عذبة .

بحيرة الفيوم وهي
غير التي في أرض
مصر

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا . وهي عذبة . ولم ننبه على أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لتعلم أن أرضهما لم تغير ماءهما ولا أفسدت طعامهما .

بحيرة الفيوم بمصر

ومن ذلك بحيرة زاقون . يحرق بها النهر المنصب من الجبل المشبه بتعنيقة ^(٢) لا بالخط المغربي .

بحيرة زاقون

ومن ذلك بحيرة بين قصر عيسى وبين كوكورة و بحيرة بين كوكورة وبحالات جاي . ومن ذلك بحيرتان عند بنزرت من بلاد إفريقية : إحداهما ملح ، والأخرى عذبة . تجري العذبة في الشتاء ستة أشهر . وتسكب في البحيرة الملح فلا يذب ماؤها ثم تنقطع . وتجرى البحيرة الملح ستة أشهر أخرى تمام السنة ، وتسكب في العذبة فلا تملح . وبها أنواع من الحيتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوع منها . فإذا فرغ الشهر ذهب ذلك وجاء غيره ، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذي كان في الشهر الماضي شيء أبينة إلى مدة ذلك الشهر من السنة الآتية . وحكى لي ذلك المغاربة . فسبحان من بيده الأمر كله !

ومن ذلك بحيرتان بأقصى المغرب : إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم في غاية الاتساع . بوسطها جزيرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلا وتسمى بأبي

١٤٠

(١) يشبه إلى بحيرة في نيل السودان المعروف الآن ببحر الجير . ويكون الفيوم حقله أحما الموصح غير المشهور بذي مصر .

(٢) في الأصل هنا : بتريفة لام . وقد اخترت الاصطلاح الذي ذكره المؤلف فياسق .

سُلهام . تمّدها أودية تنحدر من جبال غمارة . وفي تلك الجزيرة يأوى عرب ذلك
الموضع بذخائرهم وريعي بهائمهم .

والأخرى بأزغان شمالي مكاسة . تمّدها أنهار تنحدر من جبال أزرو جنوبي
مكاسة . وليس لياهما منفذ .

ومن ذلك بحيرة أبرو . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة تنس ^(١) . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة جارش . بالشمال وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة طبرية . وهي عذبة .

بحيرة طبرية
وحاماتها

(١) وبها الجمّة المعروفة بحمام طبرية . وللاس فيها أكاذيب . وهي صورة تور مثل تنور الكلس تكون سمته نحو
عشرة أذرع تقريبا . ينفخ منه ماء يدير بجري رضى . مهما وضع فيه أحترق لإفراط حرارته . قد استخرج منه
بدول في عرض الجبل يمتد نحو ألف ذراع تقريبا . لتقلّ ببد المدي حرارة . ثم يأتي بينين مسقوفين
- وسقوفهما بالخر - أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والجمّة ماؤها ملح مكثرت .

ومن ذلك بحيرة زُغَر . وهي الخسوف بها ، وهي المنتنة .

بحيرات أخرى

ومن ذلك بحيرة دمشق . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة حمص . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة أقامية . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة أنطاكية . وهي عذبة ، وتعرف ببخيرة يَغْرَا . وهي متوسطة المقدار .

ومن ذلك بطائع العراق : أثنتان بالبصرة ، وواحدة بالكوفة . الجملة ثلاث بحيرات عذبة .

(١) لغة يريد : تنس ، التي كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من دماط .

ومن ذلك بحيرة خَلَاط . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة أيودان . وهى ملح .

وذلك منقول من لوح الرسم ، أو محقق بالسؤال ، وإن حصل فى بعضه إخلال .
وفى آتينا به غنى عما سواه . وبعض الشيء فى هذا الباب استدراك ، إذ المراد بذلك
ما يستدل على الأرض بأعلامها الظاهرة . وفى الدليل الواحد كفاية .

وإذ آتينا إلى هنا نذكر رمل الهير . لأنه مما هو ممتد فى الأرض . فكان من
أعلامها المشهورة المشهودة فى الآفاق .

رمل الهير

قال صاحب كتاب "معرفة أشكال الأرض" : "وأما الرمل الهير . فطوله من وراء

جبل طي إلى أن يتصل مشرقا بالبحر . ويمضى من وراء جبلى طي إلى أرض

مصر ، ثم إلى بلد النوبة . ويمتد إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر . ومنه عرق

يضرب من القادسية إلى البحرين . فيعبر البحرين . فيمضى على مشارق خوزستان

وفارس إلى أن يرد إلى بجمستان . ويمر مشرقا إلى مرو آخذا على جيحون فى بركة

خوارزم . ويأخذ فى بلاد الخزر^(١) إلى بلد الصين والبحر المحيط فى جهة المشرق .

وهو على ما وصفته وسفته من المحيط بالشرق إلى المحيط بالمغرب . وفيه منه جبال

عظام لا تُنقل ولا تُرتقى . وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان إلى مكان . ومنه

أصفر لين^(٢) اللس . وأحمر قاني . وأزرق سماوى . وأسود حالك . وأكل مشبع كالنيل ،

وابيض كالثلج . وبعضه يحكى النبار نومة ، وبعضه خشن جريش اللس .

ونحن نبين كل شئ بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد . وفوق كل ذى علم علم !

(١) نسبة الخزر إلى سفن من الترك وقد تصحفت هذا الاسم إلى الخزر بلغة العرب والخرج بلغة وغير ذلك والصواب ما هنا .

(٢) أى نبات النيل المعروف فى مصر باسم النيل - [Indigo] .

الآثار البينة في أقطار الأرض

الآثار المظلمة

ثم إننا نحن نقب ذلك بذكر جل من الآثار البينة في أقطار الأرض ما جرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ما قمتنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات، وسند كرها مبيته، وبالله التوفيق^(١)!

المساجد الثلاثة

فنبداً بذكر المساجد الثلاثة : المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى.

وهي التي تُشَدُّ إليها الرحال، وتُجَمَدُ إليها الركائبُ الترحال، تسرى إليها سرى السحاب في الحال، وتسمو والكواكب غرقى سمو حباب الماء حالاً على حال.

روى أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام^(٢)، ومسجدى، ومسجد بيت المقدس . رواه الإمام أحمد.

ويُتَبَعُ كُلُّ مسجد منها بما تعلق بذيل أستاذه، وتآلق بإشراق نوره وإسفاره، مما ضمه نطاق سوره، وأفوض عليه رلة سوره، إلى غير ذلك من آثار، ومواطن تُجَمَدُ الدموع فيها النار.

وأقول ما نبداً به :

(١) ترك المؤلف هنا يامنا قدره تحمة سطور.

(٢) هكذا في الأصل على الإنشاق لأعلى الوصفية . كما هي العادة وهو الأشهر .

ذكر الكعبة

البيت الحرام
وصلة لله ورسوله ولأهله

البيت الحرام. أول بيت وُضِعَ للناس، وُفِعَ على قديم الأساس. بُني مثالا للبيت المعمور، ودُعِيَ إليه كل مأمور. وأذن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحج، ودعا إليه الناس فاتوه من كل فج. حُجَّجَتِ الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهده ما تقدم. ويقال إنه لم يبق نبي حتى حُجَّجَهُ. وبعد عدة أنبياء دُفِنُوا في الحجر منه. ولم تزل شعائره مكرمة، ومشاعره محزومة. عُظُمَ في الجاهلية والإسلام، وحُرِّمَ من حيث بُنِيََتِ الأعلام. ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمقصود بالزيارة قصد الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو عين الله في أرضه، والشاهد لمن حجَّ وقبَّله بأداء فرضه. سماء الدعاء، وحرم تحريم الدماء. بأمن به الحجام ساكنا، ومن دَخَلَهُ كان آمنا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

وعن أبي ذر الغفاري. قال: قلتُ يا رسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيُّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخاري، وأبو عروبة وزاد: وأينما أدركت الصلاة فهو مسجد.

قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قال بعضهم: تأويله "إن أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين للذي ببكة". قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض. لأنه

قد كان قبله بيوت كثيرة . ثم أسند هذا القول عن علي بن أبي طالب والحسن ومطير وسعيد (وأظنه ابن جبير) ثم قال : وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس . واختلف هؤلاء في صفة وضعه أول . فقال بعضهم : خلقه قبل الأرض ، ثم دُحيت الأرض من تحته . وأسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : خلق الله البيت قبل الأرض بالثلاث سنة ، وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء ، فُدحيت الأرض من تحته . ونحوه عن مجاهد وقَتادة والسُّدِّي . وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض . وأسند عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم . وحين أهبط قال الله : أهبط معك بيتي يُطاف به كما يُطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين . حتى إذا كان زمن الطوفان ، رفعه الله وطهره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض . فصار معمورا في السماء . ثم إن إبراهيم نزع منه أثرا بعد ذلك . فبناه على أساس قديم كان قبله . وقوله تعالى (لِلَّذِي بَنَاكَ) يعني للبيت الذي بَنَاكَ . قال الزمخشري : وهو علم للبلد الحرام . ومكة وبكة لفنان . وقيل : مكة البلد ، وبكة موضع المسجد . وقيل : بكة موضع البيت ، ومكة ما حوله . وقيل : بكة البيت والمسجد ، ومكة الحرم كله .

وقال عطاء بن أبي رباح : وَجَّهَ آدم إلى بكة حين استوحش . فشكى ذلك إلى الله (عز وجل) في دعائه . فلما انتهى إلى بكة ، أنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة . فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان . فرفعت تلك الياقوتة . حتى بعث الله عز وجل إبراهيم فبناه . فذلك قوله تعالى (وَإِذْ يَرْأَى أَنَا لَأِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) رواه أبو عروبة .

وروى أبو الوليد الأزرقي بسنده عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،

قال : إن الله (تبارك وتعالى) بعث ملائكة ، فقال أبناؤنا بناء في الأرض يمشال
 البيت وقدره . وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به ، كما يطوف أهل
 السماء بالبيت المعمور . قال : وكان هذا قبل خلق آدم ، عليه السلام . والله أعلم !
 وقيل إن آدم أول من بناها . وقيل شيث بن آدم . وكانت قبل بنائه خيمة من
 ياقوتة حمراء ، يطوف بها آدم .

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن قواعد البيت من
 حراء ، وذكرنا أن البيت من خمسة أجبل : حراء ولُبَّان والجُودى وطور سيناء
 وطور زَيْتَا .

وقال ابن جُرَيْج : بُني أساس البيت من خمسة أجبل . (فذكر مثله) .

وحكى السهيلي أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم عليه السلام بالحجارة . وقيل رُفعت
 ١٠ لكعبة في الطوفان وأودع الحجر الأسود أبا قُبَيْس . وبق موصعها ربوة ، سمها هود
 وصالح . فيقال إن يعرب قال لهود : ألا تنبيه ؟ قال إنما بينه نبي يتخذ الله خليلاً .
 ولما بناه إبراهيم دلته عليه السكينة . وكانت تنزل عليه كالخجفة .

وقال الأزرق : لما بُني إبراهيم عليه السلام الكعبة ، جعل طولَ بنائها في السماء
 تسعة أذرع . وطولها في الأرض ثلاثين ذراعاً ، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين
 ١٥ ذراعاً . وكانت غير مسقوفة . ثم بنتها قريش في الجاهلية . فزادت في طولها في السماء تسعة
 أذرع . فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعاً . ونقصوا من طولها في الأرض
 ستة أذرع وشبرا ، تركوها في الحجر .

ولم تزل كذلك حتى كان زمن عبد الله بن الزبير . فهدمها وبناها على قواعد
 ٢٠ إبراهيم . وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع . فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً .

هدمها وتهددها
 أيام بن الزبير

١٥
بناء الجحاج لها

ثم بناها الجحاج بن يوسف التقي، فلم يغير ارتفاعها . ونقض الحجر وأعادها كما كان في الجاهلية .

توارى بناها

وأعلم أن الكعبة بُنيت في الدهر خمس مرات :

على يد الملائكة

أحدهن، بناء الملائكة أو آدم أو شيث، على ما هنهم .

على يد إبراهيم

الثانية بناء إبراهيم .

على يد قريش

الثالثة بناء قريش . والسبب في ذلك أن الكعبة استهدمت، فكانت فوق القامة . فأرادوا تعليتها . وكان بابها لاصقا بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جرهم إلى أن بنتها قريش . فقال أبو حذيفة بن المغيرة : يا قوم ! أرفعوا باب الكعبة ، حتى لا يدخلها أحد إلا بسلم ! فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم . فإن جاء أحد من تكهونه رميتم به فسقط وصار نكالا لمن يراه . فرفعت بابها، وجعلت لها سقفا، ولم يكن لها سقف . وزادت ارتفاعها ، كما تقدم . وكانت عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك خمسا وعشرين سنة، وقيل خمسا وثلاثين . فحضر البناء وكان ينقل الحجارة معهم ، كما ثبت في الصحيح . وتنافس قريش فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الركن . ثم رضوا بأن يضعه النبي، صلى الله عليه وسلم .

على يد ابن الزبير

الرابعة بناء عبد الله بن الزبير . والسبب في ذلك، على ما ذكر السهيلي، أن أمراة أرادت أن تجمر الكعبة، فطارت شررة من الخمرة في أستارها . فأحترقت . وقيل طارت شررة من أبي قبيس، فوقعت في أستار الكعبة، فأحترقت . فشاو ابن الزبير من حضره في هدمها . فهابوا ذلك، وقالوا : نرى أن يصلح ما وهى منها ولا تهدم . فقال : لو أن

١٥

بيت أحدكم أحرق لم يرض له إلا بأكل إصلاح، ولا بكل إصلاحها إلا بهدمها. فهدمها حتى أنقض إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزدوا في الحفر، فحزقوا حجرا منها، فأروا نعمة نارا وهولا أفزعهم، فبنوا على القواعد.

- وفي الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد، فطاف الناس بتلك الستارة، ولم تخل من طائف، حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير، اشتد الحرب وشغل الناس حينئذ، فلم ير طائف يطوف بها إلا جمل، وتم بنامها والصق بابها بالأرض، وعمل لها خلقا أي بابا من ورائها وأدخل الحفر فيها، وذلك لأن خالته عائشة (رضي الله عنها) حدثته أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة حين بنوا الكعبة، فأقتصروا على قواعد إبراهيم، ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية، لهدمتها وجعلت لها خلقا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحفر. فقال ابن الزبير: فليس بنا عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة.

- وحكى أبو الوليد الأثرقي أنه لما عزم على هدمها، خرج أهل مكة إلى منى، فأقاموا بها ثلاثا، خوفا أن يتزل عليهم عذاب لهدمها، فأمر ابن الزبير بهدمها، فاجترأ على ذلك أحد، فعلاها بنفسه وأخذ المول وجعل يهدمها ويرى أحجارها، فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء، صعدوا وهدموا، فلما تم بنائها، خلقها من داخلها وخارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي، وقال: من كانت لي عليه طاعة، فليخرج فليعتمر من النعم، ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر فليذبح شاة، ومن لم يقدر عليها فليصدق بوسعه، وخرج ابن الزبير، وأشيا، وخرج الناس مشاة، فأعتمروا من النعم، شكرًا لله تعالى، فلم يروم أكثر عتيقا وبدنة، منحورة وشاة مذبوحة وصدقة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مائة بدنة.

قال السهيلي: ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة قال: لست من تخطيط أبي خُبَيْب بُشَيٍّ (يعني عبد الله بن الزبير) . فهدمها وأعادها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا في ارتفاعها . ثم جاءه الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ومعه رجل آخر، فخذناه عن عائشة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحديث المتقدم، فندم وجعل ينكت بمخصرة في يده الأرض، ويقول: "وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ أَبَا خُبَيْبٍ، وَمَا تَحُلُّ مِنْ ذَلِكَ".



وتولى البناء - في زمن عبد الملك بن مروان - المجاج بن يوسف الثقفي، وهو البناء الخامس الموجود الآن.

والذي هدمه المجاج هو الزيادة وحدها . وأعاد الركنين، وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير . وسدّه بين إلى الآن . وجعل في الحجر من البيت دون سبعة أذرع . وعلامة ذلك في داخل الحجر لوحان من مرمر متقوسان متقابلان في الجانبين . وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعاً . وقيل إن الكعبة بنيت مرتين آخرين غير الخمس .

بناء العاقلة

إحداها بناء العاقلة بعد إبراهيم،

بناء جرهم

والثانية بناء جرهم بعد العاقلة .

رسم الكعبة

قال السهيلي: إنما كان ذلك إصلاحاً لما وهى منه . لأن السيل كان قد صعد حائطه . وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العاقلة وجرهم إلى أن أقرضوا . وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم: لكنّهم بعد القيلة، وعزمهم بعد النلة . وكان أول من جدد بناءها، بعد إبراهيم، قصي بن كلاب . وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل .

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري - مرفوعاً - أن أول من جدد الكعبة بعد
كلاب بن مرة قصي.

وحكى السهيلي أن أول من اتخذ للكعبة عقلاً نفع ثم ضرب لها عبد المطلب باباً
من حديد، وهي الأسياف القلعية التي كانت مع الغزاليين الذهب، وهو ما أستخرجه
عبد المطلب من بئر زمزم، لما احترقها بعد ما طعمها الحارث بن مضا، لما أخرج
الله جرهم من مكة بسبب إحدائهم في الحرم وأستخفاهم بالحرم وبني بعضهم على
بعض، فتغور ماء زمزم، وعمد الحارث إلى ما كان عنده من مال الكعبة فيه غزالان
من ذهب وأسياف قلعية، كان ساسان أهداها إلى الكعبة، وقيل سابور. وجاء
تحت الليل ودفن ذلك في زمزم، وعفى عليها، ولم تزل دارسة حتى حفرها
عبد المطلب وأستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه.

وأخذ عبد المطلب من الغزاليين المذكورين حلية للكعبة، فهو أول ذهب
حليت به الكعبة.

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، بعث إلى واليه على
مكة خالد بن عبد الله القسري بسة وثلاثين ألف دينار. فضرب منها على باب
الكعبة صناع الذهب، وعلى الميزاب، وعلى الأساطيم التي في جوفها، وعلى الأركان.
وهو أول من نهب البيت في الإسلام.

وذكر السهيلي أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود (عليهما
السلام) من ذهب وفضة، حمل إليه من طليطلة، من جزيرة الأندلس، وكانت لها
أطواق من زبرجد وياقوت. وكانت قد أحتملت على بني قوى، فتصخ تحتها.

تلاقى الكعبة
وتحلتها بالذهب
في الحلية

خلفه بالذهب
في الإسلام



ثم لما آلت الخلافة إلى الأُميين، رُفِعَ إليه أن الذهب الذي عمله الوليد قد رُقِيَ .
فارسِل إلى عامله على ضواحي مكة، سالم بن الجراح . بمِثْمَانِيَةِ عَشْرِ أَلْفِ دِينَارٍ
ليضربها صفائح على باب الكعبة . قُلِّعَ ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها
ثَمَانِيَةِ عَشْرِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَضُرِبَ الصفائح والمسامير وحَلَقَتِ الباب والعتبة . فالذي
كان عليه من الذهب ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ .

قلت : ثم جُدِّدَ الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سَقَى اللهُ
عهدها . مُجِلَّ بِمِصْرٍ مُصَنَّفَةً بِالْفِضَّةِ . وَأَنَا كَتَبْتُ نَسْخَةَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ . وَجُهِزَ بِهِ
بِرَسٍّ بَعَا النَاصِرِيَّ .

قال الأزرقي : وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر
في جوفها . فَوَزَّرَ بِهِ جُدْرَانَهَا ، وَفَرَشَهَا بِالرَّخَامِ . فَجُمِعَ مَا فِي الكعبة من الرخام هو من
عمل الوليد . وهو أول من فرشها بالرخام وأزَّرَ به جدرانها .

قلت : ثم قُلِّعَ غالب ذلك . وغالب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر
يوسف بن عمر بن رسول ، صاحب اليمن . وأسمه في الرخام داخل الكعبة ، حيث
يُصَلِّي الْمُصَلِّي ، بين العمودين نُجْمًا وَجْهَهُ فِي الْجِدَارِ الْمُتَّصِلِ بِالرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ .
وَأَخْتَلَفَ أَهْلُ السَّيْرِ فِي أَوَّلِ مَنْ كَسَا الكعبة الدِّيبَاجَ .

فقال ابن إسحق : هو الحجاج بن يوسف . وقال ابن بَكَّارٍ : هو عبد الله بن الزبير .
وقال السارودي : أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب . أخذ لطيمة
تعمل البز وأخذ فيها أنماطاً ، فعلقها على الكعبة . وذكر جماعة - منهم الدارقطني - أن
نُبَيْلَةَ بِنْتَ جَنْبِ أُمِّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ كَانَتْ قَدْ أَضَلَّتْ الْعَبَّاسَ صَغِيرًا .
فندرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج .

تحديد باب الكعبة
في زمن الناصر محمد
ابن قلاوون

ترقيم الكعبة
في أيام الوليد

ترقيم الكعبة
يوسف بن رسول

كسوة الكعبة في
الحاطية والإسلام



وحكى الأزرقي: أن معاوية كسا الكعبة الديباج. قال: وكانت تُكفى يوم عاشوراء.
ثم إن معاوية كساها مرتين.

ثم كساها المأمون ثلاث مرات. فكانت يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية،
والقباطي يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان.

وهذا الأبيض ابتدأه المأمون سنة ست وثمانين حين قالوا له: الديباج الأحمر
يقتزق قبل الكسوة الثانية. فسال عن أحسن ما تكون فيه الكعبة. فقالوا: الديباج
الأبيض. ففعله.

قلت: وهي الآن تُكفى في العام مرة واحدة في وقت الموسم. وتجعل إليها الكسوة
من الخزانة السلطانية بالديار المصرية، صهبة الركب. فيتولى ذلك أمراء الركب.
ويحضرون بأنفسهم فتكفى، وتأخذ الأشراف وينوشية الكسوة العتيقة ويقسمونها.
ويأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض. وتجعل إلى سائر البلاد للبركة.

وعهدى بصاحب اليمن بيعت إليها كسوة، فتلبس تحت الكسوة المصرية. وهما
سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات جاءت في القرآن في ذكر
الكعبة.

ولما حججت سنة ثمان وثلاثين وسبعائة. صعدت أنا وأمراء الركب المصري
لتلبس الكعبة الشريفة، حتى كنا على سطحها. فرأيتُه ملبأ بالمرمر والرخام
الأبيض. ومن جوانبه جدر قصار فيها حلق لمرباط الستور. نُجرت فيها الكسوة بحبال،
ثم تُرط في تلك الحلق.

وأنا أحمد الله. إذ بيدي توليت خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبسها الكسوة
الجديدة.

نافله المأمون

كسوتها في أيام
المؤلفكسوة اليمن
في أيام المؤلفمأراه المؤلف
على سطح الكعبة
ومأثرته لكسوتها
ببسة

١١١
هدية سلطان مصر
ملك العرب

وَجِلَّتْ الكسوة المتينة في تلك السنة إلى السلطان بمصر، تُجَهَّزُ إلى السلطان
أبي الحسن المُرَيْشِيِّ مع ما يُجَهَّزُ عوضَ هدية بعثها في هذه السنة، هبة مريمَ زوجة
أبيه وعريف السُّوَيْدِيِّ وجاعة من أكابر دولته. وُعُوضُ بنو شعبة والأشراف
عنها من بيت المال بمصر.

وَالْعَادَةُ جارية أن تنسل الكعبة المظلمة بماء زمزم في السابع والعشرين من
ذي القعدة، وتُسَمَّرُ ستورها. وتُلْبَسُ يومَ الأضْحَى، وتنسل بماء الورد عند عود
الركب من مِنَى، أو أن تُنصَرَفَهم.

غسل الخواف
للكعبة

وكلُّ ذلك حضرته في هذه السنة وتولَّيته بيدي. والله الحمد!

وأما أول من كسا الكعبة مطلقا

الذاهبة وكسوة
الأمه

١٠ غُكِى الأَزْرَقُ عن ابن جُرَيْجٍ أن تَبَعًا أَوَّلَ من كسا الكعبة كسوة كاملة. أَرَى
في المنام أن يكسوها. فكساها الأنطاع. ثم أَرَى أن يكسوها الوصائل. فكساها.
وهي ثياب حَبْرَةٍ من عَصَب.
ثم كساها الناس بعده في الجاهلية.

١٥ قال السهيلي: وَيُرْوَى أن تَبَعًا لما كساها المُسَوِّحُ والأنطاع، أُنْتَفَضَ البيتُ. فزال
ذلك عنه حين كساها الحَصَفُ. وهي ثياب غلاظ. فلما كساها المَلَأَةُ والنواصِبُ
(وهي ثياب موصلة من ثياب اليمن واحدها وصيلة)، قبلته. ذكره قاسم في "الدلائل".

كسوة النبي
والراشدين

وروى الأَزْرَقُ بإسناد متفرقة، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كسا الكعبة.
ثم كساها أبو بكر. وكساها عمر من بيت المال القَبَاطِيُّ. وكساها عثمان. ومعاوية،
وعبد الله بن الزبير، ومن بعدهم.

وقال تبع لما كسا البيت.

قوله بعد
كسوة الكعبة

وَكُنُونا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَأً مُعْضِداً وَرُوداً.

فَأَقْبْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا * وَجَعَلْنَا لِيَاكِبِهِ أَقْلِيْدَا .

وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ ، فَتَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وَرُوداً .

ثُمَّ سَرْنَا عَنْهُ نَوْمٌ سَيِّلا . . . فَرَفَعْنَا لِرِوَاءِنَا مَعْقُودَا .

وأما صفة الكعبة

(٧٠)

وصف الكعبة
وذراعها

فَاعْلَمْ أَنَّ الْكَعْبَةَ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ، مُرَبَّعَةُ الْبِنَانِ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ . أَرْتِفَاعُهَا مِنْ

الْأَرْضِ سَبْعَةُ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا ؛ وَعَرْضُ الْجِدَارِ، وَجْهَتُهَا الْآنَ، أَرْبَعَةُ وَعَشْرُونَ

ذِرَاعًا، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ بَابُهَا ؛ وَعَرْضُ مُؤَنَرِهَا مِثْلُ ذَلِكَ ؛ وَعَرْضُ جِدَارِهَا الَّذِي

يَلِي الْإِيْمَنَ - وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالرُّكْنِ الْعِرَاقِيِّ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ الْبَابُ الْأَسْوَدُ -

عَشْرُونَ ذِرَاعًا . وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْجِدَارِ كَانَ يُصَلِّي النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَبْلَ

هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَعَرْضُ جِدَارِهَا الَّذِي يَلِي الشَّامَ، وَهُوَ الَّذِي فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ

الشَّامِيِّ وَالرُّكْنِ الْغُرَبِيِّ، أَحَدُ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَهُوَ يَزَابُ الْكَعْبَةَ عَلَى وَسْطِهِ يَسْكُبُ

فِي الْبَحْرِ . وَمِنْ أَوَّلِ هَذَا الْجِدَارِ إِلَى أَقْصَى الْجِدَارِ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا .

وَعَرْضُ بَابِ الْبَحْرِ الشَّامِيِّ خَمْسَةُ أَذْرُعٍ إِلَّا شَيْئًا يُسِيرُ ؛ وَعَرْضُ بَابِ الْغُرَبِيِّ سِتَّةَ

أَذْرُعٍ إِلَّا شَيْئًا يُسِيرُ ؛ وَجِدَارُ الْبَحْرِ مَدُورٌ مِنْ بَابِ الشَّامِيِّ إِلَى بَابِ الْغُرَبِيِّ، كَالطَّلَاسَانِ .

وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ، وَأَرْتِفَاعُهُ مِنَ الْأَرْضِ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ .

(١) كَذَا فِي الْأَمْس .

والجحر الأسود، في الركن العراق المقابل لزميز . وهو [على] سبعة أشتار من الأرض.

وباب الكعبة على أربعة أذرع من الأرض، وعلوه ستة أذرع، وعرضه أربعة أذرع .

وما بين الباب والجحر الأسود أربعة أذرع . ويسمى ذلك الموضع ^{مُلتَزِمٌ} لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين فرغ من طوافه ألتزمه ودعا فيه، ثم ألتفت فرأى عمر، فقال: «ها هنا تُسكب الميراث».

ومن الباب إلى مُصَلَّى آدم (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأُنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلق، ومن أزار الكعبة، أَرُجُح من سبعة أذرع. وكان هناك موضع مقام إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) .

وصلى النبي (صلى الله عليه وسلم) عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأُنزل الله تعالى عليه: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» . ثم نقله (صلى الله عليه وسلم) إلى الموضع الذي هو فيه الآن . وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة: لئلا يقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كنز الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويرى الإمام من وجهه، ثم حمله السيل في أيام عمر وأُخرجته من المسجد . فأمر عمر برده إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبين موضع الخلق - وهو مُصَلَّى آدم عليه السلام - وبين الركن الشامي ثمانية أذرع.

موضع الخلق
ومقام إبراهيم

﴿١٠٣﴾

ومن الركن الشامي إلى اللوح المرمر المنقوش في الحجر الذي بنى هناك ابن الزبير
ركن البيت (وهو على قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعة أذرع .

المطعم وفيما بين الحجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعاً ويسمى ذلك الحطيم .
لأنه يحطم الذنوب أي يسقطها ؛ وقيل لأنه حطم من البيت ؛ وقيل لأن من حلف
هناك كاذباً أنحطم دينه ودنياه .

وما بين الركن العراقي (وهو الذي فيه الحجر الأسود) إلى مصلى النبي (صلى الله
عليه وسلم) قبل هجرته إلى المدينة عشرة أذرع . وكان يستقبل بيت المقدس ،
ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . ولهذا لم يبن توجّهه إلى بيت المقدس إلا
لما هاجر إلى المدينة .

وين الركن البائي وبين الباب المسدود في ظهر الكعبة أربعة أذرع . ويسمى
ذلك الموضع المستجار من الذنوب . وعرض الباب خمسة أذرع ، وأرتفاعه سبعة
أذرع . وبينه وبين الركن الغربي ثلاثة عشر ذراعاً .

وبين الركن الغربي وآخر قواعد إبراهيم - وهناك اللوح المرمر المنقوش - أزيد من
سبعة أذرع . وإلى هناك بنى ابن الزبير .

وقد قدّمنا أن أرتفاع الكعبة في المولء سبعة وعشرون ذراعاً .

٧٦

واما صفة المسجد الحرام المحيطة بالكعبة

فنقول : قد ذكر الأزرق والماوردي والسبيل وغيرهم، وفي كلام بعضهم زيادة على بعض :

وصف المسجد
الحرام

كان المسجد الحرام، أعني المحيط بالكعبة فناءً لها وفضاء للطائفتين . ولم يكن له على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر جدارٌ يحيط به . فضيق الناس على الكعبة وأصغرت دورهم بها . وكانت الدور مُحْدَقَةٌ بالكعبة . وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية .

مر بن الخطاب
بناح الملكة
لتوسيع المسجد

فلما استُخلف عمر، وكثر الناس، قال : " لا بد لبَيْتِ الله من فناء ! وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم " . فوسع المسجد وأشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد . واتخذ للمسجد جداراً قصيراً، دون القامة . وكانت القناديل توضع عليه . وكان عمر أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام .

عثمان بن عفان
يأذن به

ثم لما استُخلف عثمان، آتباع منازل ووسعه بها . وبني الأروقة للمسجد، فيما ذكر الأزرق والماوردي وغيرهما .

أب الزبير يفتي
بها

ثم إن أب الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة . وأشترى دوراً، من جملتها بعض دار الأزرق، اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار . وجعل فيها عُمُدَمان الرُخَام .

تعتبر سيد الملك
أب مروان للمسجد

ثم عمره عبد الملك بن مروان، ولم يزد فيه، لكن رفع جداره، وجلب إليه السواري في البحر إلى جَنَّة، وسقفه بالساج . وعمره عمارة حسنة .

توسيع الوليد له

ثم وسع آية الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرُخَام .

زيادة المصور
البياني - وأعمدة
الرخام
زيادته المهدى

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

وزاد فيه المهدى مرتين : إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها توفى المهدى .

وأستقر بناؤه إلى الآن.

وأما الرواق فنقول : إن له سقفين، أحدهما فوق الآخر، وبينهما فرجة قدر الذراعين، أو نحوهما.

رواق المسجد
الحرام وسفقه

فأما الأعلى منه، فسطوحه فرش مسقف بالدفوم الباني.

وأما الأسفل منهما، فهو مسقوف بالساج، مزخرف بالذهب.

٧٣

أسطوبه

وعدد أسطوبته (وذلك من الرخام والمجر الأبيض، سوى ما جُدد في دار الندوة

وسوق الخطبة) أربعون وأربعون ثمانون أسطوانة. بين كل أسطوانتين ستة أذرع:

منها في الجانب الشرق الذي إلى المسمى مائة أسطوانة وثلاث أسطوبين؛ وفي الجانب الشمال مائة على الصفا مائة أسطوانة وإحدى وأربعون أسطوانة؛ وفي الجانب الغربي مائة أسطوانة وخمس أسطوبين؛ وفي الجانب الشمال الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أسطوانة.

وفي وسط هذا الشق أو نومه الذي إلى المسجد سارية خمس أسطوبين: ذكر أنها كانت يهودية فسامها النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها، فأبى بيعها إلا بوزنها ذهباً، ففعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك، فوضعت في ميزان، ووضع مثقال واحد فرح المثقال ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

سارية النبي
لأسطوانة يوزنها
ذهباً

ومنها على باب المسجد اثنتان وعشرون؛ ومن ناحية المسجد ست؛ ومن ناحية الوادي والصفاء عشر؛ ومن ناحية بني جُمح أربع؛ ومن ناحية دار الندوة اثنتان.

وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه سبع وستون أسطوانة بالحجارة مبيضة، وطول كل أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذرع ما بين كل أسطوانتين ستة أذرع ونصف.

وعدد طاقاته وهي اثنتان المعقودة على الأساطين أربعائة طاق وثمان وتسعون طاقا، سوى ما في دار الندوة.

وذرع المسجد الحرام من باب بني جُمح إلى باب العباس الذي عند العلم الأخضر، ويعرف باب بني هاشم، أربعائة ذراع وأربعة أذرع، وعرضه ما بين دار الندوة إلى باب الصفاء ثلثائة ذراع وأربعة أذرع.

وذرع ما بين وسط جدار الكعبة الشرق الذي إلى المسمى مائتا ذراع وثلاثة عشر ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الغربى إلى جدار المسجد الغربى الذي إلى بني جُمح مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الجنوبي إلى جدار المسجد الذي إلى الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الشالى إلى الحجر إلى جدار المسجد الذي إلى دار الندوة مائة ذراع وتسعة وثلاثون ذراعا، ومن ركن الكعبة العراق ويقال له الشالى إلى المنارة التى تلى المروة مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعا، ومن ركن الكعبة الشالى ويقال له الغربى إلى المنارة التى تلى باب بني سهم (وهو باب العمرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعا، ومن الركن

(١) يظهر أن هـا سقفا . وأصل الكلام " وذرع ما بين وسط جدار الكعبة الشرق إلى جدار المسجد الشرق " الخ كما يتضح ذلك من نظائره جـ .

حاليا المسجد الحرام

ساحه



اليافى إلى المائة التى تلى أجياد الكبرى وبين الحزورة مائتا ذراع وثمانية أذرع،
ومن الركن الأسود إلى المائة مستمرة تلى المسعى والوادي من ناحية الصفا مائتا
ذراع وثمانية وعشرون ذراعا .

أرتفاع جداره فى السماء مما على المسعى ثمانية عشر ذراعا، ومما على الوادى والصفا
أثنان وعشرون ذراعا، ومما على بنى جحج آثنان وعشرون ذراعا، ومما على دار الندوة
سبعة عشر ذراعا ونصف .

وعدد شُرَافته من داخله وخارجه ، أربعمائة وخمسة وتسعون شُرَافة . هذا
من خارجه .

وعندها من داخله أربعمائة وثمان وتسعون شُرَافة .

١٠ . فجميعها ألف شُرَافة إلا سبع شُرَافات .

وأعلم أن المسجد الحرام يطلق ويراد به عين الكعبة ، كما فى قوله تعالى : ” قَوْلَ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ “ . إذ لم يقل أحد من السامعين إلا كفاة بالتوجه إلى
استقبال المسجد المحيط بالكعبة . وهذا هو أصل حقيقة اللفظ ، وهو المعنى بقوله
تعالى : ” إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَّةَ “ وبقوله (صلى الله عليه وسلم) لما
سأله ابو ذر عن أول مسجد وُضِعَ أَوَّلَ ، قال : المسجد الحرام .

المسجد الحرام
قد يراد به
الكعبة كلها

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة . وهو الغالب فى الاستعمال
على وجه التغليب المجازى ، كما فى قوله (صلى الله عليه وسلم) : ” صلاة فى مسجدى
هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام . “ وقوله تعالى : ” سُبْحَانَ
الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . “ على قول من روى انه كان نائما
فى المسجد المحيط بالكعبة .

المسجد الحرام
قد يراد به المسجد
الحيط بالكعبة
فقط

المسجد الحرام
قد يراد به مكة
أو الحرم بأكمله

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به مكة أو الحرم بكلمة، على قول من يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكة . لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان نائما في بيت أم هانئ لما أسرى به، وكما في قوله تعالى "ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ". على قول من يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بكلمة .

وهذا كله على وجه التغليب المجازي . ولا ريب فيه . وإلا يلزم الاشتراك في موضوع المسجد الحرام . والمجاز أولى منه . والله أعلم .

يرزم

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام يرزم زمزم وهي سقيا إسماعيل، وهزيمة روح القدس جبريل، طعام طعم، وشفاء سقم، لا تترف ولا تغم، ولا يتوجه إليها ذم، بلقية عبد المطلب، ودليل سودده ولا كذب . وفي الحديث : "ماء زمزم لما شربله" . قال السهيلي : كانت زمزم سقيا إسماعيل بن إبراهيم . بحرأله روح القدس بمقبه . وفي ذلك إشارة إلى أنها لقب إسماعيل وذاته وهو عبد وأمنه (صلى الله عليه وسلم) . والقصة في ذلك معروفة .

وتلخيصها أن إبراهيم (عليه السلام) لما احتمل إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، احتمل معه لها قرية ماء ومزود تمر . وتركهما بمكة وعاد . فلما فرغ التمر والماء عطش إسماعيل، وهو صغير، وجعل ينشغ للوت، جعلت هاجر تسعى من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا، لترى أحدا . حتى سمعت صوتا عند الصبي . فقالت : قد أسمعته، إن كان عندك غوث . ثم جاءت الصبي . فإذا الماء ينبع من تحت خده . فجعلت تغرف بيديها، وتجعل في القرية . وسيأتي بعد ذلك له خبر . قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لو تركته لكان عينا (أو قال: نهرا معينا) .

١٠

نص الحديث
زمزم

قال الحري: سميت زمزم بزمزمة الماء، وهي صوته، وقال المسعودي: سميت زمزم لأن القُرس كانت تخرج إليها في الزمن الأول، فترمزم عندها، والزمزمة صوت يخرج من القُرس من خياشيمها، عند شرب الماء، وأنشد المسعودي:

زمزمت القُرس على زمزم ، وذلك في سالفها الأقدم .

- وذكر البرقي عن ابن عباس: أنها سميت زمزم، لأنها زُمّت بالتراب، لئلا يسبح الماء يمينا وشمالا، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء.

وقد ذكرنا طم الحارث بن مضاض إياها، ولم تزل دراسة، حتى أرى عبد المطلب أن أخضر طيبة، فسميت طيبة، لأنها للطيبيين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل، وقيل له: أخضر برة، وقيل: أخضر المضنونة، صُنّت بها على الناس إلا عليك، ودلّ عليها بعلامات ثلاث: بنقرة الغراب الأعصم، وأنها بين القرث والدم، وعند قرية النخل.

- وروى أنه لما قام ليحفروها، رأى ما رسم له من قرية النخل ونبقة الغراب، ولم ير القرث والدم، فبينا هو كذلك، نثت بقرّة بلأزرها، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام، فنحرتها في الموضع الذي رسم له، فسال هناك القرث والدم، فحفر عبد المطلب حيث رسم له.

- وقيل لعبد المطلب في صنتها: إنها لا تترف أبدا، وهذا برهان عظيم، لأنها لم تترف من ذات الحيف إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فترحت من أجله، فوجدوا ماءها شور من ثلاث أعين: أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود، رواد الدارقطني، وروى الدارقطني أيضا مسندا عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "من شرب من ماء زمزم، فليصلح، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أن يتصلبوا



منها^{١٠}. أو كما قال. وروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ماء زمزم لما شرب له". وروى أن أبا ذر تقوت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة. فسمن حتى تكثرت عكته.

وذكر الزهري في سيرة أن عبد المطلب أخذ حوضا لزمزم يستقي منه. وكان يتجرب بالليل، حسدا له. فلما غمد ذلك، قيل له في النوم: "قل: لا أهلها لمفتسل، وهي لشارب حلّ ويل". وقد كفيهم^{١١}. فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعد من أرادها بمكرهه، رمى بداء في جسده، حتى انتهوا عنه. ^{١١}

(١) يابض بالأصل هنا مقداره عشرة سطور.



الصفاء والمروة

لصفاء والمروة

قال الله تعالى: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا".

فَرَقَدَا الْأَرْضَ، وَجَارَا الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَطَوَّيْ لِمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِمَا، وَسَعَى بَيْنَهُمَا أَوْ إِلَيْهِمَا. وسند ذكر ما هما، فنقول:

وصف الصفا أما الصفا فحجر أزرق عظيم في أصل جبل أبي قبيس، قد كسر درج إلى آخر موضع الوقوف. وأكثر ما ينتهي الناس منها إلى اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

وصف المروة وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قُصَيْقَمَانَ. كأنه قد آتاهم على جزأين، وبقيت بينهما فرجة، يبين منها درج عليها إلى آخر الوقوف.

وذكر ما بين الصفا والمروة، وهو المسعى. سبعائة ذراع وثمانون ذراعاً.

من الصفا إلى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادي مائة وثمانون ذراعاً.

وذكر ما بين الحجر الأسود والصفا مائتا ذراعاً وأثنان وستون ذراعاً.

ومن الميل الأصفر إلى الميل الأخضر الذي يلزأ دار جعفر بن العباس، وهو

موضع الهرولة. مائة وخمس وعشرون ذراعاً.

ومن الميل الثاني إلى المروة أربع مائة وخمس وسبعون ذراعاً.

بجميع ما بين الصفا والمروة سبع مائة وثمانون ذراعاً.

(١) في هذا الحساب اضطراب. ولذلك وضعت بين شولتين مزدوجتين " المسافة الكائنة بين

الحجر الأسود والصفا، لتكون النتيجة موافقة للقدم وليصح الحساب.

دار الندوة

قال الماوردي : لم تكن مكة ذات منازل . وكانت قريش بعد حُرْمِهم والمالقة .
 ينجعون جبالها وأوديتها . ولا يخرجون من حَرَمِها آتسافا إلى الكعبة لاستيلائهم
 عليها ، وتخصيصها بالحرم لحلولهم فيه . ويرون أن ذلك يكون لهم بسببه شَأْنٌ . وكان
 كلما كثر فيهم العدد ونشأت فيهم الرئاسة ، قَوِيَ أَمْلُهُمْ وعلموا أنهم سَيُقَدِّمون على
 العرب . وكان فضلاؤهم يَقُولون أن ذلك لرئاسة في الدين وتأسيسا لنبوة ستكون .
 فأول من أُلِّم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب . وكانت قريش تجتمع إليه في كل
 جمعة . وكان يخطبهم فيه ، ويذكر لهم أمر نبيتنا (صلى الله عليه وسلم) .

٧٨
دار الندوة

ثم انتقلت الرئاسة إلى قُصَيِّ بن كلاب ، فبني بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين
 قريش ، ثم صارت لثشاورهم وعقيد الألوية في حروبهم . وكانت هذه الدار لا ينكح
 رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها ، ولا يُعقد لواء الحرب لهم ولا لغيرهم إلا فيها ،
 ولا يُعذر غلام إلا فيها ، ولا تُدرع جارية من قريش إلا فيها : يُشَق عليها درعها
 ثم تُدرع ويُنطلق بها إلى أهلها ، ولا تخرج غير من قريش ويرحلون إلا منها . ولا
 يقدمون إلا ينزلوا فيها .

قال الكلبي : " وكانت أول دار بُنيت بمكة ، ثم نتاج الناس قَبِلُوا الدور . كلما قربوا
 من الإسلام أزدادوا قوة وكثرة عدد ، حتى دانت لهم العرب " .

قال الماوردي : صارت بعد قُصَيِّ لأبنته عبدالدار . فابتاعها معاوية في الإسلام
 من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قُصَيِّ ، وجعلها دار
 الإمارة .

- وروى الأزرقي أن معاوية اشتراها لما حج، وهو خليفة، بمائة ألف درهم.
- وذكر السهيلي أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصى فباعها في الإسلام بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية
 في ذلك، وقال: "بعت مكرمة آبائك وشرقتهم". فقال حكيم: "ذهبت المكارم إلا
 التقوى. والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزيق نمر. وقد بعثها بمائة ألف، وأشهدكم أني
 جعلت منها في سبيل الله! فأينا المغبون؟"

قال الحارثي: هي اليوم (يعني دار الندوة) في المسجد الحرام.

قال الأزرقي: وهي جانبه الشمال. وقد تقدم ذكرها.

دعوت إلى المسجد
 الحرام وبشرتها

مِنَى



مِنَى

حيث تُرْبَى الْجَمْرَاتُ، وَتُهْمَى الْعَبْرَاتُ، ذَوَاتُ الْيَالِي الْمُقَمَّرَاتِ، وَالْأَيَّامُ الَّتِي سُلِّخَ مِنَ الْكَافُورِ ثِيَابُ عَشَائِهَا الْمَعْبَرَاتُ، يُحْلَى بِهَا مِنْ كُلِّ رَبِّ عَاطِلُهُ، وَيَلْتَقَى فِي كُلِّ سِرْبٍ كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَاطِلُهُ .

٥ . وهى بطحاء بين جبلين ، مهتدة الجوانب ، فيها يجتمع الجميع . والمُحَصَّبُ منها موضع الجمرات . وهى على مدرجة السوق الأعظم ، حيث يُنْصَبُ كُلُّ سَنَةٍ ، أَيَّامَ الْمَوْسَمِ . يجتمع فيه الخليطان من شام و يَمَنَ ، وتنزل الركوب به فى منازلهم : من شَرَفِ الْوَادِئِ إِلَى حَيْثُ تُنَحَّرُ الْبَدَنَاتُ تَحْتَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى ، حَيْثُ تُنْصَبُ سَقَايَاتُ الْحَلَاجِ .

١٠ . وكانت فى قديم الإسلام موسم لقاء الحبايب ، ومكان موعد كل مفارق . وثلاث ليالى مِنَى معروفةٌ موصوفةٌ ، قد أكثر فيها الشعراء وترنم بها المتيمون . ومِنَى بِيوْتٌ هِىَ كَالْقَرْيَةِ . منها ماهو مسكون ومنها ماهو برسم بضائع الكارم ، أَيَّامَ الْمَوْسَمِ ، تُكْرَى بِأَجْرَةٍ طَائِلَةٍ .

١٥ . وبها آثار متخذة لخزن ماء الأسنية ، يباع على الجميع . وهو ماء ثَقِيلٌ وَبِئْسَ الْمَاءُ . يحمل من أوساخ الذبائح ، وبقايا الأضاحى ، ودماء القرابين .

مسجد الخيف وفيها مسجد الخَيْف . وهو على يمين المتوجه من مكة إلى عرفات . والخَيْفُ هو البستان . وجند بناؤه فى الأيام الزاهرة الناصرية ، سقى الله عهدا !

مسجد الكعبش وفيها مسجد إسماعيل ، ويسمى بمسجد الكعبش . وهو على يسار المتوجه من مِنَى إلى عرفات . يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به . ويترى المصريون منه إلى مِنَى ، ويترى

المَكِّيُّونَ مِنْهُ إِلَى مُعَرَّفٍ، وَيَقَعُ نَجَاهُ مَسْجِدُ النُّجَيْفِ مُنْحَرَفًا عَنْهُ عَلَى ذِرْوَةٍ مِنَ الْجَبَلِ .
يَجِبُ بَيْنَهُمَا مَجْرَى مَاءٍ مِنْ مَاءِ الشَّاءِ . يَنْزِلُ فِيهَا إِلَيْهِ إِلَى الطَّرِيقِ الْعَظِيمِ رُكْبَانُ الْعَرَبِ .

جمع - (أى المزدلفة) هي المزدلفة . وكلها مَشْعَرٌ إِلَّا بَطْنَ مُحَسَّرٍ . وَمِنْهَا تَوَخَّذُ حَصَى الْجُمُرَاتِ .
وَبِذَلِكَ فَسَّرَ عَلَى وَأَبْنِ مَسْعُودٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: "تَوَسَّطْنِي بِهِ جَمْعًا" . قَالَا: يَعْنِي الْمَزْدَلِفَةَ .

وَمَسْجِدُ الْمَزْدَلِفَةِ عَنْ يَسَارِكِ إِذَا مَضَيْتِ إِلَى عَرَفَاتٍ . وَفِيهِ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَرَبِّعِ
وَالْعِشَاءِ . إِذَا نَزَلَ الْحَاجُّ مِنْ عَرَفَاتٍ . وَهِيَ الَّتِي عَنْهُ الشَّرِيفُ الرِّضَى بِقَوْلِهِ :

عَارِضًا بِي رَكْبَ الْجِجَارِ نَسَائِلُهُ : مَتَى عَهْدُهُ بِأَيَّامِ سَلْعٍ ؟
وَأَسْمَاءُ حَدِيثٍ مَنْ سَكَنَ النُّجَيْفَ وَلَا تَكْتَبَاهُ إِلَّا بِدَمْعٍ .
فَاتَنَّى أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرْفٍ ، فَلَمَسْتُ أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعٍ !
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيْلٍ تَحْقَقَتْ ، لِي يَجْمَعَ ! وَأَيْنَ أَيَّامُ جَمْعٍ ؟

قَالَ الزَّعْزَعِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى "فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ" : الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ
قَرْحٌ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي يَقِفُ عَلَيْهِ الْإِمَامُ وَعَلَيْهِ الْمَيْقَدَةُ .

وَقِيلَ : الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْمَزْدَلِفَةِ إِلَى مَا زَيَّ عَرَفَةَ إِلَى وَادِي مُحَسَّرٍ . وَلَيْسَ
الْمَازِيْمَانِ وَلَا وَادِي مُحَسَّرٍ مِنَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ الْجَبَلُ . لَمْ يَرَوْهُ جَابِرُ بْنُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَمَّا صَلَّى
الْفَجْرَ - يَعْنِي بِالْمَزْدَلِفَةِ - رَكِبَ نَاقَتَهُ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ، فَدَعَا وَكَبَّرَ وَهَلَّلَ . وَلَمْ يَزَلْ
وَأَقْفًا حَتَّى أَسْفَرَ .

وقيل سميت "المزدلفة" و"جمعا" لأن آدم أجمع فيها مع حواء وأذلف إليها، أى دنا منها. وقال قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلوتين، ويحوز أن تكون وصفت بفعل أهلها، لأنهم يزدلون إلى الله تعالى، أى يتقربون بالوقوف فيها. وعن علي: "لما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقف على قَرْح. فقال: هذا قَرْحُ، وهو الموقف". وجمع كلها موقف.

١٠. هي العلامات المبينة على حدود الحرم.

وروى الأزرقي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بتجديد العلامات التي على
الحرم، التي عملها إبراهيم، وجبريل ربه مواضعها ثم عمر ثم عثمان ثم معاوية،
تجديد النبي لها، ثم الصحابة

وحدُّ الحرم، من طريق مدينة النبي (صلى الله عليه وسلم) - دون التعيم عند بيوت
نصار - على ثلاثة أميال من مكة :

ومن طريق العراق، على ثنية جبل بالمقطع، على سبعة أميال؛

ومن طريق الحِجْرَانَةِ في شعب آل عبد الله بن خالد، على تسعة أميال؛
ومن طريق الطائف على عرفات، من بطن نَمْرَةٍ، على سبعة أميال؛
ومن طريق جُدَّة، متقطع الأعشاش، على عشرة أميال.

فهذه حد ما جعله الله تعالى حرماً، لما أختص به من التحريم، وبأين يحكمه
سائر البلاد.

٥. نطبقه ونعربه وصحَّ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن هذا البلد (يعني مكة) حرَّمه الله يومَ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ". وفي رواية: "قبل أن يخلق السَّماوات والأرض". فيكون تحرُّمُها قبل خلق السَّماوات والأرض كتابةً تحرُّمها في اللوح المحفوظ، أو تقدِّر حرَّمتها. وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن إبراهيمَ حُرِّمَ مَكَّةَ، ومعناه أظهر حرَّمتها. قال السَّهيلي: رُوي في التفسير أن الله تعالى لما قال ١٠
للسَّماوات والأرض: "إِنِّي طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" لم يُجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم. فلذلك حرَّمها. فصارت حرَّمتها كحرمة المؤمنين: إنما حُرِّمَ دُمُه وعرضه وماله، بطاعته لربه. وأرض الحرم لما قالت "أَتَيْنَا طَائِعِينَ" حُرِّمَ صيدها وشجرها وخَلَّاهَا، إلَّا الإذْنَر، فلا حرمة إلا لذي طاعة. جعلنا الله من أهل طاعته!
١٥. حفظ شجرة وصحَّ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة. لا يُعَصَّدُ شجره ولا يُنْفَرُ صَيْدُه ولا يُحْتَلَى خَلَّاهُ".

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظمون هذا الحرم ويمتنعون قطع شجره.
قال الواقدي: لما أن أُرادت قريش البنيان، قالت لَقُصَى: "كيف نصنع في شجرة

الحرم؟ خذّرم قطعها وخزّفهم المقوية في ذلك. فكان أحدهم يُحرّف بالبيان حول الشجرة، حتى تكون في منزله.

٨٧
قطع شجرة ومقدار
دية كل شجرة بيقرة

قال : وأول من ترخص في قطع شجر الحرم، عبد الله بن الزبير .
قال السهيلي : أتيتُ ابن الزبير دُورا بَقَعِيْعَانِ وترخص في قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة . وكذلك رُوِيَ عن عمر أنه قطع دُوْحَة كانت في دار أسد بن عبد المزي، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة . وذلك قبل أن يُوسّع المسجد . فقطعها وودّأها ببقرة .

عَرَافَات

عرفات ملتقى الخليطين من شام ويمن، وجميع البحرين من الزعقة إلى عدن. به يتحلى الله على عباده، ويهبهم المغفرة. وبها الصخرات، تقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث تقف المحامل.

نقطة آدم وعلى قنة هذا الجبل قبة آدم. هكذا نسمي. ويقال إن هناك تعارف آدم وحواء، بعد أن أخطأ.

تسمية عرفات وعرفات علم للوقوف، مسمى يجمع، كأذرعيت. وأختلف في تسميتها بذلك. قيل: لأنها وُصفت لإبراهيم، فلما أبصرها عرفها؛ وقيل إن جبريل (عليه السلام) كان يدور به في المشاعر، يريه إياها، فقال: قد عرفت، وقيل التفتي فيها آدم وحواء فتعارفا، كما تقدم. وقيل لأن الناس يتعارفون فيها. وهي من الأسماء المرجلة، لأن عرفة لا تعرف في أسماء الأجناس. (١)

مسجد نمرة

ويسمى مسجد إبراهيم. يقال إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) بناه. ولا يصح هذا. وهو على يمين السالك من مكة إلى عرفات، قريب الطريق، مدانيا لعرفة.

وعادة الخطابة به في وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكة المعظمة. وجدره قائمة، وكذلك منبره. ولا سقف له.

(١) يبش في آخر الصفحة بالأصل مقداره سبعة أطوار.

مسجد عائشة

رضي الله عنها

هو بالتنعيم في الحِلِّ، عند أول الحرم، ولا يحضرن من بناءه. وكل مسجد هناك يسمى بهذا، وأشهرها المصائب للطريق على يسار الداخل إلى مكة. وإنما نُسب إلى عائشة لكونها آعمرت من التنعيم، ولعلها أحرمت في البقعة التي بنى بها المسجد، وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة

رضي الله عنها

وسمى بذلك لكان قبرها، وهناك مات أبو جعفر المنصور، ودفن محرمًا، على ما هو مذكور في موضعه. وميمونة هي بنت الحارث، [أخذ] أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وكانت أختها أم عبد الله بن العباس.

المواقيت

روى ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلم. وقال: "هنّ لمن ولن أتى عليهنّ من غير أهلهنّ، ممن أراد الحجّ والعمره. ومن كان دون ذلك، فن حيث أنشأ، حتّى أهل مكة من مكة." أنرجاه في الصحيحين. فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لايحوز لأحد ربد الحجّ والعمره أن يتجاوزها إلا محرمًا. وأما من لم يرد الحجّ أو العمره، فكذلك عند عقها الأمصار، وقولان عند الشافعي. وموضع ذلك كتب الفقهاء.

٨٥

ذو الحليفة،
مبقات أهل الشام
في عصر المؤلف

أدرك هذا الطريق

الخمس

(اسمها القديم
مهيعة)رابع موضع إجماع
الركب المصري
في عهد المؤلف
قرن المازل(تعليط المؤلف
لجوهري)

بلم

ذات عرق

فأما ذو الحليفة فهو أبعد المواقيت، على عشر مراحل من مكة، أو سبع منها.
(وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام). ومنها يُحرم الآن الركب الشامي.

وبها آبار تسمى آبار على. وبض الناس يقول بئر المحرم.

والجحفة موضع على ثلاث مراحل من مكة. (وهي بضم الجيم وسكون الحاء
المهملة بعد الجيم).

وذكر ابن الكلبي أن المالقي أخرجوا بني عييل (وهم إخوة عاد) من يثرب. فزلوا
الجحفة، وكان اسمها مهيعة، (بفتح الميم وسكون الهاء على وزن مقتلة وقيل بكسر
الهاء على وزن قبيلة). فجاءهم سيل فأجتاحهم، فسميت الجحفة.

ولما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة أصابهم حمى. فدعا النبي
(صلى الله عليه وسلم) الله تعالى أن ينقل حمأها إلى الجحفة.

وهي شرق رابع ممر الركب المصري. ومن رابع يُحرم الآن.

وقرّن المنازل (بفتح القاف وسكون الراء)، موضع على مرحلتين من مكة. وقد
غلط الجوهري في قوله بفتح الراء، وقوله إن أودسا القرني منسوب إليها. بل هو
منسوب إلى قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد.

ويلهم (ويقال ألمم بالهمزة عوضا عن الياء)، موضع معروف على مرحلتين من
مكة. وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام.

ومن المواقيت ما لم يذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث. وهو مبقات
المراقين، وهو ذات عرق. وبينه وبين مكة خمس مراحل.



المسجد النبوي

على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

الحرم النبوي

موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه .

الروضة الشريفة

و بجانبه حجرته المعظمة، التي ضمت أعظمه . والله القائل :

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظَمُهُ ، * فطاب من طيبن القاع والأكرم !

نفسى الفداء لغير أنت ساكنه ، * فيه العَفَاف وفيه الجود والكرم !

قدم النبي
إلى المدينة ومصلاه
فيها

قال أنس : "قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل في علو المدينة، في حثي

يقال لم بنو عمرو بن عوف . فأقام فيهم أربع عشرة ليلة . ثم إنه أرسل إلى ملائكة

التجارة، فجاءوا متقلدين سيوفهم . فكان في أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على

راحلته، وأبو بكر ردفه، وملائكة التجارة حوله، حتى أتى بيضاء أبي أيوب . قال : "وكان

يصل حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم" .

بناء الذي
أسجده بالمدينة

ثم إنه أمر بالمسجد . فأرسل إلى ملائكة التجارة، فجاءوا . فقال : يا بني التجارة، ثامنوني

بحايطكم هذا . فقالوا : لا والله ! . انطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى .

قال أنس : وكان فيه نخلة، وقبور المشركين، وتحرب . فأمر النبي (صلى الله عليه

وسلم) بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت، وبالحرب فسويت . قال : وصفا

(١) في المواهب اللدنية (ج ٢ ص ٥١٠ طبع بمحمد شافعي بالقاهرة سنة ١٢٨١) أن محمد بن حرب الملاح

أتى نهر النبي (صلى الله عليه وسلم) . فزاره وجلس بمحذاه . فجاءه أمر أبي فزاره . ثم قال : يا حبيب الرسل إن الله

أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه : "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجدهوا الله توابا رحيمًا" . وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي . مستغفرا بك إلى ربّي ! وإنشأ يقول :

* يا خير من ذهب . . . البين *

وأقرأ أيضا شرح "المواهب" للزرقاني (ج ٨ ص ٣٦١ من طبعة يولاي سنة ١٢٧٨)

٥

١٠

١٥

٢٠

النخل قبله، وجعلوا عضادتيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، وهم يقولون :

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ! . فأنصر الأنصار والمهاجرة !

(رواه البخاري ومسلم)

وروى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية، قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى المسجد يؤمّه جبريل إلى الكعبة ويُقيم له القبلة .

قال السهيلي : بُني مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسُقي بالجرید وجُعِلت قبلته من اللبن . ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وحيطانه باللّبن ، وجُعِلت عمده من جذوع النخل . فتخربت في خلافة عمر ، فحُددتها .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : "كانت هذه القبلة في شمالي المسجد . لأنه (صلى الله عليه وسلم) صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس . فلما حُوِّلَت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصُّفّة" .

قال أبو سعيد الخدري : كان سقف مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) من جريد النخل . وأمر عمر ببناء المسجد، وقال : أكره الناس من المطر، وإياك أن تمر أو تصغر، ففتنّ الناس !

١٥

وعن عبد الله بن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبنيًا باللّبن، وسقفه الجريد، وعمده خُشْب النخل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئا . وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باللّبن والجريد، وأعاد عمده خُشبا، ثم غيّر عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقّفه بالساج . (رواه البخاري في صحيحه) .

٢٠

زيادة حمويه

مرويه

٨٧

زيادة هناد

بن عوف

وعن عكرمة قال: قال لي عبدالله بن عباس ولايته علي: "انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه". فأنطلقا. فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فأحتجى ثم أنشأ يتحدثنا حتى أتى علي ذكر بناء المسجد. فقال: "كما يحمل لينة لينة، وعمار لينتين لينتين، فرأه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفض التراب ويقول: ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! قال: يقول عمار! أعوذ بالله من الفتنة!" (رواه البزار). وزاد معمر في "جامعه" أن عمارة كان ينقل لبتين لبتين: لينة عنه ولينة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لناس أجر ولك أجران، وآخر زادك من الدنيا شربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية."

مساحة الحرم
في عهد النبي

وعن خارجة بن زيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال: بنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجده سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً، أو يزيد، فلما كان عثمان، زاد فيه. جعل طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت في زمن عمر. وأمتعت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهي التي دفن فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه رضي الله عنهما). فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد، فيصل إلى العوام ويؤدي إلى المحذور الذي نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اتخاذ المساجد على القبور. ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشالين، حفرهما حتى ألقيا، كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها): "ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً."

الزيادات المتوالية
فيه



ثم إن الوليد بن عبد الملك زاد فيه فجعل طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدمته مائتين، وفي مؤخره مائة وعثمانين.

زيادات العباسيين

ثم زاد فيه المهدي سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون سنة آئتين ومائتين، وأتقن بنيانه ونقش فيه : ” هذا ما أمر به عبد الله المأمون “ في كلام كثير

- قال العلامة أبو زكريا النووي، رحمه الله : فينبغي للصلي أن يستني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في زمنه (صلى الله عليه وسلم) . فإن الحديث الصحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ” صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام “ إنما يتناول ما كان في زمنه ، لأنه هو الذي حصلت الإشارة إليه . لكن إذا صلى في جماعة ، فالتقدم إلى الصف الأول ، ثم إلى ما يليه أفضل . فليتفطن لذلك .

- وذرع ما بين المبر ومقام النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يصلي فيه حتى توفي ، أربعة عشر ذراعاً وشبر .
- وذرع ما بين المبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعاً وشبر .

بيوت النبي

صلى الله عليه وسلم

- قال السهيلي : كانت بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) تسعة : بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضاً .
- قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : ” لم يبلغنا أنه (صلى الله عليه وسلم) بنى له تسعة أبنات ، حين بنى المسجد . ولا أحسبه فعل ذلك . إنما كان يريد بيتاً حينئذ لسودة ، أم المؤمنين . ثم لم يحتاج إلى بيت آخر ، حتى بنى لعائشة في شوال سنة آئتين . وكأنه (صلى الله عليه وسلم) بناها في أوقات مختلفة . والله أعلم “ .

(١) يراى بأسفل الصفحة في الأصل مقدار درجة أسطر .

المسافة بين المبر
ومصلى النبي وقبره



بيوت النبي

وقال الحسن بن أبي الحسن : كنتُ أدخل بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنا غلام مراهق فأناال السقف بيدي . وكان لكل بيت حُجرة . وكانت حُجره (عليه السلام) أكبى من شِعْرِ مربوطة في حَشَبِ عَرَعٍ .

وفي تاريخ البخاري أن بابه (صلى الله عليه وسلم) كان يُقَرع بالأظافر . أى لآحَقْ له .

تداخل بيوته
في المسجد ، أيام
عبد الملك بن
مروان

ولما توفي أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حُلِطت البيوت والحُجر بالمسجد . وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . فلما ورد كتابه بذلك ، ضجَّ أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته .

قال السهيلي : وهذا يدل على أن بيوته (صلى الله عليه وسلم) إذا أُضيفت إليه ، فهي إضافة ملك : كقوله تعالى : "لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ" . وإذا أُضيفت إلى أزواجه كقوله : "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ" فليست إضافة ملك . وذلك أن ما كان ملكاًه ، فليس بموروث عنه .

مسجد قُبا



مسجد قُبا
(وهو أول مسجد
بني في الإسلام)

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسسه لبني عمرو بن عوف . ثم آتَنَقَلَ إلى المدينة .

كيفية تأسيسه

وذكر ابن أبي حَتِّمَةَ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجرا في قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر . ثم أخذ الناس في البناء .

وذكر الخطابي عن الشُّمُوس بنت النعمان، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى مسجد قُباء يأتي بالجحر قد صهره إلى بطنه، فيضعه، فيأتي الرجل يريد أن يحمله، فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.

قال السهيلي: وهذا أول مسجد بُني في الإسلام، وفي أهله نزلت: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا"، فهو على هذا المسجد الذي "أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى". وإن كان قد روى أبو سعيد الخُدْري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن المسجد الذي "أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى" فقال: هو مسجدى هذا. وفي رواية أُخرى قال: وفي الأرض خير كثير. وقد قال لُبَيْ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ حين نزلت "لَسَجْدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا"، ما الطهور الذي أُمِنَ اللهُ به عليكم؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستنجار بالحجارة. فقال: هو ذا كم، فعليكموه!

قال السهيلي: وليس بين الحديثين تناقض. كلاهما أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى. غير أن قوله سبحانه "مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ" يقتضى مسجد قُباء، لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول النبي (صلى الله عليه وسلم) دار هجرته والبلد الذي هو مهاجرة.

قال القاسم بن عبد الرحمن: عمار بن ياسر أول من بنى مسجدا لله، يُصَلِّي فِيهِ. رَوَاهُ أَبُو عَرُوبَةَ. وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمار في خبر بناء مسجد المدينة. قال السهيلي: إنما عني بهذا مسجد قُباء، لأنه هو الذي أشار على النبي (صلى الله عليه وسلم) ببنائه. وهو الذي جمع له الحجارة. فلما أسسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسَّسَ بِنَائِهِ عَمَّارٌ.

(١) نى أدبه، بل خلقه | أطر القلان ج ٦، أدبه ص ٥٨ |

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يزور قباء راكبا وماشيا، فيصل في ركعتين، متفق عليه. وفي رواية: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأتي مسجد قباء كل سبت، راكبا وماشيا. وكان ابن عمر يفعله.

مسجد الضرار

مسجد الضرار

رُوي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء - وكان يأتيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويصلي فيه - حسدوا إخوتهم بنو غنم بن عوف . وقالوا : نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي فيه ، ويصلي فيه أبو عامر الراهب ، إذا قديم من الشام . ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم . زعموا . وأبو عامر هو الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) الفاسق . وقال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم . فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين . فلما انهزمت هوازن ، خرج هاربا إلى الشام . وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ، وآت بجنود ، ونخرج محمدا وأصحابه من المدينة .

فبنوا مسجد الضرار إلى جانب مسجد قباء . وقالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) : "بنينا مسجدا الذي العلة والحاجة واليلة المطيرة والثانية . ونحن نحب أن تصلي لنا فيه ، وتدعونا بالبركة" . فقال (صلى الله عليه وسلم) : "إني على جناح سفر وحال شغل . وإذا قدمنا ، إن شاء الله ، صليتنا فيه" . فلما قتل من غزوة تبوك ، سأله إتيان المسجد ، فنزل قوله : "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا" إلى قوله "لَا تَمَّ فِيهِ أَبَدًا" الآيات .

فدنا بمالك بن النخشم وممن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي، قاتل حمزة، فقال لهم: "انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه - فأهدموه وأحرقوه"، ففعلوا، وأمر أن يُجعل مكانه كُتامة تلقى فيها الحيف والقمامة .

(٩٢)

وقيل كل مسجد بُني مباهةً، أو رياءً ومُتمعةً، أو لفرضي سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار .

وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر، فقيل له: مسجد بني فلان، لم يصلوا فيه بعد، فقال: "لا أحب أن أصلي فيه، فإنه قد بني على ضرار". وكل مسجد بني على ضرار أو رياء، فإن أصله ينتمى إلى المسجد الذي بُني ضراراً .

وعن عطاء: لما فتح الله الأمصار على عمر (رضي الله عنه) أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه .

١٠

وذكر ابن إسحاق الذين آخذوا مسجد الضرار وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يعرف بمجار الدار. وهو جارية بن مجّج بن العطف. وذكر فيهم أبنه مجّجاً، وكان إذ ذاك غلاماً حدثاً قد جمع القرآن . فقصدموه إماماً لهم، وهو لا يعلم بشئ من شأنهم .

وقد ذكر أن عمر بن الخطاب، في أيامه، أراد عزله عن الإمامة . وقال: أليس بإمام مسجد الضرار؟ فأقسم له مجّج أنه ما علم شيئاً من أمرهم، وما ظن إلا الخير . فصنّفه عمر وأقرّه .

١٥

مساجد المدينة

قال الثَّيْلِيُّ: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم)، كلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بُكَيْر بن عبد الله بن الأشَّج، فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطني في سننه.

منها مسجد رائج، ومسجد بن عبد الأشَّهَل، ومسجد بن عمرو بن مَذُول، ومسجد جُهَيْنَة، وأسلم (وأحسبه قال مسجد بن سلمة). وسائرهما مذكور في السنن.

وذكر ابن إسحاق، في المساجد التي في الطريق، مسجداً بذى الحليفة. وكذا وقع في كتاب أبي بَحرٍ ناطاء معجمة، ووقع بالجسيم في كتاب قرئ على ابن السراج وأبن الأفلح.

بقيع الفرقد

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تدافن أكثر أهل المدينة.

وفيه قبة العباس بن عبد المطلب، عم النبي (صلى الله عليه وسلم). وفيها معه الحسن بن علي. وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن يُخَاف أن يراق في ذلك حُجْم دم. فمنه مروان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبى الحسن [ابنه] إلا أن يدفن مع جده. فكله عبد الله بن جعفر ومُسَوَّر بن مخرمة. فدفن بالبقيع في قبة العباس. وفيها أيضاً زين العابدين، وأبنة محمد الباقر، وأبنة جعفر الصادق.

وفي البقيع أيضاً قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله بستاناً لرجل من الانصار اسمه كوكب. وكان يقال حُش كوكب. والحش البستان.

فَأَسْتَرَاهُ عِثَانُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَزَادَهُ فِي الْبَقِيعِ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ يَدْفَنُ هَاهُنَا رَجُلًا صَالِحًا . فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ .

وَفِي الْبَقِيعِ أَيْضًا قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

وَقَبْرُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ .

وَفِي الْبَقِيعِ أَيْضًا جَمَاعَةٌ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَتَحْتَهُ صَفِيَّةٌ .

وَفِيهِ خَلَاتُيْ مِنَ الصَّعَابَةِ وَالنَّابِيعِينَ .

وَفِيهِ قَبْرُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، إِمَامِ دَارِ الْمَجْدَةِ .

وَأَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ عِثَانُ بْنُ مَطْعُونٍ . قَالَ الْمُطَّلِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَلٍ :

أَوَّلُ مَنْ دَفَنَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْبَقِيعِ ، عِثَانُ بْنُ مَطْعُونٍ ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ

عِنْدَهُ : أَذْهَبَ إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، فَأَتَيْتُ بِهَا حَتَّى أَضَعَهَا عِنْدَ قَبْرِهِ . فَمِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِنَا دَفَنَاهُ عِنْدَهُ . رَوَاهُ أَبُو أَبِي شَيْبَةَ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : ثُمَّ أَتْبَعَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . رَوَاهُ أَبُو أَبِي شَيْبَةَ أَيْضًا .

قَالَ الْأَشْمُئِيُّ : قُطِعَتْ غَرْقَدَاتٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، حِينَ دُفِنَ فِيهِ عِثَانُ بْنُ مَطْعُونٍ .

فَسُمِيَ بَقِيعُ الْغَرْقَدِ لِهَذَا .

وَقَالَ الْخَلِيلُ : ” الْبَقِيعُ مِنْ الْأَرْضِ مَوْضِعٌ فِيهِ أُرُومٌ شَجَرِيَّةٌ . وَبِهِ سُمِيَ بَقِيعُ الْغَرْقَدِ . وَالْغَرْقَدُ شَجَرٌ كَانَ يَنْبَتُ هُنَاكَ “ .

وَالْبَقِيعُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ الَّذِي فِي جِهَةِ الشَّرْقِ ، الَّذِي وَرَاءَ دَارِ عِثَانَ بْنِ عَقَّانٍ .

وَمِنْهُ يَخْرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ . (١)

قبصة لإبراهيم
(ابن النبي)

قبة فاطمة وضيها
من أمهات المؤمنين
والصعابة والنابيعين

قبة مالك بن أنس

قوله مدحون بالبقيع

سبب تسمية
بالغرقدة



سمى الغرقدة

المسجد الأقصى

كلمة سادة على الحرم
القدس

معهد الأنبياء، ومعهد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأول القبلتين
حال الابتداء. شيدت ملوك بني إسرائيل معاهد، وشدت بقباب البروج معاقده؛
ثم تدارك بنو أئمة دماء، وصنحوا أرضه وسماعه؛ وهذا هو على ما هو عليه من حل
الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام؛ ومن صخرته المقدسة الميراج، حيث
عرج بخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلى حضرة القدس.
وبسط له بساط الأنس؛ ودنا من ربه مقاماً لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل
إليه ملك مقرب ولا نبي كريم؛ وقد أم في ذلك المسجد النبيين، وصعد منه إلى أعلى
عليين. وإلى صفيح تلك البقعة المحشر، ومنها يوم القيامة المنشر. والصخرة بها
عرش الله الأدنى، ومقام الفخار الأسنى؛ وهي التي ترف إليها عروس الكعبة زفا.
وتقسم الناس لشقاوة وزلفى الفضائل التي لا تحصى.
قد تقدم حديث أبي ذر: أول مسجد وضع، المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى.
وبينهما أربعمائة عام.

(٩٥)

وروى عن علي بن أبي طالب، قال: كانت الأرض ماء فبعث الله ريحاً فمسحت
الأرض مسحاً، وظهرت على الأرض زبدة فقسمت أربع قطع. خلق من قطعة
مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو الفرج
ابن الجوزي.

وروى ابن منته بسنده، أن كعباً قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على
أساس قديم، كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

بيت المقدس

- قال ابن الجوزي: سكن الجبارون في الأرض المقدسة فسلط عليهم يوسع، ثم سلط الكفار على بيت المقدس فصيروه منزلة. فأوحى الله (عز وجل) إلى سليمان فيناه. وروى عن سعيد بن المسيب قال: أمر الله تعالى داود أن يبنى مسجد بيت المقدس. قال: رب! وأين أبيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهرا سيفه. قال: فراه في ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما أرتفع أنهمم. فقال داود: يارب! أمرتني أن أبني لك بيتا، فلما أرتفع هدمته. فقال: يا داود إنما جعلتك خليفة في خلقي، لم أخذته من صاحبه بنير ثمن؟ إنه يبنيه رجل من ولدك. فلما كان سليمان سامم صاحب الأرض، فقال: هي بقطار. فقال سليمان: قد أستوجبها. فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ قال: لا بل هي خير.
- قال: فانه قد بدلى. قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين بالخيار مالم يتفرقا. (قال عبد الله بن المبارك، هذا أصل الخيار). فلم يزل يراذه، ويقول له مثل قوله الأول، حتى أستوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتى فرغ منه، وتغلقت أبوابه. فعاملها سليمان أن يفتحها، فلم تفتح، حتى قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلا تفتحت الأبواب! ففتحت الأبواب.

- قال: ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قتره بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل. وخمسة آلاف بالنهار. لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار، إلا والله عز وجل يُعبد فيه.



وقال أبو عمرو الشيباني: أوحى الله إلى داود: إنك لن تنم بناء بيت المقدس. قال: أي رب! ولم؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم. قال: أي رب! أو لم يكن في طاعتك. قال: بلى وإن كان.

وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن آبن بيت المقدس. فجمع حكام الإنس وغاريت الجن وعظمه الشياطين. ثم فرق الشياطين، فجعل منهم فريقا يتنون، وفريقا يقطعون الصخور، وفريقا يقطعون العُمد من معادن الرُّحَام، وفريقا يفكسون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان. وأخذ في بناء المسجد، فلم يثبت البناء. وكان عليه خير بناء داود. فأمر بهدمه. ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء. فقال: ^٥ أَسْنُوا عَلَى الْمَاء. فَأَلْقُوا فِيهِ الْمَجَارَةَ. وكان الماء يلفظ المجارة، فاستشار في ذلك، فأشاروا عليه أن يتخذ قِلَلا من نحاس، ثم يعلّوها مجارة، ثم يكتب عليها ماعلى خاتمه من ذكر التوحيد، ثم يلقيا في الماء لتكون أساس البناء. ففعل. فثبت وبني. عمل بيت المقدس عملا لا يوصف، وزينه بالذهب والفضة وألوان الجواهر في سمانه وأرضه وأبوابه وجُدُرِه. ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد لله، وأنه هو الذي أمر ببنائه، وأنه من أنتقصه أو شيئاً منه، فقد ضاّ الله، وأنه كان قد عهد إلى داود في ذلك، ثم أوصى سليمان بذلك من بعده. ثم آخذ طعاما وجمع الناس.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: "فَضْرَبَ بِمِصْرِهِ" ^{١٠} بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِيلِهِ الْعَذَابُ" قال: هو سور بيت المقدس الشرق. وقد أضربنا عن كثير مما ورد في البناء السلياني والعجائب التي كانت فيه، لعدم صحته بالنقل.

وأما ماورد في فضله.

فصل بيت المقدس

فنه حديث أنس. قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): صلاة الرجل

(١) الحبر بالفتح شبه الحظيرة أو الحى | أنظر لسان العرب ج ٥ ص ٣٠٨ |

في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبايل بست وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجمع فيه بمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

﴿٣٧﴾

وعن أبي ذر قال : قيل : يا رسول الله ! صلاة في بيت المقدس أفضل ، أم صلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال : "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ولنعم المصلّي ! هو أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمانٌ . وتَبْسُطُهُ قَوْسٌ من حيث يُرى بيت المقدس ، أفضل وخير من الدنيا جميعاً!"

وصحّ عن موسى (عليه السلام) أنه لما أَحْتَضَرَ قال : يارب أدنى من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ ! .

١٠

ونزله أبو ذر وأكثر فيه الصلاة . وصلى فيه ابن عمر . ومات فيه عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وأبو أبي بن أُمّ حرام ، وأبو ريحانة (وأسمه شمعون) وذو الأصابع ، وأبو محمد التجارى . هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به . والذي أعقب منهم عبادة وشداد وسلامة بن قيسر وفيروز الديلمي . والذي لم يعقب منهم أبو ريحانة وأبو محمد التجارى وذو الأصابع .

١٥

وقال أبو الزاهرية : أتيت بيت المقدس أريد الصلاة . فدخلت المسجد وغلّقت عني سُدَّةُ المسجد . حتى أَطْفِئْتُ القناديل ، وأَنقَطَعَت الرجل ، وغلّقت الأبواب . فذبا أنا كذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان ، قد أقبل وهو يقول : "سبحان الدائم القائم ! سبحان الدائم ! سبحان الحى القيوم ! سبحان الملك القدوس !

سبحان رب الملائكة والروح ! سبحان الله وبحمده ! سبحان العلى الأعلى ! سبحانه
وتعالى . ثم اقبل حفيف يتلوه ، يقول ذلك . ثم اقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون
بها ، حتى أمتلأ المسجد . فلذا بعضهم قريب منى . قال : آدمي ؟ قلت : نعم . قال :
لاروع عليك ، هذه الملائكة ! قلت : سألتك بالذى قواكم على ما أرى ! من الأول ؟
قال : جبريل ، قلت : ثم الذى يتلوه ؟ قال : ميكائيل . قلت : من يتلوهم بعد ذلك ؟
قال : الملائكة . قلت : سألتك بالذى قواكم على ما أرى . ما لقاها من الثواب ؟ قال :
من قالها مرة في كل يوم ، لم يمك حتى يرى مقعده من الجنة ، أو يرى له .

٩٨

وروى أبو عبد الله بن باكوية ، بسنده إلى محمد بن أحمد الصوفي ، قال : قال لى
أستاذى أبو عبد الله بن أبى شعبة : " كنتُ ببيت المقدس . وكنتُ أحبُّ أن أبيتَ
في المسجد ، وما كنتُ أترك . فلما كان في بعض الأيام ، بصرتُ في الرواق مُحْصِرَةً .
فلما أن صليت العتمة وراء الإمام ، أتيتُ الحُصْرَ ، فأخبتُ ورائها . وأنصرف الناس
والقوام . ثم خرجتُ إلى الصخرة . فلما سمعتُ غلق الأبواب ، وقمت عني على
المحراب وقد أنشق ودخل منه رجلٌ ثم رجلٌ إلى أن تم سبعة . وأصطف القوم .
ولم أزل واقفا شاخصا زائل العقل إلى أن انفجر الصبح . فخرج القوم على الطريق
الذى دخلوا . "

وبه إلى ذى النون قال : بينا أنا في بعض جبال بيت المقدس ، سمعتُ صوتا
يقول : ذهبت الآلام عن أبدان الخدام ، وهلت بالطاعة عن الشراب والطعام ، وألئت

(١) في الأصل : قال .

(٢) في الأصل : لما .

(٣) أى : وبسند منى بسندى عباده بن باكوية .

١٥

٢٠

قلوبهم طول القيام . بين يدي الملك العلام ! فبعت الصوت . فإذا أمرذ مصفرُّ
الوجه . يميل ميل الفصن إذا حركته الريح . عليه شملة قد آتَر بها ، وأخرى قد أَسَح
بها . فلما رآني ، توادى عني بالشجر . قلت : ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين . فكَلَنِي
وأَوْصِنِي . فخر ساجدا . وجعل يقول : هذا مقام من لا ذك وأستجار بمعرفتكَ وأَلَفَ
محبتيك ! فإي إله القلوب ، أَعْجِبْنِي عن القاطعين لي عنك ! قال : فغاب عني ولم أره .
وَرَوَى عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ” يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ “ قَالَ :
من صخرة بيت المقدس . وقال يزيد بن جابر في الآية : يقف إسماعيل على صخرة بيت
المقدس . فينفخ في الصور . فيقول : أيها العظام النخرة ، والجلود التمزقة ، والأشعار
المتقطعة : إن الله تعالى أمرُك أن تجتمعى للحساب !

وروى آبن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : إن الجنة لتحت شَوْقًا إلى بيت
المقدس . وبيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي سرَّة الأرض . (يعني الصخرة) .
وبه عن أبي إدريس الخولاني قال : يحول الله صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء
كمرض السماوات والأرض . ثم ينصب عليها عرشه . ثم يقضى بين عبادِهِ ، يصيرون
منها إلى الجنة وإلى النار . وقال أبو العالية في قوله تعالى : ” إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا “
قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس .
قال المفسرون في قوله تعالى : ” وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ “
قالوا : هو إسماعيل . يقف على صخرة بيت المقدس فينادي : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُّوْا إِلَا
الحساب ! إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء ! (وهذه هي النفخة الأخيرة .
والمكان القريب صخرة بيت المقدس) .

قال كعب ومقاتل : هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا . وقال ابن السائب :
بأثنى عشر ميلا .

وروى أن كعبا قدم ليلياء قرشا [حبرا] من أحبار يهود بضعة عشر دينارا على
أن دله على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرغ من بناء المسجد .
وصلى مما يلي ناحية باب أسباط . فقال كعب : قام سليمان بن داود على هذه
الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله . فدعا الله عز وجل بثلاث . فأراه تعجيل
إجابته في دعوتين ، وأرجو أن يستجيب في الثالثة . فقال : " اللهم هب لي ملكا
لا يبني لأحد من بعدى ، إنك أنت الوهاب " فأعطاه الله (عز وجل) . وقال : " اللهم
هب لي ملكا وحكما يوافق حكك ! " . ففعل الله (عز وجل) ذلك به . ثم قال : " اللهم
لا يأتني هذا المسجد أحديده الصلاة فيه ، إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه ! " .
هذه نبذة يسيرة من ابتدء وضعه .

فتح بيت المقدس
في أيام عمر ، ثم في
أيام صلاح الدين .
ثم تسليمه للفرنج ،
واستنقاذه منهم



وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
واستيلاء الفرنج عليه ، ثم فتحه على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ،
وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل ، ثم استنقاذه منهم بعد ذلك على
يد الناصر داود بن المعظم ، فليس هذا موضعه . وسيأتى إن شاء الله تعالى في التاريخ
التلويح بذلك والإشارة إليه . فهناك ذكره أنسب .

وذكره ومزاراته
إلى سنة ٧٤٣

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى ، وما أشتمل عليه من المزارات ، على
ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

وقد آلف في ذلك صاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تاليفاً صغيراً سماه: "سلسلة المسجد"، في صفة الصخرة والمسجد، نقلتُ منه ما يليق بهذا الموضوع، معتمداً في ذلك على ما حرره بالذراع.

نصيف حص
في الحرم المقدسي

وتبتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فنقول:

الصخرة الشريفة

- أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول، فارفعاه ثمانية عشر ذراعاً؛ يعلو ذلك كرسى القبة، وأرضاعه عشرة أذرع وربع، ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلاث ذراع. في دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك، وهي مثنة الأركان. كل ثمانية تسعة وعشرون ذراعاً وثلاث ذراع. والبناء من ظاهره مكسوً منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر. ومن أعلاه سبعة أذرع إلى الميازيب بالقص المذهب المشجر المختلف. وتحتوي كل ثمانية على سبع طاقات:
- ١٠ اثنتان في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد. ومن أعلى الميازيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع، مكسو بالقص بالصفة المذكورة، مشخص في كل ثمانية منه ثلاثة عشر محراباً. ولها أبواب أربعة: فالقلى ارتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وعش. وأمامه من خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعاً ونصف، وعرضه أربعة. سقفه بسط مدحون. والوسط أمام الباب قنطرة بالقص المذهب، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام: منها غرابي اثنتان في طرفيه، وخضرميسيتي تلوهما أربعة وثمان وعش. اثنتان، بين الأعمدة القراني والخضرميسيتي رخام متقوش الظاهر سعته ذراعاً وثلاث. تنزل فيه المياه المتحدرة من المزاريب.

المحيط بها وطائفة
وشبابيك

وصحى للبناء على
الطراز القراني

﴿١٤٠﴾

وَيُعلقُ على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش .
وعلى يَمْنَةِ الداخل ويُسْرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع ، في رؤوس الثمنينة
الأقولة خاصة . ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي .
ذكرها ثمانية أذرع وثلاث ذراع ، بأعلاها سقف بسط مدحون بأنواع الدخان ، ارتفاعه
خمسة عشر ذراعاً ، محمول على حائط الصخرة . والأعمدة والحائط من باطن الثمنينة ،
مُلبسٌ جميعه بالرخام بغير فص . إنذار به بخرام متقوشة تقدير ذراع مذهبة .^(١)

كل ثمنينة من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والمؤن
البديع . دور كل نسارية أحد عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وطولها ثمانية أذرع وثلاث ذراع ،
وجهاها الذي على الصخرة بُقْرتين . ومع السارية عمودان : أحدهما "ششم" ولحم "والآخر
أخضر مرسقي" . بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع . ودوره ذراعان وثلاث ذراع .
وارتفاعه خارجاً عن القواعد ستة ونصف يعلوها "بساتل" ملبسة بالنحاس الأصفر
المنقوش المذهب فوق نقشه . يعلو "البساتل" قناطر بالقص المذهب البديع .

بهذه الثمنينة الأولى ، ثمانية سَوَارٍ وستة عشر عموداً : منها أبيض وأزرق عشرة .
واخضر مرسقي ثلاثة ، و"ششم" ولحم ثلاثة .

(١٤٢)

وتقسم من واجهة قواعد هذه العمدة عشرة أذرع لثمنينة ثانية عليها سقف
"مقالى" مذهب ، ارتفاعه ارتفاع السقف الأول . و"مقاله" مركبة بغير تسمير لأجل
كس السقف ، والسقف الذي يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن . وبآخر هذه
الثمنينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة . والحامل للقبة أربعة سَوَارٍ مربعة ملبسة

(١) هكذا في الأصل . وربما كان المراد : باستدارته .

بالرخام مثل الأول، بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام "الشحم والظم"
والأخضر المرسقي. يعلو ذلك قناطر من الوجهين : فُسْ مُذْهَبٌ، والباطن رخام
أبيض وأسود، جملة الأعمدة الحاملة للقبه اثنا عشر عموداً : منها أخضر ومرسقي
سبعة، و"شحم وظم" خمسة.

- ٥ قال: ولقد قستُ عموداً منها "شحمًا وظمًا" فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفاً وارتفاعه
خارجاً عن القواعد سبعة أذرع وثلاثي ذراع.

وارتفاع هذه القبة الخشب المنحبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشرفة سبعة
وأربعون ذراعاً، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة
الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف.

الارتفاعات القبة

- ١٠ قال: ولقد قست الدور الحامل للقبه بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع.
وصفة الشباك الحديد الذي بين هذه العمود والسواري، له أربعة أبواب: الشمالي
منها مغلق، والثلاثة مفتوحة. فأما القلي- فيصعد إليه بدرجتين. ومن حد عتبه من
داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع. ويحيط بحجر الصخرة من هذه الجهة
ملبس بالرخام الملون ارتفاع ذراعين. ويحيط بحجر الصخرة من تمة أقطاره درابزين
من الخشب المنقوش. دوره أربعة وسبعون ذراعاً. وبآخر هذه الصخرة المربعة من

صفة الشباك
وبوابه

- ١٥ من الخشب المنقوش. دوره أربعة وسبعون ذراعاً. وبآخر هذه الصخرة المربعة من
غريب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صفار. قيل إنه أثر قدم النبي
(صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج. وقبالة القدم المشار إليه امرأة من السبعة معادن
يسمونها "درة حمزة" محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف: منهن اثنتان "روحان في جسد".

أثر قدم النبي فيها
يقال

درة حمزة

مرآة من السبعة
معادن

(١) بالاصل : وثلاثي.

(٢) بالاصل : السبع سادس.

وأرفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلاث ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة.
وبأعلى الشرفة شمعانات حديد.

والمحراب الذى يصلى به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلى داخل
الدرازين الخشب المقسم الذكر . وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة ،
معقود قنطرة بالرخام الغريب ، على عمودين "شمعية" يُنزل إلى باطنها أربع عشرة
درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف
من القبلة للشمال .

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

وباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام
لطف . وأمام المحراب الأيمن صُفَّة تسمى "مقام الخيصر" ، طولها من الشرق للغرب
ذراع وثلاث ذراع ، ومن القبلة للشمال ذراعان وربيع . يواجهها عمود رخام قائم
للسقف ، وعمود راقد مَرْدُّها . وبالركن الشمالى من المغارة صُفَّة ترقى الصخرة
يسمونها "مقام الخليل" . عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف ، ومن الشرق للغرب
ذراع وربيع .

وأما الباب الشرقى من بناء الصخرة ، فهما بايان : أحدهما داخل الآخر .
جُعل الباب الخارج قايمة للداخل من الأمطار والتلوج . ملابس بالرخام . رحاب
ماين البايين عرض أربعة أذرع وربيع ، وطول خرجته اثنا عشر ذراعا ونصف .

على يمنة الخارج بيت للقباب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف ، وعلى
يسره بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرصفتى ورزق .

باطن المغارة
مقام الخيصر

مقام الخليل

الباب الشرقى
للصخرة

وعقد ما بين البابين بالقص المنحَب . ومن عتبة الباب الثاني منهما إلى العمدة
سبعة أذرع وثلاث وهو الحامل للسقف البسط .

١٢٣

ومن واجهة العمدة للشباك الحديد أحد عشر ذراعاً . ومن باطن الشباك الحديد
إلى الدرازين الخشب السائر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حدّ هذا الباب
الشرق على يسرة الداخل منه طالباً للقبلة على مسافة تسعة أذرع ، عمودان مرصفتان
أخضر . بأعلامها دُقبست منْهَب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبلة .
وأما الباب الشمالى ويسمى باب الجنة فله نرجة كالتي في الباب الشرقى
وصفتها وحليتها .

الباب الشمالى
المسمى باب الجنة

وفى بين العمودين اللذين أمام الباب - داخل درازين خشب مذهب به محراب
لطيف - إشارة على رخامة السوداء التى يصلى الناس عندها . وقُعدت هذه الرخامة
من مدة زمانية . وعمل مكاتبها رخامة خضراء . والناس يصلون ويدعون عندها .

وأما الباب الغربى فله نرجة كالباين الشرقى والشمالى .

الباب الغربى

وسعة ما بين ستامين الصخرة من داخل مثل الباب الشمالى خلا السعة من الشباك
الحديد للدرازين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلاث ذراع .

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والبناء المضمن المحيط بها .

١٥

وأما الصحن المحيط بها ، بجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

الصحن وساحته

وذرع من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً . ومن الشرق للغرب
مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع .

وزرع ما بين الرواق الذي قبلي الباب القبلي من أبواب الصخرة إلى رأس السلام الموصلة للجامع، ثلاثة ونحسون ذراعا. ومن رأس السلام إلى عتبة الجامع مائة ونحسون ذراعا ونصف وربع.

وبأعلى هذه السلام أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركنين من البناء : منها عمودان صوّان أحمر، والوسطاني رخام أبيض فيه قمر مربع.

ذكروا في التواريخ أن الدماء عنده مستجاب.

وشرق هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعا قناطر مثلها. أعمدتها اثنتان أخضر مرسيني. وفيها بين هاتين القنطرتين في أسفل الحرم صُفّةٌ كبيرة تسمى صفة السبع درّج. يقال إنها مأوى الصالحين والسيّاح في الليل، وعليها يتركون.

وبجانب القنطرة المذكورة أولا، مدهون صورة محراب، بخديبه عمودا رخام لطاف. وفي ركنها الغربي قبتان من رخام. واحدة تعلو الأخرى : كل منهما قطعة واحدة، تسمى قبة الميزان، محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام "الشحم والحلم" بقواعد "شمعية". والقبة التي عليها كتل ارتفاع القبة المذكورة بكلمها : ثمانية أذرع وثلثان. وارتفاع العمود السفلي ذراعا وسدس، وارتفاع العمود فوقاني ذراع ونصف وربع. وتعرف أيضا بقبة النجوم.

وبالقبة القبليّة من جهة غربي الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية، طولها من ظاهرها أربعة وثلثون ذراعا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع. لها بابان يفتحان للشمال، بخديهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعة في جسد واحد،

(١) في الأصل : ساحة.

ملفوفة "منعبة"، وتلو ذلك عمودان لطاف. وأرتفاع بناها تسعة أذرع من أرض
صحن الصخرة .

ويُدخل من البابين المذكورين لرواق طوله ثمانية عشر ذراعاً ونصف في عرض
ستة، بسقف شامئ مذهب ثلاثة عشر مرصعاً. بصدرة القبلي ثلاث طاقات مطلقة
على الحرم وأبواب الجامع .

وبالجبهة الغربية منه قبة معقودة . بكل جهة من جهاتها القبليّة والشماليّة
والغربيّة ثلاث طاقات . ولجنتها الغربيّة باب للدخول إليها من الرواق المذكور،
وطاقة تطلّ على الرواق المذكور .

وبالجبهة الشرقيّة من الرواق المذكور قبة الطّف من هذه . سكن الإمام، وقيم
المكان، وحاصل الزيت .

ورتب الملك المعظم لها إماماً مفرداً يصلي الصلوات الخمس . ورتب بها خمسة
وعشرين نفراً من طلبة النحو وشيخاً لهم ، وشرط أن يكونوا حنفية من جملة طلبة
مدرسته التي خارج الحرم . ووقف على ذلك قرية تسمى بيت لقيا، من عمل القدس
الشريف . وعلى سقفها مكتوبٌ أنه أهتمّ بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة .

وأمام الشبايك الشماليّة التي بالقبعة الغربيّة من هذا الرواق ، على تقدير خمسة
أذرع ، ممشاة معقودة عتقها سبع عشرة درجة ، عرض كل درجة ذراع ، يتوصل
منه إلى أسفل الحرم .

وأمام القبة الشرقيّة من هذا الرواق صُفَعٌ عليها رخامة منقوشة مِرْزاةٌ لإخراج
ساعات النهار ، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلاثان ، وعرضها ذراع وثلاث ،
وارتفاعها ذراع ونصف .

قبة الملك المعظم

الإمام والقضاة
أحاف بيده
المدرسة



غريّة الموقوفة
سلب

مِرْزاة المدرسة

قبة المنتصرين
بالحرم المقدس

ويقابل هذه المدرسة في القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبة لطيفة مكسوة من
ظاهرها بالبياض، خلوة لبعض المنتصرين بالحرم الشريف، يفتح بابها للشمال . وتتم
جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مظلة على الحرم .

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحداها قبة من جهة
الغرب والأخرى في الشمال سقف على عمودين رخام، يصلي عليها المبلّغون في الصلوات
الخمس .

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقي إلى حد الدرج، نهاية صحن الصخرة المبلط من
جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعا .

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معقودة على أربعة أعمدة وساريتين، بنحوت
القبلي والشمالي خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم . وأرتفاع عقد هذه القناطر عشرة
أذرع، أسوة أرتفاع القناطر التي على سائر السلام . وبقي ثلاث قناطر منهن مفتوحة،
يُخرج منهن إلى هذه الدرج المسماة بدرج البراق . وعنتهن ست وثلاثون درجة .
وذرع ما بين أول درجة من هذا الدرج إلى حد السور الشرقي مائة وستة
ونحسون ذراعا وثلاث .

وذرع ما بين الباب الشرقي البراق وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع .
وهذه القبة محمولة على اثني عشر عمودا أخضر مرصفي و"صمّ ولحم"، طول كل
عمود، خارجا عن قواعده، ثلاثة أذرع وثلاث وربع وثمن، وأرتفاع سقفها البسط
الملبس بالرخام ثمانية أذرع .

أعمدة القبة



- جميع ما بين الأعمدة محروق . وما بين العمود والعمود مَتَكَيَّةٌ من الحجر الصَوَّان المنحوت المحلى ، تقدير شبر لا غير . طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف . وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملون . يحدى المحراب عمودان رخام أبيض . وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان . ارتفاع القناطر ذراعان وربيع ، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية عشر ذراعا . ويباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة أعمدة أخضر مرصفي " ونشم ولحم " . ما بين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف . بأعلى الأعمدة قناطر ملبسة بالفص ، طول أربعة أذرع ونصف . والقبة الخشب من أعلى ذلك .

السلسلة المعلقة
برأسها والأرض

- روى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي الخطيب ، بسنده إلى أبي مالك بن ثعلبة ، قال : سمعت إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث عن أبيه عن جده (يرفعه)
" أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض ليتبين الحق من المبطل ، فالحق يناها والمبطل لا يناها ، وأن يهوديا استودع مائة دينار فجحدها . فجاؤوا إلى السلسلة - وقد سبك اليهودي الذهب في عصا - وناولها صاحب المال وحلف : لقد أعطيته دنانيره . وحلف الآخر أنه لم يأخذ . فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم " .
ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالى أعلم .

وذرع ما بين الباب الثماني من أبواب الصخرة (المسمى بباب الجنة) إلى منتهى الصحن المحيط بها إلى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وساريتين مائة وثمانية أذرع .

١٤٨

ويُتَزَلُّ من هذه القناطر في ثمان درج إلى الحرم الشريف . وأمام العرج مَشَاءٌ المشاة الموصلة للحرم
مسطبة مفروشة بالبلاط، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهي مَشَامِلًا إلى باب
الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء ؛ وطول هذه المشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون
ذراعاً . وسيأتي (إن شاء الله) ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم .

• وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهى شمالي الصحن مسطبان .
طول كلٍّ منهما ثمانية أذرع ونصف ، من الشرق إلى الغرب ، وعرضها من القبلة
للشمال ذراعان وثلاث ذراع . يصلي الناس عليهما .

ومن هذا الباب الشمالي على مسافة آتيتين وأربعين ذراعاً طالبا للغرب عمل مسطبة
ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعاً
وثلاث ، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بُني عليها قبة مُمَنَّة ، تسمى
قبة المعراج . بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلاث ، وطوله ذراعان وثلاث . بظاهر
القبة المذكورة حاملاً لأركانها من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عموداً . طول كل
عمود ، خارجاً عن القواعد ، ذراعان وثلاث ذراع .

والثمنية التي بين الأعمدة ملبسة ألواح رخام ملكي مشجرة بأزرق . يُصعد إلى
بابها بثلاث درج رخام . ثم يتزل إلى داخلها بمنتهى .

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر .
باطنها من الأعمدة أيضاً ثمانية عشر عموداً . وبأعلى الرخام المذكور طاقات نصاص
شبه الجلس "المكندج" ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلى الطاقات كرمي القبة . وعرضها
من الشرق للغرب سبعة أذرع ، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع . سعة عرابها
ذراعٌ وثلاث ذراع ؛ وهو بأول المسطبة بلجهة القبلة . والباب والسلام بأخرها بلجهة
الشمال . وثمة المسطبة يصلي عليها الناس .

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاع ستة عشر ذراعاً . وظاهرها في أعلاها قبة لطيفة مكان الهلال، معلقة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية؛ طول كل واحد منها تقدير ذراع .

(١٩٩)

وخرج ما بين الباب الغربي إلى رأس القناطر التي أمامه بأخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وهي أربع قناطر معلقة على ثلاثة أعمدة مكتبة بالأزرق وسارتين . وينزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلى الحرم . ومن حد هذه الدرج إلى السور الغربي (وهو الذي فيه الباب الحديد المعروف الآن بباب القيسارية ، وفيه باب الميضأة وسائر الأبواب الغربية الآتي ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم) تسعة وثمانون ذراعاً وثلاث ذراع .

- ١٠ . وظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على قوّة كل منهن خرقة رخام أو حجر منحوت سبعة . لمن تسعة أبواب . منها بالجهة القبليّة يترى يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذي بالصحن ، وباب بشفل الحرم أمام الجامع ، وبالجهة الشرقية يترى . يعرف أحدهما بالشوك ، ويعرف الآخر بئر الورد ، له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية يترى يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : إحداهما يعرف بالكاس لأن على قوّته كأس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر يعرف بئر .

١٠ . وظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على قوّة كل منهن خرقة رخام أو حجر منحوت سبعة . لمن تسعة أبواب . منها بالجهة القبليّة يترى يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذي بالصحن ، وباب بشفل الحرم أمام الجامع ، وبالجهة الشرقية يترى . يعرف أحدهما بالشوك ، ويعرف الآخر بئر الورد ، له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية يترى يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : إحداهما يعرف بالكاس لأن على قوّته كأس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر يعرف بئر .

(١) بالأصل : وسارتين .

(٢) بالأصل : الصور .

(٣) بالأصل : من ثم الصهاريج . ولا يستقيم الكلام في رأينا إلا إعمال قنطرة ثم رآها زائدة .

(٤) في الأصل : تذكير البئر في مواضع ونص القويون على تأنيها .

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سفل الحرم من الصهاريج، فنقول:

الصهاريج في سفل
الحرم المقدس

في سفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً .

بالجهة القبلى ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد؛ وبباب الجامع واحد؛ وداخل باب الجامع الشرقى واحد، ويسمى بيئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذى داخل باب الجامع، والآخر فى مكان يعمل فيه نجارة الحرم، والبيئر الأسود، وله ثلاثة أبواب: أحدها يُنزل إليه بدرج، ويترى يعرف بالبحيرة، له بابان، ويترى فى الحاكمة التى عند الباب الشرقى، وله بابان: واحد فى الحاكمة، وباب خارج عنها. وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار : منها بالقرب من باب الرحمة واحد له بابان.

❦

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار: يترى بركة بنى إسرائيل، ويترى باب شرف الأنبياء، ويترى بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخانقاه الإسعدي .

وبالجهة الغربية ثلاثة: أحدها باب النواصة، والآخر عند باب الرباط المنصوري، وله بابان: باب فى الحاكمة، وباب خارج عنها، يعرف بأبن عروة، ويترى عند الباب الحليد مغطى بمحصر الأروقة.

(٢)

وهذه الآبار الأثنا والعشرون معمرة بالمياه .

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند درج الميزان، والثاني عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم .

(١) ليس فى الأصل نقط . فقطنا الكلفر لا نضمن أنها ملاقة لما أراد المؤلف ، ويجوز أن تكون نجارة .

(٢) يظهر أن هذه الكلمة مضروب عليها فى الأصل ولكن بكيفية توجب الشك .

وقد آستوعبنا الآن صفة سخن الصخرة وما أشتمل عليه .

فلنذكر ما يباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك .

ونبتدئ أولاً بذكر السور المحيط بذلك جميعه .

صفة السور القليل وما صلقه من المساجد وغيرها

- ٥ وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبةٌ طولها من المحراب للشمال ستة أذرع وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محرابٌ . ويتلوها من جهة شرقها بابُ الزاوية الفخرية ، ويتلو بابُ الزاوية الصخرية من الشرق صُفَّةٌ عشرة أذرع وربع ، وعرضها ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة . وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف ، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف . ومحرابه لطيفٌ ، مركب على عمودين رخام لطاف . ومن ظاهر حائط هذا المحراب إنى حائط جامع النساء نَحْرَجَةٌ في الزاوية الفخرية التي إلى جانبه ، وطول دهليزه أحد عشر ذراعاً وثلاثة أذرع ، وعرضه أربعة أذرع وثلاثة أذرع .
- ١٠ وفي باطن سورهِ الشرقي مسطبة لطيفة ، عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمن .

السور القليل
ومسطبه ومحرابه

١١

- ١٠ وفي ثمانين السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القومة به . وله باب واحد يفتح للشمال . سَعْتُهُ أربعة أذرع وأرتفاعه خمسة أذرع .

باب القوم
والحوائج

جامع المنارية
وجامع النساء.

وقولنا جامع المنارية، لتلبة هذا الاسم على ألسنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المنارية، لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. كل ذلك ليس بمجوامع تمام فيها خطبة. وإنما لكل منها إمام مفرد، يصلي فيه الصلوات الخمس لا غير.

ويتلو جامع المنارية قصوة كبيرة يتلوها جامع النساء. وطوله من الشرق للغرب آثان وستون ذراعاً ونصف ذراع، وعرضه من القبلة للشمال آثان وعشرون ذراعاً وثلاث ذراع، وهو رواقان سقفهما آثان وعشر عقداً: كل رواق ستة عقود محمولة في الوسط على ست عضائد. وبصدره من الشبايك خمسة: عرض الشباك الأول منها ذراعان ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع، وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة، وأرتفاعه ثلاثة أذرع وثلاث ذراع. وثمة الشبايك دون هذا المقدار.

١٠ وبجائطه الغربي شباك مطلق على حارة المنارية.

وباب هذا الجامع يفتح للشمال. وبكل خذ أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد واحد. طولها خارجاً عن القواعد ذراعان إلا ربعاً. وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يصلي الناس عليها.

١٥ ويدخل من الباب المذكور ويتزل بنفس درج إلى الأروقة المذكورة. ومن باب جامع النساء على مضي سبعة وعشرين ذراعاً من جهة الشرق، الباب الغربي من أبواب الجامع المسمى الآن بالمسجد الأقصى.

(١) في الأصل: وعرضها ... وهي - [والسياق يدل على أن المراد مساحة ذلك الجامع - لذلك استعملنا الضميرين المذكورين].

صفة السور الشرقي



السور الشرقي
(وفيه مهد عيسى)

تقدم أن في قُرنة السور القبليّ مهّد عيسى، عليه السلام. وشماله رواق معقود على ستة عقود قد خربت مساطبه من العائر القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالقص. طوله ثلاثة وأربعون ذراعاً، ومن جانبه للقبلة كشفٌ إلى حدّ مهّد عيسى.

- وشمالاً هذا الرواق، على مضيّ ثلاثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعاً، وعرضه قبلةً^(١) وشمالاً أربعة عشر ذراعاً ونصف. وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع. يصلى فيه إمام مفرد. وهو معقود بالجحر المنحوت مست قباب : آفتان مرتفعتان، وأربعة منسطة على عمودين صوّان بيض في الوسط وساريتين في وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعاً ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين بباب الرحمة.

مسجد باب الرحمة

باب الرحمة

- وهما بابان قديمان قد سُدّا. على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف. وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش. قد سُمِّرا وأُحْكِمَ غلقهما. قيل إنهما من بقايا العائر السلمانية. تُسمّى بأبواب الرحمة.
- ومتهى السور الشرقي رواق طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً ونصف.
- ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلاث، ويعقبه في أول السور الشمالي باب أسباط.
- وسيأتى ذكره، إن شاء الله.

(١) بالاصل : وعرضها.

(٢) بالاصل : وشمال.

وليس في هذا السور الشرق الآن باب يُسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له في الزمن القديم سوى البابين المذكورين .

ويقال إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غلقهما لما فتح القدس . فلم يفتحا إلى الآن .

المقبرة خارج
هذا السور

وقد آخذ الناس ظاهر هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم . وفيها قبر شداد بن اوس .

١١٤

وادي جهنم
وراء فيه من عذاب
المباني والآثار
والقروش والمعادب
القدسية

وتلو المقبرة المذكورة وادي عميق يعرف بوادي جهنم ، يزوع . وفيه كروم وبساتين . ومنه يُتطرق إلى عين [ماء] . وفيه أبنية عجبية وآثار غريبة وقروش ومعابد قديمة . وهو وقف على المدرسة الصلاحية . وحد هذا الوادي من الشرق طور زينا الذي يقال إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام منه . وبه قبر رابعة العدوية ، يُزار قصدا . وفيها بين السور الشرقي وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين . تقدير عنتها مائة شجرة ، يستظل الناس تحتها ويصلون .

قال صاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك :

وصف انقصور
الاربعة بالحرم
القدس

”ولقد مضى على في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربع ، فرأيت له في كل فصل محاسن في غيره لم تُجمع ، وهو أنه من مبدا فصل الربيع تبدل فيه من الأزهار المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكي الأروع . وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتي إليه ، ويأخذ من تلك الأزهار ما علم منفعتة ومضرته“ .

قال : ”وأما ما شاهدته بالميان ، أني جلست وقتا في بقعة منه تكلمت بأزهار من الشقائق والبهار والأخوان ، وإلى جاني فقير عليه أطهار رثة يمدى تبسما ، وتارة يعلن صوته

- بالتسبيح والتكبير ترثماً، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل
 الفاحرة، وجعلك تحتوى على كنوز الدنيا والآخرة! قلت له ياسيدى! أما فضله
 وبركته، فقد صدق البيان فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر؛ لكن
 ما كنوز الدنيا؟ فقال: مامن زهرة تراها إلا ولها في النفع والضرر خواص، يعرفها
 أهل الاختصاص! قلت: لعل تظهر البيان شيئاً مما عرفت يزداد به اليقين تبصره،
 وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفرة. فأخذ بيدي ومشي خطوات
 إلى جهة من جهات الحرم. ومدّ يده أخذ قبضة من ذلك الكلا، وقال: هل
 معك خاتم أو درهم؟ قلت نعم، فأخرجتُ درهماً مما معي. فمركه بذلك الكلا،
 فعاد كالدينار في صفرته. ثم أخذ حشيشة أخرى، وعركه بها. فساد أبيض.
 أنقى مما كان أولاً. وقال: هذه رموز آتحت على تلك الكنوز. ولم يترك نبي الله
 سليمان شيئاً من المواهب التي منحه الله إياها، والمنافع التي وصلت إليه من الإنس
 والجن على اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه في هذا الحرم، فأين من يفهم تلك
 المعاني، أو من كان لها يعانى؟ ثم أخذ منها غير ما كنت أسلكه. فسالته التبت
 والتلبث. فقال: الدين من صرف نظره إلى العرض الأدنى، والسرى من صرف
 زمانه بالتبهد في هذا المغنى، أو صيكت أن تنتم الفرصة في ركعات تقدمها بين يديك،
 فما سواها فان. ولا تلفت إلا إلى ما يترك من الرحمن. قلت: ياسيدى! ومثلك
 من يستحق أبواب الصواب. فقال: ما بعد السنة والكتاب من باب. ثم فارقتي مهرولا،
 معلنا بصوته ومرتلا. يقول: سبحانك يادائم! سبحانك ياقدوس! سبحانك
 يارحمن! سبحانك يا محيي النفوس! فجعلتُ هذا الذكر لى ديننا، وكلما أشتاقت له
 منى عين أطربتُ بذكره أذناً.

صفة السور الشمالي وفيه عدة أبواب

أولها من جهة الشرق بابٌ يسمى باب أسباط . وهو تلو الرواق المقدم ذكره الذي هو نهاية السور الشرقي . وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع ، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع .

ويعقب هذا الباب من غربيه ، رواقٌ معقود على عشر سوارٍ . طوله أشنان وسبعون ذراعا ، وعرضه ثمانية أذرع . يصدره أربعة شبابيك مُطلة على بركة بنى إسرائيل . وهي بركة قديمة عميقة .

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ ، وهي أرضٌ كُشِّفَ ببعضها مصبُ مياه لبركة بنى إسرائيل . وبعضها كُشِّفَ ، قصد أن يُبنى به أروقةٌ . وإلى الآن لم تُكْمَل . وطولها أربعة وسبعون ذراعا .

ويعقب هذه الأرض المدرسة الكريمة ، وجاورت ما أمامها من الأروقة بحائطين :
 (١) المدرسة الكريمة :
 غربية وشرقية . وجعلوا مَصِيفَيْن قدامها . وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعا . وجُعل قدام هذه الأروقة مسطبةٌ يصعد إليها بارج درج بارزة في الحرم . طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا . وهذه المدرسة بناها كريم الدين عبد الكريم ، ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية . ويعقب هذه المدرسة بابٌ ، يسمى باب حطة . عرضه أربعة أذرع وثلاث ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع . أمامه تمشاة

مفروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعاً، وعرضها خمسة أذرع وكُمُرُ
يُصعد من أحربرج^(١) إلى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين، يُدخل
منهن إلى صحن الصخرة .

- وَبَجْدَى هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعان: الشرقية منهما
• لصيقة للدرسة الكريمة المذكورة؛ وتلو الفريسة رواق، طوله آشان وسبعون ذراعاً
في العرض المذكور .

وفي سورة ثلاثة شبائك للرباط العَلَمَى الدوادارى . وبأوله من الشرق بالقرب
شبائك للتربة الأوحدية، من بنى أيوب .

- ثم يتلو هذا الرواق باب يعرف بباب شرف الأئمة . طوله ثمانية أذرع وعرضه
أربعة . وأمامه مشاة نظير المشاة المذكورة . وقد تقدم ذكر هذه أيضاً .

- ويتلو هذا الباب رواق طوله سبعة وأربعون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع ونصف،
معقود على ثمان سوارٍ . بأوله شبائك . أحدهما مفتوح يُوصِل منه إلى زاوية
الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك . وتلوها باب يُصعد من باطنه إلى زاوية
اللاوى . وتلو الباب مسطبة، فيها صهرج .

- ويعقب هذا الرواق من الغرب رواق معقود عقدتين على ثلاث سوارٍ . طوله
تسعة عشر ذراعاً ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويصل به الآن
بعض النسوة، الصلوات الخمس، خلف الأئمة .

(١) له من آخره أمر من آخرها [يستقيم بناء الكلام] .

مدرسة آل ملك
وخانقاه الاسعدي

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، وخانقاه مجد الدين
الإسعدي التاجر. وبأوله جوار الصريح المذكور، ^{ويؤوه} سلم يصعد منه إلى المدرسة
وخانقاه المذكورتين.

ويحيط هذا الرواق كشف ليس به أروقة. وهو صورة مسطبة عالية. ويتزل
من وسطها بست درج إلى الحرم.

مدرسة الجاول

واقفي ارتفاع هذا السور خمسة شبايك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر
الجاولي، رحمه الله. وليس لها استطراق إلى الحرم. ومن حد هذا الكشف، طالبا
لجهة الغرب، خلوتان. لكل منهما باب يفتح للجهة القبليّة من الحرم. وداخلهما كله
في باطن السور الشمالي. وهي من جبل صخر أصم، صفة مغارة. وقيل يعرف قديما
بمغارة إبراهيم. وفي الشرقية منهما شباك لطيف. وإلى جانب هاتين الخلوتين، خلوة
لشيخ الحرم، وبها شباك على الحرم الشريف. وطولها ستة عشر ذراعا. وأمامها
مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلاث. وبأعلى هذه الخلوة، خلوة
يصعد إليها بسلم، بسبع درج في حد الباب الذي يفتح للشرق.

ويتلو ذلك رواق على عقدين طوله من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا
وعرضه تسعة ونصف. وتلوّه سلم مستطيل جدًا، يصعد من أعلاه إلى مأذنة، وإلى
دار هناك لبني جماعة. وهذه المأذنة هي أقصى السور الشرقي، وارتفاعها ثلاثون خمسون
ذراعا. وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة. وهي مكحلة من العمد الرخام اللطاف
بأحد وثلاثين عمودا.

صفة السور الغربي

السور الغربي ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ .
وامام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصل إليها،
ويستظلون، خلا باب الفوانع، فليس قدامه شيء .

ومبدأ السور من المأذنة المذكورة .

- أبوابه وأول أبوابه من هذه الجهة، باب الفوانع . وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع .
يُصعد إليه من الحرم الشريف بمشردرج . ويجتهد الشمالي خلوة للبواب ، بارزة
في الحرم تقدير خمسة أذرع . ومن حد هذه الخلوة إلى المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون
ذراعا . ومن الباب المذكور - على مضي ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة - باب لطيف
خلوة في باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين . ومن حد هذه الخلوة إلى نهاية
أربعة وعشرين ذراعا حاكورة بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى .
وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدمين ، وله تأثيرات حسنة في الحرم من
المواعيد والأبنية .

- وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسة وأربعون ذراعا، في عرض سبعة أذرع وكسر .
ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور وهو المأذنة المذكورة ثشف بلا أروقة .
ولصق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف بباب الرباط المنصوري . طوله
سنة وعرضه خمسة ونصف . وأمامه تمشاة يتوصل بها إلى السلم الذي يتوصل منه
إلى محن الصخرة، قبالة الباب الحديد الآتي ذكره .

باب الرباط
المنصوري

وبعد الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين ، طوله تسعة أذرع وعرضه عرض الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به . وهذا العقد أول العقود في السور الغربي .

وعمل في ثمانية الحائط التي في أوله مع ثمانية السارية خلوة صغيرة للقيم والبواب بالباب المذكور .

ساكن ومخاض
وغلوات

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشر يومئذ للنظر في المصالح . وتلو الباب المذكور عرض عرش الأروقة ، وطوله مائة وثمانية أذرع ، معقود على ست عشرة سارية . وعلى تقدير عشرة أذرع من أوله شبك القاعة التي هي سكن الناظر على أوقاف الحرم . وهي من وقف الحرم . وفي آخره خلوة لطيفة سكن القيم ورسم القناديل .

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد . طوله أربعة أذرع ونصف ، وعرضه ذراعان وثلاثة أذرع . وأمامه ممشاة مبلطة يتوصل منها إلى سلم لصحن الصخرة الشريفة . عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف وعدد درجه إحدى وعشرون درجة . وليس بأعلاه قناطر أسوة بقية السلام .

باب الحديد

وتلو هذا الباب رواق على ثمان سوار طوله ثمانية ونحسون ذراعا وعرضه عرض سائر الأروقة . ويا آخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقهاء .

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير يحمل من قريب وأستجد فتحه ، يُنزل إليه بعشر درجات . له مساطب في خفيه . طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلاثة أذرع .

باب الحديد

(١) في الأصل : صالح .

قد أُنْهِتْ عمارته . وأرتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع . وعقدته بوجهين ،
 متقوس بالبحر الملقون ، وطرارز كتائبه بالذهب ، تُقَرَفُ في الحجر . وأبوابه مصفحة بالنحاس .
 المذهب المخزوم ، متقن العبارة والزخرفة . ويتوصل منه إلى القيسارية المسجدة .
 وتشتمل على صُنَى حوائيت ، بعضها وقفٌ على الحرم ، وبعضها وقفٌ على المدرسة
 والخلفاء اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين شكر ، رحمه الله ، وسياقي ذكرها .
 عن كُتُب . إن شاء الله !

والإلى جانب هذا الباب رواقٌ معقود على سارينين بكار جدًا طوله خمسة عشر
 ذراعاً ، وعرضه إلى خارج السارينين سبعة أذرع وثلاث ذراع وإلى باطنهما خمسة
 أذرع ونصف . بصدرة شبكٌ لقاعة من وقف الحرم . وبجانب الشباك خلوة
 لطيفة للقيم والبواب . وإلى جانب هذا الرواق بابُ الطهارة . وهو يشتمل على
 طهارتين : إحداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين
 بيتاً وفقية كبيرة . وبأعلى طهارة النساء مساكن تُكْرَى لوقف الحرم .

الحلالي
 والطهارات
 والمسكن
 ١٦٢

وباب الطهارة يُنْزِلُ إليه من أرض الحرم أربع درجات . وطول الباب أربعة أذرع
 وثلاث ذراع ، وعرضه ثلاثة وعشرون . وبعد سبع درجات إلى دهليزٍ مستطيل ، يتوصل
 منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصل منه إلى علو طهارة النساء . وطهارة النساء
 في أوائل الدهليز على يمين الداخل .

باب الطهارة

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه سبعة ونصف .
 معقودٌ على تسع سواير .

وفيه في ثمانية السور بابان نخلوتين: إحداهما للقيم والأخرى يرسم قدير. وفي آخره من جهة القبلة محرابٌ ملاصقٌ للأذنة، يُصلَّى فيه صلاةٌ مفردةٌ بِلَامٍ مفردة. وتجاوره المأذنة المختصة بالحرم وأرتفاعها ثمانية وأربعون ذراعاً. وباعلاها درازينان من الخشب، وهي مكللة من العمدة الرخام اللطاف بثمانية أعمدة.

باب السلسلة
(وهو باب السحرة)

ويتلو المأذنة بابان قد عُلقَ الشالَى منهما وتُمرُّ بالمأذنة إلى جانبه. ويسمى البابُ المفتوح بابَ السلسلة. ويعرف قديماً بباب السحرة. سَعَتُهُ خمسة أذرع وثلاث، وطوله ثمانية ونصف. وكذلك المَلْفُ^(١). وأمام هذا الباب مَشَاةٌ قطع يتوصل منها إلى سلامٍ مَحْنٍ الصخرة بقبة المَعْظِية. ذراعها سبعة وسبعون ذراعاً وربع. ويتلو الباب رواقٌ معقود على عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع وربع، وأرتفاع عقده عشرة أذرع ونصف. وهو نظير أرتفاع سائر سقوف أروقة الحرم.

وهذا الرواق فيه شباك للدرسة التكرية: أبوابها من الآبنوس والعاج. وداخلهما المدرسة، وظهوره حامل للثقاه التكرية. وفي آخره باب لطيف يُصعد منه إلى أعلى المدرسة وسكن الصوفية. وفي آخر سواريه ستة أعمدة من صَوَانٍ كبار.



ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبةً أرتفاعها ذراع وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعاً إلا ثَمًا، وعرضها عرض الرواق المذكور.

باب حارة المغاربة

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعاً، تجدد باب حارة المغاربة. وسعته ثلاثة أذرع وربع، وطوله أربعة ونصف.

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبة . وهي نهاية السور الغربى وأول السور القبلى . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التى هى أول السور القبلى من جهة الغرب . وقد تقدم ذكرها .



وإذ قد استوعبنا صفة السور المحيط ، فلنذكر الآن ما وعدنا بذكره مما أشتمل عليه سوى صحن الصخرة .

ونبدأ بما هو تحت صحن الصخرة ، وعدته تسع خلايا : أحدها جعل حاصلًا لأصناف الحرم .

الخلاوى
المواصل تحت
الصخرة

فمنها بالجهة القبلى ثلاثة : منها ماعلى أبوابه مساطب وممرشات كرم ، وفيه أبواب الرواق المعظمى التى تحت مدرسته ، وهو مصلى للحنابلة بإمام مفرد ، وبجانبه الشرقى حاصلان يُجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه .

وفى الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلايا : منها ماعلى قدام أبوابه حاكورة وغرست أشجارا . والجهة الشمالية خالية من الخلاوى والمواصل .

والجهة الغربية خلوتان . إحداهما جُمِلت حاصلًا لأصناف الحرم . وفيه أبواب للرواق المعظمى . وقبالة أبواب الرواق المعظمى من الغرب قبة موسى عليه السلام .
وهى أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة . بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعًا . وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعًا . وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعًا ونصف ، وأرتفاعها نصف ذراع .
بصدر المسطبة القبلى القبة المذكورة . طولها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال

عشرة اذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك، وأرتفاع كرسى القبة من ظاهر المسطبة ثمانية اذرع، تستعمل هذه القبة من باطنها على أرض مفروشة بالرخام .

بابها يفتح للشمال . عرضه ذراع ونصف، وطوله ذراعان وثلاثان . وبخذه شباك حديد في طول الباب وعرضه . وبكل جهة من جهاتها شباك حديد، يُغلق على كل شباك زوج أبواب، وهى محمولة على الأركان، وبين كل حائط وأخيه قوس عقد . وباعلى كرسى القبة كرسى ثان، فيه خمس طاقات زجاج . وباعلى الكرسى الثانى القبة المعقودة، تقدير ارتفاعها من ظهر الكرسى الثانى ثمانية اذرع، وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية، حتى ولا فى خندق المحراب .

صفة قبة سليمان عليه السلام

وهذه القبة بإطانب الشمال من الحرم . وهى مسامحة الصريح والسلم الذى يصعد منه إلى الخاقاه الإسعردية والمدرسة السيفية آل ملك .

ومن واجهة الصريح إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعاً، وهو يفتح للشمال . طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونحوه . بخذه عموداً رخام ومسطبان : يبنى ويسرى . طول كل منهما خمسة اذرع وربع، وعرضهما مثل ذلك .

وبخندق الباب المذكور شباك مطلان على هاتين المسطبتين . طول كل شباك منهما ذراعان وثلاث ذراع، وعرضه ذراع وثلاثان .

يدخل من هذا الباب إلى قبة مئنة . وثمة التثمينات مسدودة بها أربعة وعشرون عموداً من الرخام طول كل عمود . خارجاً عن القواعد . ذراعان ونصف . فى كل تثمينة

من المسدودات أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في عقد القناطر . وبحدّي المحراب عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع ونصف .

(١٢٢)

وفي نهاية العمدة عند نهاية كرسى القبة - طاقات زجاج بذاتها . سعة القبة ستة أذرع ونصف ، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعاً .

وعلى يمينه المصلى في المحراب صخرة صغيرة طولها ذراعان وربع ، وعرضها من الجهة القبليّة ذراع . ومن الشمال ثلثا ذراع . يدعو الزوّار عندها . ويقال إنها من الآثار السلجانيّة ، وإن الدعاء عندها مستجاب .

صخرة سلب

وفي حائط هذه القبة القبليّة ، من خارج ، عمودان من الرخام . وبهما تكمل ما بهذه القبة من الأعمدة ثلاثين عموداً .

صفة المجلس الذي بناه سليمان عليه السلام

١٠

ويسمى الآن اصطبل سليمان

قال صاحب تاج الدين : هذا المجلس بناؤه أعجب وأعجب وأنقى من المسجد الذي أعلاه . وله من داخل الحائضات الصلاحية (يعني المجاورة لقصوة الخطابة وبها الآن شيخ يعرف بالخنّ ، ربه تعرف الآن) سُلّسان : أحدهما ست وثلاثون درجة يُتْرَل منها إلى بعض أقسام المجلس المذكور ، والثاني أربع وخمسون درجة ، يُتْرَل منها إلى بقية أقسام المجلس المذكور .

صغير سلب

١٥

قال : والمكان في غاية النور لما عمل له من المناور والطاقت المحكمة . وهو رواقات عقودها محمولة على عمد من الصوّان وأركان البناء . وعرض هذه المجالس من القبلة إلى الشمال : منها ماعرضه ثمانية أذرع ، ومنها ماعرضه تسعة أذرع ، ومنها ماعرضه

عشرة أذرع ؛ وأرتفاع عقودها من الأرض التي بها الابواب النافذة لرأس وادى عين سلوان منها ما تقدير أرتفاعه عشرون ذراعا، ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعا.

ويقال إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأتبياء عليهم السلام.

مربط الدراق

وفى إحدى أسطواناته حلقة . يقال إن البراق ربط بها ليلة الإسراء .

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب . فنها ما يمكن قياس طوله ، الذى يمكن التطرق إليه . فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعا . ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطانا : منها ما هو فى وقتنا هذا مملوء بالتراب المهول ؛ ومنها ما هو صفة حواصل ؛ ومنها ما هو مساكن ومرافق لسكان الخلافة المذكورة .

(١٢٤)

قال : ونطاق النطاق ضاق عن استيعاب وصف هذا المجلس . لكن الأماكن التى أمكن التطرق إليها والمشى لها هو نافذ منها دللت على أن البقعة المسماة بالجامع (يعنى المسجد الأقصى) موضع الخطبة الآن ؛ وبقعة جامع النساء وغالب المشاوات التى بالحرم والإشجار المزدرة : كلها معلقة على هذه العقود والسواري .

قلت : ولقد دخلت إلى بعض هذه الأماكن ، ورأيت من عجائب الأبنية بها ما يعلو العين . وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخنثى ثم أفضيت منها إلى الكروم وظاهر المسجد . (٢)

زيارة الخوف

(١) بالأصل : دل .

(٢) يبايض بآخر الصفحة بالأصل مقداره تسعة سطور .

قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

١٢٥

وما جاوره من قبور بنيهِ والأزواج

وكلها داخل ذلك المسور، وفي حدود ذلك المكان المنور.

- روى الحافظ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين الرَّمْلِيُّ المَقْصِي، بسنده إلى كعب الأحبار، قال: أول من مات ودُفن بحِبري سارة. وذلك أن إبراهيم خرج لما مات، يطلب موضعا ليقبرها فيه. فقدم على صفوان، وكان على دينه. وكان مسكنه وناحيته حِبري^(١). فاشتري منه الموضع بخمسين درهما. وكان الدرهم ذلك العصر خمسة دراهم. فدُفنت سارة فيه. ثم توفّي إبراهيم فدُفن لَصِيْقَهَا. ثم تُوَفِّيت رَبْعَةُ زوجة إسماعيل، فدُفنت فيه. ثم توفّي إسماعيل فدُفن لَرِيقَهَا. ثم توفّي يعقوب فدُفن في الموضع. ثم تُوَفِّيت زوجته لِيَقَا فدُفنت معهم.

قبر الخليل إبراهيم وزوجته سارة وأبنة إسماعيل

فأقام ذلك الموضع على ذلك إلى زمن سليمان. فلما بعثه الله، أوحى إليه أن آبرئ على قبر خليلي حيرا حتى يكون لمن يأتي بملك، لكي يعرف.

- فخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس، حتى قدم أرض كنعان. فطاف فلم يصبه. فرجع إلى بيت المقدس. فأوحى الله إليه: يا سليمان، خالفت أمرى! قال: يا رب، قد غاب عني الموضع. فأوحى الله إليه: امض، فإنك ترى نورا من السماء إلى الأرض، فهو موضع قبر خليلي. فخرج سليمان ثانيا، فنظر فأمر الجن فبنوا على الموضع الذي يقال له الرامة. فأوحى الله إليه: إن هذا ليس هو الموضع، ولكن

(١) حَبْرِي كَسْرِي [أنظر القاموس. وقد أورد القصة في "مسمي ياقوت" ج ٢ ص ١٩٥ يبيض تصحيح في الاسماء].

اذا رأيت النور قد ألتق بأعنان الماء . فخرج سليمان فنظر إلى النور قد ألتق بأعنان الماء إلى الأرض . فبنى عليه الحجر .

قلت : ولم يكن لهذا الحجر بابٌ . وإنما المسلمون لما أفتتحوا البلد ، فصحوا له بابا . وبنواؤه بناء محكم . وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر ، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبرا .

١٦٩

وقد أقيم بهذا الموضع خطبةٌ ، ورُتّب به إمام ومؤذنون .

وفي قبلته بابٌ يُزل منه بدرج كثيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض ، يأخذ متشاملا إلى فجوة فيها ثلاث نصاب قبور في حائطه ، يقال إنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق .

وهناك طاقة لا يُعرف إلى أين تنهى ، لكن يقال إنها إلى مغارة تحت أرض الحرم ، فيها الموتى . وتلك أمثال القبور من فوق .

رواية المؤرخ
السرداب الذي فيه
قبور الأنبياء .

ولقد أتيت إلى هذا السرداب ومشيت به زحفا ، لضيقه . ولتطأ طؤ سقفه . لا يقدر أحد على المشي منتصباً به . وهو خطوات يسيرة تنهى إلى الفجوة المذكورة . وهي نحو أربعة أذرع في مثلها . وهيئة القبور في قبلة المسجد الآن قبران : الأيمن قبر إسحاق ، والأيسر قبر زوجته . وفي شماله مما هو منفصل عن المسجد بقبتين متقابلتين قبران : الأيمن قبر إبراهيم الخليل ، والأيسر قبر سارة زوجته . وفي شمال الحرم قبّة مفردة مسامتة لقبة الخليل . وفيها قبر يقال إنه قبر يعقوب . ولا شك ولا ريب أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومن ذكر معه مدفونون داخل هذا المسور . وأما تعيين موضع القبر ، فافقه أعلم .

١٠

١٥

قال علي بن أبي بكر المروزي : حدثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان يردويل الملك ، أنخسف موضع في هذه المغارة . فدخل جماعة من القريش إليها ، بأذن الملك ، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وقد بليت أكفانهم ، وهم مستندون إلى حائط ، وعلى رؤوسهم فتاديل . وهي مكشوفة . ففقد الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع . وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسة . حكى ذلك شهاب الدين بن الواسطي . قال : وقيل إن قبر آدم ونوح وسام في المغارة . قال : والمغارة تحت هذه المغارة التي تزار الآن . والله أعلم .

اكتشاف قبور
الأنبياء في أيام
احتلال الصليبيين
لبلد الخليل

قبر آدم ونوح . . .

ووراء الحرم موضع فيه قبر ينسب إلى يوسف ، عليه السلام . يقولون إنه لما بُني المكان ، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم ، فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام) قائلا يقول : دعوه خارج الحرم ، فعليه نراج مصر !

قبر يوسف وسبب
وجوده = ح
الحرم



ويقال إن موسى (عليه السلام) لما خرج من مصر ، أستصحب معه تابوت يوسف ، ودفنه هناك قريبا من آباءه ، ولم يدفنه عندهم ، لما ناله من الملك . هكذا يقال ، والمعتمدة على قوله . والله أعلم .

قلت : وهذا الحرم مؤزر مجده بالرخام الملون والمذهب ، وعليه أوقاف جليلة . ويمتد فيه كل يوم بعد العصر سباط ، ويقترق فيه من الحفر على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم .

أحقة الحرم
خلفي وضروته

ولقد زرت الخليل (صلوات الله عليه وسلامه) في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وميمنة . فأخبرني جماعة المباشرين أن في بعض ليالي العشر من هذا الشهر في هذه السنة فرقا زيادة على ثلثة عشر ألف رغيف ، وأن غالب أيام العام ما بين السبعة

بدره الخريف
قبر إبراهيم الخليل
سنة ٧٤٥

آلاف والعشرة آلاف. ويُفرق أيضا مع الخبز طعام المَدَس بالزيت الطيب والسَّاق. وفي بركة النهار يُطبخ أيضا قدر من الشيش، ويُفَرَّق على الوادين. وفي بعض أيام الأسبوع، يُطبخ ماهو انقر من ذلك.

وله خُدَام يرسم غرابة القمع وطحنه وعجينه وخبزه. لا يَطْلُون ليلا ولا نهارا. وأهراء القمع والطاحون والقرن، نافذٌ بعض ذلك إلى بعض. بحيث إن القمع يُفَرِّغ في الأهراء ويُخْرَج خبزا عجوزا. ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام، لا ينقطع له مدد، ولا يُحصَر بضبط ولا عدد.

ولما استولى الفرنج على بلد الخليل (عليه السلام) أجروا هذا السَّاط وزادوا على من كان قبلهم، وبالفوا في صلة هذا المعروف.

استمرار السَّاط في أيام الفرنج وزيادتهم

ثم زاد ملوك الإسلام في السَّاط. وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمير، والغنى والفقر.

زيادة ملوك الإسلام فيه

وقلتُ من قصيد مدحته عليه الصلاة والسلام:

هذا خليل الله إبراهيم قد . لاحتنا أعلامه الشَّمُّ الذُّرَى!

هذا الذي سنَّ القِرَى لضيوفه * كرمًا، ولولاه لما سُنَّ القِرَى!

هذا الذي مَدَّ السَّاطَ فما أنطوى * ناك السَّاطَ تكرمًا، وسَلَّ الورى!

وقلتُ من أخرى:

هو ذا صاحب السَّاط ولكن * صاحب الحوض نجله وذووه!

ذو فناء يُقرى به كلُّ ضيف * لم يُحِبَّ تحت الشَّجى طارقه!

منعمٌ مَسْبُودٌ جوادٌ كريمٌ * منذ مدوا سباطه ما طووه.

قصائد للؤلؤ في مدح الخليل

﴿١٢٨﴾

وقلتُ من أخرى، حين زرتُه في ذى الحجة سنة خمس وأربعين [وسبعائة]:

خليلُ إله العرشِ أوَّلُ مَنْ قَرَى * ضَيُّونا! وما قد جئتُه وأستضيفتُهُ.

أنتُ كَرِيمٌ لا تزالُ رِجَابُهُ * مُطَبَّقَةٌ بالوفدِ حيثُ نظرَتُهُ.

دعتُ نَارَهُ الضَّيْفَانِ في غَسَقِ الدُّجَى * وليس سواها بآرقاً ثمَّ شِمْتُهُ.

ففي الجودِ شَيْخُ الأَنْبياءِ جَمِيعِهِمْ * ووالدُهم حَقًّا، يَقيِنًا علمتُهُ.

وقلتُ، عند الوَدَاعِ في هذه السنة:

هذا الخليلُ وهذه أُنْباؤُهُ! * يَكْفِيكَ بعدَ فراقِهِ أُنْباؤُهُ!

هياتِ لا تُوفِّي أَقْلٌ حَقوقِهِ * ولو أنْ جَفَنَكَ لا يَجُفُّ بِكَؤُودِهِ!

فامسِكْ فؤادَكَ إِنْ مَلَكْتَ عَنانَهُ! * هياتِ قد طارتْ به أهْوَؤُهُ!

وتعزَّ عن أهلِ الكُتُبِ وإِنَّمَا * من أَيْنَ للصبِّ الكُتَيْبِ عزاءُهُ!

١٠

تفصيل المؤلف
لزارته

قلتُ: وكان قدومنا هذه المرة على الخليل (عليه السلام) يوم الاثنين لأربع

عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعائة. فبتنا ليلتنا نتترك

بنا حوت تلك القبور من العظام العظام، ونسفر الوجوه في تلك البقعة المشرفة

في مواضع أقدام أولئك الأقوام. ثم أصبحنا وقد حصدنا السرى عند الصباح.

وطلبنا حواشيئنا عند تلك الوجوه الصباح. فلما قضينا من الزيارة الأرب، وهزئتنا

١٥

من التوبة الخليلية الطرب، بعثت وراءنا صاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن

الخليل - التيمي الداري. وهو بقية هذا البيت الخليل، والمتنبي إليه النظر على وقف

الحبيب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وولد أبيه إبراهيم الخليل. واتقنا منه

﴿١٢٩﴾

إحضار الكتاب الشريف النبوي المكتتب لم بهذه التظية. ^(١) والمُشْرِف لم به على سائر البرية. فأنهم بإجابة الملتَمَس ، وجاء به أقرب من رَجْع النَّصَس . وهو في حرقه سوداء من مُلَحَم قطن وحرير، من كُم الحسن أبي محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وهاياتها من نِجَّان أبيض على تقدير كل إصبع منه ميلان أسودان، مشقوقان بميل أبيض، جعل ضمن أكياس يضمها صندوق من آبنوس يُلَقَّب في حرقه من حرير . والكتاب الشريف في حرقه من خُفٍّ من آدم، أظنها من ظُهر القَدَم. وقد موه سواد الجلد على الخط، لا أنه أذهبه، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه. وهو بالخط الكوفي المليح القوي. فقيلنا تلك الآثار، وتمتعتا منه بمدد الأنوار. ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدة لم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وطنونه : ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

”نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه“
 ”لتميم الداربي وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه“
 ”من غزوة تبوك في قطعة آدم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه“

”نسخته كهيئته“

(١) أي الطيبة، لغة اليمن. وذلك إشارة إلى إقطاع تميم الداربي ”نصافق“ وسأى حكاية هذا الإقطاع ونسخة كتابه في هذه الصفحة والتي عليها .

استحضار المؤلف
 نسخة الإقطاع
 النبوي لميم الداربي
 ووصفه لها

”بسم الله الرحمن الرحيم“

”هذا ما انطىٰ محمد رسول الله لتميم“

”الدارى وإخوته جبرونَ والمرطوم“

”وبيت عَيْنونَ وبیت ابراهيم وما فيهن“

”نَطِيَّةَ بَيْتٍ بذمتهم ونَفَذْتُ وسلتُ ذلك لهم“

”ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم“

”لَعَنَهُ الله شهد عتيق بن أبو حنيفة وعمر بن“

”الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن“

”بو طالب وشهد“

هذه نسخة الكتاب الشريف .

و” أبو حنيفة “ ألف وباء وواو - ثم ” حنيفة “ - و” بو طالب “ باء وواو - ثم
” طالب “ . وليس في ” بو “ ألف . يَبْنِي ذلك ليعرف . و” كتب “ في ذكر على
رضى الله عنه مقدمة ، و” شهد “ مؤنثة . يَبْنِي ذلك أيضا ليعرف .

وقد رأيتُ ذلك كله بعينى ، ومن خط المستضى نقلت . وهو خطه المعروف
المألوف . وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشكُ فيها ولا أرتابُ . وقرأته من الكتاب

قل هذه نسخة
من خط الخليفة
المستضى .

النبي نفسه . وهو موافق لما كتبه المستضيء ، نقله منه . على أن آثاره كادت تنقضي ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتفتي .^(١)

وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبر الصغير الشامي ، في الحرم الخليلي الملائق لقبر زوج يعقوب (عليه السلام) المفضي منه إلى المأذنة بحضرة مخزن العدس .

(١) وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل أن يفضله الله . فن ذلك ما رواه صلاح الدين الصفدي (في ودي ٢٧ و ٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكيره ، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية) . وهذا هو ما فيه :

قال الفقيه القاضي أبو بكر العربي المافري رحمه الله تعالى في كتاب القيس له : " وقد كان عند أولاد نعيم الدار رضي الله عنه يجهرون بدمشق ، قرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعة من آدم : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الدار) . أنقله قريش جهرون وعيون قريش إبراهيم الخليل . يسير فيما يسيره . وكتب على بن أبي طالب . وتبذل فلان وعلاء . فبقينا في يده يسيره . وشاهد الناس كتابه إلى أن دخلت الرومسة ستين | لعلها ست | وتسمين . ولقد أعرضه فبينا بعض الولاة بان يزلهما من يده إيان كوني بالشام . فحضر مجلسه الثاني حامد الهروي . وكان حتما في الظاهر . ومبتليا في الباطن ، ملعدا شيعيا . وكان الوالي سكان بن أرتك | أربك . فاستظهر أولاد نعيم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال القاضي حامد : هذا الكتاب لا يرم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنطق مالا يملك . فاستفتى الفقهاء . فقال الطوسي ، وكان بها حينئذ : هذا كافر ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع الجنة ويقول : قصر عمر ، قصر فلان . فكيف لا يقطع في الدنيا ؟ " وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زويت لي الأرض ... الحديث . فوعده صدق وكتبه حق . نخرى القاضي والوالي ، وبن أولاد نعيم بكتابهم . "

ومن يدل على وجود هذا إلى ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن الفقيه صاحب " صبح الأعشى " كتب فضلا طويلا على هذا الإقطاع وعلى الكتاب النبوي الكريم . وذكر في آخره ما نصه : " وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التبيين حقا ، حرم الخليل عليه السلام إلى الآن . وكلما نازعهم أحد ، أتوا بها إلى السلطان بالدار المصرية ليوقف عليها ويكتب عنهم من يظلمهم . وقد أخذ في برؤيتها غير واحد . والأديم التي هي فيه قد خلق لعلول الأسد . " | أنظر مسيح الأعشى ج ٧ ص ٣٩ من النسخة المحفوظة بجناتق | . وذلك يدل على أن الكتاب النبوي كان موجودا إلى سنة ٨٢١ هجرية .

رواية المؤلف لهذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩ هـ

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدمة بالحسين سكني بن الخليل، بظاهر البلد، لما أتيتُ زائراً بعد العود من الحج على الدرب المصري في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة. ولكنني إذ ذاك لم أهله.

قبر يونس بن متى عليه السلام

(١٢١)

- قبر يونس بن متى قرية حَلْحُولَ على يسار الذهاب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام .
ويعتج الزائر إليه . وعليه بناء وقبة . وله خادم .
زُرْتُهُ مرات . وآخر عهدي به في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة .
وكتبْتُ على جدار القبة بيتين خطراً لي في ذلك الوقت ، وهما : (١)

قبر يونس بن متى
وزيارة المؤلف له
مرات أخرجا
سنة ٧٤٥ هـ

قبر موسى بن عمران عليه السلام

- بالقرب من أريحا . وتعرف القرية بِسَيِّحَان .

رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلّاس ما صورته : "قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الله بن يونس الأرموي عن والده قال : زرتُ قبر موسى (عليه السلام) الذي بالقرب من أريحا . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم يُبنَ عليه قبة ولا مشهد . قال : فقلت في نفسي : اللهم أرني ما أزداد به يقيناً في صحة هذا القبر . قال : فبينما أنا قائم رأيتُ كأن القبر أنشأ ونُحِج منه إنسان طَوَالَ . قال : فبحثُ إليه وسألتُ عليه ، وقلتُ له : منَ أنت ؟ قال : موسى بن عمران ، وهذا قبري . وأشار إليه . ثم قصدا . وإذا بالقرب

رواية في تحقيق
موضعه بزمانه
عجب

منا رجل يطبخ في قدره فلما استوى طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شوربة أرز .
 فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق، وأنا ثلاث ملاعق، والرجل ثلاثا .
 ثم تناولناها بيننا إلى أن فرغت . قال الشيخ عبد الله : وكنتُ على عزم العود إلى
 بلاد الحج إلى عند شيخى . فقال لى موسى عليه السلام : أنت لا تسافر إلى شيخك .
 وكيف تسافر؟ وأنت تريد تزوج بأمرأة من نسل الرسول وتُزوّج منها أربعة أولاد .
 وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة، وضم الإبهام إلى باطن كفه، يحكيه .
 قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسى عليه السلام . فلم يسافر والذى، وتزوج بأمرأة
 شريفة، وهى أمى . ورزق أربعة أولاد، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة، قلت له :
 ياسيدى أنت راض عني؟ فقال : كيف لا أرضى عنك، وقد بشرنى بك موسى
 عليه السلام .^(١)

(١) يابص آخر الصفحة بالاصل مقداره ثلاثة عشر سطرا .

مسجد دمشق

(١٢٣)

المسجد الامون
وقالته

مسجد عظيم، ومعبد قديم . لا يُعرف على الحقيقة بانيه ولا زمن بناؤه . فتح المسلمون الشام، وهو كنيسة لأهل دمشق يُتعبَد فيها، زمن الروم . وقد كان قبلهم معبدًا لأُمم مختلفة . وتزعم الكلدانية أنه من بنائهم وأنهم بنَوْه فيما بنَوْا من المباني السبعة التي اتخذوها للكواكب السبعة، جعلوه بيتًا للشترى . قالوا ولهذا استمر التعبُد فيه إذ كان المشتري طالع الديانات والتأله . هذا ما زعموه .

وقال عبدالرحمن بن إبراهيم دُحيم : حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود ^(١) وما كان من حد السيفساء إلى فوق، فهو من بناء الوليد .

حيظه

وقال الوليد بن مسلم : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا في حائط المسجد القبلي أوحا من حجر، فيه كتابٌ نَقِش . فَأَتَوْا به الوليد . فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه . فدلَّ على وهب بن منبه . فأقدمه عليه ، فأخبره بموضع ذلك اللوح . ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام . فلما نظر إليه وهب، حرك رأسه ، ثم قرأه ، فلذا هو :

وح . كتبت حيد
هذي وحيدوه
في أيام الوليد .
و . عروهب بن منبه
نه قرأه

” بسم الله الرحمن الرحيم . ابن آدم ! لو نظرت بسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طول ما ترجو من أملك ! وإنما تلقى ندمك . لو قد زلت بك قدمك ، وأسلمك اهلك وحشمتك ، وأنصرف عنك الحبيب . وودعتك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تحيب ! فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد . فأعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، وقبل أن يحلَّ بك أجلك ، وتُشترع منك رُوحك ! فلا ينفك

صوبه ما في اللوح

(١) بالامل : ومن .

مَالٌ جَمَعْتَهُ، وَلَا وَلَدٌ وَلَدَتْهُ، وَلَا أُخٌ تَرَكَتْهُ ! ثم تصير إلى برزخ الموتى، وبجواره الموتى . فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الضعف، والصحة قبل السقم، قبل أن يؤخذ بالكظم، وبمحال بينك وبين العمل ! وكُتِبَ في زمان سليمان بن داود عليهما السلام .“

دخول العرب
دمشق فاتحين

(١٦٤)

ولما فتح المسلمون دمشق (على ما يأتي ذكره، إن شاء الله تعالى) دخل أمير الحلبش أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) بالأمان من غرب البلد، ودخل خالد بن الوليد بالسيف من شرقه .

الكنيسة صدها
النصارى ونصفها
السليمان إلى أيام
الوليد

فكانت دمشق نصين . والكنيسة كذلك . فاتخذوا منها النصف الشرقى المفتوح عَنوةً، مسجداً يصلون فيه . وتصلّى النصارى في النصف الآخر . فتأذى المسلمون لمجاورة النصارى لهم في مكان تعبّدهم، وكرهوا قرع النواقيس بإزارهم . وأشدّت ذلك

حيلة لطيفة للوليد
مع إمبراطور الروم

على الوليد بن عبد الملك . وكان مُغرّى في سلطانه بجارة المساجد وبناء المعابد . فأعطى رجلاً ديتَه حتّى أتى القسطنطينية . ودخل في زى النصارى كنيسة العظمى يوم الأحد، والملك فيها فَنّ دونه . فلبث حتّى رأى أن جمعهم قد استكمل . ثم قام

فأذن . فأخذ وأحضر لدى الملك، وقد جلس إلى جانبه البطريك، وأستدارت بهما القسوس والشمامسة . فقال له الملك : مَنْ أنت، وما حلك على ما صنعت؟ فقال : أما أنا، فرجل من المسلمين من أهل دمشق، وأما ما حملنى على ما صنعت، فأنشدك الله .

أيها الملك : هل ساءك ما فعلتُ وكرهته أم لا؟ فقال : نعم . فقال : ونحن في مشطره النصارى، نسمع نواقيسهم، ونُساء يجاورهم . فأرا دأمر المؤمنين أن يعرفوك أننا نُساء بذلك، كما ساءكم ما فعلتُ . فغلبت عليه، وكانوا قد هموا بقتله . ثم قال له : صالحونا على

المصالحة
على احتصاص
السليمان به في نظار
استنثار النصارى
بكنيسة مريم كلها

عِرض . فصولحو عنه بنصف كنيسة مريم، وكانت شطرين .

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فئاته . أبني منه ما أبني ،
وجدد ما جدد .

شروع الوليد
في تحميته

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرئ : حدثني أبي عن أبيه المغيرة ، أنه
دخل يوما على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموما . فقال : يا أمير المؤمنين ما سبيلك ؟

رواية أخرى
في هراء المسند

فقال : يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا ، وقد ضاق بهم المسجد . وقد بعثت إلى هؤلاء
لأندخل كنيسةهم في المسجد ، فأبوا . وقد أقطعهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالا .
فامتنعوا . قال : لا تنتم يا أمير المؤمنين ! قد دخل خالد من الباب الشرقي بالسيف ،
ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان . فاستبهم أي موضع بلغ السيف ، فإن
يكن لنا فيه حق أخذناه . قال : فزجت عني ! فتولت أنت هذا فتولاه . فبلغت المسحة
إلى سوق الرمحان حتى حاذيت من التنظرة الكمية أربعة أذرع وكسرا بالناسمي .

١٣٥

فإذا باقى الكنيسة قد دخل في المسجد . فبعث إليهم . فقال : هذا حق قد جعله
الله لنا ! لم يصل المسلمون في غضب ولا ظلم ، بل أخذ حقا . قالوا : قد أقطعنا أربع
كئاس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن نتفضل بذلك
علينا ، فافعل ! فتمنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه . فاعطاهم كنيسة حميد بن ذرة .
وكنيسة أخرى عند سوق الجبن ، وكنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة .

أحد المتأخرين
أربع كئاس في حارة
لهم

ثم جمع الوليد المساكين لهدم الكنيسة . فقال بعض الأقباء لالويد ، والفأس على
كفنه ، وعليه قباء سرجلي ، وقد شد قباؤه : إني أخاف عليك من الشاهد ^(١) . قال :
ويلك ! إني ما أضع فأسي إلا في رأس الشاهد ! ثم إنه صعد . فأول من وضع فأسه
في هدمها الوليد بن عبد الملك . وكبر الناس .

محنة الفأس
لهدم كنيسة
نوسنة ، ومباشرة
لوليد الهدم بنفسه

وقال يعقوب النسوي: سألت هشام بن عمار عن هدم الكنيسة . قال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوةً وكنيسة الداخلة . فإنا أهدم كنيسة توما ، وكانت أكبرهما . قال : فرضوا أن هدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد . وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يُصلى فيه . قال : وهدم الكنيسة في أول خلافته . وكانوا في بنيانه تسع سنين . ولم يتم بناؤه .

وقال يزيد بن أبي مالك : أرسل إلى الوليد حين أراد أن ينقض الكنيسة فأتاه النصارى فقالوا : كنيسة تالانهدمها ! قال : فإني أتركها وأهدم كنيسة توما ، لأنها لم تكن في العهد . فلما رأوا ذلك قالوا : إنا تركناها لكم ، وتدع لنا كنيسة توما . فصعد الوليد وصعدنا معه . فكان أول من ضرب بفأس في هدمها .

قال : وأراد أن يبنى المسجد أسطوانات إلى الطاقات . فدخل بعض البنائين فقال : لا ينبغي أن يُبنى هكذا . ولكن ينبغي أن يُبنى فيه قناطر وتُعد أركانها ، ثم تجعل أساطين وتجعل مُحمدا . وتُعد فوق العُمد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمد البناء ، وتجعل بين كل عمودين ركنا . قال : فُيى كذلك .

وقال إبراهيم بن هشام النسائي : حدثني أبي عن يحيى بن يحيى ، قال : لما هم بهدم كنيسة مَرِّمِيَّنا ليزيدها في المسجد ، بنى الوليد ، صعد المنارة ذات الأضلاع المعروفة بالساعات ، وفيها راهب يَأْوِي في صومعة . فأحدره من الصومعة . فأكثر الراهب كلامه . فلم تزل يد الوليد تدق في قفاه حتى أحدره من المنارة . ثم هم بهدم الكنيسة . فقال له جماعة من نجاري النصارى : ما نجسر على هدمها . فقال : أتخافون ؟ هات (١) الرب يقول للرجل نجار ، وإن كان لا يصل بالمتعب والمثثار ونحوه ، ولا يضرب بالفضع ونحو ذلك .

(١) أظن كتاب " الحيوان " لملاحظ ج ٤ ص ٢٦

تخويف النصارى
والنصارى الوليد .
وسائرة الهدم
بفسه

المَعُولُ، بأغلام ! ثم أتى بسلّم فنصبه على عِراب المذبح . وصعد فضرب بيده حتى أترفيه أثرًا كبيرًا . ثم صعد المسلمون فهدموه ، وأعطاهم الوليد مكانَ الكنيسة الكنيسة التي بحمام القاسم ، حذاء دار أم البنين في الفراءيس . قال يحيى بن يحيى : أنا رأيت الوليد فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق .

التعريض على
النصارى بكنيسة
أخرى

- وروى الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره ، قال : لما كان الوليد وأراد بناء المسجد ، فقال إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسة هذه ، ونعطيك عوضها حيث شئت . وإن شئت أعطيتكم ثمنها ، وأضعف لكم الثمن . فأبوا ذلك ، وقالوا : لنا ذمة وعهد ، والله إنا لنجد ما يهدمها أحد ، إلا جُنَّ ! قال : فإنا أول من يهدمها . فقام وعليه قباء أصفر فضرب ، وهدم الناس معه .

مسودة الوليد
مع النصارى
وتحرق بههم ، يرد
الحنون إذا هدمها
وه اشترى الهدم
معه نكدهم

- ١٠ قال أحمد بن المَعْلَى : فأخبرني شيبه بن الوليد ، قال حدثني أبي ، قال : كنت أمرًا بعبد الرحمن بن عامر البحصي (وهو شيخ كبير أزرق) وهو جالس بالروضة ، فيقول لي : ألا تأتي حتى أكتب لك آرتجاز جئتك وهو يضرب بالقأس في الكنيسة بعد الوليد ؟ قلت : نعم ، ولكن حدثني الحديث . فقال : لما عزم الوليد على هدم الكنيسة ، قالوا إنه لا يهدمها أحد إلا جُنَّ . فقام جئتك يزيد بن تميم فجفع له وجوه أهل البلد . وأمره الوليد أن يتخذ فأسًا صغيرة . ففعل . ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد حتى علا الكنيسة . ثم ألتفت إلى يزيد بن تميم ، فقال : أين القأس ؟ فأنابه به . فقال

(١) هو الذي سماه " الشاهد " في الرواية المتقدمة في صفحة ١٨٠

(٢) في الأصل : قالوا .

(٣) في الأصل : فقالوا .

(١٣٧)

إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يميناً وأنا أول من يميناً في الله. وأخذ بريقة قبائه فوضعها في منطقتيه . ثم أخذ القأس فضرب به ضربات . ثم ناوله جندك فضرب به بعده ، وتناول القأس كل من حضر .^(١)

وصاح النصراني على الدرج وولولوا . فالتفت إلى يزيد بن تميم ، وهو على خراجه ، فقال : آبيت إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها . ففعل . فجاء اليهود فهدموها .

قال ابن الملقى : وأخبرني همام بن محمد بن عبد الباقي ، قال : حدثني أبي ، قال حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، قال : لما أراد الوليد بناء مسجد دمشق ، احتاج إلى الصناع . فكتب إلى الطاغية أن وجه إلى بائعي صانع من صنّاع الروم ، فإني أريد أن أبني مسجداً . وإن لم تفعل ، غزوتك بالجيوش ، وحربت الكنائس ، وفعلت . فكتب إليه : "لئن كان أبوك فهمها فأنفعل عنها ، إنما لو صمته عليه ، ولئن كنت فهمتها وغيبت عن أبيك ، إنما لو صمته عليك . وأنا موجه إليك ما سألت " . فأراد أن يعمل لها جواباً ، فجلس عقلاء الرجال يذكرون . فقال الفرزدق : أنا أجيبه ، قال الله تعالى : "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَاهَا حُكماً وَعِلْماً" . فسرى عنهم .

وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال : كتب ملك الروم إلى الوليد : "إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها . فإن كان حقاً فقد خالفت أباك ، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك" . فلم يجبه أحد . فوثب الفرزدق . فقال : أنا أبو فراس ! "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ" ! قال فكتب به الوليد إلى ملك الروم .

بكتابة ملك الروم
بشأن الهدم

(١) نسي الرازي أو ابن فضل الله إيراد الرجز الذي أشار إليه في صدر الكلام في الصفحة السابعة .

(٢) هكذا بالأصل . والزائدة التالية أكثر وضوحاً ومظهراً .

وقال أحد بن إبراهيم بن هشام بن ملاس: حدثني أبي عن أبيه عن جده، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلت وتمت، وقعت، فشق ذلك عليه. فأنابه بناء، فقال: أنا أتولى بناءها، على أن لا يدخل أحد معي في بنائها، ففعل. فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء. ثم بناها. فلما استقلت على وجه الأرض، غطاها بالحصر. وهرب. فاقام الوليد يطلبه ولا يقدر. فلما كان بعد سنة، قدم، فقال له: ما دعاك إلى الحرب؟ قال: تخرج حتى أريك. فأتوا. فكشف عن الحصر. فوجد البليان قد أعطط حتى صار مع وجه الأرض. فقال: من هذا كنت تؤتى! ثم بناها حتى قامت. وقال عمر بن الدرقس الغساني: رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حفر لأركانها حتى بلغوا الماء، وألقي على الماء جرأ الكروم. وبنى الأساس عليه.

سقوط القبة
بعد بنائها

حيلة هندسية
في تزييدها

(١٢٧)

- وقال إبراهيم بن أبي حوشب: كان جدى أحد قوَّمة المسجد في بنيائه. فحدثت أن الوليد بعث إليه عند فراغه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إني عزمْتُ على أن أعيدها بالذهب. قال: يا أمير المؤمنين! اختلطت؟ هذا شيء يُقدَّر؟ فقال: يا ماجن! تقول لي هذا؟ وأمر به، ففُضِرَ بحسين سوطاً. ثم قال: أذهب، فافعل ما أمرتُ به. قال: فدُكر لي أنه عمل لينةً من ذهب. فحملها إليه. فلما رآها وعرف ما فيها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضى عنه وأمر له بخمسين ديناراً.

عموية. وبه جد
رأس القبة
بالذهب. وتفرع
أحد أعمدته.

وقال أبو بكر أحمد بن البراءي: حدثنا أبي: سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له: أتعبت الناس في طينه كل سنة. فأمر أن يُسْقَف بالرصاص من كل بلد. فبقى عليه موضع لم يجد له رصاصاً. فكتب إليه بعض عماله: وجدنا عند امرأة منه شيئاً، فأبى أن يبعه إلا وزناً بوزن. فكتب إليه خذه بما

تمشية مسجده
بالرصاص

شرافه رصاصاً من
مصر. ثم يوزنه
دهباً. ثم يتردها
إلى المسجد. وأت
من نخل الخليفة

أرادت. فأخذ منها وزناً بوزن. فلما وقأها، قالت: هو منى هدية للمسجد. وقالت: أنا ظننتُ أن صاحبكم يظلم الناس. وقيل كانت يهودية.

سليمان بن
عبد الملك يتون
أمر الصاع بنفسه

وقال الوليد بن مسلم: لما أراد الوليد بناء المسجد، كان سليمان بن عبد الملك على الصنّاع.

أداء الأمانة

وروى محمد بن عائذ عن مشيخة قالوا: ماتم مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة. لقد كان يفضل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسار، فيجيء حتى يضعه في الخزانة.

ما كان يب من
الرخام والمرمر

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام: سمعت أبي يقول: ما في مسجد دمشق من الرخام شيء، إلا رخامنا المقام القرى. فإنه يقال إنهما من عرش سبيل. وأما الباقي فكله مرمر. المقام هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما السماقي البراق، لا يدرى ما قيمتهما.



قلت: قوله في ذلك مردود.

مناقشة المؤلف
عن الرخام والمرمر
والجارية. وتصيل
أنواع الرخام
الملون

فقد أجمعت الحكماء على أن الرخام هو الأبيض. فأما الملون فكله حجارة. وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقمرئين من الإبل. وإن كان الشاق رخاما بزعمه، ففيه من الملون كالغرابي والمنقط والمشجم والأخضر والسماقي غير اللوحين شيء كثير. والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام.

رحم به
ومن بعده

وقد أستجدت شيء كثير منه في الحائط الشامي، جنته الظاهر ببيرس. وأستجد بعد ذلك كثيره.

(١) في الأصل بالهال المهمة وقال في "غلاة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال" لصفي الدين الخورجى: هو بالذال المهمة دمشق.

وقوله المقام الغربي - إشارة إلى محراب مقصورة الخطابة - فإن المسجد لم يكن في حائطه القبلي في ذلك الوقت إلا هذا المحراب، والمحراب الشرقي المعروف بمحراب الصحابة .

قال دحيم: وحدثنا الوليد، حدثنا مروان بن جناح عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم.

عدد المرخيم
١٢٠٠٠

وقال أبو تقي^(١) هشام بن عبد الملك: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: لما أخذ الوليد في بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤنته، تكلم الناس وقالوا: يحق بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان . فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " قد بلغني مقاتلكم، وليس الأمر على ما ظننتم . ألا وإني أمرت بأحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبحت فيه عطاءكم ست عشرة سنة^(٢) ."

ترويضه وهدأته
الحفة واحتجاج
الامة على الوليد
ورده المسع

(١) في الأصل بالموحدة وهو تصحيف من النسخ - وصوابه بالثنية الفوقية والقاف كما ضبطه في " خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال " لصفي الدين الخزرجي .

(٢) أقدم اليونانيون في حائطهم (سنة ٢٣٨ قبل المسيح) بيكلا فخاراً سموه البارثون [Le Parthénon] على رأس الصخرة المقدسة عندهم [l'Acropole] [Athènes] في مدينة أثينا . واستنقروا في بنائه عشر سنين إلى أثنى عشرة . ولا تزال أطلاله ماثلة الآن . موضعاً لطيب السحاب . وقد بلغت الفتحة عليه ٢٣٠٠٠ ذنت^١ أي ذرة أوحشية . والثلاث ٦٠٠٠٠ فرقك، قرناً من ٥٠٠٠ دينار . فيكون مجموع المعروف عليه ٦٠٠٠٠٠٠٠ دينار . يضرب النقد إلى ما يصادفه في أيام الدولة الأموية . وقد ذم حنة من الخاضعين لحكومة طائفة أهل أثينا على زعيمهم الخشب الشيخ بريكليس [Pericles] وحوا عليه هذا الإصراف الله حش وهذا البذخ الباهظ . بلهمهم الرجل . وأثنى عليهم خلة أخذت بجامع قدرهم . وسرهم أن هذه الثقة الطائفة لا تكاد تذكر في جنب هذا الصغر الذي سبق لهم ولأعقابهم مدعى الدهر . فأقره القوم وأصرفوا وأضين .

أما المسجد الأموي فقد كان بدء العمل فيه سنة ٨٨ الهجرة . وقد علمنا من الرواية المتقدمة في صفحة ١٨١ - سم " أقموا في بيانه سبع سنين ولم يتم بناؤه " . هذا وقد عرفنا أبو قصي البكري (كما في صفحة ١٨٨) =

وقال الوليد عن عمر بن مباحر، قال: حسبوا أنفق على الكرمة التي قبلي مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

وذكر الخافظ ابن عساكر في ترجمة أصبغ بن محمد بن محمد بن طيبة السكسكي: قال: ذكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق، أمر رجل يعمل في المسجد وهو يبيكي. فقال: ما قصبتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنت رجلاً جالاً، فلقيني يوماً رجل فقال: أتحملي إلى مكان كذا وكذا؟ وذكر موضعاً في البرية. فقلت: نعم. فلما حملته وسرنا بعض الطريق، أنفث إلى فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي ذكرته لك، وأنا حي، أغنيك، وإن مت قبل بلوغي إليه، فأحمل جثتي إلى الموضع الذي أصف لك. فإن تم قصراً خراباً، فإذا بلغته، فأمكنك إلى ضحوة النهار. ثم عد مسج شرفات من القصر وأحفر تحت ظل السابعة منها على قدر قامة. ستظهر لك بلاطة، فاقلمها فإنك ستري تحتها مقبرة، فادخلها، فإنك ترى في المقبرة سريرين على أحدهما رجل ميت. فأجعلني على السرير الآخر، ومدني عليه، وحمل ما معك مالا من المقبرة وأرجع إلى بلدك. فأت الرجل في الطريق، ففعلت ما أمرني به. وكان معي أربعة جمال وحمار فأوسقتها كلها ما لا من المقبرة، وسرت بعض الطريق، وكانت معي محلاة نسيت أن أملاًها وداخلني الشره. فرجعت بها وتركزت الجمال والحمار في الطريق. فلم أجد المكان، وعدت. فلم أجد الدواب، فبقيت أدور أياماً. فلما يئست، رجعت

== أن الفتحة عليه بلغت ٤٠٠ صندوق في كل صندوق ١٤٠٠ دينار. فيكون مجموع الفتحة عليه ٥٦٠٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريباً ما صرفه أهلي أثينا وأحلافهم على بناء هيكلهم.

فأنت ترى أن المدة التي استغرقها بناء الهيكل الوثني وبناء الجامع الإسلامي تكاد تكون واحدة كذلك. كان الشأن في اعتراض الوثنيين والمسلمين، وفي الرد الذي أجاب به كل من زعيم الوثنيين وأمير المسلمين، وإن كانت المدة بينهما ١٢٥٠ سنة. أطلس التاريخ يعيد قصة كما يقولون، ولو صدق تواريخ اليهود وتعاقد القرون؟

إلى دمشق ولم أحصل على شيء واضطرنى الأمر إلى مائتي : أعمل في التراب كل يوم بدرهم . وكما ذكرتُ حالى ، لم أملك نفسى ! أن أبكى فقال له الوليد : لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئاً ، وإلى صارت ، فبذيت بها هذا المسجد . ثم وهبه شيئاً .

وقال أبو قُصَيِّ العُدْرَى : وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق ، فكان أربعة صندوق ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . وبلغ الوليد أنهم تكلموا ، فقال : يا أهل دمشق إنى رأيتم تفضرون بمائكم وهوائكم وفاهتكم وحماماتكم ، فأحببتُ أن يكون مسجدكم انطامس .

وقال خالد بن تيوك : اشتري الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت القصر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

وقال أحمد بن إبراهيم الغساني : حدثنا أبي عن أبيه عن زيد بن واقد ، قال : وكفى الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق ، فوجدنا فيه مغارة ، فنزفنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى ، والشموع تهر بين يديه ، قُتل . فإذا كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع في ثلاثة ، وإذا فيها صندوق . فإذا فيه سَقَط ، وفي السَقَط رأس يحيى بن زكرياء . فأمر به الوليد . فُرِد إلى المكان . وقال أجعلوا العمود الذى فوقه مغيراً من الأعمدة . فجعل عليه عمود مسَقَط الرأس .

وقال ابن البراء : سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد وبناؤه المسجد ، أحفروا فيه فوجدوا باباً مغلقاً . فأتى الوليد ، ففتح بين يديه . فإذا مغارة فيها تمثال رجل على فرس ، في يده الواحدة الدرة التي كانت في المحراب ، وبه الأخرى مقبوضة . فأمر بها ، فكسرت . فإذا فيها حبتان : حبة قمح وحبة شعير . فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف ، لم يسوس في هذه المدينة قمح ولا شعير .

الحقة عليه
٥٦٠٠٠٠٠
دينار

وإنحر دمشق
بعضه . وبه
صارت حمة

٥٥٠٠ دينار
تحت العمودين

رأس يحيى بن
زكرياء في حمة
تحت

١٤٥

تمثال قديم
ورجموه في حمة
الأساس

الأقباة المعقودة
تحت المسجد

قلت : وحكى لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد التجار الخزاني الكاتب المجلد، وكان يشار به بعض الهائر، أنه فتح في حضرته الشرقية المعروفة بفتح الساعات لكشف قنني الماء. فإذا تحت المسجد أقباة معقودة وعمد منصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة، قد أحكم بناؤها، وشدت في سلاسل الأساس معاقدها. قد بنيت بالصفاح والعمد، والبناء الذي ماهو في قدرة أحد. قال : ودخلناها وجئنا في جوانبها.

الرواق الذي كان
محيلاً به
وأغاضه وماذا
كان

وحكى لي المعلم علي بن محمد بن التقي المهندس، قال : حدثني أبي عن أبيه، قال : كان لهذه الكنيسة رواقٌ يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة. في كل جهة باب. فالشرقي باب جيرون، وكان الباب الغربي تلقاه وراء المسروية، ما بين المصرونية وبينها. وبقى إلى زمن العادل أبي بكر. فنكسها لما عمر التلعة. ونقل مجارته وعمده إليها.

قال : وكان في هذا الرواق قلائي وصوامع.

قلت : ومن آخر ما نقض منها الباب وما يحاوره برأس القباقيين، مما يلي غبسة الكائن.

وئى منه منارة الجامع الشرقية، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعائة.

وآخر من حجراته بقايا أشترت لعارة الجامع اليلماوى، جوار بردا سنة ثمان وأربعين وسبعائة.

وتم بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم، موجود بين المدرسة الثورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام.

(١) الصفاح حجارة عراض كما في اللسان. وقد استعملها كتاب الاندلس بمعنى الصحور (راجع دروزي

في تكملة المعجمات العربية). - ظل ابن فضل الله جرى في هذا المقام على هذا الاصطلاح.



نعويص سم
بن عبد العزيز
على النصارى
لكيسة آخرين

وقال ابن المثلث: أخبرني أحمد بن أبي العباس، حدثنا حمزة عن علي بن أبي جيلة قال: لما وليّ عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمت حال كنيسةنا! قال: إنها صارت إلى مازون. فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صلحهم، يقال لها كنيسة توما.

عمر بن عبد العزيز
رأى رجلاً
من نصارى وكيف
رماهم القوم
رماهم

- قال ابن المثلث: وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم. فكلهم ورفع لهم في الثمن، حتى بلغ مائة ألف. فأبوا. فكتب إلى محمد بن سويد القهري أن يدفع إليهم كنائسهم، إلا أن يرضيهم. فأعظم الناس ذلك، وفيهم بقية من أهل الفقه. فشاوهم محمد بن سويد، متولى دمشق، فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا. وقد أذنا فيه بالصلاة وجعنا فيه. هدم وباد كنيسة! فقال رجل منهم: ها هنا خصلة. لم كنائس عظام حول المدينة: دير مران، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنائسهم، ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شأؤوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سمجلاً. ثم عرضوا عليهم ذلك، فقالوا: أنظرونا، ننظر في أمرنا! فتركهم ثلاثاً، فقالوا: نحن نأخذ الذي عرضت علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجل هو لنا بأمان على ما في القنطرة. فكتب إلى عمر. فسره ذلك وسجل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تُعرب أو تُسكن. وأشهد لهم شهوداً بذلك.

- وقال صفوان بن صالح: حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مهاجر: سمعت أئمة عمرًا قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال: رأيت أموالاً أُنقِصت في غير حقها. أنا مستدرك ما استدركت منها، فراقه في بيت المال: أعمد إلى ذلك الفسيفساء والرخام، فأقلعه وأطينه، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها جبلاً، وأنزع

شروع عمر بن
سداه بريق
زحافة لوصف
نمها في بيت المال
وكيف رآوه عن
ذلك مع الحاشية

(١٨٦)

تلك البطائن . وأبيع جميع ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فأشد عليهم . فخرج إليه
أشرافهم فيهم خالد القسري . فقال لهم خالد : آتوني لي حتى أكون أنا المتكلم . فأتوا
له . فلما أتوا دير سيمان أستاذوا على عمر . ثم قال له خالد : بلغنا يا أمير المؤمنين أنك
همت بكذا وكذا . قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال : عمر لمن هو ؟ لأتلك
الكافرة ! (وكانت نصرانية أم ولد) . فقال : إن كانت كافرة ، فقد ولدت مؤمنة .
فاستحي عمر ، وقال : صدقت ! فأقولك "ماذا لك لي" ؟ قال : لأننا كنا معشر أهل
الشام ، وإخواننا من أهل مصر والعراق نوزو فيفرض على الرجل منا أن يجعل من
أرض الروم قفيزا بالصغير من فيفساء ، وذراعا في ذراع من رخام . فيحمله أهل
العراق وأهل حلب إلى حلب ويستأجر على ما حملوه إلى دمشق . ويجعل أهل حصص
إلى حصص فيستأجر على ما حملوه إلى دمشق ، ويجعل أهل الشام ومن وراءهم حصصهم
إلى دمشق . فذلك قولي : ماذا لك . فسكت عمر .

ويورد الروم
ويغايجه

ثم جاءه بريد من والي مصر يخبره أن قارباً ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من
الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين . فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من
المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتى يجالوا إلى كلامهم . فساروا حتى
نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم
في دخول المسجد . فأذن لهم فمزوا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه
القبلة . فكان أول ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة . فخر رئيسهم مفتحاً
عليه . فحمل إلى منزله ، فأقام ماشاء الله أن يقيم . ثم أفانق . فقال له أصحابه بالرومية :
ما قصتكم ؟ وما الذي عرض لك ؟ قال : كنا معشر أهل رومية نتحدث أن لقاء العرب
قليل . فلما رأيت ما بنوا ، علمت أن لهم مئة سيلفونها . فلذلك أصابني ما أصابني .
فلما قدموا على عمر ، أخبروه . فقال : لا أرى مسجد دمشق إلا غيظاً على الكفار .
فترك ما كان هم به من امره .

رواية أخرى

في ذكره عن محمد بن
نعمان بن عيسى

- وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام ، حدثنا أبي عن أبيه عن جده ، قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يحجز ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب . وقال إنه يسفل عن الصلاة . فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه أتق عليه في المسلمين وأعطيتهم . وليس يجتمع منه شيء ينفع به . فأراد أن يبيضه بالحص . فقيل له : تذهب النفقات فيه . فأراد أن يستره بالخزف فقيل له : ضاهيت الكعبة . فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم . فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم . وأرسل معهم من يرف الرومية وقال : أحفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، قال رئيسهم : كم للإسلام ؟ قالوا : مائة سنة . قال : فكيف تُصغرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم . وأتى الرسول عمر فأخبره ، فقال : أما إذ تأظف العدو ، فدعه .

بإبراهيم بن
محيي بن فضال
عن أبيه

- وقال أحمد بن إبراهيم بن ملاس : حدثنا أبي عن أبيه قال : لما قدم المهدي يريد بيت المقدس ، ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه ، قال : يا أبا عبيد الله ! سبقتنا بوأمية بثلاث : بهذا البيت ، لا أعلم على الأرض مثله ، وبئبل الموالي ، وبعمر بن عبد العزيز . لا يكون والله فينا مثله أبدا . فلما أتى بيت المقدس ودخل الصخرة قال : يا أبا عبيد الله ، هذه راحة .

بحسب المأمون
عن أبيه بن محمد
عن

- قال أحمد : وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى بن أكرم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ! قال المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فإننا ندعه في قصورنا فلا يضي عليه عشرون سنة حتى يتغير . قال : ما ذاك أعجبني منه . فقال يحيى بن أكرم : تأليف رخامه ، فإن رأيت فيه عقلا ما رأيت مثله . قال : ما ذاك أعجبني . قال : فما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

عجائب الدنيا
تحس عند الشافعي
مها المسجد
الأموي

(١١٤)

وقال الشافعي : عجائب الدنيا خمس : منارة ذى القرنين ، والثانية أصحاب الرقيم بالروم ، والثالثة امرأة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها ، يرون صاحبهم من مسافة مائة فرسخ ، والرابعة مسجد دمشق ، والخامسة الرخام والفسيفساء ، فإنه لا يدري له موضع . قلت : وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر .

صاعة
الفسيفساء
وأشواعها

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق . ومن هذا النوع المسحور . وأما الملقون فمجنون .

البرصاء
التي آتت
سنة ٧٤٠

وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحصل منه عدة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين ومبجأة ، وعمل منه قبل للجامع التكري ما على جهة المحراب .

الفرق بين القديمة
والجديدة في أيام
المؤلف

غير أنه لا يمي تماما مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر . والفرق بين الحديد والقديم أن القديم قطعه متناسقة على مقدار واحد ، والحديد قطعه مختلفة . وهذا يعرف الحديد والقديم .

هذا المسجد
يشق إلى الجنة

وروى الوليد بن مسلم عن ابن توبان قال : ما ينبغي أن يكون أحد أشد شوقا إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدنا .

الفترة المسماة
"قلية"

وروى أحمد بن البراء بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري قال : سمعت [بعض] الأعراب وهم يدورون المسجد ، يقولون : لا صلاة بعد القليلة . فقيل له : رأيت القليلة ؟ قال : نعم ، وهي تضيء مثل السراج . قلت : من أخذها ؟ قال : أما سمعت المثل ؟ "منصور سرق القيلة ، وسليمان شرب المزة" منصور الأمير ، وسليمان

الامين يسترها
والأماون يردّها
للتشيع عليه

صاحب الشرطة، يعنى صاحب شرطته . وذلك أن الأمين كان يجب البلور . فكتب إلى صاحب شرطة متولى دمشق أن يُفِذَ إليه القليلة . فسرقتها ليلا ، وبعث بها إليه . فلما قُتل الأمين رد المأمون القليلة إلى دمشق ليُشعَّع بها على الأمين .

وكانت في محراب الصحابة . فلما ذهبْتُ جعل موضعها برنية زجاج رأيتها ثم أَتَكرمت فلم يُعمل مكانها شيء .

ضباغ
وأكسار البرية
الزجاج التي
وصعت محلها

وقال عليّ بن أبي حميلة : كنا نستتر مسجد دمشق في الشتاء بلبود حسنة ، فدخلته الريح فهزته . فثار الناس فخرقوا اللبود .

سنة المسجد

قلتُ : وأما بناؤه ، فهو وثيق البناء ، أنيق البهاء ، قد بُني بالبحر والكس إلى منتهى حوائطه ، وتُشرف بالشراريف في أعاليه ، وأُتخذت له ثلاث منائر : اثنتان في جناحي قبلته ، شرقا وغربا ، والثالثة في شامه وتعرف بالعروس .

وصف الخندق
أنه الوثيق
الأسنى

ويُدخل إليه من ستة أبواب ، منها أربعة أصول ، واثنتان مستجدتان . فالأصول باب الزيادة ، وهو في حائطه القبلي ، وباب الساعات وهو في حائطه الشرقي ، يفضي إلى حضرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات ، تدار بالماء ، وتعلق بها أبواب الساعات .

نوره نهدجه
والمستحقة

وتُجَاهه في الحائط الغربي باب البريد ، وهو أشهر من الشمس في الآفاق ، وأكثر ذكرا من " ذكرى حبيب ومتزلي " للرفاق . وهو حضرة فسيحة في جانبها حوائط لقواكه والشمع والسطر والشراب وأطياب المأكول . وبها القتي من المياه الجارية ، وتوقد عليها المصابيح بالليل فيمويه الماء ذهب شعاعها ، وتطرب أنابيها الإسماع بلذة إيقاعها .

والرابع باب التطافين وهو في حائطه الشمالي ، تلاصقه الخلفاء الشمشاطية وتجارها الأندلسية .

١٩٥

وأما البابان المستجدان فهما الباب النافذ إلى الكلاسة، والباب النافذ إلى الكاملية .
وهما جناحا باب التظافين .

معين المسجد
رفيقناؤه

والمسجد ذو صحن يضاف باب التظافين، قد قُصِّصَتْ حوائطه بالقيسفاء
الرومي المذهب والملون بفرايب الأشجار والصبغة .

رواق الصحن

ويدوره رواق قد أُرِزَتْ جُدُرُهُ وسواريه بالرَّخام الملون، وعُقِدَتْ رؤوس عمدته
وسواريه بالقطار. وجعل على قنطرة منها طاقاتٌ صغارٌ، يفصل بين كلِّ اثنتين منها
عمود رخام أوسارية .

روقة القبة
وقبة النسر

وفي قبلته ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر: قد عُقِدَتْ على المحراب
الكبير الذي يصلِّي به خطيب الجامع وعامة الناس، ومقصورة الخطابة وبها المنبر،
وأمامه سُنَّة الأذان .

المصحف العثماني
الذي كان فيه

وإلى جانبه الأيسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان .
رضي الله عنه .

محراب الصحابة

وفي شرقه هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة . وهو محراب
المسلمين الأول . وبه تصلي المألكية الآن .

محراب الخليفة

وغربي المحراب الكبير محرابٌ يعرف باللازوردية . تصلي به الخليفة، جوار دار
الخطابة .

محراب الخليفة

ثم يليه باب الزيادة، ويليهِ من الغرب محرابٌ تصلي به الخليفة .

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذن، وقد وُقِفَتْ في كل محراب منها وقفتٌ
على منبر من جماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة : كل طائفة في محرابها .

ومف الأروقة
وكلُّ أروقة بالعمد والمضائد ، عليها طلائعُ القناطر المعقودة بعضها على بعض .
وقد أُرزت جُدُرُ هذه الأروقة بالرُّخام الأبيض والمجزَّع والأحمر المنقُط والأخضر
المرشوش والأسود الغرابي والأبيض والمعجون الأزرق .

وصففة الدسر
وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النسر القيلي والشامى فن الرخام إلى أعلى الجدر
والأركان مَمُولٌ بالقسيفساء، مسقوفٌ بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجبر
والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لون والمركبة من لونين .

شاهد الخلفاء
الراشدين
وقد جعل في أركان المسجد الأربعة أربعة مَشَاهِدَ أُتِّخِذَتْ على أسماء الصحابة
الأربعة . فالشرق ^{يقيله} [مشهدٌ] على أسم أبي بكر، وبه عتة خزان كُتِبَ وقف ،
وشاميه مشهدٌ على أسم عليّ . والغربي ^{يقيله} مشهدٌ على أسم عمر، ويعرف الآن بمشهد
عمرو، وبه شيخ حديث وجماعةٌ من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل
وعدة خزان كُتِبَ وقف . وشاميه مشهدٌ على أسم عثمان . وبه يصلي نائب السلطان
في شبابه والحاكم الشافعي إلى جانبه .

وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة . كأنه كرسى ملك له .
وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي
لا ينفرد بها حاكم . فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة
ويحكمون فيها بأجمعهم .

محمن زين العابدين
وداخل مشهد عليّ مشهدٌ لطيف يعرف بالسجن . يقال إنه سُجِنَ به زين العابدين
حين أقدم على زيد . وجواره في زاوية الرواق الشامى - شرق الباب النافذ إلى الكالمية -
مقصورةٌ قد جاور بها جماعةٌ من الفقهاء وتعرف بالحلية . وبها خزانة كتب وقف .

١٩٦

٢٠ (١) كذا وقع في الأصل ولعله سهو عن جنو به .

وفي كل من ذلك إمام يؤتمُّ به، ومؤذِّن يقيم الصلاة ويبلغ.

العمارات والمدارس
التي أنشئت إليه

وفي هذا المسجد زيادات في شماله أوسع بها فناءؤه، وتوضعت أرباؤه .

منها الزاوية الحلية المذكورة في أول حقه الشمالي من الشرق ؛

ثم التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذِّن؛

والكلاسة، وبها إمامان ومؤذنان .

وفي شامها، الأشرفية والمدرسة العزيزية ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذِّن.

وجوار المدرسة العزيزية التربة الصلاحية من غربها .

هذا إلى عدة أئمة تقوم فيه أحسابا .

فرشه بالمرمر
وعمدته وعضائده
بالرخام المذهب

وقد فرش المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزة) وعمد قائمه بالرخام الملون

والمقوش المذهب .

١٠

فناق الماء .

وكذلك عمّلت عضائده وذهبت قواعد عمدته ورؤوسها . وأجرى الماء في صحن
عُقدت عليه قبة في صحنه، وفي صحن في ركن النسر من داخل الرواق، وفي جميع
مشاهده وزياداته، وفي ميضأة أكتفت أسفل المنارة الشرقية منه . هذا إلى ما في حضرة
باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية ، وأسواق قائمة، وسُرُج تتقد
ليلا كالأنجم، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسِّم .

١٥

عود إلى وصف
القصة

فأما القبة فلا لا يحول مثلها في طن، ولا يدور في فكر، قد تعلّق رفرقها بالغمام
عابثا، وحلق طائرهما إلى أخويه النسر ينبي أن يكون لهما ثالثا . قد بُنيت على

قناطر، ممتدة على قناطر، يعقود محكمه، وقطع حضور منتظمه، إلى سقوف مدحبه،
وعاسن موجرة ممهيه.

حول هلال القبة

وعلى رأس القبة هلالاً عالٍ في أنبوبة، طول الرمح .

قد غُلقت هي وكل الأسطحة بالرصاص . وحُكَّت ميازيبه، وُجِع فيه من كل
حَسَن غريبه .

من باب الساعة
المسجد

قال أبو محمد بن زُبر القاضى: بُنى باب الساعات لأنه عمل هناك بيكار الساعات.
يُعلم بها كل ساعة تمضي . عليها عصفائر من نحاس وحية من نحاس وغراب من
نحاس . فإذا تمت الساعة خرجت الحية، وصفرت العصفائر، وصاح الغراب، وسقطت
حصاة في الطست.

علمت الجامع
قبل حريقه



- ١٠ وكان في الجامع قبل حريقه طلسمات لساثر الحشرات، مُعلّقة في السقف فوق
البطائن . ولم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت
الطلسمات، وُجِدَتْ . ومما كان فيه طلسم للصنونات لا تعيش فيه . ولا يدخله غراب .
وطلسم للفار، وطلسم للحيات والمقارب . وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفار .
وفيه طلسم للعنكبوت.

- ١٥ وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وكان سببه أن أمير الجيوش بدرًا الجمالي ورد من مصر إلى دمشق في هذه السنة .
ولما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشاركة والمعاربة . فضربوا

حريق الجامع
سنة ٥٦١ وسمه

(١) هكذا في الأصل . وصوابه "بتكلم" . وهي الساعة المائية التي وصفها ابن جبير الأندلسي في رحله

(٢) هو الفائر المعروف باسم سنوور عند العرب وباسم عصفور الجنة عند عامة مصر . واسمه القرني

. Hironde].

دارا كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرت إلى الجامع. وكانت العانة تعاون المغاربة. فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع. فجّل الأمر وعظم، فجعلوا سيكون ويتضرعون.

وصف الماد
الكاتب لهذا
الحريق

ووصف الماد الكاتب هذا الحريق في كتابه. فقال: "وفي النصف من شعبان هذه السنة، أحترق جامع دمشق. ففُجِعَ الإسلام بمُصابه؛ وصلت النار في محرابه؛ وأشتعل رأس القبة شيئاً بما شُتِبَ، وأكلت النار أُمَّ الليالي منها ماريت، وطار النسر بجناح الضرام؛ وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام؛ فكان الجحيم أستجارت به فتمسكت بذيله؛ وكان النهار ذكر ناراً عنده فغطف على ليله؛ فواها له! من مسجد أحرقتة تفحات أنفاس الساجدين؛ وتعلقت فيه تفحات قلوب الواصلين؛ ثم تماركه الله بالألطف والإطفاء؛ وأناه بالشفاء بعد الاستشفاء؛ وقال حسبه أصطلاء وأصطلاماً؛ وحقق فيه قوله: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا".

آيات في ذلك
الحريق

وقال ابن العين زربي في الحريق المذكور:

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِمَشْقَ الَّتِي كَا * نَتَجَمَّالِ الْآفَاقِ وَالْأَقْطَارِ!
وَعَلَى مَا أَصَابَ جَامِعَهَا الْجَا * مَعَ الْعَجَبَاتِ وَالْأَنَارِ!
إِذْ أَتَتْهُ النَّيْرَانُ طُولًا وَعَرْضًا * عَنْ يَمِينٍ مِنْ قُطْرِهِ وَسَارِ،
ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى حَدَاقِي نَحْلٍ * فَلِذَا الْجَمْرُ مَوْضِعَ الْجَمَارِ!

تحوّرات أتت به
وتوارى في شأنها
وسقط عمدتها
وما فوقها

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فؤارة الماء في سنة تسع وستين وثلاثمائة. قال: "وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحنّائي: أنشئت الفؤارة المنحدرة في وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة. وأمر بجز القصعة من ظاهر



فصر تيجاج إلى جبرون وأجرى مائعا الشريف نجر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني". وتحت بخط محمد بن أبي نصر الحميدي. "وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جمال تحاكت بها. فانشلت كرة أخرى".

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خليجية في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ثم عمل لها الشاذروان، في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

عمل شدروان
سنة ٦١٠

قال: "ورأيت القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جبرون. وفي زناورها الأوسط ست أنابيب صفار، تفر حول القوارة. وعليها درابزيات. فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة، نلفت هذه القصعة وبني عوضها هذه البركة المثمنة. وينبع الماء في هذه البركة من قناة دفنت إليها من مكان مرتفع. فيملؤها الماء نحو قامة. وتسمى القوارة أعظم من مرآها، وأسمها أجل من معناها."

وصف الذهبي
القصعة القوارة
الأكبر وما بين
عوضها هذا
حريق سنة ٦٨١

قلت: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفين ونشعت وجه الجدار الذي للشهد المعروف بأبي بكر وتعلت شرر النار حتى وصلت إلى دائر المنارة الشرقية وشرعوا في إصلاح ماوهي من ذلك، وجدوا أعاليها متداعية، وحجارتها مفخرة مفطرة. فوقف عليها الحكم وقامت البينة بالضرورة الداعية إلى نقض المنارة وتجهيد بنائها. فنقضت جدرانها الأربعة إلى حد أوتار الرواق القبلي، ونقض الجدار القبلي والجدار الشرقي إلى الأرض، وحفر ما بين الجدران في وسط المنارة عتة

حريق سنة ١٤٠
وتجهيد المنارة
على أصل

قامات . وبُنِي ذلك لَبْنَةٌ واحدة، وبُنِيَت المنارة بِنِائًا جليلًا لم يُبْنِ من زمن الوليد أجلُّ منه ولا أوثق .

مقامة الصعدى
في وصف الحريق
٧٤٠ هـ

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصفدى من مقامة أنشأها في الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع :

«فَسَأَلْتُ الخَبْرَ، مِنْ غَيْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ الحَرِيقَ وَقَعَ قَرِيبًا مِنَ الجامعِ، وَأَنْظُرْ إِلَى شَجَرِ
الجَوْكِيفِ أَنْتَشَرَتْ فِيهِ عَقَاقِقُ اللَّهَبِ اللامعِ ! فَبَادَرْتُ إِلَى مَحْضِنِهِ وَالنَّاسُ فِيهِ قِطْعَةٌ
لَحْمٍ، وَالْقُلُوبُ ذَابَتْ بِتِلْكَ النَّارِ كَمَا يَذُوبُ الشَّحْمُ . وَرَأَيْتُ النَّارَ . وَقَدْ تَشَرَّتْ فِي حَدَادِ
الظُّلَامِ مَعْصُفَرَاتٍ ذَوَائِبُهَا، وَصَعِدَتْ إِلَى السَّمَاءِ عَذَابَاتُ ذَوَائِبِهَا :

ذَوَائِبُ بَلَّتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّهَا * تَحَاوَلُ تَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكُوكَبِ .

وَعَلَتْ فِي الجَوْكِيفِ أَعْلَامُ مَلَائِكَةِ النُّصْرِ، وَكَانَ الْوَاقِفُ فِي الْمِيدَانِ يَرَاهَا وَهِيَ
”تَرِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ“ بِفِكْمِ ”زُيْمِي“، ”أَخْضَتْ“ لَذَلِكَ ”الدُّخَانُ“ ”جَائِيهِ“ . وَكَمْ
نَفْسٌ كَانَتْ ”فِي النَّازِعَاتِ“ وَهِيَ تَتَلَوُ ”هَلْ أَتَاكَ حَبِيبُ الْفَاشِيَةِ“ ؟ وَلَمْ تَرَلِ النَّارَ
تَأْكُلُ مَا يَلِيهَا، وَتُخْفِي مَا يَسْتَفِلُّهَا وَيَعْتَلِيهَا، إِلَى أَنْ أَرْتَفَعَتْ إِلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَلَعِبَتْ
أَلْسِنَتُهَا الْمَسْوُودَةَ فِي أَعْرَاضِ أَخْشَابِهَا النُّفِيسِ، وَتَوَارَتْ إِلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ لِأَخْذِ النَّارِ،
وَأَصْبَحَ مَحْضَرُهَا كَمَا قَالَتْ الْخُنُفَاءُ ”كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ“ . فَتُخَسَّتْ وَكَانَتْ لِلتَّوْحِيدِ
سَبَابَةً، وَلِمَعْبَدِهَا الْمُطْرَبِ شَبَابَةً، وَأَبْتُلِيَ رَأْسُهَا مِنَ الْهَدْمِ وَالنَّارِ بِشَقِيقِهِ، وَأَدَارَا الحَرِيقَ
عَلَى دَائِرَتَا رَحِيقِهِ :

وَبِالْأَرْضِ مِنْ حُبِّهَا صِفْرَةٌ، * فَمَا تُثَبِّتُ الْأَرْضَ إِلَّا بِهَا زَارًا .

وَأَصْبَحَ ”بَابُ السَّاعَاتِ“ وَهُوَ مِنْ آيَاتِ السَّاعَةِ، وَخَلَّتْ مَصَاطِبُ الشُّهُودِ مِنْ

السنة والجماعة، وعادت الدهشة، وقد آل امرها إلى الوحشة، وحسبها البديع وقد تلت النار عرشه. كأن لم أربها سميرا، ولا شاهدت من بنائها وقاشها جنة وحريرا.

وقال جمال الدين عبد الله بن غانم، من كتاب عن كافل الشام، تنكر (رحمه الله) إلى نائب طرابلس في هذه الواقعة.

وصف ابن غانم
لهذا الحريق

- «وأضحى» ثم الفتارة^(١) يصاعد جرات أنفاس، و«سوق النحاسين» يرسل منه إلى سور الجامع «شواظ من نار ونحاس»؛ وأقيد «بيت الساعات» إلى قيام الساعة، ودخل إلى باب الجامع لكن لتغير طاعه، وكاد يصلى من به يصلى، ويقبل على صف العابدين فيؤلى. وأهترت المأذنة بجى ناقص، وتشت وجه المشهد الأبي بكرى فكأنما أصابته عين الروافض، وترقرقت عيون العابدين من الألم، وورق صحن الجامع ماتم حدة الساجدين من المأذنة بنار على علم، وما زالت مِرْآةُ اللَّهَبِ حَتَّى
- تحرّبت المئارة. ووصف بعد ذلك في صحن الجامع ما فضل عن أكل النار.

(١٢٠)

- قلت: وهذا المسجد معمور بالناس كلَّ النهار وطرفي الليل، لأنه ممر المدارس والبيوت والأسواق. وفيه ماليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء، ومشايخ العلم والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، ووظائف الحديث وقراء الأسباع والمجاورين من دوى الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورة بالخير، أهله بالعبادة. قل أن يخلو طرفه عين في ليل أو نهار من مُصلٍّ، أو جالس في ناحية منه لأعتكاف، أو مزيل لقرآن، أو رافع بغفيرةً بأذان، أو مكرر في كتاب علم، أو سائل عن دين، أو باحث في معتقد، أو مقترٍ لمنحِب. أو طالب لحل مشكل: من مسائل ومسؤول، ومفيت ومستفت. هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأنا لحديث، أو مرتقبا لقصة أئخ، أو متفرجا

وصف المؤلف
لعمار هذا المسجد
بالتاس دائما

(١) نعل الأصوب: يُسجد.

في فضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا في سمانه. هذا إلى فسحة القضاء وطيب الهواء وبرّد رواقاته، اوقات الهجير، وحسن مرأى ميازيه، أحيانا المطر. وفي كل ناحية من وجهها قمر.

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يَسْقُطُ به إلا ديوانُ مَلِكٍ ووعليه جلائل الأوقاف . إلا أن الأيدي العاديّة قد استولت على كثير منه لسبه الأَكابر والمناصبات ، وغر ذلك مما عَمِلَ عليه على سبيل التَّصَيّت .

وقد أُصِيفَ إليه وَقْتُ المصالح، وقد كان أُفْرِدَ زَمَنَ نور الدين، رحمه الله . وهو لا يَجاوِزُ تَسمِيعَ ألفا في السَنة . جُعِلَ لها مَصارِفُ أُخِذَ بِحِجَّتِها كُل مال المسجد وَعُلِّ بالباطل وَرُتِبَ منه لغير ذَوِي الاستِحقاق . وَجُمِلَ حَتَّى كُلِّ مَطاه ، وَأُخِذَتْ حَتَّى قُصِّرَتْ خُطاه . وها هو الآن قد أَخْلَطَ أحواله ، وَأَكَلَتْ وَشَرَبَتْ أمواله . وَأَصْبَحَ نَبْهاً مُقَمَّها ، وَسَوامَا صَبِغَ في حَجرِها . وَأَل حالَ مَبارِئِهِ إلى أَسوأِ الحَلال وَشَرِ المال .

وَكُلُوا غِثَاءً مِنْ أَصْحَوَازِيَّةٍ. «أَلَا عَظُمْتَ تِلْكَ الرِّزَايَا، وَجَلَّتْ! وَفَدَّ أَنْخَفَتْ كَلِمَةُ السُّفَّارِ فِي الْآثَاقِ إِلَى أَنَّهُ فُودِي فِي مَحَاسِنِهِ، بِمَدِيدٍ فِي نَظَرَانِهِ.

مقام ابراہیم یزرہ

روى مكحول عن ابن عباس، قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها
رزّة، يميل قاصيون.

(١) في الأصل : "لغة الأكابر والمناصب" وفي الكلام إيهام . ولعل المؤلف أراد أن يقول :
"لغة المكابر والمناصب".

وعن حسان بن عطية قال: أغار ملك تبتط هذا الجبل على لوط فسباه وأهله .
 فأقبل إبراهيم في طلبه، في عتة أهل بدر : ثلثائة وثلاثة عشر . فالتقى هو وملك
 الجبل في صحراء بغير . فعصى إبراهيم مينة وميسرة وقلبا . وكان أول من عصى
 الحرب هكذا . فالتقوا . فهزمه إبراهيم وأستقذ لوطا وأهله . فأتى هذا الموضع الذى
 يبرزة ، فصلى فيه .

وروى أحمد بن حنبل بن أبي العجائز عن أبيه عن شيوخه ، أن الآثار التي
 في برزة عند المسجد الذى يقال له مسجد إبراهيم في الجبل (عند الشق) أنه مكان
 إبراهيم ، وأن الآثار التي فوق الشق في الجبل موضع رأى إبراهيم ، فمن صلى فيه
 ودعا أجابه الله ، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع
 من الجبل . أدركت الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون . وهو نافع لقسوة القلب
 وكثرة الذنوب ، وأن بعضهم جاء من مكة فصلى في الموضع الشق ، المنام رآه .

وعن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي ، قال : قال أحمد بن صالح : أدركت
 الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزة ويقصدونه ويصلون
 فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب ، وهو موضع عظيم شريف . ويذكرون ذلك عن
 شيوخهم ويقولون إن الشق الذى في الجبل خارجا عن المسجد هو الموضع الذى
 اختبأ فيه إبراهيم من النمرود ، صاحب دمشق .

وعن عروة بن رويم عن أبيه عن علي : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 وسأله رجل عن الآثار بدمشق فقال : لها جبل يقال له قاسيون ، فيه قتل ابن آدم

(١) نيل المراد : موضع رؤي .

(٢) في الأصل : وهو .

أخاه، وفي شرقه ولد إبراهيم، وفيه آوى الله عيسى بن مريم وأمه من اليهود. وما من عبد أتى معقل روح الله فأغتسل وصلى فيه ودعا، إلا لم يُردّ خائباً. وهو جبل كنهه الله. (والحديث طويل. وهو موضوع، وإنما ذكرته لئلا يُقتَرَبه.)

مغارة الدم

(١٥٢)

مغارة الدم
وصليها - خصوصاً
في الاستسقاء.

قال أبو زرعة الدمشقي: سألت أبا مُسَير عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحجرة، موضع الخوايج، يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعتُ سعيد ابن عبد العزيز: حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم فسأل الله أن يسقينا، فسقانا.

قال مكحول: ونخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يستسقون. فلم يرجحوا حتى سألت الأوديّة.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آدم فسأل الله أن يسقينا. فأتي مطر. فألقنا في النار الذي تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدتُ مع أبي وجاعة - فسأل الله سقياً - إلى موضع قتل ابن آدم أخاه. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً، حتى أقمنا في المغارة. فدعونا الله فأرضع عنا، وقد رويت الأرض.

وقال محمد بن يوسف الهروي: سمعتُ يزيد بن محمد وأبا زرعة وأحمد بن المُثَلِّب وسليان بن أيوب بن حاتم وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام

أَبْن خَالِه وَأَحْمَد بْن أَبِي الْخَوَّارِ^(١) وَصَلِيَّان بْن عَبْد الرَّحْمَنِ وَالْقَاسِم بْن عَثْمَانَ الْجَوْعِي يَقُولُونَ: سَمِعْنَا الْوَلِيد بْن مُسْلِم يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ: «كَانَ أَهْلُ دِمَشْق إِذَا أَحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ أَوْ غَلَا سَعَرُهُمْ أَوْ جَارَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَوْ كَانَتْ لِأَحَدِهِمْ حَاجَةٌ، صَعِدُوا إِلَى مَوْضِعِ أَبْنِ آدَمِ الْمَقْتُولِ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ، فَيُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا.»

قال هشام: ولقد صعدتُ مع أبي وجاعة من أهل دمشق نسأل الله سقيا، فأرسل الله علينا مطرا غزيرا حتى ألقنا في النار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذرعن كعب قال: اختبأ إلياس من ملك قومه في النار الذي تحت الدم عشر سنين، حتى أهلك الله الملك وولي غيره. فأتاه إلياس فعرّض عليه الإسلام. فأسلم وأسلم من قومه خلق، سوى عشرة آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.^(٢)

مقام عيسى بالريوة

روى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، قال حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية أن مليكا من بني إسرائيل حضره الموت، وأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه. وكانوا يؤمنون أن يدرك ابنه فيه لكوه. قال: فأتوا بخزعا عليه. فلما خرجوا يمتازيه، وفيهم عيسى بن مريم، دنا من أمه فقال: أرايت إن أنا أحييت لك ابنك، أوؤمنين بي وتبنييني؟ قالت: نعم. فدعا الله. فجعلت أكفائه تحلل عنه، حتى استوى جالسا. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتى آتته إلى شعب التيرب. فأعتصم منهم

مقام عيسى بالريوة

صعتران عيسى

(١) الخواري يوزن سكارى. انظر القاموس (في مادة ح و د).

(٢) يباس في الأصل مقدار سبعة سطوح.

بقلمة على الصخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبر من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقيت نفسك من هذا المكان، فتلقتك روح القدس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟» فقال: «يا عوي، الطويل النواية! إني واجدٌ فيما علمني ربي، عز وجل، أني لأجرب ربي حتى أعلم أراضٍ عني أم سخطٌ عليّ» فأقبلت أم الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل! كنتم تبهكون وتشتون ثيابكم جزعا عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرنا به؟ قالت: إيتوه فإمتوا به. فاتوه فقالوا: خصلته بيننا وبينك! إن أنت فعلتها، آتبعناك. قال: وما هي؟ قالوا: نحبي لنا عزيرا قال: دلوني على قبره. فترل عيسى معهم حتى أتتهوا به إلى قبره، قال: فتوضأ وصلى ركعتين ودعا. فجعل قبره يتفرج عنه الزاب، ونفخ قد أبيض نصف رأسه وحيته وهو يقول: هذا فمك يا ابن مريم! قال: لم أصنع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتبعوني حتى أحييك لهم. وهذا في هدى قومك يسير. قال فأقبل عليهم بعضهم ويامرهم بآتباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس والحية! فما لنصف رأسك وحيتك قد أبيض؟ قال: سمعتُ الصبحة، فظننتُ أنها دعوة الداعية، حتى أدركني ملك، قال: إنما هي دعوة ابن مريم. فأتته الشوب إلى ماترى.

وأختلف أهل التفسير في تعيينها.

اختلاف
المفسرين في موقع
الرؤية

وروي مرفوعا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: «وَأَوْبَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ». قال: تدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بأرض يقال لها القنطرة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام. وروي عن ابن عباس قال: الرؤية أنهار دمشق.

وكذا قال سعيد بن المسيب ويزيد بن شجرة؛ وقال كعب أمر الله تعالى عيسى بن مريم وأمه أن يسكنا دمشق، وهي إرم ذات الهند.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي أرض ذات أشجار وأنهار. يعني أنهار دمشق. وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته أن بني إسرائيل هُتِمَ بعملي فأمره الله أن ينطلق إلى دمشق. وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتمجدهم. وماء جار. قال: هي الروبة، هي دمشق.

وقيل إن الروبة في القرآن هي الرملة. روى مرفوعا عن النبي، صلى الله عليه وسلم. وزاد فيه: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك. قلنا: يارسول الله، وأين هم؟ قال: بأكاف بيت المقدس. وروى عبد الرزاق في تفسيره عن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين.

(١٥٥)

ويروى عن قتادة: هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر^(١).

ويروى عن جابر الجعفي عن أبي جعفر: وآويناها إلى روبة، قال: الكوفة؛

١٥

والمعين الثورات.

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثرين أنها روبة دمشق.

وهذه الأقوال وأهية. وإعنا ذكرناها للتعجب، أقتداءً بالخافظ أبي القاسم بن عساكر، رحمه الله!

استند المؤلف
على هذه الأقوال

(١) القصود هنا المدعى المروقة تدعى بالسطاط.

الكهف بقاسيون^(١)

بناء الكهف
قاسيون سنة ٣٧٠
وروي بأعربة
في ذلك

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق: ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن المعلم أنه ابتداء ببناء الكهف سنة سبعين وثلاثمائة. قال: وبالله ربي أعصم من الكذب، وأسأله أن ينطق بالصدق لسانی. رأيتُ جبريل عليه السلام في النوم. فقال لي: إن الله يأمرك أن تبني مسجداً يُصلّى فيه ويُذكر اسمه، وهو هذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميتُ أنا: كهف جبريل. وقلتُ: أتني بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يمينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد
عمرو بن العاص
بالفسطاط بمصر

مسجد عظيم بمدينة الفسطاط، بناء عمرو بن العاص، موضع فسطاطه وما جاوره. وموضع فسطاطه منه، حيث المحراب والمنبر.

وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلّوا فيه.

ولا يخلو من سكنى الصلحاء. معمور الأوقات بالذكور. وبه عقب صلاة الصبح فيه أوقات مشهودة ومواسم خير لا تعد.

وصف المساجد
والشمس فوق
الليل في وقت
الغروب

وحكى علي بن ظافر [الأزدی] قال: روي لي أن الأعرابي الفتيحة ابن قلاص [نشو الملك علي بن مفرج] بن المنجم اجتمعوا في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها

(١) أي مسجد الكهف.

(٢) وقت هذه الحكاية في صفحة ١٤٧ و ١٣٨ من كتاب "بداية البداهة" المطبوع في بولاق سنة ١٢٧٨. وهناك زيادة ونقص في الألفاظ. فذلك جمع بين روايته ورواية ابن فضل الله.

الهلل العيون، وبرز في صفحة بحر النيل كالنور^(١). ومعهما جماعة من غواة الأدب، الذين ينسلون إليه من كل حدب . فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربه، وإلى مستقرها جارية ذاهبه، قد شممت للغرب الذيل^(٢)، وأصفرت خوفاً من هجمة^(٣) الليل، والهلل في حمرة الشفق، كحاجب الشاب أو زورق الورق، فأقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت التزيه، على البديهة.

فصنع ابن قلاؤس:

أُنْظِرْ إِلَى الشَّمْسِ فَوْقَ النَّيْلِ غَارِبَةً * وَأَنْظُرْ لَهَا بَعْدَهَا مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ !
غَابَتْ وَأَبْقَتْ سُمَاعًا مِنْهُ يَخْلِفُهَا * كَأَنَّمَا احْتَرَقَتْ بِالْمَاءِ فِي الْفَرْقِ !
وَالْهَلَلُ ، فَهَلْ وَافَى لِيَتَقَدَّزَهَا * فِي إِثْرِهَا زَوْرَقٌ قَدْ صَيَّغَ مِنْ وَرَقٍ ؟

وصنع ابن المنجم:

يَارَبُّ سَامِيَةٍ فِي الْجَوْ قَتُّهَا * أَمْدٌ طَرَفِيَّ فِي أَرْضٍ مِنَ الْأَفَقِ .
حَيْثُ الْعِشِيَّةُ فِي التَّمِيلِ مَعْرَكَةٌ * إِذَا رَأَاهَا جَابَتْ ، مَاتَ لِلْفَرْقِ .
شَمْسٌ نَهَارِيَّةٌ لِلْغُرْبِ ذَاهِبَةٌ * بِالنَّيْلِ مُصْفَرَّةٌ مِنْ هِجْمَةِ الْفَسَقِ .
وَالْهَلَلُ أَنْعَاطٌ كَالسَّانِ بَدَأَ * مِنْ سَوْرَةِ الطَّعْنِ مُلَقًى فِي دَمِ الشَّفَقِ .

وحكى علي بن ظافر أيضا، قال: أخبرني [أبو عبدالله] بن المنجم الصواف، بامعناه

(١) في كتاب البدايع : كانون . [ومرغلط] .

(٢) في » » : للنيب .

(٣) في » » : هجوم .

(٤) يعني المأذنة .

(٥) ورد هذا الشطر في كتاب البدايع هكذا : "والشمس هاربة لغرب داره" .

(٦) بدايع البدايه ص ١٢٩ وفيه زيادة وقصص عن ابن فضل الله . وقد جمعت بين الروايتين .

قال : صعدتُ إلى سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة . فصادفتُ به الأديب الأعزَّ أبا الفتح بن قلاؤس ونشو الملك علي بن مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعاً المغربي في جماعة من الأدباء . فأنصفتُ إليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، ودُفِنَتْ في المغرب حين ماتت ، وتطوَّز حداد الظلام بلم حلاله ، وتحلى زنجي الليل بجلجالة ، اقترح الجماعة على ابن قلاؤس وابن المنجم أن يعملا في صفة الحلال . فاطرق كل منهما مفكراً ، وميَّز ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متخيلاً . فلم يكن إلا كرجع الطرف ، أو وثبة الطرف ، حتى أنشدا .

فكان ما صنعه نشو الملك :

وَعَنِي كَأَنَّمَا الْأَقْيُ فِيهِ « لَأُزَوِّدُ مُرْصِعُ بُضَارِ!
قُلْتُ لَمَّا دَتَّ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ وَلَاحَ الْهِلَالُ لِلنَّفَارِ:
أَقْرَضَ الشَّرْقُ صَوْنَهُ الْقَرَبَ دِينَا . رَا فَاَعْطَى الرَّهَيْنَ نَصْفَ سَوَارِ!

وكان الذي صنعه ابن قلاؤس :

لَا تَنْظُنْ الظَّلَامَ قَدْ أَخَذَ الشَّمْسُ وَأَعْطَى النَّهَارَ هَذَا الْهِلَالَ .
إِنَّمَا الشَّرْقُ أَقْرَضَ الْقَرَبَ دِينَا * رَا فَاَعْطَاهُ رَهْنَهُ خَلْجَالَا!^(٣)

(١) البائع : وعشاه .

(٢) في ابن فضل الله : النهار | وهي ليست مطابقة للقام ، ولعلها سبق قلم . فذلك آخرتُ رواية بدائع البهده | .

(٣) في البائع : فأعطاه الرهن .

قال: وهذا مما تواردت في معناه الخواطر. وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعرن أبي الفتح ابن قلاؤس: لتتصيفه السوار. وعلى كل حال فقد أبدعنا، ولم يتركنا للزيادة في الإحسان موضعا.

مسجد قرطبة

١٥٦

- مسجد قرطبة
مسجد عظيم ليس في مساجد المسلمين مثله بنيةً وتميقاً، وطولاً وعرضاً.
طوله وعرضه
وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة، وعرضه ثمانون باعاً.
تسقفه وصحة
ونصفه مُسَقَّفٌ، ونصفه صحن للهواء.
سبب وسواريه
وعدد قسيّ مسقفه تسعة عشر قوساً، وفيه من السواري (أعنى سواري مسقفه
بين أعمدته وسواري قبلته - صفاراً وكباراً - مع سواري القبة الكبرى وما فيها)
ألف سارية.
ثرياته
وفيها ثريات كبيرة للوقيد، منها واحدة يوقد فيها ألف مصباح، وأقلها تحمل آتني
عشر مصباحاً.
سماواته وجوار
وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه، وجميع خشب هذا الجامع
من عيدان الصنوبر الطرطوشي. ارتفاع الجائزة منها شبرٌ في عرض شبرٍ إلا ثلاثة
أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبراً. وبين الجائزة والجائزة غاظ جائزة.
صنة القص
وصلة الدوائر
والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المستسمة
والمدرب وهو صنعة القص وصناعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضاً بل كل
سما منهن مكتفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بألوان حمرة

الزنجيرية والياض الإسفيداجي والزرقة اللازوردية والزرق الباروتي والخضرة
الزنجارية والتكحيل القسي . تروق العيون وتستميل النفوس : بإتقان ترسيمها ،
وعتققات ألوانها وتقسيمها .

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفة ثلاثة وثلاثون شبرا . وبين العمود والعمود
خمسة عشر شبرا .

ولكل عمود منها رأس مخرام وقاعدة . وقد عُقد بين العمود والعمود على أعلى
الرأس قسي غريبة عليها قسي أخرى على عمد من الحجر المنحوت ، متقنة .

وقد جُصص الكل منها بالحصى والجيار . ورُبَّت عليها نجومٌ مستديرة ، ثابتة بينها
ضروب صناعات الفص بالمقرة . وتحت كل سماء منها إزار خشب .

(١٥٧)

وصف قبله
الصبيبة ، وما فيها
من صفة القوط

ولهذا المسجد الجامع قبلة تمجذ الواصفين أوصافها . على وجه المحراب سبع
قسي قائمة على عمد طول كل قوس منها أشف من قامة ، وكل هذه القسي مزججة
بصبغة القوط .^(١) قد أعيت الروم والمسلمين بفريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها .

أعمدة المحراب
لا تقوم بمال

وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة : اثنان أخضران ، واثنان زرزوريان ، لا تقوم بمال .
ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعة . خشبه أبوس

المبر الذي ليس
بمعمور الأرض
مثله

وقس وعود المنبر . ويحكى في كتب تواريخ بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه
سبع سنين . وكان عدد صنّاعه ستة رجال ، غير من يخدمهم ويتصرف لهم . ولكل
صانع منهم في اليوم نصف مثقال مخدّى .

(١) أي L'art Gothique

(٢) مكانا في الأصل . ولله أراد . [كافل المؤلف بعد أربعة أسطر] .

- (١) وعن شمال المحراب بيتٌ فيه عُدَدٌ وطسوت ذهب وفضة وحسك . وكلها لوقيد الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان .
- وفي هذا المخزن مصحف يرضه رجلان ، لتقله . فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان الذي خطه يمينه ، وفيه نُقْطٌ من دمه .
- ولهذا الجامع عشرون باباً ، مصنعةً بصفايح النحاس وكواكب النحاس . وفي كل باب منها حَلَقَتَانِ في نهاية الإِتْقَانِ .
- وفي الجهة الشمالية منه الصومعة ، الفريضة الشكل والصنعة ، الجلييلة الأعمال الرائعة . ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي : منها ثمانون ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعاً . ويصعد إلى أعلى المار بدرجتين : أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي . إذا أفرق الصاعدان أسفل الصومعة ، لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى . والذي في الصومعة من العمدة بين داخلها وخارجها ثلثمائة عمود : بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة على القبة التي على بيت المؤذنين ثلاثُ مُفَاحَاتٍ : واحدةٌ من ذهب ، وأثنان من فضة . تسع الكبيرة من هذه المُفَاحَاتِ ستين رطلاً من الزيت .
- ويَتَعَلَّمُ الجامع كله ستون رجلاً (٢) .
- (١) هكذا في الأصل بالأعمال . وفي القاموس أن الحسك شوك مدرج لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يس إلا من كان في رجله خف... والحسك من الحديد ما يعمل على مثله وهو من آلات السكر . [وله المرادها والعرض احاطة هذه القُدَدِ والآلات بشئ ينع الثاس الوصول إليها] .
- (٢) بقية الصحيفة يابض . مقداره سبعة عشر سطراً .

آلات لوقيد
في ٢٧ رمضان

مصحف يرضه
رجلان فيه
ورقات من
مصحف عثمان

أنه ٢٠ صفحة
ونحاس وكواكب
النحاس

صومعة عربية

درجان متجانسان
لصعود إلى أعلاها

في ثلثمائة عمود
(١٥٨)
ثلاث مُفَاحَاتٍ
من ذهب وفضة

٦٠ رجلاً
يتعلمون الجامع

بقية المزارات الأخرى

سائر المزارات
وتفصيلها
وهواضنها المزعومة
والحقيقية

وأما سائر المزارات فكثيرة جدًا: لا تدخل تحت الحصر، ولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضرنا ذكره في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام، على ما ينقلب على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكُنْ لاحقية لها. والله أعلم!

فن ذلك:

§ قبر مالك بن الأشتر النخعي . قيل إنه على باب مدينة بعلبك ، من الشمال . والصحيح أنه بالمدينة .

§ قبر حفصة ، زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم . قيل إنه ببعلبك . والصحيح أنها أم حفص ، أخت معاذ بن جبل . فإن حفصة ماتت بالمدينة .

§ دير إلياس النبي عليه السلام ، ويقال إنه كان محبوساً [فيه] .

§ مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك . جند بناءه الملك الأشرف موسى .

§ قبر أسباط ، ببعلبك .

§ قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكرك ، من أعمال بعلبك .

§ قبر شيث ، بقرية تعرف بشرعين بالقرب من كرك نوح . وقبر إلياس النبي بقرية .

§ قبر حزقيل ، أحد أنبياء بني اسرائيل بالبقاع ، غربي كرك نوح .

§ قبر يليامين ، شقيق يوسف ، عليه السلام ، بقرية ظهر حمار ، من البقاع .

§ قبر شيبان الراعي ، بالبقاع ، بالقرب من حزقيل . في مشهد مبني عليه .

١٠

١٥

- § قبر أيوب (عليه السلام) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نوى. كان بها أيوب، عليه السلام. وبها ابتلاه الله، عز وجل، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كان عليها؛ وبالقرية أيضا قبر سعد التكروري، فقير صالح له شهرة.
- § مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بِحُجَّةٍ على يسار الذهاب إلى زُرع.^(١)
- كان بها وقعة أجنادين في فتوح الشام. وبها حجر، ذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس عليه. وهذا ليس بصحيح. فانه (صلى الله عليه وسلم) لم يعد بصرى. وذكر أن بحامها سبعين نيا.

§ قبر أليّس، بقرية تعرف ببصرى، من أعمال زُرع.^(١)

§ تحجران، شرق بصرى. يقال إن بها الأخدود. ولا يصح. لأن الأخدود باليمن. والله أعلم.

١٠

§ قبر عبد الرحمن بن عوف، بقرية تعرف بالدور، على باب زُرع.^(١) والله أعلم.

§ الهَمَيْسَع أبو أليّس، في ذيل الجعّة. والله أعلم.

§ مسام بن نوح، على باب نوى. وبها قبر الشيخ محي الدين النووى. وبها الشيخ على الحريرى، شيخ الطائفة الحريرية.

- § مبرك الناقة. موضع معروف ببصرى. ويقال إن ناقة النبي (صلى الله عليه وسلم) بركت به هناك. أما قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) ببصرى فلا شك فيه؛ وأما أن ناقته بركت به في هذا الموضع بعينه، فلا قطع به. ولكن الظاهر أنه هو. فانه أعلم.

(١) ذكر ياقوت أن أصل اسمها رُزًا والعامّة سمّتها زُرع (ج ٢ ص ٩٢١).

وفي هذا الموضع مصحفٌ شريفٌ عثمانى، وعليه أثر الدم.

§ وقبلى بُصْرَى دَيْرٌ يقال له دَيْرُ النَّاعِقَى. كان به يَحْيَى، الراهب. وبه اجتمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

§ وشرق بُصْرَى، قرية تعرف بدَنَيْن. بها قَدَّم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حفرة سوداء، على ما ذكرنا. والله أعلم.

§ وقرب بُصْرَى قرية تعرف بقَصَب. بها قبر وهب بن منبه.

§ قديم هارون، عليه السلام، ببلدة بَصْرَحَد.

§ وهذه البلدة مشهدة، ذكروا أن موسى وهارون (عليهما السلام) كانا به، لما خرجا من التيه.

§ قبر هارون، في السيق ببلاد الشَّوَبَك.

§ قبر أبى عبيدة بن الجراح. بقرية عَمَّان من القُور. وعليه بناء، ولخادمه مرتب جار. أجرى له في الأيام التنكرية، يعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

§ قبر مُعَاذ بن جَبَل. بالقَصِير المَعِينَى.

§ قبر أبى هُرَيْرَة. بقرية ثُلَيْي بالساحل، من أعمال الرملة.

﴿١٦١﴾

§ والبقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف والرقم هناك. وهذا ليس بصحيح. قال الهَرَوَى: وقد زرنا الكهف والرقم في بلاد الروم عند مدينة يقال لها أَيْبَس، خربة

(١) تعرف أيضا باسم أفسس. وبالفرنسية Ephèse.

بها آثار عجيبة، قرية من مدينة أبلستين . وقيل إن مدينة دقيانوس هي طليطلة .
والصحيح الذى يبلاد الروم . وسيأتى ذلك فى موضعه .

§ قبر جعفر الطيار . بقرية مؤتة ، من أعمال كرك الشوبك .

§ وبها أيضا قبر زيد بن حارثة ، وقبر عبد الله بن رَوَاحَة ، والحارث بن
النعمان . وعبد الله بن سهل ، وسعد بن عامر القيسى وأبى دُجَانَة
الأنصارى : استشهدوا (رضى الله عنهم) فى غزوة مؤتة ، وهى غزوة مشهورة .

§ قبر سليمان بن داود . شرق بَحْيرة طَبْرِية . قال شهاب الدين ابن الواسطى
فى تصنيفه : والصحيح أن سليمان دُفِنَ إلى جانب أبيه ، فى بيت لحم . وهما فى المفارقة
التي بها مولد عيسى ، عليهم السلام .

§ قال : ومن شرقها أيضا قبر لقمان الحكيم وأبيه ، على ما قيل .

§ قبر أم موسى بن عمران . بقرية يقال لها إِرْبِل من أعمال طبرية ، عن يمين
الطريق . وبها أربعة من أولاد يعقوب . وهم : دان وأبساحور وزبولون وكاذ .

§ قصر يعقوب ، عليه السلام ، وبيت الأخزائب ، وجب يوسف ، عليه
السلام . فى الطريق إلى بانياس . وهذا هو المشهور . قال ابن الواسطى : والصحيح

أن جب يوسف فى طريق القدس ، عند بلد يقال له سنجيل . وقال فى موضع
آخر : سيلون قرية كان يعقوب (عليه السلام) ساكنا بها . وإن يوسف (عليه
السلام) خرج منها مع إخوته . والجب الذى رُمى فيه بين سنجيل وثابلس ،
عن يمين الطريق .

(١) فى الأصل بعد هذا الكلام تكرر وصفه : ويقال إن مدينة دقيانوس .

§ قبر شعيب، عليه السلام. بقرية يقال لها حِطَّين ويقال حِطِّيم. وقبر زوجته على الجبل، على ما قيل.

§ قبر يهوذا بن يعقوب. بقرية رومة من أعمال طبرية.

§ قبر صفوراء، بنت شعيب، زوجة موسى بن عمران. بقرية كفر منده. قيل إنها مدين، على ما زعم. قال ابن الواسطي: والصحيح أن مدين شرق طور سيناء.

§ وبهذه القرية الحب الذي قلع موسى الصخرة من عليه، وسقى منها أغنام شعيب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها آثان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفتالي.

§ وعند هذه الأماكن جبل يقال له الطور. قيل إن موسى، من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

§ قبر راحيل أم يوسف. عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل.

§ قبر لوط. بقرية كفر تريك، شرق بلد الخليل.

§ مقام لوط. بقرية تامين. وبها كان يسكن، بعد رحيله من زغر. والموضع الذي خُسف بقومه هو اليوم البحيرة المتينة. وقيل إن الحجر الذي ضربه موسى فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بزغر.

§ قبر عبادة بن الصامت. بالرملة.

§ مشهد الحسين. بعسقلان. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل المسلمون

الرأس إلى القاهرة، ودُفن بها في المشهد المعروف به، خلف القصرين، على زعم من

- قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق . لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية . وكانت دمشق دار ملكه وملك بنى أمية . ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته . وله بدمشق مشهدٌ معروف ، داخل باب القرايس . وفي خارجه مكان الرأس ، على ما ذكروا . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن . والمحدث يعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان .

§ وفي هذا المشهد دفن رأس الكامل صاحب ميافارقين . وفي ذلك قال ابن المهتار ، الكاتب .

- أبن غاز غزّا وجَاهَدَ قوماً ، * أنحنوا بالمراق والمشرقين^{١٠} .
لم يشكّه أن طيف بالرأس منه ، * فله أسوة برأس الحسين .
وافق السبط في الشهادة والده * ، ن وقد حاز أجراً مرتين .
لم وآروا في مشهد الرأس ذاك الرءس * ، فاستجيبوا من الحالتين !
§ قبر يحيى وزكريا . يقال إنهما بسبسطية^(١) . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد . قال : وكلّني الوليد على الحال في بناء جامع دمشق . فوجدنا فيه مفارة . ففرغنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى . وبين يديه الشموع . فنزل . فإذا هي كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع . وإذا فيها صندوق . فإذا فيه سقَط . وفي السقَط رأس يحيى بن زكريا . مكتوباً عليه : ” هذا رأس يحيى بن زكريا “ . فأمر به الوليد ، فردّ إلى المكان . وقال : أجعلوا العمود الذي فوقه مُغيّراً من الأعمدة . فجعل عليه عمود مُسقَط الرأس .

(١) هذا نصّ يافوت . ولهم في القاموس ضبطه وزن أحمدية .

قال زيد بن واقد : رأيتُ رأسَ يحيى بن زكريا، وعليه البشرة، والشعرُ على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعي : سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل : أين بلفك رأسُ يحيى بن زكريا ؟ قال : بلفي أنه تم . وأشار بيده نحو العمود المسقط الرابع من الركن الشرق . وقال هشام بن عمار : حدثنا محمد بن شعيب ، قال : دخلتُ مع شداد بن عبد الله من باب الدَّرج . فقال لي : ترى هاهنا كتابا بالرومية ؟ قلت : نعم . فصلتُ ركعتين . وقال : هاهنا رأسُ يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعي عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعي : أين بلفك رأسُ يحيى بن زكريا ؟ قال : في العمود الرابع المسقط .

(١١)

سعد بن عباد . يقال إنه بقرية المنيحة ، من غوطة دمشق . ولا يصح .
خالد بن الوليد . يقال إنه خارج حص . ولا يصح . وإنما هو خالد بن يزيد ابن معاوية ، بقول جرهم . فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالدًا عن حص وأخصمه إلى المدينة . فأت بها ، ووَجَدَ عليه عمرُ بعد موته .

ضَرَار بن الأزور . خارج باب شرق . مع خالق من الصحابة ، استشهدوا في فتح دمشق .

§ وبمقابر باب الصغير خالق من الصحابة أيضا ، استشهدوا في فتح دمشق .

§ وكذلك من سكن دمشق منهم .

§ وكذلك سائر بلاد الشام ، ومصر ، والعراق ، والصم ، والمغرب .

§ ويجزيرة العرب منهم رجال ، وبمكة والمدينة مشاهير وأعلام .^(١٢)

(١) يباض بالأصل مقداره سقران .

(٢) يباض بالأصل مقداره نحة سطور .

البيوت المعظمة عند الأمم

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم :

فأقول ذلك ما كانت عبَاد الكواكب تعظمه .

عبادة الكواكب
وهي كلها

- وهي سبعة بيوت في الأرض . يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب
السبعة السيارة : لاعتقادها أن الكواكب أجسام حية ناطقة ، تجري بأمر الله في كل
• ما يحدث في العالم . ففزعوا إليها القرابين ، لتضعهم . فلما رأوها تختفي في النهار وبعض
أحيان الليل ، عملوا لها تماثيل ، ويَتَوَلَّاهُ البيوت والمياكل : ظناً أنهم إذا عظموا تلك
التماثيل الموضوعة لها ، تحركت الأجسام العلوية بمرادهم .
- وقد قال الله تعالى : **حِكَايَةً عَنْ قَوْمٍ : « مَا صَلَّيْتُمْ إِلَّا لِتُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى »** .

﴿١٣﴾

والآيات السبعة التي كان إليها حُجَّجهم : نيور - المحجوج

﴿ أَوَّلُهَا الْبَيْتُ الْحَرَامُ . كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِرَحْلٍ .

قُلْتُ : وإن سمع قَوْمٌ من قصد هؤلاء البيت الحرام بالتعظيم ، فلا عَجَبٌ . فإنه
ما زال معظمًا في الإسلام وقبل الإسلام ، تَحْجُّجُ إليه طوائف الأمم في كلِّ الأوقات .
زاده الله إبقاءً وأدامه . ووصل شرفه يوم القيامة !

- ﴿ وَثَانِيهَا بَيْتُ فَارَسٍ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ أَصْفَهَانٍ . وَبَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ فَرَاسِخٍ . كَانَ يَأْتِيهِ
• مِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِالْمَشْتَرَى . ثُمَّ جَعَلَهُ يَسْتَأْشِفُ - لَمَّا تَحَجَّسَ - بَيْتَ نَارٍ . فَعَظَّمَهُ الْمَجُوسُ .
- ﴿ وَثَالِثُهَا بَيْتُ مَنُودَرَسَانَ ، بِلَادِ الْهِنْدِ . كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِالزَّرِيخِ . وَقَدْ

ذكره أبو عبيد البكري وقال: إن به من القوى الدافعة والجاذبة والمنفردة، أوصافا لا يسع ذكرها. ثم قال: وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه، فليبحث.

§ ورابعها بيت كاوسان. بناه كاوس الملك، بمدينة قرغانة. كانت يأتيه منهم من يتقرب إلى الشمس. قال أبو عبيد البكري: وهنهم المعتصم. ولهم خبر ظريف ذكر في كتاب الزمان.

§ وخامسها بيت محمدان. بناه الضحاك بمدينة صنعاء. كان يأتيه منهم من يتقرب بالزهررة. وحر به عثمان بن عفان، رضى الله عنه. والآن مكانه بركة. وآثاره كالجليل الضخم. وكان الوزير عيسى بن الجراح، لما غي إلى اليمن أحضره قبرا وبني عليه سقاية. قال البكري: وزعم أهل اليمن أنه سيئني على يد غلام يخرج من بلاد سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيرا عجيبا.

(١٦)

§ وسادسها بيت بأعلى بلاد الصين. بناه ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح. يأتيه منهم [من] يتقرب لقطارد خاصة، ولسائر الكواكب السبعة السيارة عامة. وهو سبعة أبيات، في كل بيت سبع كُوفٍ. يقابل كل كوة صورة على صورة كوكب من النخسة والعشرين. ولهم فيه أسرارٌ رزقهم.

§ وسابعها بيت التوبهار. بناه متوشهر الهندى بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصابئة من يتقرب بالقمح. وكان يسمى المتولى لسدائته "برمك". وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه. وألت ولايته إلى أبي خالد اليرمكى، فلهمنا قيل "برمك" ولهمنا قيل "البرامكة". وكان من أعلى المباني تشييدا. وكان يلبس بالحرير الأخضر، تشرطه

(١) في الأصل: مكان

(٢) مكان في الأصل. والحسان لا يتبعه.

١٥

٢٠

شَقَّاقٌ مِنْهُ . طول كل شُقَّة مائة ذراع . فيقال إن الريح حملت بعض تلك الشَّقَّاقِ
فَرَمَتْ بِهِ عَلَى مَسِيرَةِ نَحْسِينَ فَرَسًا . وهذا يدلُّ عَلَى عُلُوِّهِ الزَّائِدِ . وكان قد كتب عَلَى
باب النوبهار بالقارسية : ” قَالَ سَوْرَاشَفُ الْمَلِكِ : أَبْوَابُ الْمُلُوكِ تَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثِ
خِصَالٍ : عَقْلٌ ، وَصَبْرٌ ، وَمَالٌ “ .

- ثم لما ملك الإسلام مدينة بلخ ، كُتِبَ تَحْتَ هَذِهِ الْكَتَابَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ : ” كَذَبَ
سَوْرَاشَفُ . الْوَاجِبُ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنْ يَحْضُرَ مَعَهُ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ أَنْ لَا يَلْزِمَ بَابَ
الْسلطان “ .

هياكل الأقدمين

وأما بيوت اليونان^(١) فهي ثلاثة هياكل ، وهي مشهورة في العالم :

- ١٠ أولها - بيت بانطاكية ، داخل مدينتها ، عَلَى بُسْرَةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ . وَتَحْرَهُ الْمُسْلِمُونَ .
ولما أتى ثابت بن قرة بن زكريا الخزازي مع المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين ،
أتى هذا الهيكل وعظمه .
وثانيها - هو الهرم الذي عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْقُسْطَاطِ .

وثالثها - بيت المقدس . كان قد شُيِّعَ فِي بَنَائِهِ . ثُمَّ شَرَعَ دَاوُدُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

- ١٥ فِي تَكْوِيلِ بَنَائِهِ مَسْجِدًا . ثُمَّ تَمَّ عَلَى يَدِ آبْنَيْهِ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .
قال البكري : فأما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل ، فكانت اليونانية
أَحْضَرَتْ لَهُ جَبَلٌ بُنَانٌ . فَاتَّخَذُوا لَهُ هُنَاكَ هَيْكَلًا فِيهِ قُبُورُ عَجِيْبَةٍ ، فِي الْمَجَرِ . لَا يَتَأَثَّرُ
مَتْنُهَا فِي الْحَشَبِ^(٢) .

(١) في هذه التسمية نظر . ولعل المؤلف أراد ” الأتالين “ . وإلا فالهرم للصريين الأقدمين ، وبيت

المقدس لبني إسرائيل .

(٢) لعل الإشارة إلى هيكل بعلبك ، فإن هذا الوصف ينطبق عليه .

هياكل الصقلابية

وأما بيوت الصقلاب فهي بيوت ثلاثة، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات
استرقت عقولهم:

فأولها - بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ على الكائنات، قال البكري: وهذا البيت على
الجبل الذي كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالم، (قلت: لعله يكون على الجبل المستدير
وهو المسمى في الشمال بجبال قاقوتا).

وثانيها - على الجبل الأسود، تحيط به مياه عجيبة، ذوات طعوم مختلفة، وفيه صنم
كبير، على صورة رجل شيخ، بيده عصا يحرك بها عظام الموتى، وتحت رجله اليسرى
غرابيب سود من صور الفداف وغيرها.

وثالثها - يحيط به خليج من البحر، في وسطه قبة عظيمة، بها صنم على صورة جارية.

هياكل الصابئة

وأما ما كان للصابئة، فكان لهم هياكل تسمى بأسماء، وهي:

هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النفس.
مستديرات الأشكال.

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديد والتثليث والتربيع.
وكانت لهم فيها دُخَنٌ وقرايين يطول وصفها.

(١) الذي في مروج الذهب: "الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية".

قال البركى : والذي بقي من هياكلهم، بيتٌ بمزانب، في باب الرقة . يعرف
بمعليشا . وهو هيكل آزر، أبي إبراهيم، عليه الصلاة والسلام . ولم في آزر وأبيه
كلام كثير .

﴿١٢﴾

قال البركى : ولم في هياكلهم عماريق قد وصلت : تقف السدنة من وراء
الجلد وتكلم بأنواع الكلام ، فتجري الأصوات في تلك المنافع والمخاريق إلى تلك
الصور الموقوفة فيظهر لها نطقٌ على حسب ما دبر على هيئة هندسية . ثم قال : والصابئة
حشوية اليونان . وإنما يضافون إلى الفلسفة، إضافة نسب لا إضافة كلمة . لأنهم
يونانيون، وليس كل يوناني بحكيم . قال أبو عبيد البركى : وعلى باب حران كتابة
بالسريانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون : الإنسان نبات سماوي . قال :
والصابئة تقرب في بعض الأوقات ثورا أسود . تُشد عيناه ويضرب وجهه بالملح ،
ثم يدبح ويُغفر في أعضائه . وما يظهر منه في الجراحات والاختلاج ، فيستدل به
على أحوال السنة . ولم في قراينهم أسرار ومخبآت .

وهيكل في أفلاصى الصين . وهو بيت مدور له ستور وأبواب . في داخله قبة
مُسبعة عظيمة البنيان . وبه برمسبعة الرأس، متى أكتب إنسان على رأسها تهوّر
على رأسه فيها . وعلى رأس البر، شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم، قلم السندهند :
” هذه البر تؤدى إلى عزن الكتب الأولى وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لما كان
ويكون ، وتؤدى إلى خزائن رغائب هذا العالم . لا يصل إلى الدخول إليها والاحتباس
مما فيها إلا من وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا “ .

هيكل الصبر

قلت : هذا ما ذكره البركى ذكرته كما ذكره . والمهمة عليه فيما نقله .



بيوت النيران

بيوت النيران

وأما بيوت النيران، فأقول من ذكرها أفريدون . قال : لأنه زعم أنها من جنس الكواكب النورية . والنور صلاح العالم . لأنها عندهم أصل كل حي ومبدأ كل تمام . لأنها تجذب الحيوان إليها كالقَرَّاش الطائر بالليل ، وما يصاد بالليل بالسُّرَج من الوحش والطير والسَّمَك كما يصاد في البصرة بإقناد السرج في الزوارق ، فيطلع السمك من الماء حتى يقع في الزوارق . ويبطل أحوال المحبوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار ، فإذا رأى النَّارَ طَنَّهُ فرجة إلى النهار ، فقصده .

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها . وإنما ذكرنا هنا ما هو لائق به . وبيوتهم المشهورة خمسة :

فأولها ، بيت بعلوس ،
ثانيها ، بيت بخاري ،
وثالثها ، بيت دارابجرد في أرض فارس .
بناهم أفريدون .

(كان زرادشت نبي الفرس ، على ما زعموا ، قد أمر يستأشف الملك أن يطلب نارا كان يعظمها جُمُءُ الملك ، فوجدت بخوارزم . فتقلها يستأشف إلى دارابجرد . قال البركي : والمحبوس تعظم هذه النار ، وهي أكرم نيرانهم .)

ورابعها ، بيت بلاطخر ، من فارس . ويقال إنه كان مسجد سليمان ، عليه السلام .

وقال المسعودي: وقد دخلته. وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر. فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلًا عظيمًا، وفي أعلاه صور من الصخر بحكمة عظيمة المفادير: من الخيل وسائر الحيوان. يحيط بذلك كله سور من الحجر، فيه صور الأشخاص، قد سُكِّلت وأُثِّنت. ويزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء، عليهم السلام. وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار: لما هبوبٌ وحفيفٌ. يذكر من هناك من المسلمين أن سليمان حبس الريح فيه، وأنه كان يتفدى بعبادته، من أرض الشام، ويقبل بمدينة تدمر، في الملعب المتخذ فيها (وهي في البرية بين العراق ودمشق من أرض الشام. وبين تدمر والشام ستة أيام) ثم يتعشى بهذا المسجد.

ويتدمر خلق من العرب من حطّان.

- ١٠ وخامسها، بمدينة جُور التي يضاف إليها الماورد. بليت نار بناه أردشير له يوم عيد. وهو على عين هناك، عجبة. وإليه متزهاتهم. وفي وسط جُور بنيانٌ كانت تخطمه الفرس، يعرف بالطربال. تحربه المسلمون.

وانما أفضل ماء وردهم. لصحة التربة وصفاء الهواء.

وألوان سكانها في غاية الحسن، من اعتدال الحرارة والياض.

- ١٥ وبين جور وشيراز (وهي قصبة فارس) عشرون فرسخًا.

فسيحان الذي من علينا بالإسلام، وهذاننا إليه وعلمنا ما لم نكن نعلم، وفضلنا على

كثير من خلقه، تفضيلاً!

الآثار المشهورة

ومما تُنتج به هذه المياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقى ، لقي جسمه
أو رسمه ، ما يُذكر :

§ فمن ذلك صنم الخطا المحجوج في نهاية الشرق المتشامل . وهو قريب من
السند .

§ ومن ذلك قصر الدهالك . ما بين مدينة طُغُورا وبين مدينة باش بالقي ، شرق
طغورا وغربي باش بالقي .

§ ومن ذلك حائط القلاص . ويعرف بالحائط المحيط ، ويعرف بحائط عبد الله
ابن حميد جنوبي بلاد الفرية وأسيجاب .

§ ومن ذلك مدينة إصطخر . وهي مدينة عجيبة البناء ، من بناء سليمان ، عليه السلام

سنداد . وكان مسكن آل محرق^(١) . وفيه قال الأسود بن يعفر .
قصر سنداد

(١٧١)

ماذا أوئل بعد آل محرق ، تركوا منازلهم ، وبعد إباد ؟

أهل الخورق والسدير ومأرب * والقصر ذي الشرفات من سنداد .

دار تخيرها طيب مقلها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد .

نزلوا بأقصر يسيل عليهم * ماء الفرات ، يحيى من أطواد .

حريت الرياح على محل ديارهم * فكانوا كانوا على ميعاد !

§ ومن ذلك قصور الحيرة ، بين العراق والشام .

(١) هو باغاء المهمله كما في لسان العرب في مادة (ح ر ق) وقد أعجم في الأصل تصحيحا من النسخ .

الخورق والسدير

§ ومن ذلك الخورق والسدير، وهما من أشهر الآثار، بناهما شخص اسمه سِنَمَار
للنعمان بن قيس، وتجله في عشرين سنة، فلما وقف عليه النعمان، استجاده وأتى على
سِنَمَار، فقال له سِنَمَار: لو شئتُ أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلتُ، فأمر به أن
يُطرح من أعلى شرفاته، فضُرب به المثل، قيل: "جراه جراه سِنَمَار". وفي ذلك يقول
الشاعر:^(١)

جرني بنو قيس، وما كنت مذنباً، * جراه سِنَمَار وما كنت ذا ذنب!
بنى القصر للنعمان عشرين حجة * يعل عليه بالقراميد والخشب،
فلما استوى البنيان وأشدتْ رصفه * وأض كئل الطود والشاخ الصعب،^(٢)
رعى سِنَمَار على أم رأسه، * وذلك لعمر الله من أعظم الخطب!
ثم ترحب هذا النعمان في الجاهلية، وأخضع من ملكه، ولبس المسوح، وفيه قال
عدي بن زيد:

وتذُكُّ ربَّ الخورق إذ فكَّر يوماً، وللهدي شكراً!
راقه ماله وكثرة ما يملك، والنهر معرضاً والسديرُ
فأرعوى قلبه وقال: وما غبطة حتى إلى المات يصير؟

١٢٢

§ ومن ذلك قصر سَنَافَد.

§ ومن ذلك الرصيف الممتد بين صرَّخَد والعراق، ممتداً في البرية. يقال إنه من عمل
سليان بن داود، عليهما السلام، وهو يتصل في مواضع وينقطع في أخرى. يتوصل
السالك معه من الشام إلى العراق، ومن العراق إلى الشام في أقرب مدة.

الرصيف

(١) أورد ياقوت هذه الأبيات بكلماتٍ يسيرة في الألفاظ (في صميم البلدان ج ٢ ص ٤٩١).

(٢) في الأصل: الشاذخ. [وقد صححت بمسارعة ياقوت].

- § ومن ذلك مدينة تدمر بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكبار الصمد.
- § ومن ذلك ملعب بعلبك. والباقي منه عمدٌ قلمتها الآن، وما في سورها من الأحجار العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.
- § ومن ذلك مدينة شُهبَة من بلاد حوران. بها من الأبنية الباقية والعمد العالية والآثار الدالة ما هو من جلائل الآثار.
- § ومن ذلك مدينة بُرْش من بلاد حوران. يحكي المول عن غرائب آثارها. وقد أصحت خاوية على عروشها، خالية من أهلها وسُكَّانها، لا يُحس بها حيس، ولا يوجد بها أنيس.
- § ومن ذلك جُبُّ يوسف، وهو قرب قرية آسما شوى.
- § وديانها جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.
- كل ذلك ببلاد صَفَد.
- § ومن ذلك منازل ثمود بين الحجاز والشام. وبيوتهم المتحونة في الجبال باقية إلى الآن. وهي المعنية بقوله تعالى: "وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِيقِينَ". وبها البثران: بئر الناقة وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشرب. ولما مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأرض ثمود في غزوة تبوك، وجد بعض مَنْ سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحجر. فأمر بأن يُراق المساء. فقالوا: يا رسول الله قد عَجَبْنَا منه العجيب. فأمر بأن يُطعموه الإبل، وأن يشربوا من بئر الناقة. وهما معروفان هناك.
- وهذه قائمة أردنا التنبيه عليها.

منازل ثمود



(١) في الأصل عاد وصحها بالهشام "ثمود" ولكنه لم يلتفت إلى البقية فصحها نحن كما ترى والآية والحديث معروفان من قصة ثمود.

- جسدين
- § ومن ذلك جُبُّ بَابِلَ . وهو الذى حُبِسَ به دانيال . ألقاه فيه نُحْتُ نَصْر . وألقى معه أسدين حتى أتاه ، بأمر من الله ، نبي من أنبياء بنى إسرائيل . فقال : يا صاحب الحب ! فاجابه دانيال : قد أسمع . ما تريد ؟ قال : أنا رسول الله إليك ، لأستخرجك من موضعك . فقال دانيال : الحمد لله الذى لا يفتنى من ذكره ! والحمد لله الذى لا يكل من توكل عليه إلى غيره ! والحمد لله الذى يعزى بالإحسان إحسانا ! والحمد لله الذى يعزى بالإساءة غفرا ! والحمد لله الذى يكشف ضرا عن كربنا ، وأستخرجه وإن الأسدين لمن يمينه وشماله يمشيان معه حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا .
- و عن ابن عباس . قال : من قال عند كل سبع : « اللهم ! رب دانيال ورب الحب ! ورب كل سيد مستأيد ! احفظني واحفظ على ! » لم يضره السبع .
- § الأخدود . المحضر لأصحاب الأخدود المذكورين في القرآن الكريم . وهو بقران من اليمن .
- § ومن ذلك البئر المعطلة والقصر المشيد . وهما قريب الفج الحالى بمشارق اليمن .
- سعد مأرب
- § ومن ذلك سعد مأرب . وهو بلاد سبأ من اليمن .
- قصر القشيب
- § وبه قصر القشيب . كان لليقيس .
- قصر حمدان
- § ومن ذلك قصر حمدان . بصنعاء اليمن . وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم . كان مسكن التابعة من حمير ، ومنهم شمر بن مالك وأسعد أبو كرب . وكفى بذكرهما طافا الأرض وبلغا الآفاق . وقصر حمدان هنا هو المذكور في الأشعار ، والمشهور في الأخبار . وفيه يقول ابن أبي الصلت :
- (١) هو الذى يرمى الآل فالربع الحالى . في الجنوب الشرق من بلاد العرب .

- اشرب هنيئًا عليك التاج مفتيًا * في قصر عُمدان دارا منك عجلًا!
 تلك المكارم لأقربان من لبن * شديًا بماء، فعادا بعد آبوالا!
 § ومن ذلك بئر برهوت . ببلاد حَضْرَمَوْت من بلاد اليمن . وهو الذي لم يُعرف عمقه ، ولا علم أن إنسانا نزله .
- § ومن ذلك قصر زَيدان . المشهور بمدينة ظَفَّار بِالْيَمَنِ . وكانت تسمى قديمًا مدينة يَحْيَصِب .
- § ومن ذلك قصر الشاذيخ . وهو ياب نيسابور ، من تُراسان . كان دار السلطنة لبعض ملوكها . ولم يُذكر ذكره إلا لأنه شُبه ببناء عُمدان . فكان كأن لذكره به تعلقًا :
- اشرب هنيئًا عليك التاج مرتفًا * بالشاذيخ ، ودع عُمدانَ لِلْيَمَنِ!^(١)
 فانت أولى بتاج الملك تلبسه ، من هَوْدَةَ بن علي وأبن ذى رَزن!
 وعلى باب قصر الشاذيخ ، صُلب على بن الجهم . فقال حين صُلب ، أرنجالا .
 لم ينصبوا بالشاذيخ عشيّة الإثنين مسبوقا ولا مجهولا!
 نصّبوا بحمد الله ملء قلوبهم * شرقا ، وملء صدورهم تيجلا!
 ما عابه أن يزعه ثيابه * فالسيف أهول ما يرى مسلولا!^(٢)
- ١٥

(١) في الأصل : باليمن . وقد صححت بمعرفة ياقوت ، لأنه أورد هذين البيتين في معجم البلدان ، ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٢) هذه الحكاية والأبيات المتعاقبة بها ليست في ياقوت . وإنما أوردوها صاحب الأغاني بتفصيل أوفى (ج ٩ ص ١٠٧) مع إيراد القصيدة بأكملها وهي ١٢ بيتا . [وقد صححت بعض الكلمات بمعرفة] .

دار الأبحاث
القضاة

ومن ذلك دار الأخطاط . وكانت بسطاط مصر ، يباع بها قماش النساء ، وفاخر اللباس والأمتعة . وتجلب إليها من كل أرض . وكان يجلس على حوايتها أهل الفراغ واللهو . وكانت من عجائب المباني ، وغرائب الآثار .

وحكى ابن ظافر أن ابن قلاؤس جلس بمصر فيها مع جماعة ، فترت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك . وهي شمس تحت سماء الثقاب ، وغصن في أوراق الشياح .^(١) فذهبوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب ، والمرضى إلى الطبيب . فجعلت تنلقب تنلقب الظبي المدعور ، أفرقه القاصص فهرب ، وبثى بثى النصن المخطور ، عاتقه النسيم فأضطرب . فسألوه العمل في وصفها . فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطن الأزدي^(٢) القيرواني :

١٠ "أعرضن لما أن عرضن فإن يكن • حذرا ، فإن تنلقب الفيزلان؟"

ثم صنع .

لها فاضطر في ذرى ناضر • كما ركب السن فوق القنطرة .

١١ (١) في كتاب دائع البدايات ، ص ١٧٤ وفي ديوانه المخطوط مرة ٤٤٩ أدب بدار الكتب الخديوية . وفي نسخة التي هي بظاهرها مع التدقيق في التصحيح الشاعر المصري الشهير خليل افندي المطران .
سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥)

١٢ | وقد جمعت بين الروايات • إلا ما كان فيه اختلاف وتغير فقد ثبت عليه في الحواشي التالية . الثلاثة دون الحكاية التي تضمنت واقعة الحال • [

(٢) في كتاب دائع البدايات : صحاب .

(٣) في أم فضل الله : في ضمن أوراق .

(٤) - - - - - قول شطط . الأزدي .

لَوْتُ حِينَ وَلَّتْ لَنَا جَيْدَهَا • فَأَيَّ حَيَاةٍ بَدَتْ مِنْ وَفَاةٍ؟^(٢)
 كَمَا ذُئِرَ الظُّيُ مِنْ قَانِصٍ • فَزَوْكَزْ فِي الْأَلْفَاتِ!^(٣)
 ثُمَّ صَنَعَ.^(٤)

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها • لم أشك منه لوعة، إلا عتَا.
 كَلَّتْ عَاسَتُهَا فَوَدَّ الْبَدْرُ أَنْ • يَحْطَى بِبَعْضِ صِفَاتِهَا أَوْ يَنْعَتَا.
 قَدَقَلْتُ مَا أَعْرَضْتُ وَتَعَرَّضْتُ: • يَا مَوْيِسَا، يَا مَطْعَمَا، قُلْ لِي مَتَى؟
 قَالَتْ: أَنَا الظُّيُ الْغَرِيرُ وَإِنَّمَا • وَلِي وَأَوْجِسُ رِخِيفَةً فَتَلْقَا.^(٥)^(٦)

ومن ذلك الأهرام بمصر. وأجلها الهرمان بجيزة مصر. وقد أكثر الناس القول
 في سبب ما بُنِيَ به. فقيل: "هيا كل الكواكب"، وقيل: "قبور ومستودع مالٍ وكتب"
 وقيل: "ملجأ من الطوفان". وهو أبعد ما قيل فيها. لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

وأقربها إلى الصحة - والله أعلم - أنها إماهيا كل كواكب، وإما مواضع قبور. ولقد
 قُبِحَ أكبرها في زمان المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه ما يدل على ما وُضِعَ له.
 وعلى ألسنة الناس أنه وجد ذهباً فوزنه، وحسب مقدار ما أخفقه، فوجدهما سواء
 بسواء، لا يزيد أحدهما على الآخر بشئ، لعلمهم^(٧) السابق أنه سيُنْفَقُ عليه مثل هذا

ضخ المأمون
 للهرم الكبير،
 وتدقيق المؤلف
 في ذلك.

(١) في ابن فضل الله: أرت.

(٢) » » » : حياة بذأ أو وفاة.

(٣) في ديوانه المخطوط والمطبع: فز.

(٤) هذه الأبيات لم ترد في الديوان المخطوط ولا المطبوع.

(٥) في البدائع: الفريد.

(٦) » : نبوة.

(٧) في الأصل: لعلهما.

المقدار . فوضع هذا المقدار بإزاء ما يفتق عليه . ووجدتُ هذا في كثير من الكتب . فراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب المسكون إليها ، فلم أجد المأمون وجد به شيئاً ولا أستفاد زائلاً عما يعلم الناس به علماً .

وأدلل الأدلة على أن أحدها هيكل بعض الكواكب ، أن الصابئة كانت تأتي حقيقة نتيج الواحد وتزور الآخر ، ولا تبلغ به مبلغ الأوّل في التعظيم . والله أعلم بحقيقة أمورهما وجليّة أحوالهما .

وهي أشكال لميعة . كأن كل هرم لمبة سراج . أخذت في أسافلها على الترتيب مسلوبة في عود الهواء ، أخذت في الجوّ حتّى إلى التلّث . لولا استدارة سفلى أبلوج السكر^(٢) لشبهناها به . ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته .

ودع المؤلف
الأهرام وزاوية
ف

ولقد أضعتُ غير مرة ، ما زلت على الأهرام بجميع بلاد الجزيرة ، ورأيت منها ما دثر بعضه . وما دثر كله . فإذا هي مصفحة البناء ، شيئاً على شيء . لا تسطحاً في أوساطها ، كما تكون ساحات الدور بين الجدران . وإنما هي بناء ملتصق على بناء . بعضها فوق بعض . ووجدتُ بعض الأهرام مبنية بالطوب . وهذا أكبر دليل على أنها لم تُنحَد ملجأ من الطوفان .

(١٧٥)

فأما مقدار الهرمين المشار إليهما ، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما ، فإنه مذكور في الكتب ذكرًا مستوعباً لم أحققه بالقياس . وأبى لي تحقيق في هذا الكتاب أن أذكره بمجزة التقليد ، مع إمكان التحقيق ، مع كثرة ترددي عليها ، وسكتي بالقاهرة في جوارها . ولعدي منافع في وقت هذا التأليف ، فعددتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق .

(١) في الأصل : وزان .

(٢) من رأس السكر . ثم السكر .

على أن المذم قد شرع في قلع هذه الآثار، وتقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن.
نبه لها الدهر طرُفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، تابعة السكان. فلقد
صدق عليها المتنبي قوله :

أين الذي الهرمان من بُنيانه ؟ * من قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟
تختلف الآثار عن سُكَّانها * حيناً، ويدركها الفناء فتنتبع !

وإن فيها لعمرة للعبر، وتذكرة لذكراء وآية لمن أناب، وتبصرة في الدنيا لمن بلد
للنقاء ويمر للخراب .

وحكى ابن ظافر^(١) قال : ذُكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا
متنزهين إلى الأهرام^(٢)، ليرَوْا عجائب مبانيها، ويتأملوا غرائب ماسطرتها^(٣) الدهر من العبر
فيها، فأقترح بعض من كان معهم العمل فيها . فصنع أبو الصلت أُمية بن عبد العزيز
[الأندلسي] :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً، * على ماراث عيناك، من هَرَمي مصر^(٤) ؟
أنافاً بأعنان السماء وأشرفاً * على الجوه إشراف السَّكَّ على النَّسْرِ^(٥) .
وقد وافيّا نَسْراً من الأرض عالياً * كأنهما تهْدانِ قاماً على صدر.

(١) بدائع الباءة (ص ١٣٦) ، وقع الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) أين فضل الله : في .

(٣) هذه الكلمة ليست في البدائع ولا في نص الطيب .

(٤) البدائع : بأكناف .

(٥) أين فضل الله : أو .

أبو الهول وروى ٥ ومن ذلك أبو الهول . وهو أسمٌ لصنم يقارب الهرم الكبير . في وَهْدَةٍ منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب . لابين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنه . أشبه شئ برأس راهب حبشي ، عليه غفارية . على وجهه صباغ أحمر إلى حوّة ، لم يحل على طول الأزمان ، وقديم الآباد . وهو كبير . لو كان شاخصاً كله ، لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله . في غاية مناسبة التخطيط .

بقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزدرع . وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويره لهم ، أنه على نهاية الرمل إلى جهة المزدرع . وفي أبي الهول يقول [أبو منصور] ظافر الحنّاد :^(١)

تأمل هيئة الهرمين وأنظر ، • وبينهما أبو الهول العجيب !
كغمّارين على رجيل • محبوين ، بينهما رقيب .
وقيص البحر عندهما دموع • وصوت الريح بينهما نجيب .
وظاهر يحين يوسف مثل صب • تخلف ، فهو عزوف ككتيب .

١٠ سم يوسف ٥ وأما يحين يوسف ، فتتأل الأهرام ، على بعد منه ، في ذيل خرجة من جبل في طرف الحاجر .

- (١) هكذا ضبطه في الأصل . والمعروف أنه طلسم .
(٢) في بدايته انبداه (ص ١٣٦) ، وفي قمع الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤)
(٣) في آين فصل الله وفي البدايع : كغمّارين . [وهو تصحيف . وقد ورد الصواب في قمع الطيب ، والكلام بمعنى التثنية لا الجمع . والمعارة هنا هودج . وهي كلمة مولدة . أظن تلك المعجمات العربية للعلامة دوزي] .

حائط المعجوز

§ ومن ذلك حائط المعجوز . وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، تمتدنا على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حاجزاً بين الرمل والمزدرع . على أنه غير على الذرى .

مشيتُ معه إلى دندرا ، من الصعيد الأعلى . ورأيتُه قد دثر غلبه ، ومقطعه أكثر من متصله . وهو مبنى من طوب . ليس بعريض السمك ولا على الجدار .

ووقفت على الكتب المؤلفة في أخبار مصر أنه من بناء امرأة أسمها دلوك ، وأنه يصل إلى ما بين العريش ورغ ، منتهى الحد الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسفل أرض مصر .

ويذكر في تلك الكتب - بسبب بناء المعجوز له - خرافة لست أرى ذكرها .

ولا يعرف من بنى هذا الحائط حقيقة ، ولا ما بنى له عن يقين . ولكننا قلنا على الظن الغالب .

شاة وطامة
(تمثالا بمجنون أو
مسيوس الكبير)

§ ومن ذلك شامة وطامة . وهما صفيان من حجر ، على قاعدتين ، ببلاد الصعيد .

§ ومن ذلك البرابي . بالصعيد ، في أماكن منه .

§ وأشهرها برباة إلهييم . من ورائها على شرق النيل ، حيث ينطف الرمل ملتفاً على الريف .

رأيتُ بها مختلفات من صور الحيوان : من نوع الإنسان والدواب والوحش

والطير . على صور مختلفة ، وأشكال متباينة ، مصبغة بأنواع الأصباغ ، مرسومة في الجند والسقوف والأركان ، من باطن البناء وظاهره ، لم تنطمس رسومها ، ولا حالت أصباغها : كأت يد الصانع ما فارقت صورها ، وكف الصباغ ما مسح دهانها .

ماره المؤلف بها

قال لي الحكمي المحقق شمس الدين محمد النقاش: إنه سافر قصدا إليها وأقام مدة
 يَرُدُّ نظره فيها، ويحدِّد نظره في أوضاعها. فرأها تستمل على هيئة العلويات المرصودة
 بأسرها، مما لا يعمل كل موضوع منها إلا برصد محرَّر بما لا يسع زمان واحد بعضه.
 قال: فعلمت أنها ما عُملت في زمان واحد، بوضع حكم واحد: لِقَصْرِ مدد الأعمار
 عن زمان يفي برصد تلك الهيئة الكاملة. قال: وإنما تكون - والعلم لله - مما توارث
 عملها على حكم الأرصاد المحررة عدَّة حِكْماء في أزمنة طويلة، حتى آسَتل ذلك
 المجموع وتمت تلك الهيئة.

تحقيق الحكمي
 شمس الدين محمد
 النقاش شأنها

﴿٧٧﴾

§ ومن ذلك عمود الصَّواري . بظاهر الإسكندرية . وهو عمود مرتفع في الهواء
 تحته قاعدة ، وفوقه قاعدة . يقال إنه لا نظيره من العمود في علوه ولا في آسَدارته .
 ويحكى عنه حكايات منها ما هو مسطر في الصحف ، ومنها ما هو مستفيض على الألسنة ،
 مما لا نرى ذكره

عمود الصواري
 بالإسكندرية

§ ومن ذلك المنارة بها . وشهرتها كافية . ولم يبق منها إلا ما هو في حكم الأطلال
 الدوارس ، والرسوم الطوامس .

منارة الإسكندرية
 والشعراء

وقد كانت المنارة مسرحاً نظراً ، ومطمع أمل حاضر ، طالما جمعت أخذنا ، وكانت
 لحياد الخواطر ميداناً .

١٥

حكى ابن ظافر أن ابن قلاص والوجيه [أبا الحسن علياً] بن الروي طلعا المنارة .
 والوجيه يومئذ في غفوان [شبابه و] صباه ، وهبوب شماله في الجنوب وصباه .

(١) لله أراد : بصره

(٢) بدائع البداية ، (ص ١٣٨) .

وَأَبْنُ قَلَاقِسٍ مَغْرَمٌ بِهِ، مُغَرَّرٌ بِجِبِّهِ، مَكْبٌ عَلَى تَهْنِيهِ، مَبَالِغٌ فِي تَضْيِيقِ شَعْرِهِ
وَتَهْنِيهِهِ. وَلَمْ تَكُنْ وَقَعْتُ بَيْنَهُمَا تِلْكَ الْمُنَاهَ، وَلَا أَسْتَحْكُ بَيْنَهُمَا أَسْبَابَ الْمَهَاجَةِ.
فَأَقْرَحُ عَلَيْهِ أَبْنُ قَلَاقِسٍ أَنْ يَصِفَ الْمُنَاهَةَ. فَقَالَ [بَلِيهَا] :

وَسَامِيَةُ الْأَرْجَاءِ تُهْدِي أَخَا الشَّرَى : ضِيَاءً، إِذَا مَا حِدَسَ اللَّيْلُ أَظْلَامًا.
لِبَسْتُ بِهَا بُرْقًا مِنَ الْأَنْسِ ضَافِيًا : فَكَانَ بَنَدُكَارِ الْأَحْبَةِ مُعْلَمًا.
وَقَدْ ظَلَمْتُ مِنْ دُرَاهَا بَقِيَّةً : أَلَا حِظَّ فِيهَا مِنْ صِحَابِي أَنْجَمًا.
فَخَيْلُ أَنْبِ الْبَحْرِ تَحْتَ غَمَامَةٍ : وَأَنْقَى قَدْ خِيَمْتُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ.
فَاشْتَدَّ سُرُورُ أَبْنِ قَلَاقِسٍ وَفَرَحَهُ، وَقَالَ يَصِفُهَا وَيَمْدَحُهَا :

وَمَقَرُّ جَلُورِ الْجَسُورَاءِ مَرْتَفِيًا : كَأَنَّمَا فِيهِ لِلنَّسْرَيْنِ أَوْكَارُ.
رَأَيْتُ الْقِرَادَةَ سَامِيَ الْفَرْعِ فِي يَدِهِ : لِلنُّونِ وَالنُّورِ أَخْبَارُ وَأَنْارُ.^(٢)
أَطْلَقْتُ فِيهِ عَيْنَ النَّظْمِ فَأَطْرَدْتُ : خَيْلٌ لَهَا فِي بَدِيعِ الشَّعْرِ مَضَارُ.
وَلَمْ يَدْعُ حَسَنًا فِيهِ أَبُو حَسَنِ، : إِلَّا تَحَكَّمَ فِيهِ كَيْفُ يَخْتَارُ.
حَلَّى الْمُنَاهَةَ لَهَا حُلَّ ذُرُوتَهَا : بِجَوْهَرِ الشَّعْرِ بِحَرْمَنِ زَخَارُ.
مَازَالَ يُدْرِكِي بِهَا نَارَ الذِّكَاةِ إِلَى : أَنْ أَصْبَحَتْ عَلَمًا فِي رَأْسِهِ نَارُ.^(٣)

وَمِنْ ذَلِكَ الْمَلْعَبِ بِهَا، وَقَدْ كَانَ لَهُ عِيدٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَتُرْمَى بِهِ
كُرَّةٌ. فَتُنْ وَقَعْتُ فِي كَيْدِهِ، آلَ إِلَيْهِ الْمُلْكُ، وَحَضَرَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،

مكرر
الملعب ومكان قصر
عبي بن خليف

(١) بِدَائِعِ الْبِدَائَةِ: دَيْبٌ.

(٢) فِي أَبْنِ فَضْلِ اللَّهِ. وَأَعْبَارُ.

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْهَيَوَانَ الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ، بِمَجْرَدَةٍ مِنَ الثَّانِي وَالْخَامِسِ، وَمِنْ حِكَايَةِ الْحَالِ.

وروقت الكفة في كفه . فقالوا : أنزمت العادة : لأن مثل هذا لا يملك . وهذه واقعة مشهورة ، لا حاجة إلى الإطالة بها .

ومكان هذا الملبس عمر بنو خليف القصر المنسوب إليهم .

وحكى ابن ظافر أن ابن قلاقمس حضر يوما عند بنى خليف [بظاهر الإسكندرية] في قصر رسا بناؤه وسما ، وكاد يمزق بمزاحته أبواب السما ، قد أرتدى جلابيب السحاب ، ولث عمائم الغائم ، وأبتسمت ثيابا شرفاته ، وأنسمت بالحسن حنايا غرقاته . وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها ، وجتته السحاب بما أوتمنت عليه من ودائع أمطارها . والرمل فيناؤه قد نشر تبره في زرجد كرومه ، والحق قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيمة نسيمه . والتخل قد أظهرت جواهرها ، ونشرت غدائرها . والطلل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه ، والبحر يرعد [غيظا] من عبث الرياح به . فسأله بعض الحضور أن يصف الموضع الذي تمت عمارته ، وعُجب به ساكنه . فغاشت لذلك بلج بحره ، وألقت إليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحوه ، فقال :^(٥١)

قصرٌ بمدرجة النسيم تحسنت * فيه الرياض بسرهما المستور^(٦)

- ١٥ (١) بدائع البدائع ، ص ١٧٥ ، وقع الطيب [ج ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥] .
 (٢) هذه الكلمة ليست في البدائع . ولكنها واردة في صح الطيب .
 (٣) في ابن فضل الله ، وفي الفصح : وأرسمت .
 (٤) هانان الككتان ليست في البدائع .
 (٥) في البدائع : فألقت إليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحوه .
 ٢٠ (٦) في ابن فضل الله وفي البدائع : عه .
 (٧) لم يرد في الدوران المخطوط والمطبوع سوى هذا البيت والثالث بعده .

(١) حَقَصَ الخورق والسدير سُمُوهُ * وثئى قصور الروم ذات قصور.
(٢) لاث النّعام عمامة مسكينة * وأقام في أرض من الكفور.
غنى الربيع به حاسن وصفه * فأقرعن تور يروق [وتور *]
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها الموفور.
(٣) والنخل كالفيد الحسان تخرطت * بسبائك المنظوم والمشور.
والرمل في حبك النسيم كأنما * أبدى غصون سواف المذفور.
(٤) والبحر يرعد منه فكانه * درع كسب بمطفي مقرر.
وكأنا والقصر يجمع شملنا، * في الأفق، بين كواكب وبلور.
وكذلك دهر بنى خليف لم يزل * يثى المعاطف في حير حبور.

١٠ ومن ذلك مدينة لبدة (٧) . وهي خراب ياب . بها صفان عظيمان من الرّخام الأبيض ، في زى أمرأتين . وغالب بناء هذه المدينة - في جدرها وسقوفها وفروش دياراتها وأرضها - من الرخام الأبيض . وكان يجرى إليها وادٍ يصب إلى البحر الشامى

(١) في آبن فضل الله : السور .

(٢) في الديوان المخطوط والمطبوع : لاث | وهو سهو من السخ ومن جامع الحروف | .

(٣) في البدائع : فالروض .

(٤) في البدائع : المهجور | وقد صححت البيت لأن فيه تحريفا كثيرا في آبن فضل الله وفي البدائع دون الفصح | .

(٥) أى تُصَب وتُلبس .

(٦) في آبن فضل الله : بمطفي .

(٧) اسمها الجغرافى القديم "إينيس" Iydis ٢٠

وتربى السفن البحرية إليه . وطغأت الوادى ومجارى الماء مرصوفة بالرخام ، فغلب عليها ساقى الرمل ، قطع مدد الوادى ، وأدخل أوطانها ، وأجل سكاكنها . وهذه المدينة ببرقة ، مما يقابل أطرابلس الغربية .^(١)

ومن ذلك المعلقة .^(٢) وهى مدينة إفريقية . على ساحل البحر الشامى على نحو ستة عشر ميلا من تونس . يقال إنها كانت لأبنة الملك الذى قال الله ، وقوله الحق ،
 ٥ فى حقه : "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" . بها آثار عظيمة ، وأحجار كبيرة ، ومهاو بعبدة ، وأشرب عميقة . تُظهر لمن تأملها العجب العجائب ، واللَّبَّ الباب . ومن عظيم ماحوته من الأحجار ، أنه على طول المدد ، وترانى عنان الأبد ، أنه ينقل من أبحارها إلى ما جاورها ولا يتقطع مددها ، ولا يظهر نقص فى كثرتها .

ومن ذلك مدينة شرشال .^(٣) وهى مدينة تقابل مليانة ، بالغرب الأوسط ، على
 ١٠ ساحل البحر الشامى . يقال إنها كانت مدينة الملك الفاصب للسفن ، المعنى بقوله تعالى فى سورة الكهف . وقد تقدمت الآية عند ذكر أبنة هذا الملك ، فيما قبل . وهى مدينة تزيد على الوصف ، فى اتساع الأفنية ، وأرتفاع الأبنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والأقنية المقودة ، والقواعد المشيدة ، والحفر السمكية ، مما يشهد لجوأل الأرض ، وسفار الآفاق ، وسمار الحديث ، بأنه لاشبه له فى تخشين بنائها ، وتحسين
 ١٥ صناعاتها .

مدينة المعلقة
 بتونس (وهى
 قرطاجنة)

(١٧٨)

مدينة شرشال
 الجزائر

Tripoli de Barbarie (١)

(٢) يشير المؤلف إلى أحد أقسام مدينة قرطاجنة المشهورة التى يسميها الإدريسي قرطاجنة ، وقد أفاض فى وصفها وفى شرح آثارها (ص ١١٢ - ١١٤ من طبعه دوزى) .

(٣) ذكرها الإدريسي . وليس فى كتابه هذا الوصف الذى أورده ابن فضل الله .

- ومن ذلك صخرة سبتة^(١)، يقال إنها المعنية بقوله تعالى: "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ". وهي مشهورة هناك.
- ومن ذلك هيكل الزهرة^(٢)، بالأندلس، في ذيل الجبل الآخذ بين طليطلة^(٣) ووادي آش في شرقيه بشمال^(٤)، مطل على البحر المحيط. وقد تقدمت الإشارة إليه.
- ومن ذلك باب الصقر^(٥)، في شرق الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة. ذات الألسن العديدة من سكان الشمال. عمل الباب على قبة كان فتح في جبل حيث خرجت من البحر الشامي طريقا للأندلس إلى البر المتصل.
- وقد رأيت أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها أو أبلغ في الاعتبار، وهو:
- قصر العباس^(٦)، وهو بين سنجار ونصيبين، وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة ما ذكرنا، فإنه في العبرة كما أشرنا. حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلّكان
- باب الصقر بجبال البرانس
- قصور العرب ووصف الثمراء

(١) هي مدينة Centa.

(٢) في الأصل: الحنّ.

(٣) Port Voudre.

(٤) Tolède.

(٥) Gurdix.

(٦) يشير إلى أحد أبواب (P'norta) جبال البرانس (Les Pyrénées) التي يسميها العرب جبال

الأبواب وجبال البرينات وجبال البرانس.

(٧) هذا التعبير يطلق في عرف جغرافي العرب وخصوصا الأندلسيين على بلاد فرنسا خاصة وسائر أروى أوربة عامة.

(٨) في الأصل: مثلها.

في تاريخه قال : مر أبو الربيع قرواش بن المقلد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو
الغنوي وكان مطلاً على بساين ومياه كثيرة، فتأمله، فإذا في حائط منه مكتوب :

”يا قصر عباس بن عمرو، كيف فارقك ابن عمرك؟

قد كنت تنال الدهو * ، فكيف غللك ريب دهرك؟

وأما لِمَزَّكَ بل لِحسو * ذلك بل لمجدك بل لتجرك!

وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة“.

(وهذا هو الأمير سيف الدولة بن حمدان) .

وتحته مكتوب :

”يا قصر، صَمْعُكَ الزما * نٌ وحط من علياء غرك!

ومعا محاسن أسطر * شرفت بهن متون جدرك!

وأما لكاتبها الكريم وقدره الموفى بقدرك!

وكتبه الفضل بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة“.

(وهذا هو عترة الدولة بن الأمير ناصر الدولة أنس سيف الدولة) .

وتحته مكتوب :

يا قصر، ما فصل الأولى * ضربت قبلهم بقورك؟

(١) كتاب ”وقيات الاعيان“ في ترجمة ”المقلد“ صاحب المومل (ج ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ من

طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) . وأظهر الترجمة الانكليزية للبارون ده سلين تحت اسم Mukallad .

(٢) قدرك (في آثار البلاد للزوي ص ٣١٢ من طبعة مؤسسة) .

أَخِي الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ * وَطَوَاهُمْ لَطْوِيلُ تَشْرِكُ^(١) !
وَأَهَا لِقَصَائِرِ عُمَرُ مَنْ * يَخْتَالُ فِيكَ، وَطُولُ عُمَرُكَ !

(١٨٠)

وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين ومئاة.

(وهذا هو والله قرواش).

فكتب ولده قرواش تحته :

”يَا قَصْرُ مَا صَنَعَ الْكِرَا * مُ السَّاكُونُ قَدِيمَ عَصْرِكَ ؟
عَاصِرَتِهِمْ فَبَذَّتْهُمْ * وَشَاوَتِهِمْ طُرًّا بِصَبْرِكَ^(٢) !
وَلَقَدْ أَثَارَ تَفْجُحِي * يَا أَبْنَ السَّيْبِ رَقْمَ سَطْرِكَ !
وَعَلَيْتُ أَنِّي لِأَحِقُّ * بِكَ ذَائِبٌ فِي قَفْوِ إِثْرِكَ^(٣) !

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربع مائة.

وعزم على هدمه، وقال: هذا مشؤوم، ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الفزوي من أهل تَلَّ سَيَّار، باني الرقة ورأس
عين من حصن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك بن مروان. وكان يتولى اليمامة والبحرين.

(١) في آبن خلكان : وطواهمو بطويل تشرك . وفي ياقوت والقزويني : وطواهم تطويل تشرك .

(٢) في آبن خلكان :

عاصرتهم فبذتهم * ساورتهم طرأ بصرك .

[وهذا البيت الثاني غير وارد في القزويني.]

(٣) في القزويني : أطال .

(٤) في آبن خلكان : ذائب . [وهو تصحيف طبعي] . وفي القزويني : تابع .

١٠

١٥

وسميه المتضد لحرب القرامطة في عشرة آلاف فارس. قُتِلَ الجميع، وسلم وحده.
(وعمر بن الصغار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب نراسان في خمسين ألف فارس فأخذوه وسلم الباقون).

- وكذلك قصر البصرة . وكان قبل أن تُنحط البصرة منزلا تنزله الأكاسرة
في متصيفاتهم، وتخرج إليه الأساورة في متزهاتهم. وتهدم حتى جُدد المجاج، فعرف
به، فقبل قصر المجاج. وكان يعرف بقصر قبّاذ. وقال: قال أبو الفراف: قال المجاج لحرير
والفرزدق، وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة: « إيتاني في لباس آبانكا في الجاهلية ».
فليس الفرزدق السباح والنزّ، وقعد في قبة، وشاور جرير دُعاه بنى يربوع وشيوخهم،
فقالوا: « ما لباس آبانكا إلا الحديد ». فليس درعا وتقلد سيفا وتأبط رُمحا وركب
فرسا، وأقبل في أربعين فارسا من بني يربوع. وجاء الفرزدق في هيئته. فتقاولا .
فقال جرير:

١٠

لَيْسَتْ سِلَاحِي، وَالْفَرَزْدَقُ لُغْبَةٌ ۖ عَلَيْهِ وَشَاخَا حَلِيهِ وَخَلَاخِلُهُ .
أَعِدُّوا مَعَ الْخَزْمِ الْمَلَابَ، فَإِنَّمَا * جَرِيرٌ لَكُمْ بَصْلٌ وَأَنْتُمْ حَلَالُهُ !

(١)

ثم رجعا. فوقف جرير في معزة بني حصن، ووقف الفرزدق بالمربد. وقد أبر
جرير عليه .

١٥

وكذلك قصر الكوفة. وقد هُدم، فلم يبق منه باقية .
وله حكاية مشهورة. ولهذا ذكرناه .

قال عبد الملك بن عُمر: كنتُ مع عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة، حين جرى
برأس مُصعب بن الزبير. فوضع بين يديه، فقرأني قد أرتدتُ فقال لي: مالك؟

(١) أي عليه وقار عليه .

فقلت : أعينك بالله ، يا أمير المؤمنين ! كنتُ بهذا القصر ، في هذا الموضع ، مع عيد الله
أبن زياد ، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه . ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبي عبيد ،
فرأيتُ رأس أبن زياد بين يديه . ثم كنتُ فيه مع مُصعب بن الزبير . فرأيتُ رأس
المختار بين يديه . ثم ها أنا فيه معك ، ورأس مصعب بين يديك . فقام عبد الملك من
مقامه ذلك . وأمر بهدم ذلك الطاق .

(١٨١)

ولمناسبة هاتين الواقعتين ، ذكرنا هذين القصرين ، لما فيهما من العبرة لمن تفكر .
فسبحان الله الباقي ، وكل شيء هالك إلا الدائم ، وما سواه ليس كذلك !

ومنها قصر هرقل . وهو بالشَّرف الأعلى الشَّمال . ويُعرف في زماننا بقصر شمس
الملوك . ولم يبق منه اليوم إلا الجوسق والحمام . والجوسق الآن خاقله للفقراء . ولم يزل
مزلًا للوك ومتزها لأهل البلد . لإشرافه [على] نهر بردى والوادي . ونزله السلطان
صلاح الدين .

وحكى أبن ظافر قال : دخل أبو خالد بن صقير القيصراني ^(١) على الأمير تاج الملوك
أبي سعيد نور بخت ، أنابك طفنتين ، صاحب دمشق ، وبين يديه بركة فسيحة الفناء .
صحيفة البناء ، قد راق ماؤها وصفا ، وجرّ النسيم عليها مارق من أذيله وضفا . وهو
تارة يرشّف رضايها . ويمجد ثيابها ، وتارة يسبكها مبردا . ويحبكها مبردا . فأمره
بوضفها . فقال :

(١) بدائع الداء ، ص ١٧٢ .

(٢) » » : صغير .

(٣) » » : نوري بن .

أَوْ مَا تَرَى طَرَبَ النِّسِيْعَم إِلَى الْغَدِيرِ إِذَا تَحَرَّكَ؟
بَلْ لَوْ رَأَيْتَ الْمَاءَ يَلْهَبُ فِي جَوَانِبِهِ لَسَرَّكَ!
وَإِذَا الصَّبَا هَبَّتْ عَلَيْهِ، أَتَاكَ فِي ثَوْبٍ مُفَرَّكَ.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر، في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم. قال: قرأت بخط أبي الحسن رشي بن نظيف، وأنبأني أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم. عنه: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن علي بن محمد بن يحيى الدقاق: حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي: حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم، قال: قرأت علي قصير بدمشق لبني أمية:

لَيْتَ شِعْرِي! مَا حُلَّ أَهْلُكَ يَا قَصِيرُ وَأَيْنَ الَّذِينَ عَالَمُوا بِنَا كَا؟
مَا لَأَرْبَابِكَ الْجَسَايِرَ الْأَمْثَلَاكُ شَادُوكَ ثُمَّ حَلَّوْا سِوَاكَ؟
أَلْزُهُدٍ يَا قَصِيرُ فَيَكُ تَحَامُؤُكَ أَلَا تُبْقِي وَلَسْتَ هُنَاكَ؟
لَيْتَ شِعْرِي! وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَذْرِي! مَا دَهَامُهُمْ، يَا قَصِيرُ، ثُمَّ دَهَاكَ؟
ومن خلفه: "هذا جوابُ منهم:

أَيُّهَا السَّائِلُ الْمَفْكُرُ فِيهِمْ! مَا لِي ذَا السُّؤَالِ- قُلْ لِي دَعَاكَ؟
أَوْ مَا تُصْرِفُ الْمَتُونَ إِذَا حَلَّتْ دِيَارًا فَلَنْ تُرَاعِيَ هَلَاكَ!
إِنِّي فِي نَفْسِكَ الضَّعِيفَةِ شُغْلًا فَأَعْتَرِ وَأَمْضِ فَلَمْتُونَ وَرَأَاكَ!"

قال: وحدثني أبو الحسن بن الطحاوي: حدثني ابن أبي هاشم، قال: قرأت بجلوان [مصر] علي قصير لعبد العزيز بن مروان:

(١) بدائع الدماء: أوما ترى طرب الندى * إلى التسم إذا تحرك؟



أَيْنَ رَبِّ الْقَصْرِ الَّذِي شِيدَ الْقَصْرُ، وَأَيْنَ الْعَيْدُ وَالْأَجْنَادُ ؟
أَيْنَ تِلْكَ الْجُوعُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَأَعْوَانُهُمْ وَذَلِكَ السَّوَادُ ؟
أَيْنَ عَبْدُ الْعَزِيزِ، أَيْنَ آيْنُ مَرَوْا * نَ، وَأَيْنَ الْحَسَةُ وَالْأَوْلَادُ ؟
مَا لَنَا لَا نُحْسِنُهُمْ وَنَرَاهُمْ ! * أَتَرَى، مَا الَّذِي دَعَاهُمْ، فَبَادُوا ؟

• قال : وقرأت تحته : " هذا جواب عنهم :

أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُفَكِّرُ فَيَسْأَلُ : * كَيْفَ بَادَتْ جُوعُهُمُ وَالسَّوَادُ،
ثُمَّ فِي الْقَصْرِ وَالَّذِينَ بَنَوْهُ * أَسْقَا، حِينَ فَارَقُوهُ وَبَادُوا،
أَيْنَ كَسَرُوا وَتَبِعَ قَبْلَ مَرَوْا * نَ وَمِنْ قَبْلِ تَبِعَ شَدَادُ،
أَيْنَ تَمَرُّدُ ؟ أَيْنَ فِرْعَوْنُ مُوسَى ؟ * أَيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ تَمَرُّدُ وَعَادُ ؟
كُلُّهُمْ فِي السَّرَابِ أَضْحَى رَهْبِنَا * حِينَ لَمْ تُفْنِ عَنْهُمْ الْأَجْنَادُ !
إِنَّ فِي الْمَوْتِ يَا أَيْحَى لَكَ شُغْلًا * عَنْ سِوَاهُ، وَالْمَوْقِفِ الْمِعَادُ ! "

١٠

ومما ينسحب على ذيل ذلك، أنني نزلت في مسجد بَقِيَّةِ السَّلَارِ، من اليرموك
بالشام (وكانت قديماً منازل غَنَانٍ، ثم تزلها قوم من آل بشار، ثم صارت إلى بني السَّلَارِ، وكانوا أمراء،
بلا، وسادة أجلاء، ثم أبادهم المحدثان)، فقرأت على بعض جُدران المسجد :

أَرَأَيْتَ أَيُّ مَنَازِلٍ وَدِيَارٍ * أَمَسَتْ خَلَاءَ مِنْ بَنِي السَّلَارِ،
الْعَامِرِينَ مَسَاجِدًا لِلَّهِم * الْغَامِرِينَ نَدَى ذَوَى الْإِعَارِ ؟

١٥

وقد كتب آخر تحتها :

قَلْبِي الْمَشْوِقُ إِلَى بَنِي السَّلَارِ * أَبَدًا يَجْلِبُ فَوْقَ جُذُودِ نَارِ !
قَوْمٌ لِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ أَحْبَبْتُهُمْ، * حُسْبَى لَالٍ عِدِّ الْأَطْهَارِ !

فكبتُ تحتها :

١٨٢

لا سكرتُ تنكر الآثار * وتفسير الأوطان والأوطار!
 يامن تعجب للفتنة إذ خلّت * من ساكنها من بني السّار!
 لا تعجبت فهم سلالة آدم * أكل المتون وعرضة الأقدار!
 إن تخل منهم، فهي من قبل خلّت * من آل غسان وآل يسار.
 لا تعجب من العراق، فإنه * ما هذه الدنيا بدار قرار!
 جاؤوا على آثار غيرهم وقد * ذهبوا كما ذهبوا على الآثار!
 وسيلنا لما أتينا بعنهم * كسيلهم في الورد والإصدار!
 كل الذي حازوه عارية ولا * نجب إذا ردة المعار عواري!

١٠ قلت: ومن هذا النوع أني مررتُ بعد حين من الدهر بمجاهد كنت آلفها أول
 ثمري، والشيب ما عارض عارضى ولا عذرى، وعقد الأجتماع منظوم، وأهلها أهلة
 ونجوم، فوجدتها خالية بعد أهلها، ظامية بعد علّها ونهلها، قد أصبحت عارية من
 ريفها وظلّها، عادمة لكثيرها وقّلّها. وقد كتب عليها بعض من ولىع :

١٨٣

هذه دارهم ومأثروا جميعا * هكذا هكنا يُعادي الزمان!

١٥ فزكني هذا البيت، لساكن ذلك البيت، وأيامنا نحن وساكنه الميت، وتذكرتُ
 تلك الأيام الماضية، والعيشة الراضية، ثم ما غرت الحوادث، وسدت من الأبواب
 والبواغث، فقلت أرثجلا :

أين دهرٌ مضى لنا أولُ العُمُر وأين الزمانُ والإخوانُ ؟
 حَدَّثَتْ بَعْدَنَا عَلَيْهِمُ أُمُورٌ ! هَاتِ شَيْئًا مَا آغْتَالَهُ الْحَدَثَانُ ؟
 ذَهَبَ الْكُلُّ فِي زَمَانٍ تَقَفَّى ، كُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ !
 مَا تَبَقِيَ لَنَا مِنَ الْكُلِّ إِلَّا ، قَوْلُنَا لِلتَّذْكَارِ : كُنَّا وَكَانُوا !

ثم أمرتُ من كتبها تحت البيت وأنصرفت باكية ، وشكوتُ لو أنصف الدهرُ
 شاكياً .

الديارات والحانات

الديارات المشهورة

وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغيرهم،
أو كانت قد دخلها أحد من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء المشهورين،
أو ورد لذلك الدير ذكر في شعر قديم أو عصري .

٥ . فيها دير الكلب^(١) وهو قصب مقلتايا، في سفح جبل . والماء ينحدر عليه .
وقلايته مبنية بعضها فوق بعض، في صعود الجبل . فمنظرها أحسن منظر . ويتوقعه
ينصب عليه من أعلاه .

وفيه من الزيتون والرمّان والآس والكرم والزعفران والزرع شئ كثير .
ورهبانه مزارع في السهل . وغلاته كثيرة .

١٠ . قال الخالدي^(٢) : ولهذا الدير خاصية في برء غضة الكلب الكلب . وله عيد في وقت
من السنة . يخرج إليه خلق من النصارى نساء ورجال للإقامة عندهم . وخلق من^(٣)
المسلمين للنظر إليه والزهة فيه . ويجتمع إليه أهل الرقة والمجان، وتسمع به الأغاني
وأشعار الملأهى . وتذبح به الذبائح، وتُشرب الخمر .

(١) يذكره هذا المصنف ويؤيده ما رواه ياقوت من أن "عجائب الدنيا ثلاثة : دير الكلب ، ونهر الذهب .

١٥ . وقلة حلب" . (معجم البلدان ج ٤ ص ٨٣٩) . وأنظر فيه تفاصيل أخرى على هذا الدير (ج ٢ ص ٦٩٠ ج ٤ ص ٢٩٩) . وكذلك في "أحسن التقاسيم" للبشاري طبع لندن (ص ١٤٦) .

(٢) هو أحد الخالدين الشاعرين الشهيرين . ينسب إلى الخالدية ، قرية بقرب الموصل . كانوا خازين
للحب سيف الدولة مملوح المني . ولها أشعار وأخبار وتكليف منها كتاب "الهدايا والصحف" وفي خزانة
بالقاهرة نستخاف منه .

(٣) لعله عنده يافراد الضمير .

وحكى أن أخا لأبي السفاح الشاعر عضه كلب كلب، فحمله إلى هذا الدير .
فداوى به، فبرئ . وأُشيد له شعرا فيه، لم أذكره .

دير أبون^(١) . وهو دير بين الجزيرة وثمانين . وهو دير جليل عند النصارى . وبه
جماعة من الرهبان . ويعلمون أنه قبر نوح عليه السلام، وقد تقدم ما ذكرناه في أمر
قبره بركك البقاع . وانه أعلم أى بقعة ضمته .

ولم صهرج لاء . زعموا أن له أنابيب من صُفْر يجرى فيها الماء من جبل
الجودى إلى الصهرج .

وإلى جانبه ضيعة غناء كثيرة البساتين . يقال لها بزر مهران .

دير الزعفران^(٢) . وهو بالقرب من مملتايا بجانب الفلجة النافذة إلى الحسنية . وهو
في لحيف جبل تطل عليه قلعة أردمشت^(٣) . وفيه زل المتضد لما حاصرها وأخذها .

وهو كثير الرهبان والفلاي . ولرهبانه يسار ونعم ومزارع وبساتين .

(١٨٤)

وفرش أرضه من زهر الزعفران . وقلاليه بعضها من [فوق] بعض كبناء دير
الكلب، بأحسن وصف وأملح تكوين . وله سور يحيط به وشرايه مفضل في اللون
والرائحة والعتق . وماؤه سائح من ينبوع في جبله .

(١) أنظر تفاصيل أخرى في ياقوت (ج ١ ص ٥٦٢ ج ٢ ص ٦٤٠) .

(٢) أنظر الطبرى (سلسلة III ص ٢١٤٤) ؛ وكامل أين الأثير (ج ٧ ص ٢٣٥ ج ٢ ص ١٢٢) .

(٣) (٢٩٢) ؛ وياقوت ج ٢ ص ٦٦٣ ج ٣ ص ٧٢٤) ؛ وخصوصا الشافى (ورقة ١٨٢) .

ويسى أيضا عمر الزعفران (أنظر ياقوت ج ٣ ص ٧٢٤) .

(٣) في الأصل : أردمشت . والتصحيح عن ياقوت .

قال الخالدي: آجرتُ به في بعض السنين، وعامل الناحية سعيد بن إسحاق
فاحسبني عنده أياماً للأنس . فعملتُ فيه عدة أشعار، منها :

وزَعْفَرَانِيَّةٍ فِي اللَّوْنِ وَالطَّيْبِ ۝ طَيِّبَةِ الْخَمْرِ ذِكَاؤُ الْمَلَأَاضِيبِ،
تَوَتَّ بِحَاثَةِ غَمَرِ الزَّعْفَرَانِ عَلَيَّ ۝ مَرَّ الْمَسَاوِيرِ فِيهِ وَالْأَهَامِضِيبِ،
وَمَا الْفَطَارِفَةُ الشَّبَابُ إِنِّ شَرِبُوا ۝ نَحْمَرُ بِأَبْلَجٍ مِنْ رُهْبَانِهِ الشَّيْبِ،
شَرِبْتُهَا مِنْ يَدَيِ حَوْرَاءَ مَقَلَّتْهَا ۝ تُضَيِّ الْقُلُوبَ بِتَبَعِيدِ وَتَقَرِيبِ،
شَمْسٌ إِذَا طَلَعَتْ، قَالَتْ عَمَّاسُهَا: ۝ هَا قَدْ طَلَعْتُ، فَيَا شَمْسَ الضُّحَى عِجْبِي!
وَمِتُّ سَكْرًا، وَنَامَتِ لِي مَعَانِقَةُ: ۝ فَلَا تَسَلْ عَنِ عَنَاقِ الظُّلِيِّ وَالذَّيْبِ!

دير قني^(١) وهو بينفداد والمدائن .

دير قني

ودير العاقول^(٢) أسفل منها باثني عشر فرسخاً . وإلى جانبه قرية كبيرة . أخرجت

دير العاقول

- (١) أنظر الطبقات (سلسلة III ص ٢١ و ٥٠ و ١٩٦١ و ١٩٦٥) و كتاب العمود
والخداق (ص ٣ ص ١٩٦) و معجم الأساطير الكبرى (ص ٣٨١) و التنبيه والإشراف للسعودي
(١٤٩) و طبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة (ص ٢٣٥) و آراء الأثير (ج ٥ ص ٣١٠) و باغوت
(ج ١ ص ٧٣٩ ج ٢ ص ٦٨٧ و ٧٠٠ ج ٣ ص ٣٦٢ ج ٤ ص ١٧٨ و ٨٤٦) ؛
و مختصر الدول لأن المعدي (ص ٢٨٥) و خصوصاً الشاشي (ورقة ١١٥) . و يكتوبه قنا .
(٢) أنظر الطبقات (سلسلة III ص ١٠٠٢ و ١٨٩٣ و ١٩٤٨ و ١٩٦١) ؛ و أحسن التفاسير
(ص ٥٣ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٣٥) و مسالك الإصطخرى (ص ٨) و مسالك آبن حوقل
(ص ١٦٨ و ١٦٩ G) ؛ و آراء نوداذبة (ص ٥٩) ؛ و جغرافية أبي القدا (ص ٢٩٥ و ٣٠٥) ؛
و آراء الأثير (ج ٦ ص ٢٢٦ ج ٧ ص ٢٠٠ و ٢٢٤ ج ٨ ص ١٧٢ و ١٧٤ ج ٩ ص ١٦٥) ؛
و باغات (ج ١ ص ٣٦٦ و ٣٧٦ و ٦٨٧) . و في آبن الأثير : دير العنول .
(٣) لعل الصواب : منها .

عنة من الكلاب والوزراء . وهو حسن البناء ، راكبٌ على دجلة ، وبات فيه الوزير على بن مقلة ، ثم أصطليح فيه . وقال

باتت يدي تجي ثمار الجملح * بديرقني من وجوه ملاح !
حتى تلا الراحب مزموه * وصمغ الأقق خلوق الصباح .
فهل قني يسعدني عاقدا * ذيل غبوق بذول أصطليح ؟
أطيمه في كل مايسسى * كطاعة الريش لأمري الرياح .

❦

وفيه بقول البصري ، من قصيدة يمدح ابن الفياض الوزير ، وكان من ديرقني :

ماقصي لبانه عندلبي . * والمضي بالفتيات مبعي !
نزلوا ربوة العراق آرتيادا . * أي أرض أشف دارا وأسني ؟
بين دير العاقول مرتبع أشترف محله إلى ديرقني .
حيث بات الزيتون من فوقه الضفيل عليه ورق الحمام تقي .
ما المعالي إلا المكارم تذا . * ذوإلا مصانع المجد تقي !

١٠

قال الخالدي : وأنشدنا أبو العباس بن أبي خالد الأحول : قال أنشدني كاتب

ابن طولون لنفسه :

إن عجزا كما نكوت وغيتا * أن ترى صاحبين في ديرقني !
حبنا روضه المدج ليلًا * وهواه ذاك المسك رذنا !
قد جرى السليل بالمسك فيما * فحوته الدفات : دنا فدننا .
كم خلتونا بحسرواني كسرى * وهو يسقى طورا وطورا يني !
تحتنا قرنة من الورد إلا * أنها من أنامل البدر تجني !

١٥

وحكى بحمطة البرمكى قال: كنت بحضرة إسماعيل بن بلبل، بواسطة أيام حرب
العلوى البصرى، والموفق الناصرى، فلما آنصرفت رافقنى البحترى، وكان قد زار
أبن بلبل، فلما وصلنا إلى ديرقنى قال: ويحك يا بحمطة! هذا ديرقنى، وهو من الحسن
والطيب على ماترى! وأنت أنت! وطنبورك طنبورك! فهل لك أن نقيم به اليوم،
فنشرب ونطرب، ونتم وناعب؟ فقلت: نعم! ولم يكن معنا نيد. فسالنا عن
يقرب منا من المال، فكتب إليه البحترى:

(١٨٦)

يا ابن عيسى بن قرقان، وللفر * من بعينى بن قرقان آتخار!
قد حللنا بديرقنى وما نبشنى قرى غير أن يكون عغار!
فأسقي من حيث كان يشرب كسرى * عضبة كلهم ظمأ حار!
من كيت تولت الشمس منها * ماتولته من سواها النار!
فوجه إليها عشرين دنأ شرايا، ومائة دجاجة، وعشرين حملا، وفاكهة. وعملت
في الأبيات لحنا. فلم نزل نشرب عليه يومنا وليلتنا. وأخذت فيها معنى فقلت:
وبات يسقينا جنانية * ضفت بها الشمس على النار!

دير الدارنى

دير العذارى، وهو بين سر من رأى وبغداد، بجانب الملت على دجلة،
في موضع حسن. فيه رواهب عذارى. وكانت حوله طائات للجارين وبساتين
ومنتزهات. لا يعلم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسان الوجوه والقدود،
والألحاظ والألفاظ.

(١) أنظر معجم ما أسيح (ص ٢٧٦) و آثار البلاد للقرظي (ص ٢٤٨) و ياقوت (ج ٢)

قال الخالدي: ولقد آجرتُ به فرايته حسنا، ورأيتُ في الحانات التي حوله خلقا
يتربون على الملاهي. وكان ذلك اليوم عيداً له. ورأيتُ في جُنَيْنَاتٍ لرواحبه جماعة
يَلْقُظْنَ زهر العُصْفُر، ولا يمانل حمرة خدودهن. ثم إن دجلة أهلكتها بمدودها،
حتى لم يبق منه أثر. وبمحنة في أخبار وأشعار. لأنه كان معاناه وماواه، وإليه
يخذب به هواه. وفيه يقول ابن المعتز:

أيا جيرة الوادي على المشرع العذب! د سَقَاكَ حَيًّا حَى الثرى مَيَّتَ البَلْبَل!
وحسبك يا دَيْرَ العَذَارَى قَلِيلَ مَا * يَحْنُ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ طَيْبَةٍ قَلِي!
كَذَبْتُ الهوى إن لم أَقِفْ أَشْتَكِي الهوى * إِلَيْكَ وَإِنْ طَالَ الوُقُوفُ عَلَى صَحْفِي!
وَعُثْتُ بِهِ وَالصَّبْحُ يَتَهَبُ الدُّجَى * بِأَضْوَانِهِ، وَالتَّجَمُّ رُكُضٌ فِي الْغَرْبِ.
أَصَانِعِ اطِّرَافِ الدُّمُوعِ بِمُقَالَةٍ * مُوقِرَةٍ بِالدمعِ غَرْبًا عَلَى غَرْبِ.
وَهَلْ هِيَ إِلَّا حَاجَةٌ قُضِّيَتْ لَنَا * وَلَوْ تَحْتَلَنَاهُ فِي طَاعَةِ الْحَبِ؟

قال الخالدي: وأنشدني بمحنة لنفسه:

قَالُوا: قَيْصُكَ مَغْمُورٌ بِأَتَارِ * مِنَ الْمَدَامَةِ وَالرَّيْحَانِ وَالْقَارِ!
فَقُلْتُ: مَنْ كَانَ مَاوَاهُ وَمَسْكَنُهُ * دَيْرَ الْعَذَارَى لَدَى حَاتُوتِ نَحَارِ،
وِسَادُهُ يَدُهُ وَالْأَرْضُ مَقَرُّهُ، * لَا يَسْتَطِيعُ لُكْرُهُ حَلَّ أَزْرَارِ،
لَمْ يُنْكِرُوا النَّاسُ مِنْهُ أَنَّ حُلَّتَهُ * خَضْرَاءُ كَالرُّوْضِ أَوْ حُمْرَاءُ كَالنَّارِ!

(١) في الأصل: أهلكتها.

(٢) المعان المياة والنزل - (قاسوس).

وقال : وللمنوبري فيه :

أقولُ لمُشَيِّهِ العَدْرَاءُ حُسْنًا : * علامَ رَعَيْتَ فِي دَيْرِ العَدَارِي؟

وما وَحَدَى أَعَارُ عَلَيْهِ، لَيْكُنْ * جَمِيعُ العَالَمِينَ مَعِيَ غَيَارِي!

ولأبن فيروز البصري فيه :

وروضة لهُو قد جَنَّتْ ثَمَارَهَا * بِدَيْرِ العَدَارِي بَيْنَ رَوْضٍ وَأَنْهَارِ.

تَمَّالُ بِهَا وَجْهَ المَدِيرِ وَكَأَنَّهَا * هِلَالًا وَتَمَسَّ بَيْنَ النِّجْمِ نَوَارِ.

يَطُوفُ بِإِرْيَاقِ مُقَدَّيْ كَرَامَةٍ * عَلَيْنَا بِأَسْمَاعِ كَرَامِ وَأَبْصَارِ.

كَأَنَّا لَهُ زُغْبُ الفَرَاخِ يَقُوتُهَا * بِمَثَلِ مُذَابِ التَّبَرِّ مِنْ شَطْرِ مِتْقَارِ.

قال الخالدي : وهذا حسنٌ بديع .

- ١٠ وحكى الجاحظ قال : زعم فتيان من تغلب أنهم أرادوا قطع الطريق على قفلي، بانهم أنه يمر بهم قريب دير العذارى . ثم جاءتهم العين بأن السلطان قد عَزَفَ بهم وأقبل في طلبهم . قال : فاخفينا في الدير، فلما آوينا، قال بعضنا لبعض : ما يمنعنا أن نأخذوا القَسَّ فنشقه ونأقا ثم نخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبقار، فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد؟ وكنا جماعة بعدد الرهبان اللواتي كنا نظنهن أبقارا، فوجدناهن كلهن ثِيَابٍ، وقد آفَضَهنَّ القَسُّ . فقال بعضنا : .

وَدَيْرُ العَدَارِي فَضُوحٌ لَهْنٌ، * وَعِنْدَ اللُّصُوصِ حَدِيثٌ عَجِيبُ.

خَلَوْنَا بِمَشْرِيبِ دَيْرِيَّةٍ * وَنَبَّلَ الرُّوَاهِبُ شَيْئًا غَرِيبُ.

لِذَا هُنَّ يَهْرَزْنَ رَهْزَ الطَّرَافِ، * وَبَابُ المَدِينَةِ فَجٌّ رَحِيبُ.

لقد بات بالدير ليل التمام * نساءً وساعً وتيل صليب.
وللقس حزن يهض السواد * ووجد يدٌ عليه الحبيب.
وقد كان عيرا لدى غاية * فصب على العير لث غصوب.

وفيه يقول بعض القطاع أيضا من كلمة له :

وألوط من راهب يدعى * بات النساء عليه حرام.
يحسرم بيضاء ممكورة * ويثنيه في البضع عنها الغلام.
إذا مامنى غص من طرفه * وفي الدير بالليل منه عرام.
ودير العذارى ففصح لمن * وعند اللصوص حديث تمام.

وقيل في راهبة فيه :

يا أيها القمر المنير الزاهر * المشرق الحسن المضيء الباهر !
أبلغ شيبتهك السلام، وهنأ * بالنوم، وأشهد لي بأنى ساهر !

دير الباعوث^(٢) . وهو على شاطئ الفرات من جانبها الغربي . في موضع نزيه . وكانت الهارة قليلة حوله . وله خفراء من الأعراب . وله مزارع ومباقل وجنينات .

(١) المذكورة المستديرة السابقين خلفهما . | أنظر اللسان |.

(٢) في الأصل بالعين المهملة . ولم يذكره الثاقبي ، وأما ياقوت فقد سماه "دير باعوث" بالجمع و بدون أداة التعريف ، وأقصر على القول بأنه "دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وجزيرة ابن عمر" . (ج ٢ ص ٦٤٦) وفي شرح التماموس في ماذق (بغ ت ه ب ع ث) أن الباعوث عبد القصارى و يقال فيه باعوث ، وأن الباعوث استسقا الصارى وهو أسم سريانى ، وقيل هو بالعين المعجمة والثاء المنقوطة فوقها تقطنان . | والجارى على ألسنة الشوام في هذه الأيام "الباعوث" لعيد مشهور عندهم يضاهى المعروف في مصر بأسم "شم النسيم" | .



وفي هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبه الحُسن، يقال إن لها مئين سنين، لم تتغير أصباغها، ولا حالت ألوانها. قال المنيجي: أجمرت بدير الباعوث هذا وأستحسنته وأستطبتُه، فلولا الوطن لأستوطنتُه. ورأيت في رُهبانه غلاما كما عذر قد ترهب. فخطبته وإذا به أحلى الناس ألفاظا على لثقة فيه تجعل السين ثاء. فثلبتُ سمارتي^(١) إلى جانب الدير. وأشتريت شرايا من الرهبان. وبت هناك منادما لذلك الغلام. فلما أردت الرحيل قال: أنتصرف من عندنا وأنت شاعرٌ ولم تقل فينا شيئا؟ فقلت: بلى، والله قد قلتُ! وأنشدته:

بأطيب ليلةٍ دِيرَمر، باعوث! - فسَقاه رَبُّ العَرْشِ صِرْفَ غِيُوث!^(٢)
وموَرِّدِ الوجَنات من رُهبانِه، - هو يَنْهَمُ كالْقَلْبِ بين لُيُوث،
حاولتُ منه قُبلةً فأجابني، * يا حَسَنَ ذا التَذْكِيرِ والتَأْيِث!
حَتَّى إذا ما الرَّاحُ سَهَلَ حَنًّا * منه العَسِيرُ يَطلُهُ المَحْثُوث!
ناتُ الرِّضا وباتت قاصِبةُ المُنَى * مِنْهُ بَرغم رَقِيبِه الدِّيُوث!
ولقد سَلَكْتُ مع النُّصارى كُلَّ ما * سَلَكُوهُ غَيْرَ القَوْلِ بالتَّثْلِث!

دير السوسى^(٣) - وهو في الجانب الغربي بئر من رأى. ومنه أرضها. فابتاعها
المعتصم من أهله.

دير السوسى

١٥

(١) البارية: هي سفينة كانت تستعمل في العراق للذهاب والخلاعة، مثل الذهبية في وادي النيل. وقد يرد اسمها كثيرا في كتب الأدب، ولكن الذي ذكره تاج العروس في أسندراكه هو السيرية فقط. وقال بها ضرب من السفن وقد استعمل بئر فضل الله هذا اللفظ الأخير أشاء كلامه إلا أني على دير شبروني.

(٢) مر - مزد = قديس (٣) في ياقوت: صوب.

(٤) انقصر ياقوت على نقل كلام اللادري أنه "دير مريح بهاء وجل من أهل الوس وسكنه هو ورهبان منه" مسمى به. وهو ينوحى سر من رأى، بالجانب الغربي، ثم أورد أبيات ابن المعتز فيه، حسب ما جاءت في رواية ابن فضل الله (انظر معجم الأدباء، ج ٢ ص ٦٧٢): "وأظهر البكرى في معجم ما استعجم (ص ٢٧٨)." ٢

حكى أحمد بن أبي طاهر، قال: قصدت بُسرَمن رأى رائداً بعض كبارها بشعر
مدحته به، فقبلني وأجرل صِلتي، ووهب لي غلاماً رومياً حسن الوجه. فسرتُ أريد
بنفاد. فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلى دير السوسى لنعيم فيه
إلى أن يخف المطر. فأستندت القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذى هو فيه: أنت
العشيّة بأت هنا، وعندى شراب جيد، فثبتتُ تقصّف ثم تبرّك. فبتُ عنده. فأخرج
لي شراباً جيداً، ما رأيتُ أصفى منه ولا أعطر. وبات الغلام يسقى، والراهب يندبى،
حتى متُّ سكرًا. فلما أصبحتُ رحلتُ وقتُ

(١٩)

سقى بُسرَمن رى وسكّلتها * وديرًا لسوسى الراهب!
فقديتُ في ديره ليلة * وبدرٌ على غصنٍ صاحبي!
غزالٌ مسقانى حتى الصبا * ج صفرًا كاللّهب الذائب.
مسقانى المدامة مستقيظًا * ونمتُ ونام إلى جانبي.
وكانتُ هنا في الويل من * جناها الذى خطّه كاسي!

وقد ذكره أبو الفرج، وأُشيد فيه قول ابن المعتز:

يا لَيْسَالِي بِالْمَطِيرَةِ وَالصَّكْرِ * خ ودير السوسى، بالله عُودى!
كنتُ عِنْدِي أُنْعِزُجَاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ، لِكُنْهَا بِفِرِّ خُلُود!
أشربُ الرّاحَ وهى تُشربُ عَفَى، * وعلى ذاك كان قتل الوليد.

دير عبدون^(١) - وهو بُسرَمن رأى إلى جانب المطيرة. قال: ومضى دير عبدون
لكثرة المام عبدون - أى صاعيد [بن مخلد] - به. وكان عبدون نصرانيا.

(١) انظر البرقى في معجم ما استعجم (ص ٢٧٤)؛ وانظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٨).

وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق الناصر . فاستوزره ^(١) وبلغ معه المبالغ العظيمة .
وحكى البحرى أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يوم فصيح ، ومعه ابن خرداذبة .
قال البحرى فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها ، وأولها :

لأجديد الصبي ولا ريمانه * راجع بعد ما تفضى زمانه !

فأمر لى سائى ديتار ، وثياب خز ، وشهرى بسرجه ولجامه . وأخوه حيثئذ مع
الموفق فى قتال العلوى البصرى . فسر بذلك وقال لى : يا أبا عباد ! قل فى هذا
شعرا أشهدك إلى ذى الوزارتين ، يعنى أخاه ، وكان لقب بهذا . فقلت :

ليكتفك السرور والفرح ! * ولا يفتك الإريق والقح !

فتح ونصح قد وافيأك معا : * فالتفتح بقرى ، والنصح بفتح .

فأنعم سليم الأقطار تفتيح الصهباء من دنها وتسطيح !

فإن أردت اجتراح سيئة ، * فما هنا السيئات تجترح !

وأقنا يوما إلى الليل . وخلع على ابن خرداذبة وحمله وأنصرفنا .

وأشد الخالدى قول ابن المعتز فيه :

سقى الجزيرة ذات القل والشجر * فدير عبدون هطال من المطر !

(١) هذه البيانات لما ها واردة فى ياقوت مع اختلاف فى اللفظ قليل ، وقد أورد فيه نصبة لأبن المعتز
ليست عند ابن فضل الله (أنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٦٧٨) وقد ذكر ياقوت ديرا آخر بهذا الاسم
وقال انه " قرب جزيرة ابن عمر ، وبينها دجلة ، وقد خرب الآن . وكان من أحسن مزارعها " .

(٢) الشهيرة بالكسر ضرب من البازين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل أو بين الرمكة والقوس
العتيق وجمه شهاب (تاج) .

دير زكي^(١) . وهو قريب الكليخ والفروات . في أنزه البقاع ، بين بساتين وأنهار
وقلال وضياح .

وحكى عن الحسين بن يعقوب أنه قال : صرْتُ إلى الرُّها ، فبُتُّ بها . ونرجعت
قبل عيد الصليب بيوم . فإذا لدينا وجوهٌ حسَّانٌ من نصرانيات خرجن لبعدهنَّ ،
عليهنَّ جيّد الثياب وفانح الجواهر ؛ وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيِّب الهواء منها^(٢) .
وقد قُرش لمن على العجل وهو يُعزَّز بهنَّ ، وأناريات على الشَّهاري الخراسانية والبغلات
المصرية والحمر الفُره بمشاة ، وفي خلال ذلك صبيانٌ ما رأيت أحسن منهم وجوها
وقدودا وثيابا . فتأملت منظرا لم أر أحسن منه قط . وإذا هم يطلبون دير زكي
ليعيِّدوا فيه .

١٠ قال الخالدي : وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية ذات قصور ودهر . وفيها
يقول بعض الشعراء :

قُصورُ الصالحية كالْمَذارى * لَيْسَ حُلَيْنٌ لِيَوْمِ عُرْسٍ .
تَقْنَمُ الرِّياضُ بكلِّ نَوْرٍ . وتُضَحِّكُها مطالعُ كلِّ شَمْسٍ .

(١) يكتون أيضا : دير زكا . وأنظر العليزي (سلسلة III ص ١٧٩٢) : وآبن الأثير (ج ٥

ص ٢١٥) : ومعجم ما أستعجم (ص ٣٧١ و ٣٧٧) : وخصوصا باقوت (ج ١ ص ٦٦٧ ح ٢

ص ٦٦٤ ج ٣ ص ٣٦٣ ح ٤ ص ٨٦٢ و ٩٩٤) : والتأشقي (ورقة ٩٥) .

(٢) في الأصل : مه .

وفيا قال الصنوبري :

إني طَـرَبْتُ إلى زَيْتُونٍ بِطَيَّاسٍ * فالصَالِحِيَّةِ ذَاتِ الْوَرْدِ وَالْآسِ !
وَصَفُّ الرِّياضِ كَفَاتِي أَنْ أَقِيمَ عَلَى * وَصْفِ الطُّلُولِ ، فهل في ذاك من بَاسِ ؟
وقائِلِي : أَفَقِ يَوْمًا ! قَلْتُ لَهُ ، * مِنْ سَكْرَةِ الْحُبِّ : أَوْ مِنْ سَكْرَةِ الْكَلَسِ ؟
قُلْ لِلَّذِي لَمْ يَهْ فِيهِ : هَلْ تَرَى كَلْفًا * بِأَمْلَحِ الْوُضْءِ إِلَّا أَمْلَحَ النَّاسِ ؟

(١٩٦)

وفيا قال أيضا :

الصَالِحِيَّةِ مَوْطِنِي * أَبَدًا ، وَبَطَيَّاسٍ قَرَارِي .
مِنْ فَوْقِ غُـدْرَيْنِ تَهَيَّضَ وَيِّنَ أَنْهَارِ جَوَارِي .
وَمُدَامَةٍ بُرِّتْ فَأَشَدُّ بِهِ قَتْلُهَا قَتْلَ السَّوَارِ .
يَا لَأَمْسَى مَا الْعَارُ عَا ، رُكْ ! فَأَمَضْ ! عَنِّي الْعَارُ عَارِي !
لَمْ يَفِ عَلَى مَلَوِيَّةِ الْأَصْدَاعِ مُسْبَلَةَ الْإِزَارِ !
قَدْ قُضِّضَتْ بِالْيَأْسِمِيَّتَيْنِ وَدُخِبَتْ بِالْجُلْنَارِ .

١٠

وفيه قال :

حَبْنًا الْمَرْحُ ! حَبْنًا الْمَمَرُ ! لَا بَلْ * حَبْنًا الدَّرِ ! حَبْنًا السَّرْوَتَانِ !
قَدْ تَجَمَّلَى الرَّبِيعُ مِنْ حُلِّ الزَّهْفَرِ وَصَاغَ الْحَمَامُ طَيْبَ الْأَغَانِي .
زَيْفَتْ أَوْجُهُ الرِّياضِ فَأَضَحَتْ : وَهِيَ تُرْمِي عَلَى الْوُجُوهِ الْحَسَانِ .

١٥

(١) في الأصل طيَّاس بالنون وقد ذكره ياقوت في حرف الباء .

(٢) لها : المرح .

أخضر اللون كالزبرجد في أحمر صافي الأديم كالعقبان.
وبهار مثل الزناير محفو * ف يزهر الخيري والحوذان.
سقياني بكل لوز من الرا * ح على كل هذه الألوان!

وفيه يقول الصوري أيضا من قصيدة:

أراق بحاله بالرقصين * جنوبي محسوب الجاشين ،
وأهدى للريص رصيف مزين * يماوده طرير الطرين .
تضاحكها القرات بكل فج * فتضحك عن نضار أولجين .
كأن عناق نهر دبر زكي * إذا اعتقا عناق متممين .
أقاما كالسوارين ، أمتدارا * على كفيه أو كالدملجين ،
ويأسفن القرات بحيث تهوى * هوى الطير بين الجلهتين .
تطارد مقلات مديرات * على عجل تطارد عسكرين .
ترانا واصلين حكما عهدنا * وصالا لا ننغصه بين ؟
ألا يا صاحبي خذا عناق * هوى ! سلبتها من صاحبين !
وكان اللهو عندي كابن أمي * نصرتنا بعد ذاك لعلتين !

وله أيضا من أخرى:

ياندبي أما تحسن إلى القصص ، فهذا أو أن يندو الحين ؟
ما ترى جانب المصلى وقد أشترق منه ظهوره والبطن ؟
أمرجت في رماضه سرج القطر وطابت سهوله والحزون .
إن أذار لم يذرت تحت وجه الأرض شيئا أكنه كائون !

وَكَاثُ الْقِرَاتِ بَيْنَهُمَا عَيْشُنُ لَيْلَيْنِ يَوْمُ فِيهَا السَّيْنُ،
 كَبُطُونُ الْحَيَاتِ أَوْ كُنُونُ السَّمْتَرَقَاتِ، أَخْلَصَتْهَا الْقُبُونُ.
 كَمْ غَدَا نَحْوِ دِيرِ زَكِّيٍّ مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ فَعَادَ وَهُوَ حَزِينُ!
 لَوْ عَلَى الدَّرِجُتِ يَوْمًا، لَأَهْتَسَكَ فُنُونُ وَأَطْرَبَتْكَ فُنُونُ!
 لَا تَمْنِي فِي صَبَاحِي قَدْ لَكَ مَهْلًا * لَا تَمْنِي * إِنْ الْمَلَامُ جُنُونُ!

ولأبي بكر المَعْوَج فيه من قصيدة :

مَا تَرَى الدَّيْرَ : مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّيْشِرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَاللَّهَانِ ؟
 لَوْ رَأَى الثُّعْلَانُ، شَقَّ عَلَيْهِ * مَا يَرَى مِنْ شَقَائِي الثُّعْلَانِ !

(١٩٩)

قال الخالدي عن الزهراوي، قال : كَانَ بِالْمَوْصِلِ جَارِيَةٌ مَغْنِيَّةٌ، لُحِبَّتْ بِالْدَيْرِ، وَكَانَ
 لَهَا ابْنٌ عَمٌّ يَسْقِيهَا . فطَرَفَتْهُ يَوْمًا زَائِرًا، فَاحْتَجَبَ عَنْهُ، وَعَرَفَتْ أَنَّ عِنْدَهُ الْمَغْنِيَّةَ
 الْمَعْرُوفَةَ بِالْدَيْرِ، وَقَدْ خَلَّاهَا . فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ .

قَدْ عَلِمْنَا بَابَ مَثَوَالِكَ بِالْدَيْشِرِ، فَمِيشًا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَامِ !
 تَتَفَنَّى طَوْرًا وَتَسْقِيكَ طَوْرًا : وَتُلَاقِي لِلْسُوءَةِ السُّوءَاتِ .
 فَمِ أَنْشَدْتُ إِذْ سَمِعْتُ نَحِيرًا . كَنَافِيزِ الرُّعُودِ فِي نَيْسَابِ :
 "مَا تَرَى الدَّيْرَ" مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّيْشِرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَاللَّهَانِ ."

قال الخالدي : "وهذا التضمين حسن، واقع في موقعه، متمكن في مكانه. وهكذا
 سبيل مثله أن يكون البيت المضمّن كأنه من الشعر المضاف إليه". قلتُ : بشرطه
 لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه. وإلا فترك التضمين أولى، إذا كان بمعنى الأول.

وقد ذكره أبو الفرج وقال: ومن ذكره هارون الرشيد . فقال في بعض غزواته،
وقد خلف جاريته كان يحبها هناك :

سلامٌ على النَّازِحِ المُتَرَبِّ! • نَحِيَّةَ صَبٍّ به مُكْتَنِب! •
غزالٌ مرَّائِه بالْبَيْخِ • إلى دِيرِ زَكِي قَفْصِ الخَشَب! •
أَيَّامَنْ أَعَاتَ عَلَى قَفِيهِ • بِتَخْلِفِهِ طَائِعًا مَنْ أَحَب! •
سَأْسُرُ، والسُّرُّ مَنْ شِئِنِي • هَوَى مِنْ أَحَبِّ لِمَنْ لَا أَحَبَّ •
قال : ويقال إنه قالها في ديرانية رآها في دير زكي، فهو يها .

دير القائم الأقصى^(١) ... وهو على شاطئ الفرات، من جانبه الغربي في طريق
الرَّقَّة. قال أبو الفرج : وقد رأيته ، وهو مَرْقَبٌ من المراقب التي كانت بين الروم
والقُرس، على أطراف الحدود^(٢) .

وقال إسماعيل الموصلي : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة، مررنا بالقائم وعنده الدير .
فاستحسن الرشيد الموضع . وكان الوقت ربيعاً ، وكانت تلك المروج مملوءة بالشقائق
والزهر . فشرب على ذلك ثلاثة أيام . ودخلتُ الدير أطوف فيه ، فرأيتُ ديرانية .
حين نهد ثديها ، عليها المسوح ، مارأيتُ أحسن من وجهها وجسمها . وكانت تلك
المسوح عليها حلّ . فدعوتُ بنبذ وشربت على وجهها أقداحاً . وقلت :

(١) سماه الطبري . وياقوت دير القائم (أنظر الأول في سلسلة III ص ٦٧٠ والثاني في ج ٢ ص ٦٨٤)
ثم أنظر صميم ما أستصمم (ص ٣٥٩) .

(٢) أورد ياقوت هذه البيانات دون ما يليها مع زيادة طعيفة في التعريف بالمغرب وأنها بالابيات
الثلاثة دون قصتها وقال إنها "لعبد الله بن مالك الحنفي" وقال الخالدي هو لإسماعيل الموصلي . (أنظر صميم
البيدات ج ٢ ص ٦٨٤) . وأما في الشابشي القتي بأديتنا فلم يرد فيه ذكر هذا الدير .

يَذِيرُ النَّاسِمْ الْأَفْصَى * غَرَّالٌ شَادِدٌ أَحْوَى!
 بَرَى حُجَّى لَهُ جِسْمِي * وَلَا يَذِيرِي بِمَا أَلْفَى!
 وَأَكْتُمُّ حُبَّهُ جَهْدِي * وَلَا وَأَقَّةً مَلِيحَتْنِي!

- ثم دعوتُ بالعود ، فغنيتُ في الدير صوتا مليحا ظريفا . وما زلتُ أكرهه وأشرب
 وأنظر إليها ، وهي تضحك من فعلِي حتَّى سكرتُ . فلما كان من الغد ، دخلتُ على
 الرشيد ، وأنا ميتٌ من السكر . فقال لي : أين شربتُ ؟ فأخبرته القصة . فقال : طيبٌ
 وحياتي ! ودعا بالشراب فشرب . فلما كان المشي ، قال : قم بنا حتَّى أُنْكَرُوا ودخل إلى
 صاحبك هذه وأراها . فقمْتُ معه وتلثمُ ودخل الدير فرأها وقال : مليحة والله ! وأمر
 من جاءه بكأس وتَرَدَّاذِي^(١) . وأحضرت عودي فغنيته الصوت الذي صنعتُه ثلاث
 مرات ، وشرب عليه ثلاثة أرطال . ثم خرج وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فقلتُ :
 ياسيدي ، وصاحبة القصة ؟ أريد أن يبين عليها أثري . فأمر لها بخمسة آلاف درهم ،
 وأمر بأن لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير خراج . وأقطعهم إياه وجعل عليه عن
 الخراج عشرة دراهم في كل سنة ، تُؤَدَّى ببغداد .

- دير حزقيال^(٢) - قال شريح الخراساني : أجترتُ بدير حزقيال . فبينما أنا أدور فيه ،
 إذا بسطرين مكتوبين على أسطوانة . فقرأتهما ، فإذا هما :

رَبِّ لَيْسَ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْمَا * شَيْقِ طَوْلًا ، قَطَعْتُهُ بِاتِّعَابِ !
 وَنَعِيمٍ بَوَصِلَ مَنْ كُنْتُ أَهْوَى * قَدْ تَبَلَّغْتُه بِبُؤْسِ الْمِتَابِ !

دير حزقيال

(١٩٦)

(١) التَرَدَّاذِي المجر . وقد أمله في الأمل والصواب انعامه (أنظر القاموس) .

(٢) أنظر البكري (ص ٢٧٨) وياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

تَسْبُونِي إِلَى الْجُنُونِ لِيُخْفُوا ٥ مَا بَقِيَ مِنْ صَبْرٍ وَأَكْتَابَ.

لَيْتَ بِي مَا ذَعُوهُ مِنْ قَعْدِ عَقْلٍ ٥ فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ طُولِ هَذَا الْعَذَابِ!

وتحت مکتوب: "هَوَيْتُ لَمُتُّ، وَطُرِدْتُ وَشُرِدْتُ، وَفُرِقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَطَنِ، وَحُبِّتُ عَنْ الْإِلَافِ وَالسَّكَنِ. وَحُبِّتُ فِي هَذَا الدَّيْرِ [ظُلُمًا وَ] عَدَوَانًا، وَصَفَّدْتُ فِي الْحَمِيدِ زَمَانًا،

وَأَتَيْتُ عَلَى مَا نَبَيْتُ وَأَصَابَنِي ٥ لَذُو مَزَةٍ بَاقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ!

فَإِنْ تَمُتُ فِي الْأَيَّامِ أَظْفَرُ بَيْعَتِي! ٥ وَإِنْ أَتَوَلَّى يَرِمُ فِي الرَّجْوَانِ!

فَكَمْ مَيِّتٍ مُسَابِقُ حَسْرَةٍ ٥ صَبْرٌ لَمَّا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ!"

فدعوت برقة، وكتب ذلك، وسالت عن صاحبه، فقالوا: رجلٌ هوى أبنه

عم له. فحبسه معه في هذا الدبر، وغرم على ذلك جملة للسلطان خوفًا أن تقتضح

أبنه. ثم مات عمه. فورثه، هو وأبنه. وجاء أهله فأخرجوه وتزوج أبنه عمه.^(١)

دبر ماسرجس - قال أبو الفرج: لم يذكر أي دياراته؟ وله عدة ديارات. دبر ماسرجس

منها دبر يازاء البركان، في ظهر قرية يقال لها كاذة.^(٢)

حكى عن عبد الله الربيعي قال: دخلت - أنا وأبو النصر البصري - مولى بنى جحج -

بيعة ماسرجس. وقد ركبتا مع المعتصم، تنصيد. فوقفت أنظر إلى جارية كنت

(١) هذه البيانات كلها واردة في باقوت مع زيادة قليلة في الألفاظ وقد وهم ما به في ضبط نص

الكلات (ج ٢ ص ٦٥٤).

(٢) أنظر الكبرى (ص ٣٧٥).

(٣) في الأصل بالإهمال. ونص على إجماعها باقوت.

أهواها، وجعل هو ينظر إلى صورة في البعثة، أستحسنها، حتى طال ذلك . ثم قال أبو النصر :

فَتَنَّا صُورَةً فِي بَيْعَةٍ ! * قَنَ اللهُ الَّذِي صَوَّرَهَا !
زَادَهَا النَّاقُشُ فِي تَحْسِينِهَا * فَضَلَ حُسْنَ، إِنَّهُ نَقَرَهَا !
وَجْهَهَا لِأَثَرِكَ عِنْدِي فَتَنَةٌ * وَكَلَّا هِيَ عِنْدَ مَنْ أَبْصَرَهَا !
أَنَا لِلْقَسِّ عَلَيْهَا حَاسِدٌ * لَيْتَ غَيْرِي عَبَثًا كَسَرَهَا !

(١٧٧)

قال . قلت : له شتان ما بيننا ! أنا أهوى بشراً، وأنت تهوى صورة ! قال لي : هذا عبث . وأنت في جد .

قال حماد، وغنى عبد الله بن العباس في هذا الشعر غناء حسناً، سمعته منه . فسيبه إليه لكثرة شعره في امرأة كان مهواها .

١٠

دير الروم (١) . وهو بأرض بئداد . قال الشافعي : كان مدرك بن علي الشيباني يطرقه في الآحاد والأعياد . فينظر من فيه من المردان ، والوجه الحسن . وله فيه :

وُجُوهٌ بِدِيرِ الرُّومِ قَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي * فَاصْبَحْتُ فِي بُؤْسٍ شَدِيدٍ مِنَ الْجَلْبِ !
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مَنظَرًا مِثْلَ حُسْنِهِمْ * وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مُسْتَهَامًا بِهِمْ مِثْلِي !

١٥

وحكى عن جساس بن محمد قال : كان بدير الروم غلام من أولاد النصارى ، يقال له عمرو بن يوحنا . وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقاً . وكان مدرك بن علي مهواه . وكان من أفاضل أهل الأدب . وكان له مجلس تجتمع فيه الأحداث لاغير .

فإن حضره ذو لجة، قال له مدرك: إنه يُسُجُّ بك أن تختلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم. وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به. فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره. فقرأها فإذا فيها:

يَحَالِسُ السَّلْمَ السَّيِّئُ، يَكْتُمُ جَمْعُ جُمُوعِهَا!
إِلَّا رَزَيْتَ لَقَدْ سَلَلْتِ، غَرِقَتْ بِقِيَصِ دُمُوعِهَا!
بَيِّنِي وَبَيِّنْكَ حُرْمَةً، فَاقْهَ فِي تَضَامُّعِهَا!

فقرأ الأبيات، ووقف عليها من حضر. فاستحيا عمرو، فأقطع عن الحضور. وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه وتبعه. وقال فيه أشعارا، منها قوله:

يَأْمَنُ يُرِيدُ وَصَالَنَا وَيُرِيدُهُ « مَاقِدٌ يَحَازِرُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ!
صِلَانِي فَإِنْ سَبَقَتْ إِلَيْكَ مَقَالَةٌ » مِنْهُمْ « فَصَصَبَ مَا يُقَالُ بِرَأْسِي!

(١٩٨)

قال جساس: ثم خرج مدرك إلى الوسواس. فحضرته عائدا في جماعة من إخوانه، فقال: أليس صديقكم القديم؟ فما فيكم أحد يُسمدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فضينا إليه. وقتلناه: يا عمرو إن كان قتل هذا الرجل دينا فإن إحياءه لمروءة. قال: فافعل؟ قلنا له: قد صار إلى حالٍ مانحسبك تلحقه. قال: فنهض معنا. فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، وأخذ بيده. فقال: كيف تجدك ياسيدي؟ فنظر إليه، ثم أغشى عليه، ثم أفاق وهو يقول:

أَنَا فِي عَافِيَةٍ إِلَّا مِنْ الشَّوْقِ إِلَيْكَ.
أَيُّهَا الْعَائِدُ، مَا بِي « مِنْكَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ!
لَا تُسَدِّجْهَا وَدَّ قَلْبِي رَهِينًا فِي يَدَيْكَ!
كَيْفَ لَا يَمْلِكُ مِنْ رِيٍّ « عَى بِسَهْمِي مُقْلِيكَ؟

دير الزندورد

دير الزندورد^(١) - وهو بالجانب الشرق من بغداد. وأرض ناحيته كلها فواكه وأترج وأعاب. وعنبا من أجود ما يعتصر هناك. ولذا قال أبو نؤاس:

فسقني من كروم الزندورد صهي : ماء العنّاقيد في ظل العنّاقيد!

قال الشاشي : حكى عبد الواحد بن طرخان : قال خرجت إلى دير الزندورد في بعض أعياده منطربا ومتزها، ومعنا جمجمة في جماعة من إخواني . فنزلنا موضعا حسنا . وواقفنا هناك جماعة من طراف بغداد، لجمعهم معشوقات حسان الوجوه والنساء . فاقفنا به أياما في أطيب عيش . وقال جمجمة فيه شعرا، ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنى فيه لحنا حسنا. وهو :

سَقِيًّا وَرَقِيًّا لَدِيرِ الزَّندُورْدِ وما * يَحْيَى وَيَجْمَعُ مِنْ رَاحٍ وَرَيْحَانٍ !
 ١٠ دِيرُ تَدُورُ بِهِ الْأَفْدَاحُ مُتَرَعَّةٌ * مِنْ كَفِّ سَاقِ مَرِيضِ الطَّرْفِ وَسَنَانٍ !
 وَالْعُودُ يَتَّبِعُهُ نَائِي يَوَاقِفُهُ * وَالشَّدُو يُحَكِّهُ غُصْنٌ مِنَ الْبَابِ !
 وَالْقَوْمُ فَوْضَى تَرَى هَذَا يُقْبَلُ ذَا * وَذَلِكَ إِنْسَانُ سَوْءٍ فَوْقَ الْإِنْسَانِ !
 هَذَا وَدَجَلَةٌ لِلرَّائِينَ مُعْرَضَةٌ * وَالطَّيْرُ يَدْعُو هَدِيْلًا بَيْنَ أَغْصَانِ !
 بَرْ وَبَحْرٍ فَضَيْدُ الْبَرِّ مُقْتَرَبٌ . وَالْبَحْرُ يَسْبَحُ شَطَاهُ بِخَيْتَانِ !
 ١٥ ثم صنع لحنا وغنى فيه بشعره . منه :

خَلِيْلِي ! الصُّبْحُ ! دَنَا الصَّبَاحُ ! * فَإِنْ شَفَاءَ مَا تَجِدَانِ رَاحُ !
 قَبِيْهَةٌ قَبِيْهَةٌ جَهْوًا قَدِيْمًا * عَوَاذِلَهُمْ بَرْجِرْ فَاسْتَرَا حُوا !

(١) أنظر نفوت (ج ٢ ص ٦٦٠ و ٦٦٥ و ٩٥٢) .

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ صَدَدَتْ عَنِّي ۖ وَأَعْرَضَتِ الْمُبْتَلاَةُ الرُّدَا حُ .
وَقُلْنَ : مَضَتْ بِشْرُكَ اللَّيَالِ ! ۖ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَقَدَرْتُ السَّلَاحُ !

دير دُومَالِس ^(١) ، وهو في باب الشَّاسِيَةِ ، شرقَ دجلة . قال الشَّابُثِيُّ : وهو موقعه
في هذا الوقت في ظهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الديلمي . وهو تزه كثير البساتين
والشجر . وبقر به أجرة قصب . وهو كبير أهل . وهو من البقاع المعمورة بالقَصَفِ .
وعيده أحسن عيد . يجتمع نصارى بغداد فيه . وفيه يقول ابن حمدون النديم :
يَا دِيرُ دُومَالِسَ مَا أَحْسَنَكَ ! ۖ وَيَا غَزَالَ الدَّيْرِ مَا أَفْتَنَكَ !
إِنِّي سَكَنْتُ الدَّيْرَ فِي أَهْلِهِ . ۖ فَإِنِّي فِي وَسْطِ الْحَشَامَسَكَنِكَ !

دير سَمَالُو ^(٢) وهو بالجانب الشرقي من بغداد . على نهر المهدى . وهناك أُرْحِيَةُ لِلْأَمِيرِ
وحوله بساتين وأشجار ونخل . أهل بمن يطرقه من أهل الخلاعة . وفي عيد الفصح
لا يبقى أحد من النصاري ببغداد ، حتى يأتي إليه ، ولحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه
شعر ، منه :

وَلَرُبَّ يَوْمٍ فِي سَمَالُوتَ لِي ۖ فِيهِ النَّعِيمُ وَغُيِّبَ أَهْرَانُهُ !
حَتَّى حَبِطَ لَنَا الْبِطَاطُ سَفِينَةً ۖ وَالْبَيْتُ تَرَقُّصُ حَوْلَنَا حِيطَانُهُ !



قال خالد بن يزيد بن الكاتب : كنتُ بدير سَمَالُو . فلم أشعر إلا ورسول إبراهيم
ابن المهدي قد وافاني . فذهبت إليه . فإذا برجل أسود مشفراف قد غاص في القُرْشِ ،
فاستجلسني . فجلس . فقال : أُنشدني شيئاً من شعرك ! فأنشدته :

(١) في الأصل دومايس بواريد الهال . وفي ياقوت والشابثي : دومايس ، بإزاء بذي الواد (أنظر الأزل
في ج ٢ ص ٦٦٠ والثاني في ورقة ١) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٠ ج ٣ ص ٤١٦) ؟ والثابثي (ورقة ٤) .

- رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مَنْظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ : من البدر والشمس المضيئة بالأرض .
 عَيْبَةَ حَبَاتِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ : خُدُودٌ أُضْيِفَتْ بِمَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ .
 وَتَاوَلَسَنِي كَأَسَاكَاتٍ رُضَايَهَا : دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مُقَلَّتِي غُمُّنِي .
 وَوَلَّى ، وَفَعَلَ السُّكْرَى حَرَكَاتِهِ : من الراح فعلُ الرِّيحِ بِالْفُضْنِ الْفَضْ .
 ٥ فزحف حتى صار في ثُلَى الْمُصَلَّى . ثم قال : يَا بُنَيَّ ! شَبَّهَ النَّاسُ الْخُدُودَ بِالْوَرْدِ ،
 وَشَبَّهَتْ أَنْتَ الْوَرْدَ بِالْخُدُودِ ! زِدْنِي ! فَأَنْشِدْتَهُ :

- عَاتَبْتُ نَفْسِي فِي هَوَا * كَ . فَلَمْ أَجِدْهَا تَقْبِلُ .
 وَأَجَبْتُ دَاعِيَهَا إِلَىكَ . وَلَمْ أَجِبْ مَنْ يَمُذُّ .
 لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوُجُوهَ : هَلْ لِحُسْنٍ وَجْهَكَ تَمَثَّلُ !
 ١٠ لَا قُلْتُ : إِنَّ الْعَبْرَةَ عَنَّا نَكُ مِنْ التَّصَاوِي أَجْمَلُ !
 فزحف حتى صار خارج المصلَّى . ثم قال : زِدْنِي ! فَأَنْشِدْتَهُ :

- عَشَّ حُسْنُكَ سِرِّيَا قَاتِلِي . وَالْهَوَى إِنْ لَمْ تَصَلْنِي وَإِصْلِي
 ظَفِيرِ الْحَبِّ بِقَلْبٍ دَنِي . بَكَ وَالسُّقْمُ بِحُسْنٍ نَاحِلِ
 وَبَكَ الْعَاذِلِي مِنْ رَحْمَتِي . فَبَكَتْنِي مِنْ بَكَاءِ الْعَاذِلِ
 ١٥ فصح وقال : يَا بُنَيَّ ! كَمْ لِي مَعَكَ مِنَ الْعَيْنِ ؟ قَالَ : سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا .
 قَالَ : أَقْسَمَا بِنَفْسِي وَبَيْنِهِ .

(١٠١)

وَحِكْيَ الشَّابِثِيِّ خَالِدِ حِكَايَاتِ . وَأَنْشَدَ لَهُ شِعْرًا ، مِنْهُ قَوْلُهُ :

كَيْدُ الْمُسْتَهَامِ كَيْفَ تَذُوبُ * مَا تُقَاسِي مِنَ الْيُونِ الْقُلُوبُ ؟
 يَا مَكَانَ الْهَوَى خَلُوتَ مِنَ الصَّبْرِ . فَا لِّلْأُلُوفِ نَصِيبُ !

وقوله :

وَلَمْ أَذِرْ مَا جَعَلُ الْهَوَىٰ وَبَلَاؤُهُ * وَشَدَّتْهُ حَتَّىٰ وَجَدْتُكَ فِي قَلْبِي !
أَطَاعَكَ طَرِيقِي فِي فُؤَادِي ، فَخَازَهُ * لَطَرْتُكَ حَتَّىٰ صِرْتُ فِي قَبْضَةِ الْحَبْلِ !

دير الثعالب^(١١) - وهو في الجانب الغربي من بغداد، بباب الحديد . وهو بمكان
متنزه لا يخلو من قاصد وطارق . ولا يتخلف أحد من النصارى عن عيده . فواطنه
معموره ، وقاعه مشهوره . ولأبن دهقان فيه شعر ظريف . وهو من ولد إبراهيم بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى بأبي جعفر . وأشد له بحظّة :

أَحِينَ قَطَعْتُ لَكَ الْوَاصِلِينَ * وَجُدْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أَتَّحِلْ ،
عَدَّرْتُ وَأَظْهَرْتُ لِي جَفْوَةً * وَجُرَّتْ عَلَيَّ وَلَمْ تَعْدِلْ !
أَطْمَعُ فِي آخِرٍ مِنْ هَوَاكَ * وَلَمْ تَرَ لِي حُرْمَةَ الْأَوَّلِ !

دير مديان^(١٢) - وهو على نهر كرخايا ببغداد . وكرخايا نهر يسق من الحوّل الكبير
ويمر على العباسية ، ويسق الكرخ ، ويصب في دجلة .

وكان قديماً عامراً يصب الماء فيه ، ثم نصب بالثبوق^(١٣) .

قال الشائبتي : وهذا الدير حسن عامر حوله البساتين . ويقصد للتنزه . ولأبن

الضحاك فيه شعر . منه :

(١) أَنْظِرْ ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٠) : والشائبتي (ورقة ٨) .

(٢) أَنْظِرْ ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٥) : والشائبتي (ورقة ١٢) .

(٣) في الأصل : "ثم يصب بالسوق" . وقد صححت بمجموعة ياقوت فأنه يقول : وكان الماء فيه جارياً
ثم أقطعت جريته بالثبوق التي أعنت في القررات .

(٢١١)

دير أشموني

يادير مديان لا عريت من سكي * ما هجت من سقم ! يادير مديانا !
 هل عند قسك من علم فيخبرني ؟ * أم كيف يسعد وجه الصبر من خانا ؟
 سقيا ورعا لكخابا وساكنها * بين الجنة والروحاء من كانا !
 دير أشموني - وأشموني امرأة جى الدير باسمها ودفت فيه ، وهو بقطر بل .

- قال بحظلة : خرجت في عيد أشموني فلما وصلت الشط ، مدت عني لأنظر موضعا
 خاليا أصعد إليه ، أو رجلا أنزل عليه . فرأيت قيتين من أحسن من رأيت . قدمت
 شميرتي نحوهما ، وقلت : تأذنون لي في الصعود إليكما ؟ فقالتا : بالرحب والسعة !
 فصعدت ، وقلت : يا غلام ! طنبوري ونيدي . فقالتا : أما الطنبور فتم ، وأما النيدي
 فلا . فجلست مع أحسن الناس خلقا وأخلاقا وعشرة . فأخذت الطنبور وغنيت
 بشميري :

١٠

سقيا لأشموني ولذاتها . والعيش فيها بين جئاتها !
 إذ أصطباحي في بسايتها ، وإذ تحبوقي في دياراتها !
 فشرينا بالأرطال ، وطالب لنا الوقت إلى آخر النهار .

- قال محمد بن المؤقل : كنت مع أبي المناهية في شميرته ، ونحن سائرون إلى أشموني .
 فسمع غناء من بعض تلك النواحي ، فاستحسنه وطرب له ، وقال لي : أحسن أن
 ترقص ؟ فقلت : نعم . فقال : فقم بنا رقص . فقلت : في شميرة ؟ أخاف أن نفرق .
 فقال : إن عرفنا ، أليس نكون شهداء الطرب ؟

١٥

دير سابر - وهو في الجانب الغربي من دجلة ، بين المزرفة والصالحية .

دير سابر

(١) أنظر باقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) ، والشابتي (دقة ١٨) .

(٢) أنظر باقوت (ج ٢ ص ٦٦٦) ، والشابتي (دقة ٢١) .

٢٠

في بقعة كثيرة البساتين والكروم والتار والحانات والتجارين، معمورة بأهل الطرب .
والدير حسن عمار، ولأبن الضحاك فيه :

وعَوَاتِقِي بَاشَرْتُ بَيْنَ حَدَائِقِي * فَهَضَبْتُهُنَّ وَقَدْ غَيَّرَ صَحَابِي .
أَتَبَعْتُ وَتَرَةً تِلْكَ وَتَرَةً هَذِهِ * حَتَّى شَرِبْتُ دِمَاعَهُنَّ جِرَاحِي .
أَبْرَزْتُهُنَّ مِنَ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * وَتَرَكْتُ صَوْنَ حَرِيمِي مَبَاحِي .
فِي دَيْرِ سَابِرٍ وَالصَّبَاحُ يَلُوحُ لِي * بِجَمْعَتُ بَدْرًا وَالصَّبَاحُ وَرَاحِي .
وَمَنْعَمٌ فَازَعْتُ فَضْلَ وَشَاحِهِ * وَكَسَوْتُهُ مِنْ سَاعِدِي وَشَاحِي .
فَاذْهَبْ بِطَنِّكَ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّهُ * مِمَّا أَقْتَرْتُ لَذَانَةً وَجَاحِي .

(٢٢٢)

وأورد الشاشي في الحسين بن الضحاك أخباراً طرافاً، وأنشد له أشعاراً لطافاً .

١٠ منها :

أَمَا نَاجَاكَ بِالْوَرِّ الْقَصِيحِ * وَأَنْ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبِ الْجَرِيحِ ؟
فَلَيْتَكَ حِينَ تَهْجُرُهُ ضِرَارًا * مَنَنْتَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ الْمَرِيحِ !
بُحْسُكَ كَانَ أَوَّلَ حُسْنِ ظَنِّي * أَمَا إِنِّي نَاجَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ ؟
أَلَا يَأْمُرُوهُ لَكَ بِنْتُ كَرَمٍ * هَلُمَّ لِي صَفِيَّةَ كُلِّ رُوحِ !
فَقَامَ عَلَيَّ تَحَاذُلُ مُقْلَبِهِ * وَسَلَّهَا كَأَوْدَاجِ الذَّبِيحِ .
وَأَتَيْتُ سَكْرَةً سَلَفْتُ بِأُخْرَى * وَخَلَّتِ الصَّخْرُ لِلْحَرِّ الشَّحِيحِ .

١٥

وحكى عنه قال : كنا عند المتوكل في يوم نوروز، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل
من عنبر . وكان شفيع الخادم واقفاً عليه قباء موزد، ورداء موزد، وهو فيهما

من أحسن الناس وجها. بفعل المتوكل يدفع إلى شفيح قطعة قطعة من ذلك الصبر، ويقول: ادفعها إلى حسين، وأغمر يده. فيفعل ذلك. ثم كان آخر ما دفع إلى وردة حمراء، حيان بها. فقلت:

وكالوردة الحمراء حيا بأحمر * من الورد، يسعى في غلائل كالورد!
له عشت عند كل تحية * بكفيه تستدعي الخلى إلى الوجد!
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة * تذكّرني ما قد نسي من المهد!
سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد!
فامرّه المتوكل أن يسقيه، وقال: قد أعطيتك أمتيتك.

دير قوطا^(١) - وهو بالبردان، على شاطئ دجلة.

دير قوطا

- قال الشافعي: وبينه وبين بغداد سائين متصلة، ومتزهات متظمة. كل ذلك شجر وكروم كثيرة الطواق. قال: وهذا الدير يجمع أموالا كثيرة: من عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه. ولعبد الله بن العباس الربيعي فيه:
- يدير قوطا، لقد هيّجت لي طربا * أزاح عن قلبي الأحران والكربا!
بشادن ما رأيت عني له شبا * في الناس، لا يحجما منهم ولا عرابا.
والله، لو سامني نفسي سمحت بها * وما يخلت عليه بالذي طلبا!
وأشد الشافعي له فيه قوله:

يا حبذا يوعي بالدالية! * نشرها قفصية صافية
مع كل قرم متلف ماله * لم تبقى في الدنيا له باقية
نغذ من الدنيا ولذاتها * فأنما نحن بها عارية!

(١)

دير جرجس - وهو بالزرقاء : أحد الأماكن المشهودة ، والمواضع المقصودة .
ويخرج إليه من يتزه من أهل بغداد في السُمريات ، لقربه وطيبه . وهو على شاطئ
دجلة ، والبساتين محذقة به ، والحانات مجاورة له ، وبه كل ما يحتاج إليه .
وأشد الشائتي فيه لأبي جفنة القرشي :

رَزَمَ الصَّيْفُ بَدْعَ مُجْمَتِهِ * وَأَنْصَرَفَ الْبَرْدُ فِي أَرْقَمَتِهِ !
وَمِثْلُ لَوْنِ التَّجِيعِ صَافِيَةً * تَلْهَبُ بِالْمَاءِ فَوْقَ هِمَّتِهِ !
وَمَنْ وَفَى وَعْدَهُ بَزُورِيهِ * وَبِثَّ ، أَوْفَى لَهُ بِذِمَّتِيهِ .
في دير مَرَجْرَجِسٍ وَقَدْ نَفَعَ الشَّجَرُ عَلَيْنَا أَرْوَاحَ زَهْرَتِهِ .

وأشد له فيه :

وَقَرَعْتُ صَافِيَةً بِمَاءِ مَحَابِيَةٍ * فَتَجَنَّ حِينَ قَرَعْتُهُنَّ سُرُورًا !
وَشَرِبْتُ ثُمَّ سَقَيْتُهُ فَكَأَنِّي * سَبَّحْتُ فَوْقَ لَمَاسِهِ كَافُورًا !
وَقَتِّي يُدِيرُ عَلَيْكَ فِي طَرَبَاتِهِ * تَهْمًا تُولَدُ فِي الْعِطَامِ تُوُورًا .
مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا وَأُسْقِي صَاحِبِي * حَتَّى رَأَيْتُ لِسَانَهُ مَكْشُورًا .
قال : وكتب منه الخميري إلى ابن المعتز في آخر شعبان .

يَا أَبَا التَّبَّاسِ ، قَدْ شَمَّرَ شَبَابُكَ إِزَارَةً !
وَمَعْنَى يَسْمَى ' هَا يَلْتَحِقُ إِنْسَانٌ غُبَارَةً .
فَاعْتَدِ فَتَرْبُ صَفْوَةَ النَّفْسِ وَتَسْلُبُهُ وَقَارَةً !

فلم يرد عليه جواباً ، ولا أفهمه فيه خطاباً .

(١) سماه ياقوت دبر مر جرجس ، وأظهره في ج ٢ ص ٦٩٧ . وهو غير المعروف باسم "مر جرجس" .

دير الخوات^(١) - وهو بُعْكَرًا . وهو دير كبير عامر . وأكثر سكانه نساءً متهيبات .
وعيده الأحد الأول من الصوم .

قال الشافعي : ونسبُ ليلةَ الماشوش ، وهي ليلةٌ يختلط فيها الرجال بالنساء .
فلا يرَدُّ أحدهُ عن شئ . وأنشد فيه بحضرة :

وحانة بالعلث وسط السوق • نزلتها وصاربي رفيق
على غلام من بني الحليق • بجاء بالحمام والإيريق
أما رأيت قطع العقيق !

دير باشهرا^(٢) - وهو على شاطئ دجلة . نزه كثير البساتين ، على طريق سمر من رأى .
مثلة المصيد والمنحدر . وفيه يقول أبو العيلاء :

ترقنا ديرَ باشهرا • على قسيه ظهرا .
فسقانا وروانا • من الصافية العذرا .
فقابلنا به الشمس • وقبلنا به البدرا .
وأحييت لذة الكليس • ولكن قتلت سكرًا !

دير مرمار^(٣) - وهو بُسر من رأى . عند قنطرة وصيف . حوله كروم وشجر .
وأنشد فيه الفضل بن العباس بن المأمون :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٨) • والشافعي (ورقة ٣٧) .

(٢) وقد يكتبه : أشهرا . وأنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٥) • والشافعي (ورقة ٣٢) .

(٣) سماه ياقوت : مرمارى . وأنظره (ج ٢ ص ٧٠٠) .

أَنْضَيْتُ فِي سُرْمَنْ رَا خَيْلَ لَدَائِي : وَتَلْتُ فِيهَا هَوَى نَفْسِي وَحَاجَاتِي !
عَمُرْتُ فِيهَا بِقَاعَ اللَّهِو مِنْغَمَسَا : فِي الْقَصْفِ مَا يَنْ أَنْهَارٍ وَجَنَاتِ !
بَدِيرَ مَرْمَارٍ إِذْ تُجِي الْعُصْبُوحُ بِهِ : وَتُجَمَلُ الْكَاسُ فِيهِ بِالْعَشِيَّاتِ .
فَكُنْ بِهِ مِنْ غَزَالٍ شَادِنٍ لَيْقٍ : يَصِيدُنَا بِاللَّحَاطِ الْبَائِلِيَّاتِ !

- ٥ وحكى الشافعي أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد . قال : فاقطعنا عن الموكب ، أنا وهو ويونس بن بشار . فشكا المعتز العطش ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن في هذا الدير راهبا أعرفه ، وله مروءة حسنة . وفيه آلات جميلة . فهل لنا أن نعدل إليه ؟ فقال : أفعَل ! فصرنا إليه ، فرحب بنا وتلقانا بأجل مَلَقٍ . وجاءنا بماء فشربنا . وعرض علينا النزول عنده ، وقال : أمانتُهم عندي ؟ فقال المعتز : إنزل بنا إليه . فزلنا عنده . فسألني الدراني عن المعتز ويونس . فقلت : قَتَيَانِ مِنْ أَبْنَاءِ الْجُنْدِ . فقال : بل مُقَلَّتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ الْحُورِ . فقلتُ له : ليس هذا من دينك واعتقادك . فقال : هو الآن في ديني . فضحك المعتز . ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات . وكان من أنظف طعام في أنظف آتية . فاكلنا منه وغسلنا أيدينا . فقال لي المعتز : قل له بينك وبينه من تحب أن يكون مملوك من هذين ولا يفارقك . فقلت له . فقال : كلاهما .
- ١٥ فضحك المعتز حتى مال من الضحك . ولحقنا الموكب ، فارتاع ، فقال له المعتز : يجازي عليك لا تتقطع عما كُلفَ ، فإنني لمن مَمْلُوكٌ ولئن هُنا صديقٌ ! فرحنا ساعة . ثم أمر له المعتز بخمسين ألف درهم . فقال : لا والله ، لا قبلتها إلا على شرط ! قال : ماهو ؟ قال : يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أراد . قال : ذلك إليك . فأتينا يوم جنازة . فلم يبق غاية ، وقلم بالموكب كله . وجاء بأولاد النصارى ، فقدموا أحسن خدمة . وسر المعتز سرورا ما رأيتُه سُرَّ مثله قط ، ووصله ذلك اليوم بحال كثير .

دير مرجيس - وهو بطيربازد^(٢) بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق . وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكان بهذا أحد البقاع المعمورة، ووزَّه الدنيا التي تبتج بها القلوب المسرورة .

قال الشاشي: وقد عفت الآن آثارها، وهُدمت دياراتها .

قلت: وبلغني أن ديارها تحرت، ولم يبق من رسومها إلا قباب تحراب، وجرنٌ على قارعة الطريق في القفر البَّساب .

قال الشاشي: ويسميه الناس مِصرة أبي نُوَّاس . وله فيه :

قالوا: نَسَكْ بعد الحج! قلت لم: أرجو الإله وأخشي طيربازداً .

أخشي قُصيب كرم أب ينارعي فضل الخطام، إذا أسرعتُ إغذاذاً .

فإن ساءت - وما قلبي على هفوة - من السلامة - لم أسأل ببغدادنا .

ما أبعد الرشد من قلب تضمنته قطربل فُقرى بنا فكلوذاً .

(١) سماه الشاشي: دير مرجس (وأظهره في ورقة ١٠٢) . وأما ياقوت فما دير مرجس وبُكس وقال إنهما رسلان (وأظهره في ج ٢ ص ٦٦٧ ج ٤ ص ٨٨٤) .

(٢) إسم مدينة مشهورة سباق ذكرها وهبش الشرح عليها - (وأظهر في محلة "نفة العرب" التي يصدرها اليوم في بغداد الماضلات الأب أنستاس الكرمل وكاظم المحيل فقد تضمنت السنة الثانية منها شرحاً وأغيا على مؤسس هذه المدينة وأخباره وتاريخ وقتهما وسقوطها) .

(٣) ياقوت: وأس .

(٤) نسي .

(٥) في الأصل: بئ . وأعتمدت ما أورده ياقوت (أظهر ج ٣ ص ٥٧٠ ج ١ ص ٧٣٨) وهي

قرية على شاطئ دجلة من نواحي بغداد بينهما نحو فرسخين وهي تحت كلواذي .

(٦) الأثير بكاتب هذه الكلمة بيا، في آخرها . ولكنهم يكتبونها بالألف المقصورة أيضاً . وهي طوبج قرب بغداد . وهي الآن خراب (وأظهر ياقوت في ج ٤ ص ٣٠١ وفي المواضع الأخرى التي أشار إليها مبرسه) .

وفيه يقول الحسين بن الضحالك :

أَخَوِيَّ هُبَاً لِلصُّبُوحِ صَبَاحًا ! هُبَاً وَلَا تَمَدًا النَّدِيمَ رَوَاحًا !
 هل تَعْدِرَانِ بِدِيرِ سَرَجَسٍ صَاحِبًا ؟ بِالصُّحُورِ أَوْ تَرَيَانِ ذَلِكَ جُنَاحًا ؟
 إِنِّي أُعِيدُكُمْ بِالْقَةِ بَيْنَنَا ؟ أَنْ تَشْرَبَا بِقُرَى الْفُرَاتِ قَرَا حَا !
 يَا رَبِّ مَلْتَسِ الْخَفُونَ بِنُومَةٍ ؟ تَبَهُّتُهُ بِالرَّاحِ حِينَ أَرَا حَا !
 فَكَأَنَّ رِيَا الْكَاسِ حِينَ تَدْبُهُ . لِلكَاسِ أَنْهَضَ فِي حَشَاهُ جَبَا حَا .
 فَأَجَابَ يَمُتْرُ فِي قُضُولِ رِدَائِهِ : تَجَلَّاتٍ يَحْلُطُ بِالْمَتَارِ مَزَا حَا .
 فَهَتَكَتُ سَمَرًا مَجْمُوعَهُ بَتَيْكِي : فِي كُلِّ مُلْهِيَةٍ وَبَحْتُ وَبَا حَا .

(٢٨٨)

ديارات الأساقف

ديارات الأساقف^(١) -

١٠ قال الشافعي : هذه الديارات بالنجف ، ظاهر الكوفة ، في أوّل الحيرة . وهي
 قباب وقصور . تسمى ديارات الأساقف ، بحضرتها نهر يعرف بالسدِير ، عن يمينه
 قصر أبي الخَصِيب ، وعن شماله السِّدِير . والديارات بين ذلك .

قال : وقصر أبي الخَصِيب هذا ، من أحسن متزهات الدنيا ، مشرفٌ على النجف
 والظاهر كله . يصعد من خمسين مَرَقَاةً إلى سطحٍ حسنٍ ، ومجلسٌ مُشْرِفٌ . ثمَّ يُصْعَدُ
 من خمسين مَرَقَاةً أُخْرَى إلى سطحٍ أَقْبَحَ ومجلسٌ عَجِيبُ الصَّنْعَةِ . وهو منسوب
 إلى أبي الخَصِيب ، مولَى أبي جعفر المنصور .

وأُنشِدَ في هذه الديارات لعلّ بن محمد بن جعفر العلوي قوله :

كَمْ وَقَفَةٍ لَكَ بِخَلُورٍ . نَحْيَ لَا تُوَازِي بِالْمَوَاقِفِ .

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٤٩٤ و ٤٩٥) والشافعي (درة ١٠٣) .

بينَ القَدِيرِ إلى السَّيِّدِ * يرَى إلى دِيَارَاتِ الأسَافِ .
 قَدَارِجُ الرِّهَابِ في * أطمار خَائِفَةٍ وخَائِفِ .
 دِمْنٌ كَأَنَّ رِيَاضَهَا * يُكَيِّنُ أَعْلَامَ المَطَارِفِ .
 وكَأَنَّمَا عُذْرَانِهَا * فيها عُشُورٌ في مَصَاحِفِ .
 وكَأَنَّمَا أُنُورُهَا * تَهْتَرُ بِالرَّيْحِ العَوَاصِفِ .
 طُورُ الوَصَافِ يَلْقِيَنَّ بِهَا إلى طُورِ الوَصَافِ .
 تَلْقَى أَوَايِلَهَا أَوَا * نِزْهَا بِالْوَاتِ الزُّخَارِفِ .
 بِحَرِيَّةٍ شَتَوَانِهَا * بَرِيَّةٍ فِيهَا المَصَافِ .



دير زُرَّارَة - وهو بين الكوفة وحمام أعين ، على عَينِ الحَاجِّ من بغداد . نَزْه ،
 كثير الحانات والشراب ، لا يخلو عن يطلب الآهو واللعب ، ويؤثر البطالة والقصص .
 قال الشَّابُثِيُّ : خرج يحيى بن زياد ومطيع بن إياس حاجين . فلما قريا من زُرَّارَة ،
 قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن تقدم أُنْقَالِنَا ، ونَمَضَى إلى زُرَّارَة ، ونشرب
 في دبرها ليلتنا ، ونترود من نحرها ، ونستوفي من مردها ما يكفينا إلى العودة ، ثم نلحق
 بأُنْقَالِنَا ؟ فعلا . وسار الناس ، وأقاما ، ولم يزل ذلك دأبهما ، إلى أن عاد الحاج .
 فلحقا رؤوسهما ، وربكا بعيرين ، ودخلا مع الحَاجِّ ، على أنهما قد سجيا . وقال مُطِيع :

ألم تَرَنِي وَيَحْيَى إِذْ حَمِجْنَا * وكان الحُجَّ من خَيْرِ التجارِ ؟
 نَحْرُجْنَا طَالِبِي خَيْرٍ وَدِينِ * قال بنا الطَّرِيقُ إلى زُرَّارَةِ !
 فَأَبَ الناسَ قَدْ غَنِمُوا وَحَمَّجُوا * وَأَبْنَا مُوقَرِّينَ من انْحِسَارِهِ !

عُمَرُ مَرْتُومَان - وهو بالأنبار ، على الفرات ، وهو عُمَرُ كَبِير ، كثير القلاليات

عمر مرتومان

والرهبان . عليه سور محكم البنيان ، كالحصن العظيم . والجامع ملاصقه . وله ظاهر حسن ، ولا سبى في أيام الربيع . لأن صحاريه وسائر أرضه تكون كالخلل : لكثرة نواره ، وطرائف أزهاره . ونزله كل من اجتاز به من الخلفاء . وفيه يقول كُشَّاحٌ :

أَعْدُ يَا صَاحِبِي إِلَى الْأَنْبَارِ • نَشْرَبُ الرِّاحَ فِي شَبَابِ النَّهَارِ !
وَأَعْمُرُ الْعُمْرَ بِاللَّذَاذَةِ وَالْقَصْفِ وَحَثِّ الْكُؤُوسِ وَالْأَوْتَارِ !
فَاغْتَنِمِ غَفْلَةَ الزَّمَانِ وَيَادِرْ • وَأَقْتَرِضْ لَذَّةَ اللَّيَالِي الْقِصَارِ !
لَا تَضْرِبْ فَإِنَّهَا خَاسَ الْعَيْشِ وَيَادِرْ • بَوَادِرِ الْمِقْدَارِ !
وَأُنْشِدُ الشَّابِثِيَّ لَهُ فِيهِ يَصِفُ عَوْدًا فِي يَدِ مُحْسِنَةٍ :

جَاءَتْ بِعُودٍ كَأَنَّ نَفْسَهُ : صَوْتُ نَفْسٍ تَشْكُو فِرَاقَ نَفْسٍ !
دَارَتْ مَلَايِيهِ فِيهِ وَاخْتَلَفَتْ • مِثْلَ اخْتِلَافِ الْكُفَّينِ شُبَّكَانِ .
يَا حُسْنَ صَوْتَيْهِمَا • كَأَنَّهُمَا • أَخْتَانِ فِي صَنِيعَةٍ تَرَأْسَانِ !
وَهُوَ عَلَى ذَا يَنْوُبُ إِنْ سَكَتَتْ • عَنْهَا • وَعَنْهُ تَنْوُبُ إِنْ سَكَتَا !

دير الأبلق - وهو بالأهواز ، وحكي المدايني ، قال : إنه أصطبغ في دير الأبلق في جماعة من أصحابه ، فلما سكر قال :

يَوْمِي بِدَيْرِ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ • مَا أَنْتَ إِلَّا جَنَّةُ الْخَلْدِ !
به وأمشال له لم يزل • يَمْجُوزُ الْعَيْسَ أَيْ الْهِنْدِي .

عمر إتراعيل . والشاهد فيه ، مار ميخائيل .

قال ابن المستوفى : بينه وبين كفر عزي أقل من ميل . وهو عمار كبير وفيه رهبان كثيرة ، وله نهر يجري على يابه وكرم ومجهر في شربه ، ورحى عامرة تطنن فوق الكرم .

وبازائه تل دير زارج، إذا صعد الزائر أيام الربيع أشرف على سائر بلدة حرة . وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأعشاب والشقائق وصنوف النور والزهر (١)
يسر الناظرين ويقصر وصف الواصفين . وفي قلالي رهبانه جنينات حسان فيها آس مصر وشجر حريم وغير ذلك .

- قال : وحدثنى محمد بن حمد الأصم ، قال : كنت بكفر عزي . فنزحت مع جماعة فيهم خير نلتس موضعا نزا نجلس فيه ونقصف . فاجمع رأينا على قصد دير إزاعيل - وهو من كفر عزي على ميل - في أيام الربيع ، فرأينا في نهاية الحسن بما حوله وفيه ، وهو مشرف على بلد حرة كله ، فغزلناه وقصفتا فيه أياما متتابعة ، وقلت فيه هذه الأبيات :

- ١٠ عَمَرْنَا عُمَرَ إِرَاعِيْلَ بِالنَّصْفِ بِاللَّيْلِ !
فَبَتَيْنَ ذِي شَرَفٍ . وَقَدَّرَ ذِي لُبٍّ .
بَقُوا فِي كَفَرِ عَزَى تُزْهَى تَبْعَثُ لِلشَّرْبِ !
فَوَافُوا جَنَّةً مِنْ عُمَرَ إِرَاعِيْلَ عَنْ قُرْبٍ .
وَقَدْ حُفَّ بِكَرَمٍ وَبِأَشْجَارٍ لَهُ غُلْبٍ .
وَأَنَارٍ بِحَاصِي جَرْيٍ مِلْهَا مَسْلُوكُ الْقَضْبِ .
١٥ وَرَوْضٍ رَاضٍ الْمَزْنُ فَاحْضِي وَهُوَ كَالْمَضْبِ .
رَأَوْهُ كَمَرُوسٍ جُنَيْلِيَّتٍ فِي حَالٍ قُشِبِ !
لَحَلُّوا مِنْهُ فِي مَتَرٍ لِي لَهْوٍ مُوَقِّي رَحِبٍ .
وَدَارَتْ نَجْبُ الْأَبْطَا * لِي لَحْتٌ بِحُلَى الشَّرْبِ .

على أوجه أعمار * على قضيب على كُتُب.

فما ظنك بالعطشا * إن عند المكرع المنب؟

قال فانصرفنا بعد أيام، وكلنا يود أن لا يزول منه: لطيبه وحسنه.

قال ابن المستوفى: وليس بهذا الدير الآن شجر ولا ماء على بابه، وفيه بركة حسنة وقناة قديمة ورحاه باقية، والماء الذي يدير... (١) بعيد عن الدير، وفي كل عيد من أعياد النصارى، يقام به سوق وتخرج إليه جماعة من إربل، ويؤزروه خلق من النواحي يكرنون فيه مدة يومين أو أكثر وينصرفون عنه.

دير باقوقا - ذكره ابن المستوفى في تاريخ إربل، قال: وهو إلى الآن باق، وفيه رهبان كثيرة. ذكر الشمشاطى أنه وراء الزابى وله مزرعة إلى جانب دارى وفيها بساتين وفيها تين أسود كبير. وبينه وبين الموصل سبعة فراسخ. وهو دير كبير، وكان أنشدني فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب:

نزلت بدير باقوقا وفيه: من الرهبان لى خند مقيم.

فالحقنى بصهاية شمول - ففوح بعنبر منها النسيم.

ونادمنى برهبان ملاج - وفيهم شائد حسن رخم.

وسرنا عنه والأهواء فيه - وهل شئ من الدنيا يدوم؟

دير سعيد (٢) - وهو بالجانب الغربى من الموصل. مطّل على دجلة، حسن البناء. حوله قلال كثيرة، حسنة العارة، ظاهرة النضارة. في كل قلاية منها جنيئات لرهبانه.

(١) هنا كلمة ناقصة في الأصل مما سطر عليه المخطوط. ولعلها: الرخى.

(٢) أنظر القزوينى (ص ٢٤٨)؛ وديانوت (ج ٢ ص ٦٦٩).

فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر . كثير الترحس . وهو يقارب تل باذع . وتراه في الربيع كالوثني الملمع ، والحلى المرصع . وهو منسوب إلى سعيد بن عبد الملك ابن مروان . أصح ما قيل في نسبه إليه أنه ربما كان يتعهده أيام إمارته بالموصل .

ويقال إن لربابه أثرا في دفع أذى المقارب ، وإن مائه إذا رُش في دار ، قلت المقارب بها .

وحكى أن رهبانه ألزموا في وقت مجيئه ، فقاموا بثلاثمائة ألف درهم . ولما لادى فيه شعر . منه :

أَلَا فَاسْتَرْزِقِ الرَّحْمَنَ خِيَا وَسِرْ بِالْكَاسِ نَحْوَ الْكُسْبِيَا !
فَأَيَّامُ الْمُحُومِ مَقْصَصَاتٌ ، وَأَيَّامُ السُّرُورِ تَطْلِيرُ طَيَا !
وله فيه :

سَعِدَتْ فَضِيحِي بِدِرِّ سَعِيدٍ * يَوْمَ عَمِيدٍ فِي حُسْنِهِ أَلْفَ عَمِيدٍ !
كَمْ قَتَاةٍ مِثْلَ الْمَهَاةِ ، سَلَبْنَا * مَا صَالِيًا مِنْ بَيْنِ تَحْمِيرٍ وَجِيدٍ !
وَعَرِيرٍ مِثْلَ الْقَزَالِ حَلَلْنَا * عَقْدَ زُنَّارٍ خَصِرِهِ الْمَعْقُودِ !
وَحَطَطْنَا رِحَانَتَنَا فِتْنَاءَ الشَّهِكْلِ الْمُتَوَقِّعِ الْبَدِيعِ الْمَشِيدِ .
وَالْأَرْوَاحُ مَشْهُرَاتٌ كَحُلْمَا * نِ لَنَا فِي مُحَبَّرَاتِ الْبُرُودِ .
نَفْسُودٌ مِثْلَ الشَّقَائِقِ فِي أَلْوٍ * نِ تَلْبَا شَقَائِقُ كَانُودِ .
وَإِذَا مَا الْمَزَارُ غَرَّدَ فِي الْفُضَيْنِ ، حَكَمَتْهُ الْأَوْتَارُ فِي التَّفْرِيدِ .
مَنْ رَأَا - وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ صَرَعَى - * قَالَ : قَوْمٌ مَوْتَى بِغَيْرِ حُسُودِ !

وله فيه :

فامر بالنفيس في هوى قَرِي * ونال وصل البُذور باليدِ.
وأقتض أبكار لميوه طربا * بين عشايا المدام والبكر.
من لم يدري ربي الحقائق من * دَيْر سَمِيد، رحاه لم تدري.
مَسْرَّة كَلْها بلا حَشَف * ولَذَّة صَفْوها بلا كَدَر.
قد ضربت خيمة التَّام لنا * ورُش خيش النسيم بالمَطَر.
وعندنا عاقبان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر.
ياتاركا طيب يومه لِنَد * يبيع عَيْن السُّرور بالأكْر؟

وقوله :

قد طَفَح القلبُ بالهُمومِ فإن * طُفَت بكأس، فهايَا تَطَفَح !
في جُنح ليل ترى كواكبُه * وهي إلى القرب، كلها جُنَح.
زالك تَنسَى سُرور يومك في * دَيْر سَمِيد وظلَّه الأقيح !
على بساط من البَشَج قد أُلشِق من الورد فوقه مطرَح !
وكأس راج يديرها قَسْر * لحاظه في قُلوبنا تجرَح !
قد كان فيما مضى يُعرَض بالوضيل، ولكن أراه قد صرَح !

وقوله :

فكَمْ مِنْ رَوْحَةٍ وَالشَّمْسُ لَمْ تَقْدُ لتَطِيل،
إلى دَيْر سَمِيد أو * إلى دَيْر عَمَّاسِيل !

بِسَاقٍ كَهَيَاةٍ مُنْزِلٍ أَدْمَاءَ عَطُوبٍ!
تَرَى فِي وَجْهِهِ وَجْهَ شَكِّ لِرَقَّةٍ مِنْ مِيلٍ!
فَأَجْرَاهَا كَحَلْقَالٍ ۖ مِنَ الْيَاقُوتِ مَقْتُولٍ.
شَرَّبْنَاهَا عَلَى أَوْجَنِهِ حَوْرٍ كَالْمَنَائِلِ.
إِذَا شِئْنَ تَمَنَّقْنَ ۖ بَجَيْعَا بِالْخَلَاخِيلِ.

قال الخالدي : وأشدنى السرى الرقاء لنفسه فيه :

وَقَلَّابِيُ الدِيرِ الَّذِي لَوَّلَا النَّوَى لَمْ أَرْمَهَا بِقَلِيٍّ وَلَا بِعُفُوقٍ.
مَجْمَرَةُ الْحِطْلَانِ يَتَفَحَّ طَيْبُهَا ۖ فَكَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ بِعَلُوقٍ!
فَتَى أَزُورُ بَنَاتِ مُشْرِفَةِ الذُّرَى ۖ فَارُودَ بَيْنِ النَّسْرِ وَالْعَمُوقِ ۖ
وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي عَوَارِبِ أَكْثَمِهَا ۖ مِثْلَ الْهَوَادِجِ فِي عَوَارِبِ نُوقٍ ۖ
خُمْرٌ نُلُوحٍ خِلَافَهَا يَبْضُ كَمَا ۖ فَصَلَّتْ بِالْكَافُورِ تَمَطَّ عَفِيقٍ.

وحكى ابن المستوفى في تاريخ إربل، في ترجمة أبي حفص عمر بن محمد بن الشحنة الموصلي النحوي، أنه نقل من مجموع بخطه، قال: كنت في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل، يعرف بدير سعيد، وكان فيه راهب من النبل، كنت آوي إليه إذا جئت الدير، فاتفق في ذلك اليوم أني خرجت من قلايته إلى إستان الدير ومعي جماعة من الكُتَّاب، كنت آتس بهم، ونحن على لذتنا، وإذا قد أأنا رجلٌ، بجلوس وأندفع يغني، ويقول هذا الصوت في الموضع العلافى، ليرينا أنه يعرف صنعة الفناء. فأبرمى وأبرم الجماعة، وأستثقلناه. فسألني بعض الجماعة أن أقول فيه على طريق العبث شيئا. فعملت في الحال: ..

ثَقِيلٌ يُصَمُّ السَّمْعَ مِنْ قُبْحِ صَوْتِهِ ، وَتَعْمَى لَهُ أَبْصَارُنَا وَالْبَصَائِرُ !
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْبَيْسِطَةِ لَمْ تَزَلْ * مُرْزَلَةٌ بَطْنَانُهَا وَالظُّلُومُ !
تَفْتِي قَفْلًا : هَاتِفَ الْبَيْنِ قَدْ دَعَا ، بِفُرْقَتِنَا أَوْ رَيْبِ دَهْرِ مَبَادِرُ !
فِيَالَيْتَ أَنْ اللَّهُ لَمْ يَكْ خَالِقٌ ، ، وَيَالَيْتَهُ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَارُ !

٥. الدَّيرُ الْأَعْلَى - وهو بالموصل ، في أعلى جبل ، يُطَلَّ عَلَى دِجْلَةٍ . يضرب المثل به
في رقة الهواء ، وحسن المُسْتَشْرِفِ تحته . والجُزْأُ تَتَفَرَّقُ حُلُجَانُهَا وَغُدْرَانُهَا بِإِزَامِهِ . ولم
تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء ، والنظر إلى الماء . ويقال إنه ليس للنصارى دير
مثله . وظهر عنده معادن الكبريت والمرقشيتا والقلفطار وأشياء من هذه الأنواع .
ثم صامت النصارى حتى أُطِلَّتْ ، خَوْفًا مِنْ تَثْقِيلِ السُّلْطَانِ .

(٢١٢)

١٠. قال جعفر بن محمد الفقيه : أَجْتَازَ بَنَاءُ بَعْضِ السَّيْنِ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ ،
فَنَزَلَ عَلَيْهِ ، وَنَجَرَتْ فِي عَدِ يَوْمِ زَوَلِهِ إِلَيْهِ . فجعل يصف من طيب الهواء فيه
وطيب قراءة رهبانه أمرا عظيما . ثم أنشدني نفسه فيه شعرا :
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ .

ومما قال الخالدي فيه :

١٥. وَأَسْتَشْرِفْتُ نَهْيِي إِلَى مُسْتَشْرِفٍ ، لِلدَّيْرِ ، تَاهَ بِحُجْنِهِ وَبِطَبِيبِهِ .
مُتَفَرِّقٌ آذَى دِجْلَةٍ تَحْتَهُ ، بِبَنَادِيرِهِ وَخَلِيجِهِ وَقَلْبِيبِهِ .

(١) بطن يُجَمُّ عَلَى أَجْلُنٍ وَبَطْنُونٍ وَبَطْنَانٍ .

(٢) أَنْظِرْ أَيْضًا ابْنَ الْآثِيَةِ (ج ٧ ص ١٣٩ و ١٨٦ و ٣٠١ ، ج ٨ ص ٤١٠ و ٤٦٤ و ٤٧٦ و

٤٧٧ ، ج ٩ ص ٤٦) ؛ وَخُصُوصًا بِأَقْوَتِ (ج ٢ ص ٦٤٤) ؛ وَالتَّابِشَتِيَّ (ورقة ٧٥) .

فَنَمِيتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ وَغِيَاضِهِ * وَسَكَّرْتُ بَيْنَ شُرُوفِهِ وَغُرُوبِهِ .
 غَنَى الْجَمَالَ بِهِ فَزَادَ الثَّقَرُ مِنْ * تَغْضِيضِهِ، وَالتَّحَدُّ مِنْ تَذْيِيهِ .
 وَأَهْتَرَّ غَضَنُ الْبَانِ فِي زُنَّارِهِ * وَأَضَاءَ جِدِّ الرَّيْمِ تَحْتَ صَلِيهِ .
 وله :

- فَتَكَتْ! فَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْ فَتْكَ * بِمَا أَخَذَ الْجَهْلُ أَوْ مَا تَرَكَ!
 أَدْرِهَا! أَنْتَ تَرَى الدَّرَقِي . بِدَائِعٍ مِنْ حُلَلٍ لَمْ تُحْكَنْ؟
 وَبَيْنَ الْبُكُورِ وَبَيْنَ الْفُرُوبِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْبِرْكِ،
 غِنَاءُ تُشَدُّ إِلَيْهِ الرِّحَالُ . . . بَلْعَنِي تُحْمَلُ عَلَيْهِ التَّكَلُّ!

- دير مار مخايل ^(١) - وهو على ميل من الموصل . يركب دجلة في بقعة حسنة .
 ١٠ يَطْلُ على كروم وشجر . بَرَى بِحَمْرَى ، سُهِلَ جَبَلِي . وَبِهِ قَلَالِي ^(٢) كَثِيرَةٌ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ ،
 محفوفة بأنواع الشجر ، وأصناف الزهر . وله عيد يكون قبل الشمانين بأسبوع . تخرج
 إليه النصارى بنسائهم وصبيانهم . ويمر لهم فيه يوم وليلة ، تتجاوب فيه ألحان الأغاني
 وقراءة الرهايين .

- وَحَكَى أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ حَفَرٌ يَرَى فِي بَعْضِ قَلَالِيهِ ، فَاغْضَى الْحَفَرَ إِلَى صَنْدُوقٍ مِنْ حَجَرٍ .
 ١٥ فَكَشَفَ ، فَإِذَا فِيهِ مَيِّتٌ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ جِسْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِذَا ثِيَابُهُ صَحِيحَةٌ . وَعِنْدَ رَأْسِهِ
 صحيفة من صُفْرِ فِيهَا كِتَابَةٌ قَدِيمَةٌ لَمْ يَقْفُوا عَلَى قِرَائَتِهَا ، وَلَكِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهَا ذِكْرَهُ .

(١) يسمى أيضا "دير مار تخايل" و "دير مار تخايل" و "دير ميخائيل" . ونظر أيضا يا قوت
 (ج ٢ ص ٦٩٣ - ٧٠٢ - ٧٠٤ ج ٤ ص ٨٧٥) .

(٢) مفرد القلالي قلة بالكسر وهي شبه الصومعة كما في القاموس . ووقع في الأصل قلل بدون ياء وصوابه
 كما ترى .

وقصد المسلمون آتراحه منهم . ثم دارت النصارى حتى خُلِّيَ لهم، فردوه إلى مكانه،
وعقوا أثره .

قال الخالدي : والذي يُظنُّ أنه كان ممن على دين المسيح عليه السلام، وأنه
هرب بدينه ، فسأت في هذا الموضع ، ودُفن فيه .

قال : وبين هذا الدير وبين الموصل وأد يعرف بوادي زمار، عليه رابية تُعرف
برابية المُقاب، تُشرف على دجلة والساتين والجزائر والنهر. وهي غاية في الربيع .
وقال فيه :

أَلَسْتُ تَرَى الْقَلْبَ يُبْدِي لَنَا * طَرَائِفَ مِنْ صُنْعِ آفَارِهِ ؟
وَقَدْ قَطَعَ الزُّهْرُ خَذَّ الثَّرَى * بِدِرْهِمِهِ وَيَدِينَارِهِ .
وَكُتِبَ فِي لَازُورْدِ الدُّجَى * بِزَيْجُفِيرِهِ وَبِزَنْجِسَارِهِ .
فَلَا تَلْقُ كَأْسًا بِتَأْخِيرِهَا * وَلَا يَوْمَ لَهْوٍ بِإِنْفَارِهِ !

١٠

قال : وكان محطة قد أنشدني لنفسه في دير العَلْتِ قوله :

سَقِيَا وَرَعِيَا الدِّرْعَ الْعَلِيَّ مِنْ وَطَنِي ! * لَا دِرْجَةَ حَنَنٍ ذَاتِ الْأَكْبَرِاحِ !
أَيَّامٌ، أَيَّامٌ لَا أَصْنُو لِمَا ذَلِيلَةٍ * وَلَا تَرُدُّ عَنِّي جَذْبَةُ الْإِلَاحِ !

فاستحسنتها، وذكرْتُ قول أبي نُوَاسٍ في دير حَنَّة، وهي في عروضها وقافيتها،
فقلت :

مَحَاسِنُ الدَّرَجِ تَسِيحِي وَمِصْبَاحِي * وَنَحْوُ فِي الدُّجَى صُغْبِي وَمِصْبَاحِي !
بُسْطُ الْبَتَّسَجِ تَبْسُطُ فِي * مَحْضُونِ آسٍ وَخَيْرِيَّاتِ تَفَاحِ .

١٥

بدائع لا لدير القلّت هُرب ولا * لدير حنة من ذات الأكرّاج .
 حتى تَحمرّ تَحمارى بِمَعْرِفَتِي * وَحَبِرَتْ مُلَحِي بِالسُّكَّرِ مَلَا حِي .
 أبا عَمَّالَ ، لا تَدْنِمَ ضُحَى وَدُحَى * سِجَالَ كُلِّ مِلْثِ الْوَدَقِ سَحَاجِ !
 فَإِنْ أَقِمِ سَوْقَ إِطْرَافِي ، فَلَا عَجَبَ ! * هَذَا بِنَاكَ إِنْ مَا قَامَ نَوَاحِي !

(٢٩٦)

- قال : وكان في هذا الدير نهار ، يقال له الحارث ، ويكنى أبا الأسد ، معروف
 بِجُودَةِ الشَّرَابِ ، وكان المُجَانُّ من أهل الموصل يقصدونه . وكان له ابن حسن الوجه ،
 مَهْفَهفُ الْقَوَامِ ، خفيف الروح ، يقال له عبد المسيح ، يسقينا ومنا مفرّ . مليح
 الغناء ، غَنَّا في شعر حِثَّانِ بن ثابت ، قوله :

أَنْظُرْ خَلِيلِي بَيْطِنِي جَلَّقَ هَلْ * تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلَاءِ مِنْ أَحَدٍ ؟

- وهو صوت معروف في الأغاني . فَاسْتَحْثَاهُ ، وكان معنا كاتبٌ ، له على
 ١٠ إِيَادٍ ، فقال لي : أَحِبُّ أَنْ تَعْمَلَ في عروض هذا الشعر شعرا تذكّر فيه يومنا .
 فقلت :

لَا وَجُفُونُ تَنْوَسُ فِي الْعَقْدِ * وَحُسْنُ ثَغْرِ يُلُوحُ كَالْبَرْدِ !
 لَا كُنْتُ مِنْ يَضِيعُ أَدْمَعُهُ * بَيْنَ الْأَتَافِي وَالنَّوَى وَالْوَيْدِ !
 أَحْسَنُ مِنْ وَقْفَةٍ عَلَى طَلَلٍ * قَفَرٍ وَزَجَرِ الْمَيْمَنَةِ الْأَجْدِ ،
 ١٥ كَأْسُ مُدَامٍ جَلَا الْمَدِيرُهَا * أُمُّ اللَّيَالِ وَجَسَدُ الْأَيْدِ .
 نَشَرَهَا شُعْلَةً بِلَا حَرَقٍ * وَتَجَلَّلَهَا رُوحًا بِلَا جَسَدِ !
 هَلْ أَحَدٌ نَالٌ مِثْلَ لَدْنَا . * يَا أَبَا عَمَّالَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ ؟
 سَقِيَا لِمَا خُورَ حَارِثٌ وَلِمَا * خُصَّ بِهِ مِنْ عَمَّاسِنِ جُدَا !

قُلْتُ لَهُ وَأَبْنَهُ يَطُوفُ بِهَا : * عُمُرُكَ فِينَا عِمَارَةُ الْبَلَدِ !
بَابُكَ ذَا فِي جَمَالِ صُورَتِهِ * صِرْتَ أَبَا الظُّفَى لَا أَبَا الْأَسَدِ .
هَاتِ اسْقِنِيهَا إِنْ سَفَكَتَ دُمِي ! * فَا بَقْتُ عَلَىكَ مِنْ قَوْدِ !

❦

فأقننا يومنا ذلك ، ووبتنا . فلما أصبحنا ، أراد الكاتب الموصلى أن يذهب . وكان
اليوم حسنا لرفقة غينه ، وملاحة صحوه . وكان للرجل غلام يحبه ، فأراد الركوب إلى
ديوانه ، فأنشدته أبيات شعر قلتها . فامر بمحط سروج بغاله ، وأخذنا في شانتنا .
ومنها :

بُحْسَرَةٌ وَجْهِ لَدَاكَ الْهَلَالِ * وَفِتْرَةٌ مُقَلَّةٌ ذَاكَ الْغَزَالِ !
صَلِّ الْيَوْمَ بِالْأَمْسِ ، إِنِّي أَرَى * لَهُ بِالْشُّعُودِ وَجُوهَ اتِّصَالِ .
هَوَاءٌ صَفَا ، وَهَوَى مِثْلُهُ * تَخْمَرُ دَلَالٍ وَمَاءِ زُلَالِ .
وَعِيمٌ تَوَهَّمَهُ كَالنَّسْوَى * وَصَحْوٌ حَقِيقَتُهُ كَالْهَجَالِ .
وَمِنْ ثَلِ الْيَوَاقِيتِ زَهْرُ الرُّبَى * وَقَطَرُ النَّدَى بَيْنَهَا كَالْأَلَالِ .
إِذَا مَا دَنَتْ شَمْسُهُ لِلدُّبُو * لَ ، أَشْرَقَ تَوَارِهِ كَالذُّبَالِ .
وَذَا الدَّيْرُ تَسْمَى بِفِزْزَلَايِهِ * شَعَائِنُهُ فِي صُنُوفِ الْجَمَالِ .
وَضَرْفَاءُ بَانُهَا خَاسِرٌ * وَلَوْ حَازَ عَنْ قَدَحِ بَيْتِ مَالِ .
أَبَا يَا غُضَايَا لَ أَفْدَى تَرَاكَ * بِنَفْسِي ، وَمَالٍ ، وَعُمَى ، وَخَالِي !
فَكَمْ سَكْرَةٍ لِي قَبْلَ الْأَنَا : * نِ بَيْنَ دَوَالِيهِهِ وَالِدَوَالِي !
تَجْمُولُ خِيُولُ دَوَالِيهَا * فَتَمَلَّا مَا وَرَدَ ذَاكَ الْجَمَالِ .

(١) الذين الغيم (عن القاموس) .

وقوله فيه :

بِأَعْيَالٍ إِنْ حَاوَيْتُنَا مَلَسِي * فَأَتَيْنَا تَحِيْدَانِي ثُمَّ مَطْرُوحَا .
يَا صَاحِبَايَ هُوَ الْعُمَرُ الَّذِي جُمِعَتْ * فِيهِ الْمُنَى ، فَأَعْدُوا لِلدَّيْرِ أَوْ رُوحَا !
بِرُوحَةٍ بِهِ يُهْدَى نَسِيمُهُمَا * لِلرُّوحِ مَسْكَاةً الْوَرْدَ مَنضُوحَا .
يَحْرِصُ صَيَّادُهُ الشُّبُوطَ مُضْطَرِبًا : حَيًّا ، وَقَانِصُهُ الْيَعْفُورَ مَذْبُوحَا .

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشَّحْنَةِ الموصلي النحوي ، من قصيدة :
وَأَعْيِدْ إِلَى مَرِّ عَائِلٍ فَإِنْ بِهِ * عَاصِمًا لِسُرُورِ النَّفْسِ مِفْتَاحُ !
كَمْ فِيهِ مِنْ أَشْمِتٍ بَادٍ تُحِبُّهُ * تَهْتَمُّ لَهُ بِثَنَةِ تِلْكَ الْأَكْبَرِاحُ !
وفيه يقول أيضا :

يَا مَرَّ عَائِلٍ ، وَإِنْ بَدَّ الْمَدَى ، سَقَيْتَ صَوْبَ سَحَائِبٍ وَيَورِقُ !
يَا حَبْدًا نُورًا رَوَّضَكَ إِذْ عَدَا * يَقْتَرُّ مِنْ دَمْعِ الْعَمَامِ الدَّافِقُ !
مَفْنَى خَلَعْتُ بِهِ الْعِذَارَ تَصَايِبًا * فِي غَنَجِ أَحْدَاقٍ وَزَهْرِ حَدَائِقِ !
أَيَّامَ آخِرَى فِي مَيَادِينِ الصَّبَا : مُتَخَالِفًا بَحْرَى الْجَمُوحِ السَّابِقِ !

وستأتي القصيدتان ، إن شاء الله تعالى ، في ترجمته مع النجاة .
وبالله التوفيق !

٢٩٩

دير مثنى

دير مثنى ^(١) - هو بالموصل، من الجانب الشرقى، على جبل شامخ، يعرف بجبل مثنى. يُشرف على رستاق ينون والمرج. وهو حسن البناء، جيد الحصانة. وأكثر بيوته متقورة في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة. ورهبانه لا يأكلون طعاما، إلا جمعا: في بيت للشاء، وبيت للصيف.

ومثى جلس أحد في محن هذا الدير. نظر إلى الموصل. وبينهما سبعة فراسخ. وله عدة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصَمَّت. وبه صُهرج عظيم يجتمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعا: لكل شهر ذراع من الماء. ويفتح هذا الصُهرج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله. فيخرج مائه من أسدين من صُفر. وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله.

وحوله من الأشجار ومن سائر الثمار. وفي خارجه مزار في الجبل، فيها صناديق من صخر بأطباق لمواتهم، فمثنى أمتلأت نرج رأس الدير مع رهبانه يقرعون أناجيلهم، ويمعمون العظام البالية منها. ثم تطرح في فج داخل هذا المغار.

قال: وبث ليلة فيه، مع بعض الرؤساء على شرب ولعب، فقلت:

فلا تُشْكِرْ لدير مثنى ليلة. مَرَفَتْ ظُلُمَتُهَا بيدر مُشْرِق!

حتى رأينا اللَّيْل قَوْسَ ظَهْرِهِ. هَرَمَ وَأَثَرُ فِيهِ شَيْبُ الْقُرْبُ!

قال: وقرأت على باب دهلزه بيتين كتبتا، وهما:

يَا دِيرَ مَثْنَى سَقَتْ أَطْلَالَكَ الدَّيْمُ! وَأَنْهَلْ فِيكَ عَلَى سُكَاكِ النَّعْمُ!

فَمَا شَفَى غُلَّتِي مَاءٌ عَلَى ظَمَأٍ. كَمَا شَفَى حَرَّ قَلْبِي مِلْوَلُ الشَّيْ!

(١) انظر أيضا القزويني (ص ٢٤٩) وياقوت (ج ٢ ص ٦٩٤).

(٢) في الأصل: سبع.

دير الخنافس

دير الخنافس^(١) - وهو دير صغير بالموصل، بالجانب الشرق، على قلة جبل شامخ، يشرف على أنهار ينبتون وضياعها.

وفيه طلسم طريف: يجتمع له في وقت من السنة الخنافس الصغار اللواتي كانت، حتى تسود حيطانه وبيوته وسقوفه وأرضه، مدة ثلاثة أيام. ثم لا توجد. ولهذا سُمي دير الخنافس.

قال الخالدي: وهذا معروف مشهور بالموصل. فإذا كانت تلك الأيام، أخرج الرهبان أمتعتهم منه، هربا منها.

قال: ولا أعرف فيه شعرا إلا ما قاله بعض بني عروة الشيباني رثى أخاه، مات عنده، فدفن إلى جانبه. ومنه:

بُزْبِكَ يَا دَيْرَ الْخَنَافِسِ حُفْرَةً - بِهَا مَاجِدٌ رَحِبُ الدَّرَاعِ كَرِيمُ!
طَوْتُ مِنْهُ خَمَامٌ بَنَ مَرَّةً فِي الرُّبَى - هِلَالٌ يَبِيرُ اللَّيْلَ، وَهُوَ يَسِيمُ!
سَقَاكَ وَسَقَاهُ وَسَقَى ضَرْيَعَهُ - أَجَشُّ مِنَ الْفَرِّ الْعَذَابِ هَزِيمُ!
فِي أَدِيرٍ أَحْسِنُ مَا اسْتَطَعْتُ جَوَارَةً - فَإِنِّي غَادِرٌ عَنْكَ، وَهُوَ مُقِيمُ!

قال: فناء بني عروة جميعا تنوح عليه وعلى موتاهم بهذه الأبيات إلى اليوم، وإذا نزلت أحيائهم به، تحروا عليه وأقاموا ماتم.

دير باعربا - وهو بين الموصل والحديثة، على شاطئ دجلة، من الجانب الغربي. بإزاء جزائر كثيرة الشجر، قلما خلت من سبع. وهو جليل عند النصارى. وفيه قبور يعظمونها. وبناؤه عجيب. وارتفاع حائط هيكله نحو المائة ذراع. ما حوله بناء يسنده. وله مزارع. وفيه بيت ضيافة يتزله من يحتاج إليه.

(١) أنظر أيضا نقدي (ص ٢٤٧) و باقوت (ج ٢ ص ٦٥٨) والشاذلي (درة ١٣٢).

قال الشيعي: لما أئتمر سيف الدولة إلى العراق، نزل دير باعربا، وضرب مضره على شاطئ دجلة، وتغذى ونام. فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه، فرأى منظرا حسنا، من بره وبحره وعلو مشرقه، فاستدعى شرابا، ودعا سقارة العواد، ففناه. وكان معه من الندماء أبو اسحاق اليسرى. ثم استدعاني، وسقارة يغني بشعر غث في وزن بارد، فامرني بأن أعمل في عروضه، فقلت بعد تمتع، ولكنه لا يبيح، فيه الحسن:

شَرَفًا يَا دِيرَ عَرَبَاءَ وَتَجَدُّا .. بهما تَعْنِي مَدَى الدَّهْرِ وَتُعْمَرُ!
سَقَرْتُ مَاءَكَ هَذَا مَاءَ وَرْدٍ . وترى تَحَنَّنَكَ ذَا مَسْكَاءٍ وَعَبْرٍ.
إِذْ عَلِي سَطَحَكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْفَرِّ . ثم الذي فَاتَ الْوَرَى عَزَا وَمَفَحَرُ.
والذي إِنْ سَارَ فِي السَّكْرِ فَرْدًا . فهو فِي إِقْدَامِهِ أَلْفَ عَسْكَرٍ!

❦

دير القيارة

دير القيارة^(١) - وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة الغربي، نسب إلى عيسى فيه ومعدن، يستخرج منه الفير، وتحتة حمة عظيمة، يقصده من به علة أعييت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام، مستنقعا في مائها، فيبرأ من غلته. ويسقى من القنبرس ويسط التشنج، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة، ويلحم الجراحات.

قال الخالدي: وسبيل من قصدها، أن يظل نهاره في مائها، ويأوي إليه هيكلا ديرا، ويدهنه رهبانه بالطيبوث، فيشفي بإذن الله.

وفيه عيون يخرج منها النفط والقيح. فتقبل من السلطان بالوف دراهم في كل سنة. ومرافق هذا الدير كثيرة.

قلت: وسنلم بذلك في موضعه.

(١) أنظر أيضا القزويني (ص ٢٤٨) وبعثت (ج ٢ ص ٦٨٩).

دير بارقانا - وهو فوق الحديشة، على جانب دجلة الشرق - ركب لواء،
في موضع نزه حسن. وبنائه محكم، وقلايته كثيرة الشجر والزهر، وله بساين ومباقل.
ويقال إنه ليس في سمك دجلة أسمن من سمك بصاد من شاطئه.

قال الخباز البلدي: أجرت به، فرأيت من حسنه ونضارة شجره، مادعاني إلى
المقام به والقصف فيه. وسألت رهبانه عن الشرب، فدلوني على راهب منهم.
فرايته ظريفاً، وقلايته ملبحة، وشرايه صايباً جداً، فأبتعت منه، وأقت عنده نهاري
وليلتي. وقلت:

أَلَا سَقِيَا لِرَقَّةٍ بَارِقَانَا * وَهَيْكَلِهِ الْمَشِيدُ وَالْقَلَالُ!

فَكَمْ مِنْ سَذْفَةٍ بَاكَرْتُ فِيهَا * مُعْصِفَةً كَمَثَلِ دَمِ الْغَزَالِ!

فَكَمْ عَاقَتْ غُصْنًا فِي أَعْتَدَالٍ * بِهِ، وَلَقِيتُ بَدْرًا فِي كَمَالِ!

وَجَادَ بِمَا أَحْلَوْلُ مِنْهُ سَكْرًا * وَكَانَ مَائِي طَيْفَ الْخِلَالِ!

دير أبي يوسف^(١٢) - وهو قريب من بلد^(١٣) بينه وبينها نحو فرسخ. على شاطئ
دجلة، وموضع حسن معمور بالزيتون والسر والآس والراحين، مغروس الرئي
بالترجس. وهيكله حسن البناء، وفيه عجائب من بدائع التصوير. ولرهبانه حجة ونعم.
١٥

دير أبي يوسف



(١) المقصود بها آحلاط الضوء والظلمة معا كوقت طلوع الصبح إلى أول الإسفار. ويقولون: أتبعه
بعدة أي في بنية من الليل. ولما ممان أخرى ذكرها في تاج المروس أيضا. ولكن ما أختبه هو الذي
ببها المقام.

(٢) أنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١).

(٣) اسم علم للديرة مشهورة بالعراق. وتسمى بطل واسمها بالفارسية شهرا باذا (عن ياقوت) وتسمى بلد

الحطب (عن أبي القدا).

ولا يُعوزُه كلُّ يوم قافلةٌ تحطُّ عنده لتأخذ نحرًا . والنجبان تقصده للتزهر فيه بطنًا يبرهم
وعيدانهم وسائر ملاحيم .

قال النبالدي : خرجت في بعض السنين إلى بلدٍ مع كاتب لبعض أمرائنا .
فأحببت الشرب في دبر أبي يوسف ، فكتبت إليه :

بدير أبي يوسف حمرة . تزيد على قلب البارقي !
وترجسه كنسيم الجيسب عند محب له وامقي !
فما تَرى فيه قبل آستاع ؟ همليم ناقوسه الناطقي ؟
لتقيص يحكرا خلوقية . تحسّر عن حكمة النالقي !

ف فعل . وأغناه به ثلاثة أيام في الدّ عيش ، وأصغى وقت . ثم آنعدنا منه .

١٠ دبر الشياطين - وهو بالقرب من أوصل (بلد على نطقة من الجبل على دجلة) .
في موضع حسن . وهو أواد رقيق لطيف ، وقلاليه عامرة كثيرة الأشجار . وأرضه
كثيرة الرياض . وله سور يحيط به ، ومشرف على سطح هيكله يُشرف على دجلة
والجبل .

وفيه يقول السري الرفاء :

١٥ عصي الرّشاد قدّ ناداه من حين : وراكض النّفى في تلك الميادين !
ماحن شيطانّه العاني إلى بلد : إلا يُقرب من دبر الشياطين !
وقفية زهر الآداب بينهم . أبهى وأنضر من زهر البسّانين !
مشوا إلى الأرج مشى الرّيح وأنصرفوا . والشكر يمتنى بهم مشى القرازين !

(١) انظر إليها بالقوت (ج ٢ ص ٦٧٢ ، ج ٤ ص ٨٧٧) .

حتى إذا أُنْطَقَ الناقوس بينهم : مَزَيْنَ انْخَصِرُ رُؤْيَى القرايين ،
تَحْتَ أَقْداحِها يَبْضُ السَّوَالِفُ فِي : مُرِّ الفَلاتِلِ فِي خُضَرِ الرِّياحِين .
كَأَنَّهُا وَيِياضُ المِاءِ يَقْرَعُها : وَرَدَّ يَصِلِفُهُ أَوْرَاقُ نَسِيرِين .

(١١)

دير مر مرجس

دير مر مرجس - وهو فوق بلد بثلاثة فراسخ ، على قَلَّةٍ جبلٍ عالٍ . يبين للناظر
من عِدَّةِ فراسخ .

قال الخالدي : وعلى بابه شجرة لا يعرف أحد ما هي : لا يسقط ورقها عند سقوط
ورق الشجر ، ولها ثمرة تشبه اللوز . وفي جبله من الزرازير شيء عظيم ، لا تفارقه
صيفا ولا شتاء ، لا يقدر على صيد شيء منها . وفي شعاب جبله أفلاج كثيرة ، تمنع من
صيد طيره ليلا .

قال : وفي أوديته حصي على شكل اللوز لا تقادره .
قلت : ولعل هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية ، وقال إنها في الدنيا واحدة
لأثاني لها .

وحكى الخالدي ، قال : حدثنا الحجاز البلدي ، قال : تقلد بلدنا رجل من آل الغرات ،
وكان أدبيا شاعرا ، فأستخصى ، فما كنت أفارقه . فرأى يوما هذا الدير وسألني
عنه . فوصفته له . فأحبَّ النظر إليه . فخرج وجملي معه . وكان ذلك في شتاء متصيل
المطر ، فلما جئناه ، رأينا في جبله من القُدْران ما ملأ أفوايقه . فلما صعدنا سطح
المبكل ، فكر ساعة ثم أُنشدني لنفسه :

وهيكل تَبَرَّزَ الدُّنْيَا لِمُشْرِفِهِ ، حَتَّى يُعَايِنَ مِنْهَا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
كَأَنَّ صَبِيحَنا طُكُولَ لِيْلِهِما : يَسْتَمِطِرانَ عَلَى غُدْرانِهِ المُقْلَا

(١) هو خلاف الذي سماه بقوت "دير ما مرجس" (ج ٢ ص ٦٩٣) ومنه البكري (ص ٣٧٤) .

دير صُباعي^(١) - وهو على شاطئ دجلة الشرق، فوق تكريت بقليل . وهو كثير الرهبان . وله مزارع وجُنبات . ولرهبانه يسار وغني . وفيه يقول بعض لصوص بني شيان :

ألا يارب سَلِّمْ دَيْرَ صَبَاعَا ۖ وَزِدْ رُهْبَانَهُ هَيْكَلَهُ أَجْبَاعَا !
فَكَمْ جَفْنَاهُ أَمْوَاتًا سَبَابَا ۖ وَرُحْنَاهُ مِنْهُ أَحْيَاءُ شَبَاعَا !
فَيَا الْقَصْفَ مَا أَسْرَى نَيْدَنَا - أَلَدَّ طَلًّا وَأَحْسَنَ شُبَاعَا !
لِنَعْمَتِهِ وَمِثْلِهِ عَلَيْنَا ۖ عَمَّرْنَاهُ وَتَرَبَّيْنَا الضَّيَاعَا !

١٢٢٢
عمر الزعفران

عمر الزعفران^(٢) - وهو على رأس جبل مطل على نصيين وديار ربيعة من جانب ، وعلى طور عَيْنٍ وَقَرْدَى وبعض ديار بكر من جانب آخر ، وبه كثير من الزعفران . وهو عجيب البناء ، كثير الرهبان . وفيه جَنَاتٌ لَمْ حَسَنَةُ نَضْرَةٍ مملوءة بشجر البندق والفسق والاوز الفرك والزيتون والبطيخ . وماؤه من صهاريج يجتمع فيها ماء السماء . والصاريج متقورة في صفور . والتلج به ممكن . ولما نزل المتقي نصيين استعذب ماءه وأختاره على ماثها وماء دجلة .

قال الخالدي : ولهذا الدير بيوت للضيافة في علو الهيكل . ولاسور تسوير عجيب ، وعليه أبواب من حديد مُصَمَّت . قل : وشعر زعفرانه طاق . ومنه ومن العسل أكثر يسار رهبانه . قال : وكان الأمير أبو البركات يفرج إليه . وأخرج معه . فيقيم به على شرب وسرور . وأصرى أن أعمل فيه شعرا . فقلت :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٣) .

(٢) أنظر الكلام على دير الزعفران فيما تقدم من الصفحات .

عَطَلْتُ دَارِسَةَ الْمَقَامِي ۖ وَعَمَرْتُ عُمَرَ الزَّعْفَرَانِ،
وَأَقَمْتُ فِي عُزْرِ لَدِينِهِ كَأَنَّهَا عُزْفُ الْجَنَانِ،
وَتَرَى قَنَائِنَا مُقَدِّمَةً بِأَسْ حُسْرَوَانِي،
وَمُعَانِقِي ظَلْمِي وَبَدِي ۖ رُدُّجَنَّةً وَقَضِيبَ بَانِ،
وَالرَّاحَ أَحْصَنْ جَنَّةً ۖ لَكَ فِي مُقَارَعَةِ الزَّمَانِ،
لَا تَأْمَنْنِ صُرُوقَهُ ۖ فَالْدَهْرُ لَيْسَ بِذِي أَمَانٍ

قال: وأنشدني البيهقي لنفسه في هذا الدير:

فَنَفَحْتُ لِمِذَا الدَّهْرُ عَنْ سَيْتَانِهِ ۖ وَعَدَدْتُ يَوْمَ الدِّيرِ مِنْ خُصَاتِهِ،
وَصَبَحْتُ عُمَرَ الزَّعْفَرَانِ بِصَنِجَةٍ ۖ أَعَاشَتْ سُرُورَ الْقَلْبِ بَعْدَ مَمَاتِهِ،
وَأَهْيَفُ فَاتَرْتُ الرِّيَاضَ بِحُسْنِهِ ۖ فَادْعَنَ صُفْرًا وَصَفْهًا لِصَفَاتِهِ،
فَلَمَّا دَجَا اللَّيْلُ اسْتَعَادَسْنَا الضُّحَى ۖ بِرَاجٍ نَأَتْ بِاللَّيْلِ عَنْ ظُلُمَاتِهِ،
وَنَمَّ إِلَى دَنَائِهَا بِضِيَائِهَا ۖ فَكَانَ كَقَلْبٍ ضَاقَ عَنْ خَطَرَاتِهِ،
وَخَوْفِي مِنْهُ ۖ نَخَلْتُ صَلِيْبَهُ ۖ لِشِدَّةِ الْإِخْتِشَاءِ بَعْضَ وُشَاتِهِ!
وفيه يقول مُصَمَّبُ الْكَاتِبِ:

وَقَائِلِي قَالِي ۖ أَقْصِرْ! قَعْلْتُ لَهُ: ۖ أَمَا تَرَانِي بِحَبِّ الْمُرْدِ مَشْغُولًا؟
لَا أَعَشِقُ إِلَّا بَيْضَ الْمُتَفَوِّخِ مِنْ سَيِّ ۖ لِكِنِّي أَعَشِقُ الشَّمْرَ الْمَهَازِيلَا!
قَالَ لِي: أَنْتَ تَجْنُونُ؟ قَعْلْتُ لَهُ: ۖ لَا تُكْثِرُنَّ عَلَيَّ الْقِسَالَ وَالْقِيلَا!
إِنِّي أَمْرُؤُ أَرْكَبُ الْمُهْرَ الْمَضْطَرَفِي ۖ يَوْمَ الرَّهَانِ، فَدَعْنِي وَأَرْكَبِ الْهَيْلَا!
وكذلك قال:

دَيْتُ أُمْنِي عَلَى الْكَفَّيْنِ الْمُسْهِ ۖ كَثَنِي مُسْتَرِقٍ لِلْسَمْعِ أَسْرَارَا!

فتر يَمْتَقُ في قِرطاسه قَلْبِي ۚ والليل مُلُي على الآفاق أَسْثَارًا!
فقال لِمَا أُنْجِلِي عن عَيْنِهِ وَسِّنْ ۖ وقد رَأَى تِكَّةً حُلَّتْ وَأَزْزَارًا:
يَارَافِدَةَ اللَّيْلِ مَسْزُورًا بِأَوَّلِهِ ۖ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَّ أَصْحَارًا!

دير باريثا - وهو بِنِيْنُو، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة.
وله عند النصاري قدرٌ جليل.

قال الخالدي: رَأَيْتُهُ في بعض السنين، وكان به راهب يقال له كوريال، من عباد
النصارى فأصافنا أحسن ضيافة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العتيق
الواسع، وعلف الدواب، وأكثر، فعظم في عيني، وعاتبته على الإسراف في فعله. فقال:
هذا والله رسمنا مع كُلِّ مَنْ يَنْزِلُ بِنَا!

قال: وهذا الدير الذي قُتِلَ عنده عبيدُ الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأستر، على
هذا النهر، وأُنْذِرَ برأسه إلى المختار في خبر يطول، ليس هذا موضعه.

دير حنظلة^(١) - وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها، إلى المشرق. وموضعه حسن،
لما فيه من جَنِينَاتِ رهبانه وأشجارهم، وما يُلبسه الريح من الرياض.
وأشد الخالدي فيه لغيره شعراء منه:

طَرَقْتُكَ سَعْدَى بَيْنَ شَعْلَى يَارِقِي! ۖ نَعْسِي الْفِدَاءَ لَطِيفَهَا مِنْ طَارِقِي!
يَادِيرَ حَنْظَلَةَ الْمُهْجِجِ لِي الْهَوَى! ۖ هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبِ الْعَاشِقِ؟



(١) نهر بين اربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل، يصب في دجلة.

(٢) أنظر "الأغاني" (ج ٩ ص ١٠٣ و ١٠٤)، والبكري (ص ٣٦٠) ونعصورا ياقوت (ج ٢

ص ٦٥٥ وأترقى ص ٦٥٦ أيضا).

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني، وأشد بعض الشعراء فيه رجاء منه:

بِسَاحَةِ الْحَيِيرةِ دِيرٌ حَتَّظَلَةٌ • عَلَيْهِ أَذْيَالُ السُّرُورِ مُسَبَّلَةٌ.

أَحْيَيْتُ فِيهِ لَيْلَةً مُقَبَّلَةً • وَكَأَنَّ بَيْنَ التَّنَادِيِ مُعْمَلَةً.

والراح فيها مثل نار مُشْعَلَةٌ •

- دير الجاثليق^(١) - وهو قديم البناء، غربي دجلة، في عرض حربى، على الحد بين
آخر السواد وبين أول أرض تكريت. وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مروان
ومُصْعَب بن الزبير. فقال ابن قيس الرقيات:

لَقَدْ أَوْرَثَ الْمِصْرَيْنِ حَزَنًا وَنَلَّةً • قَتِيلٌ بِدِيرِ الْجَاثَلِيقِ مُقِيمٌ!

فَمَا قَانَلْتُ فِي اللَّهِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ • وَلَا صَدَقْتُ عِنْدَ الْقَاءِ تَمِيمٌ!

- وحكى أنه كان به غلام امرئ نصراني من أهل الحيرة، يقال له عشرين إلى الصغرى،
وكان يتعشقه بكر بن خازجة، وفيه يقول من شعره:

أَجْرَنِي! مَتَّ قَبْلَكَ مِنْ مُهْمُومِي! • وَأَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ الطَّرِيقِ!

فَقَدْ ضَاقَتْ عَلَى جِهَاتٍ أَمْرِي • وَأَنْتَ الْمُسْتَجَارُ مِنَ الْمَضِيقِ!

وفيه يقول يمين يحضرنى منهما قوله:

- زَيَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ • كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ.

قال أبو الفرج: وكان دُعيل يستحسنه ويقول: ليت هذين البيتين لى بئانه بيت
من شعري!

(١) Catholicon. وأنظر معلومات أخرى على هذا المرقى الطبرى (سلسلة II ص ٨٠٦ و ٨١١ و ٨١٢)؛ وأن الأثير (ج ٤ ص ٢٦٨)؛ وروج الذهب (ج ٥ ص ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٣)؛ وتاريخ البقوى (ج ٢ ص ٣١٧)؛ والبكري (ص ٣٦٧ و ٣٧١)؛ وخصوصا
ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٠ ج ٤ ص ٥٢٩)؛ والشاشنى (ورقة ٩).

وفيه يقول محمد بن أبي أُمَيَّة :

رَأَيْتُكَ حَلِيقَتِي دِينَ وَدُنْيَا : * حَيَاةَ الصُّبْحِجِ وَلِلْقَصْرِينِ .

بدا لي بعد ما سَبَقَتْ يَمِينِي * بِهَجْرِكَ أَنْ أَكْفُرَ عَنْ يَمِينِي .

(٢٢٥)

دير مَرِيَحْنَا^(١) - وهو إلى جانب تكريت ، على دجلة . عامرٌ بالقلاليات والرهبان . مطروق مقصود . منزلٌ لكل مسافر . وبه ضيافة قائمة على أقدار الناس . وله مزارع متسعة وغلات كثيرة . وهو للنسطورية . وعلى بابهِ صومعةُ عبدون الراهب ، وكان من الملكيّة ، بناها فعُرفت به . وفي هذا الدير يقول عمرو بن عبد الملك الوراق :

أَرَى قَلْبِي قَدْ حَنَّا * إِلَى دِيرِ مَرِيَحْنَا !

إِلَى غِيْطَانِهِ الصَّبِيحِ * إِلَى بَرَكَةِ الْقَنَا !

إِلَى أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْ قَدَسَ أَوْ غَنَّا !

فَلَمَّا أَبْلَجَ الصُّبْحُجُ * بَزَلْنَا بَيْنَنَا دَنَّا !

فَلَمَّا دَارَتْ الْكَاسُ * أَدْرْنَا بَيْنَنَا لَحْنًا !

فَلَمَّا هَجَعَ السَّمَاءُ رُ * نَحْنَا فِتْعَانَا !

قال الشاذلي : وكان عمرو هذا من الخلفاء الطوائف المنهمكين في اللهو والنطرح

في الديارات . ومما أُنشد له في الجُحُونِ قوله :

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي : لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ .

أَنَا إِنْسَانٌ مُرِيبٌ ، أَشْتَهِي نَيْلَ الْمَلَاخِ .

(١) في الأصل : لا - [وجمعت بما يقتضيه السياق ، لأن الشاعر يقول أنه بدا له أن يكفر عن يمينه

بعد أن أضم بهج صاحبه] -

(٢) أنظر أيضا باقوت (ج ٢ ص ٧٠١) -

عمر أخويشا

عمر أخويشا - (وأخويشا بالسريانية الحبيس).

قال الشافعي: وهذا العمر بأشهر، من ديار بكر. وهذا العمر مطّل على أَرْزَن.
وهو كبير جليل. فيه أربعمائة راهب في قلايتهم. وحوله بساتين وكروم. وحوف نهاية
المهارة والتزعة وحسن الموقع وكثرة القواكه والخمر. ومنه يُجمل الخمر إلى البلدان.
وبقره عين عظيمة تدبر ثلاثة أرحاء. وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم. وبه أنواع
المطيرين. وأنشد فيه اللبادي:

وَفَيَّانٍ كَهْمَكَ مِنْ أَنَاثٍ ۝ خِفَافٍ فِي السَّادَةِ فِي الرُّوَّاحِ .
نَهَضَتْ بِهِمْ ۝ وَسِترَ اللَّيْلِ مَلَقَى ۝ وَضَوْءُ الصَّبْحِ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ .
تَوَمَّ بِدِيرِ أَخْوَيْشَا غَزَالًا ۝ غَرِيبَ الْحُسْنِ كَالْقَمَرِ اللَّيَالِجِ .
فَاعْتَمْنَا الزَّمَانَ بِمَا أَرَدْنَا ۝ فَأَبْنَا بِالْقِلَاحِ وَبِالنَّجَاحِ !

(١١)

١٠

عمر عسكر

عمر عسكر - وهو أسفل من واسط، في الجانب الشرق، في التربة المعروفة
ببرخوى وفيه كرسى المطران. وهو عمر كبير، كثير القلايات يباع عليها. ويحيط
به بساتين كثيرة وغللات واسعة.

وفيه يقول محمد بن حازم الباهلي، وكان قد قصده أيام مقام الحسن بن سهل
بواسط:

١٥

(١) سمع الشافعي وياقوت "أخويشا" بالهاء المهملة. وأنار أيضا كلامه الثاني لاسم في (ج ٢

ص ٦٤١) والأول في (ورقة ٨٦).

(٢) في ياقوت "تذكر" وقد ذكره أيضا في أسماء البلاد وأشار إلى هذا العمر.

(٣) » » يرجو نية.

بُعِرَ عَسْكَرُ طَلَبِ اللَّهِ وَالطَّرْبُ ۝ وَالْبَاذِ كَارَاتُ وَالْأَذْوَارُ وَالنَّحَبُ !
وَقَتِيئَةٌ بَذَلُوا لِلْكُفْسِ أَنْفُسَهُمْ ۝ وَأَوْجَبُوا الرُّضِيعَ الْكُفْسَ مَا يَجِبُ .
فَلَمْ يَزَلْ فِي رِيَاضِ الْعُمَرِ يَعْمُرُهَا ۝ قَصُفًا وَتَعْمُرُهَا اللَّذَاتُ وَالطَّرْبُ .
وَالدهرُ قَدْ طُرِفَتْ عَنَّا نَوَاطِرُهُ ۝ فَمَا تَرَوْعَا الْآحَادِثُ وَالنُّوبُ .
قال الشابقي : وَأُشَدُّنِي مِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

صِلْ نَعْمَةً بِجَمَارٍ * وَصِلْ نَحْمَارًا بِخَمَرٍ !
وَحُذِّ بِحُظِّكَ مِنْهَا * كَأَسَا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي !
قال : قُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ ؟ وَيحك ! فقال إلى النارِ يَا أَحَقَّ !
وَأُشَدُّ لَهُ :

جَدِّدًا مَجْلِسًا لِمَهْدِ الشَّبَابِ ۝ وَأَرْعِيَا حُرْمَةَ الصَّبَا وَالنَّصَابِ !
بِكُھُولٍ إِذَا اسْتَقَرَّتْ حُمَيَّا السُّكَّاسِ لَمْ يَنْطَقُوا بِغَيْرِ الصَّوَابِ .
مَارَسُوا شِدَّةَ الزَّمَانِ فَلَاتُوا * وَأَسْتَفَادُوا مَحَاسِنَ الْآدَابِ .
فَاسْقِيَانِي إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَوْ ۝ تَارَكَاسَا لِإِذْ كَارِ الشَّبَابِ !



دير الأسكون

دير الأسكون^(١) - ذَكَرَ مُصَنِّفُ دِيَارَاتِ الْحِيرَةِ، أَنَّهُ رَاكِبٌ لِلتَّجَفِّ . قَالَ :

وَهُوَ أَزْهَى دِيَارَاتِهَا، وَفِيهِ قَلَالِي وَهِيَ كُلُّ وَرْهَانٍ يَقِيمُونَ الضِّيَافَةَ لِمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِمْ . وَهُوَ
حَصْنٌ مَنِيعٌ . لَهُ سُوْرٌ عَالٍ ، وَبَابٌ مِنْ حَدِيدٍ . وَمِنْهُ يُهْبِطُ إِلَى غَدِيرِ الْحِيرَةِ . وَأَرْضُهُ
رَضْرَاضٌ وَرَمْلٌ أَبْيَضٌ . وَلَهُ مَشْرَعَةٌ تَقَابِلُ الْحِيرَةِ ، لَهَا دَرَجٌ إِذَا انْفَطَحَ النَّهْرُ كَانَ مِنْهَا
شَرِبَ أَهْلُ الْحِيرَةِ . قَالَ : وَإِلَيْهِ يَجْتَمِعُ النَّصَارَى فِي أعيَادِهِمْ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ بَعْدَ

(١) حماد باقرت "دير أسكون" وأظهر كلامه عليه (ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٨٧) .

صلاة الجمعة . فإذا كان يومُ الثمانين ، أتوه من كل ناحية ، مع شماميسهم يصلُّهم وأعلامهم . فإذا استتموا فيه وفي القصر الأبيض والعلالي المدانية ، خرج أسقفهم بهم إلى مكان يعرف ببُقيبات الثمانين (وهي قباب على ميل من ناحية طريق الشام) فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره . ولكل منهم يومئذ شأنٌ يغنيه .

- دِرْحَنَة ^(١) - هو بالجرية . من بناء نوح . هكذا قلته ولا أعرف مَنْ هو .
 وإلى جانبه قائم . حكى أحمد بن عمر الكوفي ، قال : كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال . مهما وقع في يده من شيء ، أتى به دِرْحَنَة فيشرب فيه حتى يسكر . ثم ينصرف إلى أهله ، ويقول : يُجِئني من الغراب بُكُورُهُ في طلب الرزق . وربما بات به . ويقول :

- ١٠ تَطْلُوْا لَيْلَكُمْ بِالزَّائِيَةِ . وَكَانَ الْمَيْتُ بِهَا عَافِيَةً .
 وَمَنْ تَحْتَ رَأْسِكَ أَجْرَةٌ . وَجَنَّتْكَ مُلْقَى عَلَى بَارِيَةٍ .
 وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الْإِنْصِرَافِ . فَضَحَّكُمْ فِيكَ بَنُو الزَّائِيَةِ .
 وَتَصْبِحُ إِقَامَرِهِنَّ السَّجُونُ . وَإِنَّمَا قَتِيلًا عَلَى سَاقِيَةٍ .
 قال : فوجدته والله بعد أيام قتيلا على ساقية ! وهو القائل :

- ١٥ مَالِدَةُ الْعِيْشِ عِنْدِي غَيْرُ وَاحِدَةٍ . هِيَ الْبُكُورُ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاضِي .
 نَحْلَامِلُ الذَّكَرِ مَأْمُونٌ بِوَأْتِهِ . سَهْلُ الْقِيَادِ مِنَ الْقُرْمِ الْمَدَائِيرِ .
 حَتَّى يَحْلَلَ عَلَى دِرْأَيْنِ كَافِرَةٍ . مِنَ النِّصَارَى يَبْسُغُ الْخَمْرَ مَشْهُورِ .
 كَأَنَّمَا عَقَدَ الزَّيْتَارُ فَوْقَ نَقَا . وَأَعْتَمَ فَوْقَ دُجَى الظُّلُمَاءِ بِالنُّورِ .



* (١) وأنظر أيضا ما رواه عنه بإسناد (ج ١ ص ٣٤٥ ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) :

وفيه قال الترواني :

يوى بهيكل دية حنة لم يزل • غر السحاب تجود فيه وتمرع •
متجوشن طوراً وطوراً شاهراً • يبيض الشيوف وتارة يتدزع •
وكذلك قال فيه بكر بن خارجة الكوفي^(١) :

ألا سقى الخورق من محل • طريف الروض معشوق أنيق !
أفت بدير حنّيه زمانا • بسكر في الصبوح وفي الشبوق •
ومنا لا بس إكليل زهير • ومغتضب السوائف بالخلوق •
كأن رياضه حسنا وتورا • محابب ذهبت بسنا البروق •
كأن تصاطر الانحجار فيه • إذا غسق الظلام • قطار نوق •
وماذا شئت من دُر الأقالح • هناك ومن يواقيت الشقيق •

وقد ذكر دیرحنة أبو العرج الأصفهانی وقال : ذكره أبو نواس في شعره ، يعني

في قوله :

ياديرحنة من ذات الأكراباج ! • من يصح عنك فإني است بالصاحي •
يعتاده كل مجفوء بمارفة • من البطان عليه سحق أمساج •
في قنينة لم يدع منهم تحوُّثهم • وقنوع ما حذروه غير أنساج •
لا يدلفون إلى ماء بانية • إلا أعترافا من الفُدران بالراج •

(١) انظر أعيانه وأشعاره في الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٧ و ٨٨) • وليست بها الأبيات التي أوردتها

أبن فضل الله هنا •

(٢) ياقوت : مفارقة •

قال : والأكيراج بلد تَزَه كثير البساتين والرياض والمياه . قال : وبالحيرة أيضا موضع يُقال له الأكيراج فيه دير . والأكيراج قَبَاب صغار يسكنها الرهبان . يقال للواحد منها الكِرْح .

دير عبد المسيح ^(١) . وهو على البحر . بينة عبد المسيح بن عمرو بن بُقيلة . ويقال إنه عمر دهرًا طويلًا . ولحق خالد بن الوليد حين فتح الحيرة . وله معه خبر طويل . وحكى بعض أهل الكلام . قال : قرأت على حائله مكتوبا :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ ضِدًّا . وَلَا يُنْجِي مِنَ الدَّهْرِ الْخُلُودُ !

وَلَا يُنْجِي مِنَ الْآجَالِ أَرْضٌ . يَحُلُّ بِهَا وَلَا قَصْرٌ مَشِيدٌ !

وحكى آخر قال : قرأت على حائله أيضا :

هَذِهِ مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَيْدُهُمْ . فِي خَفِضِ عَيْشٍ خَصِيبٍ مَالُهُ خَطَرُ !

دَارَتْ عَلَيْهِمْ ضُرُوفُ الدَّهْرِ فَأَتَقَلَّبُوا . إِلَى الْقُبُورِ . فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ !

وقد ذكره الأصمعي . في أخبار لاحاجة فيها . وقال : وكان عبد المسيح قد بنى ديرا في بقعة بالحيرة يقال لها الجزعة . كان يترهب فيه حتى مات . ثم حرب الدير . وظهر فيه أَرْجُحٌ معقود من حجارة . وظنوا فيه كزبا . ففتحوه . فاذا سرير رخام . عليه رجل ميت . وعد رأسه أَوْجٌ فيه مكتوب :

حَالَتْ الدَّهْرُ أَشْطَرُهُ حَيَاتِي . وَنَلْتُ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الْمَزِيدِ .

بَكِدْتُ أَنَالُ فِي الشَّرَفِ الثَّرْيَاءِ . وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ .

دير الحريق^(١) - هو بالحيرة . بناء النعمان بن المنذر على ولد كان له ، عُدي عليه وأحرق فيه . وإلى جانبه قبة تعرف بقبة السنيق^(٢) ، و [قبة] تعرف بقبة غصين . وهما راهبان نسيا إليهما . وهما بديعتا البناء .

وفي الدير وفيهما يقول الثرواني :

دير الحريق وقبة السنيق • مَنَى حِلْف مُدَامِيَّةٍ وَفُسُوقِ !

وَمَنْ لَمَرَقَتْهُ شِرْقَتْ بَدَمَتِي • وَلِرَحَلَتِي عَنْهُ غَصَصْتُ بَرِيْقِ !



حكى حمزة بن أبي سلامة ، قال : كان الثرواني جاري بالكوفة وكان كثير الإلحاح بالديرة ، فباكرني في يوم شعائين وقال لي : أعزم بنا اليوم على الشرب في دير

الريق ، لأنه يوم سيقصده فيه خلق . ولئى به صديق من رهبانه ظريف ، مليح العالاية ، جيد الشراب . فهلّم ! نتره أعيننا فيما نراه من الجوارى والغلمان ، ثم نعدل إلى

قلاية صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرياض . فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان فى الحلى والحلل مالم أر مثله قط . فلم يزل يبعث ويتعرض .

ويقبل ويماني - وكان معروفا بذلك - فما أحد ينكر عليه فعله . إلى بعد الظهر . ثم أتينا قلاية صديقه الراهب . فلقبه بالإكرام والترحيب . فدخلنا قلايته . فما رأينا أنظف

من الآتيا ، ولا أضمر من إستنا . ثم قدم لنا شيتا من طعاه . فأصبا منه . ثم صعدنا سطحها . وجلسنا ننظر إلى منظر يهر حسنا وجمالا : من رياض وغُدران وطير

يصفر . ونحن ننسرب حتى ثَمًا . ونمنا هناك . وغدونا على الكوفة . فقلت له : ترك

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

(٢) فى الأصل بالهجمة فى هذا وفى الآتى بعده . والصحيح من ياقوت ضد ذكره فى باب السين .

المهمة . وكذلك المعجذ (فى القاموس) .

هذا اليوم مع حسنه، عاطلا من حُلَى شعرك، فقال: لا والله! ولقد عملتُ في ليلتي هذه هذه الأبيات . ثم أنشدني :

خرجنا في شَمانينِ النَّصارى ، وشيعةَ صَليبِ الحاتِليق .
فلم أرَ مَنظراً أحلَّ بعيني ، من المتَّقِناتِ على الطريق .
حملنُ الخوص والزيتونَ حتَّى - بلفنَ به إلى ديرِ الحريق .
أكلنَاهنَّ بالهَظَّاتِ عِشْقاً ، واحتمَرْنَا لهنَّ على القُصوف .

دير ابن مزروع - وهو بالحيرة، قريب دير الحريق . في أئذه البقاع، زهراً ورقيق هواء وتدقق ماء . وتشوق إليه الثَّرواني من بغداد . فقال :

دير الحريقِ وسبعةُ المَزْعوقِ^(١) - بين القدير وقبة السنيق .
أشبهني إلى من الصَّراة وطيبها ، عند الصَّباح ومن دجى الطريق .
باصباح ! فأجيب الملامَ أما ترى : سميعاً ملامك لي، وأنت صديق ؟

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد للثَّرواني فيه وفي دير فاثيون قوله :

قلتُ له والتَّجَومُ جانحةٌ - في ليلةِ النُّضحِ أوَّلَ السَّحرِ :
هل لك في مارِ فاثيوتَ وفي : دير ابن مزروع غير مقتصر ؟
يفيض هذا النَّسيمُ من طَرفِ النَّشامِ ودَرَ النَّدى على الشَّجرِ^(٢) .
ونسأل الأرض عن بَساشتها * وعهدها بالربيع والمطرير .

(١) في الأصل : حلفا .

(٢) سماء يا قوت "دير المزروع" وأنظر كلامه عليه في (ج ٢ ص ٧٠١) .

(٣) في الأصل : ربيعة .

(٤) في يا قوت يقتض منه وريح الذي عن المدر .

قال : ودير فاثيون أسفل النَّجَف ، ودير آبن مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح ،^(١١)
بالعلى الجف ، وفيه يقول الثَّرواني :^(١٢)

بُهِرْتُ بِفَضْلِ عَيْنِكَ لِي وَصَلِي ، وَفُضِّلَ لِي مَقَرٌّ بِالْمَجْدِ
تُسَكَّنُنِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هَوَى بَيْنَ التَّمَطُّفِ وَالصَّدُودِ !

وقال أيضا :

كَرَّ الشَّرَابُ عَلَى تَشْوَانٍ مَصْطَبِحٍ ، قَدْ هَبَّ يَشْرِبُهَا وَالْدِيكُ لَمْ يَصْبَحِ .
وَاللَّبْلُ فِي عَسْكَرٍ جَمَّ بَوَارِقُهُ ، مِنَ النُّجُومِ وَضَوْءُ الصَّبْحِ لَمْ يُلْبَحِ .
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تَبَاكَرَهَا ، صَهْبَاءُ تَقْنُلُ هَمَّ النَّفْسِ بِالْفَرَجِ .
حَتَّى يَظُلَّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْرِبُهَا ، وَلَا بَرَّاحَ بِهِ يَخْتَالُ كَالْمَرْجِ .

١٠ دير مارت مريم - هو بالحيرة ، من بناء المنذر . وهما ديران متقابلان ، وبينهما
مدرجة الحاج وطريق السابلة إلى القادسية . وهما مشرفان على النَّجَف ، ومن أراد
الخوَرَّتَقِ عدل عن جادتهما ، ذات اليسار . ومن شهر الثَّرواني فيهما :



دَعِ الْأَيَّامَ تَعْمَلُ مَا أَرَادَتْ ، إِذَا جَادَتْ بِنَدَمَانٍ وَكَاسِ !
وَمَارَتْ مَرِيَمَ وَالصَّحْنُ فِيهِ ، حَدِيقَتَانِ مِنْ وَرْدٍ وَأَسِ .
وَهَلْبِي فِي لَوَاحِظِ مُقَاتِلَتِهِ ، نَاسٌ مِنْ فَتَوَرٍ لَا نَعَاسِ .
وَحِلَّ لَا يَحُولُ عَنِ النَّصَائِي ، ذِكُورٍ لِلسَّوْدَةِ غَيْرِ نَاسِ .

١٥

(١١) حيد يانوت والكري "دير ميثود" ، وأطار كلام الأول لحبه (ج ٢ ص ٦٨٣) ، والثاني

(ص ٣٨٠) .

(١٢) في الأصل : بن .

٢٠ (٣) أنظر يانوت (ج ٢ ص ٦٩٢) ، والكري (ص ٣٧١) .

وَمُخْتَصِنِ لَطَبُورٍ فَصِيحٍ * يَنْقُفِي بِشَعْرِ أَبِي نُؤَاسِ .

وَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي * صَرِيحًا يَمِينٌ بِأَطْلَعِ وَكَاسِ !

وقد ذكره أبو العرج وقال : كان قَسٌّ يقال له يحيى بن حمار ، ويقال له يوشع ،
تألفه الغيتان ويثر بون على سطحه وفي قلايته ، على قراءة النصارى وضرب النواقيس .
وفيه قال بكر بن خازمة ، أو غيره :

بُنَا بِمَارَتِ مَرَمٍ ! * سَقِيَا لِمَارَتِ مَرَمٍ !

وَلَقَسْنَا بِحَيِّ الْمُهَنْتِمِ بَعْدَ نَوْمِ النَّوْمِ !

وَلْيُوشَعَ وَنَلْمُوهُ * حَرَاءَ مِثْلِ الْقَنْدَمِ !

وَلِفَتْنَةٍ خَشَوْا بِهِ * يَعْصُونَ لَوَمَ الْأَوَمِ !

يَسْقِيهِمْ ظُلْمِي أَنْغَرُ لَطِيفٌ غُلَقُ الْمُصَمِّ !

يَرَى بَيْنِيهِ الْفُلُو * بَ كِمِثْلِ رَمَى الْأَسْمَمِ !

قَلَايَةُ الْقَسِّ - وهي بالحيرة ، في موضع حسن . وكان القَسُّ الذي تنسب إليه
من ملاح النصارى . وكان ناسكاً ، ثم صار فاتكاً . وفيه قيل :

قَلَايَةُ الْقَسِّ ! مَا لِي عَنْكَ مُصْطَبْرُ ! * وَمَنْ إِلَى مَنْ لَحَاءُ فِكٍ يَحْتَنِزُ ؟

فَكَمْ لَدَيْكَ نَسِيمٌ ذِيْلُهُ عَيْقُ * وَكَمْ لَدَيْكَ هَوَاءٌ جِيْهُ عِطْرُ !

وَتَرِيَّةٌ وَغَنَاءُ ذِي زَوْلٍ بِهَا * سُقْمُ السَّقِيمِ وَنَايِلِي بِهِ الْبَصْرُ !

وَمَا مُزِنٌ يَكْفُ الرِّجَّ تَصْفَلُهُ * وَكَلْمَرَايَا تَلَى الْأَوْشَالِ وَالْتَدْرُ .

وقد ذكره أبو العرج وقال :

خَلِيلِي مِنْ تَيْمٍ وَغَجَلٍ ، هُدَيْتُنَا ! * أَضِيفَا بَحْتِ الْكَاسِ يَوْمِي إِلَى أَمْسِي !

قَلَايَةُ الْقَسِّ

١٠

١٥



واب أتما حَيَّيَانِي نَحْيَةً . فلا تَعْدُوا رَحِمَانَ قَلَايَةِ الْقَسِّ !
إذا ما به حَيَّيَانِي . فَأَخْلُوا . حَمِيدِينَ دُونِي بِالْمَخْلُوقِ وَالْوَرَسِ !
وإن قلتما : لا بد من شُرْبِ دَائِرٍ . ولم تَعْبُدَانِي فِي مِطَالٍ وَلَا حَبْسٍ .
فمن قَهْوِهِ حَيْرِيَّةٌ دَاهِيِيَّةٌ . عَتَبَةُ نَحْسٍ أَوْ تَزِيدُ عَلَى نَحْسٍ .
نَجْرٌ عَلَى قَرْعِ الْمِزَاجِ إِزَارَهَا . وَغَتَالٌ مِثْلُهُ فِي مَصْبَغَةِ الْعُرْسِ !

دير حنّة الكبير^(١) - قال الخالدي : هو بالحيرة في الأكرح ، غير دير حنّة الذي
قدمنا ذكره . يقال إنه بُني حين بنيت الحيرة : وكان من أنزلة الديرة ، الكثرة (سألته
وتدقق مياهه .

حكى محطة عن بعض أهل الحيرة . قال : آجتاز بنا عمر بن فرج الرّحجي^(٢) .
منصرفا من الحج . فلقيناه وأعظمناه . وسرنا معه . فلما آجتاز بدير حنّة ، سألتنا عنه
فعرّفناه به . فقال : من ذا الذي يقول :

يلدیر حنّة من ذات الأكرح !

فقال له الحسين بن هشام الحيري : هذا لأبي نواس . أفصح أن أشدك
لشاعرنا التّرواني شيئا يقرب من هذا المعنى ، في هذا الدير^(٣) : قال : قل . فأنشدني :

(١) أنظر باقوت (ج ١ ص ٣٤٥ ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) . وقال باقوت أنه لا بدري
إن كان الدير الذي بالأكرح هو نفس الذي بالحيرة . ونفس البكرى على أنها أثنان (وأنظر تفاصيله
في ص ٣٧٣) .

(٢) في الأصل : ذى

(٣) كان هو وأبيه من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، مثل الورداء وذوي العواريين
الحليلة (أنظر الأغانى ج ٩ ص ١١٤ ج ١٩ ص ١٤١ . وأنظر معجم الجهاد ج ٢ ص ٧٧٠) .

على الرِّيحان والريح • وأيام الأَكْبَرِاج
 وإبريق كَطِيرِ الما • في لَجَّةٍ مَحْضُاج •
 سلامٌ تُسَكِّرُ الصَّاحِي • وما فيه قَيِّ صَاحِ!
 وَمَنْ لِي فِيهِ بِاللَّو • عَن وَجْهِ أَبْنِ وَصَّاحِ?
 غَزَالٌ صَبَغَ مِنْ فِتْنَةِ أَدْنِ وَأَرْوَاحِ!
 إِذَا رَاحَ إِلَى الْيَعْنَةِ فِي أَثْوَابِ أَمْسَاجِ •
 قَيِّ كَفَيْهِ إِفْسَادِي • وَفِي كَفَيْهِ إِصْلَاحِي!

قال : فاستحسن الأبيات وأمر كاتبنا معه بكتبتها . وخال على الحسين بن هشام ،
 وأجازه .

- ١٠ . وحكى بحضرة قال : زرت إبراهيم بن المدر ، وكان بالكوفة ، فأكرمني وأنسني .
 وأقمت عنده ثلاثة أشهر . بخرى يوما ذكر ديرة حنة ، فقال ابن المدر : والله إنني لأحب
 أن أراه وأشرب فيه ، فقد ذكر لي حسنه ! فأين هو من الحيرة ؟ فدلله إسماعيل بن
 الحسين العلوي عليه وقال له : في هذه الأيام ينبغي أن يقصد ، لأنها أيام ربيع ورياض
 « متممة بالزهر ، والغدران ، والبادية بقرية » فلن نعلم أعرابيا فصيحاً طير إلينا ، ونحن فيه ،
 فيهدى إلينا بيض نعام ، ويخفى لنا الكأنة . فتقدم ابن المدر إلى غلمانه بإعداد ما يحتاج
 إليه . وخرج وخرجت حتى وافيناه . فإذا دوح حسن البناء ، والرياض محفدة به ، ونهر
 الحيرة الذي يقال له الغدير يقرب منه . فضربت لنا خيماً عنده . وخرج إلينا رهبانه ،
 وحملوا إلينا مما عندهم من التَّحَفِّ والأَطْفِ . فأكلنا وجلسنا نشرب . وغنيت به شعر
 أبي نواس المتقدم . فبينما نحن كذلك ، إذ اجتازنا غلاماً حسنٌ ، عارضه كأنه بدر على

غصن، معه مصحف من مصاحف النصارى، كامل العقل، ساهر الحظ واللفظ.
فشرب ابن المدبر على وجهه رطلا، وسقاه قَدْحًا. وأستاذته الغلام في النهوض، وقال:
معي مصحف لا تتم للرجلان صلاة إلا بحضوره. وهذا وقت صلاتهم، وقد ضربوا
الناقوس منذ ساعة. وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار. وعملت
شعرا صنعت فيه صوتا. فما زال صوته طول مقامه. وهو:

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ بِنَا مُسْرِعًا * يَسْعَى إِلَى الدَّيرِ بِأَسْفَارِهِ!
خَدَمْتُ رَبَّ الدَّيرِ مِنْ أَجْلِهِ * حَتَّى كَانَتْ بَعْضُ أَجَارِهِ.
حَذَرْنِي النَّارَ وَلَمْ يَذَرْنَا * فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ مِنْ تَارِهِ.
حَيْرَتِي تَقْتِيرُ أَجْضَانَهُ : وَحَلَّ عَقْدِي زُنَّارُهُ.

(١٢٥)

وأقنا بمكاننا ثلاثة أيام، ثم عدنا إلى الكوفة وقد عملت في تلك الأيام وغنيت فيه:

وَبِالْحَيِّرَةِ لِي يَوْمٌ * وَيَوْمٌ بِالْأَكْبَرِيَّاحِ!
إِذَا عَزَّ بِنَا الْمَاءُ * مَرَجَّتْ الرِّيحُ بِالرَّاحِ!

وحكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال: كان في دير حنة نمار يقال له مرعبدا،
موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الحانة. فحكى مرعبدا قال:
ما شِعرْتُ يوما وقد فتحتُ حانوتي وجلست إلى جانب الهيكل، إلا بثلاثة فوارس
قد أقبلوا من طريق السماوة في البر، حتى وقفوا على، وهم متلثمون بعائم الخمر وعليهم
حُلُ القصب. فسأموا على وأسفر أحدهم وقال: أنت مرعبدا، وهذا دير حنة؟
قلت: نعم. قال: قد وُصِفَتْ لنا بجودة الشراب والنظافة، فأسقى رطلا. فبادرتُ
ففضلت يدي ثم هزت الدنان ونظرتُ أصفاها فزلتسه. فشرب، ومسح يده وفه

- بالمنديل . ثم قال : أسقني آخر : فنسلت يدي وتركته ذلك الدق وذلك القدح والمنديل ونقرت دقاً آخر . فلما رضى صفاه ، بزلت منه رطلا في قدح ، وأخذت مندبلا جديدا . فناولته إياه فشرب كالأول . ثم قال : أسقني رطلا آخر . فسقيته في غير ذلك القدح وغير ذلك المنديل . فشرب ومسح فيه ويده . وقال لي : بارك الله فيك ! فما أطيب شرابك وأنظفك وأحسن أدبك ! وما كان دأبي أن أشرب أكثر من ثلاثة أرطال . فلما رأيت نظافتك دعني نفسي إلى شرب رابع ، فهاهنا ! فناولته إياه على تلك السبيل . فشرب وقال : لولا أسباب تمنع من يشرب لكان حبيبا إلى جلوسى يومى هذا فيه . وولت متصرفا في الطريق الذى بدا منه . ورمى إلى أحد الراكبين اللذين كانا معه بكيس . فقلت وحق النصرانية ! لا قبلته حتى أعرف الرجل . فقال : هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ! ووصفت له ، فأقبل من دمشق حتى شرب من شرابك ورأى دبرك والحيرة . ثم أنصرف . فخلأت الكيس فإذا هو أربعائة دينار .



- دير هند^(١) - (وهي بنت النعمان بن المنذر) بناء لها أبوها لتتعب فيه . فلما فرغ
- (١) أنظر البكري (ص ٣٦٢) : وياقوت (ج ٢ ص ٧٠٧) : "والبلدان" لهنداني (ص ١٨٣) : وابن الكلبي (ص ١٧٢) : "وقب الطيب" (ج ١ ص ٣٢٩) . وهناك ديارات أخرى باسم هند بعضها يسمى سيد الكرى وبعضها يند بنت العان وبعضها يند الأعمد وبعضها يند هـ . وأنظر التفاصيل عليها في الأعمام (ج ٢ ص ٣٣ و ٣٤ و ٨ ص ٦٤) : والعلوي (سلسلة I ص ٢٤٩٤ ، سلسلة II ص ٦١٩ و ٦٢٠ و ١٨٨٢ و ١٩٠٣) : وابن الأثير (ج ٤ ص ١٨١ ، ج ٥ ص ٢٤٧) : "والكامل" لقرطبي (ص ٢٦٦) : وابن الأثير (ج ١ ص ٣١٥) . وهناك دير آخر باسم هند في دمشق (ياقوت ج ٢ ص ٧١٠) . وقد تختلط هذه الاسماء بعضها ، ولكن البيانات والمواطن التي أوردتها هنا تسمح بنجم التمييز لمن يريد البحث عنها واستقصاها .

منه، نرجحت من قصر أبيها تريده . فأقامت في الطريق سنة تنزل المضارب في نزه وصيد . والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرح . وشق له بشر بن مروان نهرا من الثمرات . ولم يزل النهر يجري حتى نرب الدير .

وحي أن النعمان كان يصلي به ويتقرب فيه، وأنه علق في هيكله خمسانة فينديل من ذهب وفضة . وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبان وما شاكلهما من الأدهان، ويوقد فيه من العود الهندى والعنبر شيئا يجل عن الوصف .

وفيا حكى الكلبي أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأى امرأة تأخذ قربانا، أخذت قلبه، فدعا الراهب الذى قربها وسأله عنها . فقال : هى امرأة حكم بن عمرو الخمي . فلما أنصرف النعمان دعا عدى بن زيد ، كاتبه . وأوقفه على الخبر وقال له : كيف الحيلة ؟ فقال له : إذا كان بكرة غد وحضر الناس الباب، فابدأ به في الإذن وأجلسه معك على سريرك . ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده . فجعلوا يتعجبون . وأنصرفوا . فقال النعمان لعدى بن زيد : قد فعلت ماأشرت به ، فقه ؟ قال : إذا أصبحت فأكسه وأحمله . ففعل . ثم قال : اجعل حوائج العرب إليه . ففعل . ثم قال النعمان لعدى بن زيد : قد طال هذا ! قال : إذا أصبحت ، فإن عندك عشر نسوة . فطلق أبغضهن إليك . ثم قل له : قد طابت نفسى لك بما لم تطب به لولد ولاخ . قد طلقت لك فلانة ، قترؤجها . ففعل ذلك . وخرج وهو لابس من حلل النعمان ، ولديه ماحمله عليه . فجلس وحكم بين العرب ، وعدى بن زيد بالباب جالس .

(١) هذه الحكاية رواها أيضا في كتاب المحاسن والاصداد المنسوب للباحث (ص ٣٠٩ طبع لندن) .

وهناك تغيير في بعض الألفاظ .

فقال له الخمي : ما أدري ما أكافئ به الملك ؟ فعل معي وفعل . فقال له عدى :
ما أقدر لك على مكافأته ! قال : وما هو ؟ قال : طلق أمراك كما طلق لك أمراكه .
قال : قد فعلت . فأغضها إلى النعمان . وفي ذلك يقول الشاعر :

عَلَّقْتُهَا حَرَّةً حَوْرَاءَ نَاعِمَةً ۖ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي دَائِجٍ مِنَ الظُّلَمِ .

ماي البرية من أنثى تُعَادِلُهَا ۖ إِلَّا الَّتِي أَخَذَ النُّعْمَانُ مِنْ حَكَمٍ !

- وقد ذكره أبو الفرج وقال : هند بنت النعمان صاحبة هذا الدبر، هي الحرقة .
وهي التي دخلت على خالد بن الوليد . وأنكر أمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة
وكسوة . فقالت : مالي إليه حاجة . لي عيذان يزرعان مزرعة لي ، أنقوت بها ما يمسك
رمقي . وقد اعتدلت بقولك فعلا وبعرضك نقدا . فاسمع مني دعاء أدعو به لك ، كما
ندعو به لأملاكنا : شكركم يد أفقرت بعد غنى ، ولا ملككم يد أסתغنت بعد فقر ،
وأصاب الله بمعرفتك مواضعه !

- قال : وهذا الدبر يقارب دبر بني عبد الله بن دارم بالكوفة ، مما يلي الخندق .
وحكى الشافعي أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة دبر هند بنت
النعمان ، وهي متكنة من عقلها ورأيها ، فأنظر إليها فلانها بغيمة . فركب ، والناس معه ،
حتى أتى الدبر فقيل لها : هذا الأمير الحجاج بالباب : فأطلعت من ناحية الدبر .
فقال لها : يا هند ! ما أعجب ما رأيت ؟ قالت : نخرج مثلي إلى مثلك . لامتدتن
يا حجاج بالدينار ، فإنا أصبحنا ونحن كما قال النابتة لأبي :

رَأَيْتُكَ مِنْ تَمَقُّدٍ لَهُ حِيلُ ذِمَّةٍ ۖ مِنَ النَّاسِ ۖ يَأْمَنُ مَرْجِعُهُ جَيْثًا أَرْتَقِي !

ولم تُمس إلا ونحن أذل الناس . وقل إناء امتلا إلا أنكفا . فأنصرف الحجاج

مُضْضِبًا. وأرسل إليها مَنْ يخرجها من الدبر، ويستأديها الخراج. فأخرجت، ومعها ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنَّ:

❦

خارجاتٌ يُسَقَّنَ من ديرهِنْدٍ * مُطْلَآتٌ بِذِلَّةٍ وَهَوَاٍ!

لَيْتَ شِعْرِي! أأَزِلُّ الْحَشْرَهْنَ * أم عَا الدَّهْرُ غَيْرَةَ الْفِتْيَانِ؟

فشدَّ قَتْنِي من أهل الكوفة على فرسه. فاستقنهنَّ من رُسُلِ الججاج. وتنبَّه. فبلغ الججاج شعراً وفعلُ القَتْنِ، فقال: إن أنا، فهو آمِنٌ؛ وإن ظفرتا به، قتلناه! فأتاه. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: المغيرة. فوصله وخلاه.

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق، أتى هنداً إلى دبرها. ففرجت إليه وعرض عليها نفسه في حوائجها. فقالت: ساحيك ببيعة كانت ملوكنا تُحِبُّها «شكرتك يَدُ أَفْقَرَتْ بعد غَيٍّ، ولا مَسَّتْ يَدُ أَسْتَنْتِ بعد قَرٍّ، ولا جعل الله لك

إلى لئيم حاجة، ولا نزع عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لرقبها عليه!» قال: ثم جاءها المغيرة، لما ولَّاه معاوية الكوفة. فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير على الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جبلة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فن أنت؟ فقال: المغيرة بن شعبة الثقفي.

قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُك خاطباً. قالت: والصليب! ما جئتني رغبةً في مال، ولا شغفاً بجمال. ولكن أردت أن تقول: نكحتُ أبنَةَ النعمان. وإلا فأى نغز في أجتاع شيخ أعور وعجوز عمياء؟ اذهب! فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب. أمسيتا وليس في العرب أحدٌ إلّا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض أحدٌ إلّا ونحن نرغب إليه ونرهبه. قال:

فما كان أبوك يقول في تعيف؟ قالت : أختصم إليه رجلان، أحدهما ينجيها إلى إباد
والآخر ينجيها إلى بكر بن هوازن . فقضى بها للإيادي . وقال :

إِنَّ حَقِيقًا لَمْ تُكُنْ هَوَازِنَا * وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا!

قال المصيرة : أما نحن فن بكر بن هوازن . فليقل أبوك ماشاء!



- د. اللج - وهو بالحيرة . مما بناء النعمان بن المنذر . وهو من أئمة ديارها وأحسنها ٥
بناء : لما يطيف به من البساتين . وكان النعمان يأتيه يتبعديه، ويستشفى به في مرضه .
وفيه قيل :

يَالْيَتِي أَطِيبَ بِهَا لَيْلَةٌ * لَوْلَمْ يَكُنْ قَصْرُهَا الطَّيِّبُ !
يَقْنَا بِدِيرِ اللُّجِّ فِي حَانِيَةٍ * شَرَابُهَا فِي الْكَاسِ مَكْبُوبُ .
يُدِيرُهَا طَلَبِي هَضِيمُ الْحَسَا * يَحِبُّهُ الشَّبَانُ وَالشَّيْبُ .
حَتَّى إِذَا مَا الْخَمْرُ مَالَتْ بِنَا * جَرَتْ أَمْوُورٌ وَأَعَاجِبُ .
فَمَا تَرَى ظَنِّكَ فِي شَادِي * بَاتَ إِلَى جَانِبِهِ ذَيْبُ .

- وقد ذكره أبو الفرج . فقال : كان النعمان يركب في كل أحد إليه . وفي كل عيد .
معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومن ينادمه من أهل دينه . عليهم حلل الديباج
المذهبة . وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب . وفي أوساطهم الزناير المحلاة بالذهب المفصصة ١٥
بالجوهر . وبين أيديهم أعلام فوقها صليان الذهب . فإذا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ . أنصرف
إلى مُسْتَشْرِفِهِ عَلَى التَّجَبُّبِ . فيشرب فيه بقية يومه إلى أن يُمُتَّى . وخلع ووصل
وحمل . وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه . وأُنشد فيه قول الشاعر :

(١) أنظر أيضا يا فتوت (ج ٢ ص ٦٩١) . والكبرى (ص ٣٦٦) .

سقى الله دير اللج خيرا فإنه * على بُعْدِهِ مَنَى إِلَى حَبِيبُ!
قَرِيبٌ إِلَى قَلْبِي بِعِيدِ مَكَانِهِ، * وَكَمَنْ بَعِيدِ الدَّارِ وَهُوَ قَرِيبُ!

دير بنى علقمة^(١) - وهو دير بناه علقمة بن عديّ الحمّصيّ، بالحيرة، وفيه يقول
عديّ بن زيد، وفيه غناء :

نَادَمْتُ فِي الدَّيْرِ بَنَى عَلْقَمًا * عَاطَيْتُهُمْ مَشْمُولَةً عِنْدَمَا!
كَأَنَّ رِيحَ الْمَسْكِ فِي كَاسِهَا * إِذَا مَرَجْنَاَهَا بِمَاءِ السَّمَاءِ!

دير هند الأقدم^(٢) - وهي هند الكبرى بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملك،
أم عمرو بن المنذر، الملك .

وحكى محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي عن أبيه قال : دخلت مع يحيى
أبن خالد، لما خرجنا مع الرشيد، إلى الحيرة . وقد قدّمها ليتزّه بها ويرى آثار
آل المنذر . فدخل دير هند الأكبر . وهو على طَرَفِ النَّجَفِ : فرأى في جانب
حائطه شيئا مكتوبا . فدعا بَسْلَمَ فَأَحْضَرَ . وأمر بعض أصحابه بأن يصعد إليه ،
فيقرأه . فاذا فيه مكتوب :

إِنَّ بَنَى الْمُنْذِرِ عَامَ أَنْقَضُوا * بِحَيْثُ شَادَ الْبَيْعَةَ الرَّاهِبُ،
تَفْتَحُ بِالْمَسْكِ ذَفَارِيهِمْ * وَغَبْرٌ يَقْطِبُهُ الْقَاطِبُ .
وَالْقَرَّ وَالْكُتَانَ أَنْوَابُهُمْ * لِمُحْتَلِبِ الصَّوْفِ لَمْ جَالِبُ .

(١) سمّاه ياقوت والبكري "دير علقمة" وأظن كلام الأول عليه (ج ٢ ص ٦٨١) ، والثاني
(ص ٢٦١) .

(٢) أظن البكري (ص ٣٦٤) . وسمّاه ياقوت "دير هند الكبرى" (ج ٢ ص ٧٠٩) .

والعز والمُلك لم رَاهَنُ • وقهوةً تاجُودُها ساكِبُ .
 اتَّخَعُوا وما يرجوهم طَالِبٌ • خيرا ولا يرهبهم رَاهِبُ .
 كأنهم كانوا بها لُعبةً • سار إلى بينَ بها رَاكِبُ .
 وأصْبَحُوا في طبقات الثرى • بعد نعيم لهم رَاتِبُ .
 شرُّ البقايا من ترى منهم : • قُلُّ . وذلك جُدُّ خائب !

فبكى الرشيد، حتى جرت دموعه على لحيته . وقال : هذه سبيل الدنيا وأهلها !
 وأنصرف عن وجهه ذلك .

قبة السنيق^(١) - وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج . وبازائها قباب
 يقال لها السُكُورَة ، جميعها للنصارى . وعيد الشعانين بها تَزْرَه . يخرج فيه النصارى
 من البكورة إلى القبة في أحسن زى ، عليهم الصلبان وبأيديهم المحاسر . والقسوس
 والشمامسة على نغم واحد ، متفق في الألحان ، إلى أن يقضوا بغيثهم . ثم يعودون
 على هيتهم .

دير إسمحاق^(٢) - وهو بين حمص وسامية . في موضع حسن تَزْرَه ، على نهر جاز .
 وحوله كروم ومزارع ، إلى جانب ضيعة صغيرة ، يقال لها جدر . وهي التي ذكرها
 الأخطل في قوله :

عَتَقْتُهَا حِمصُ أَوْ جَدْرُ •

(١) أوردته في الأصل بالشين المعجمة . (وأظن تصحيحا عن ياقوت في صفحة ٣١٥ المقدمة أثناء الكلام على (دير الحريق) .

(٢) في الأصل : منهم .

(٣) أظن ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) .

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشمي السمانى، من أهل سلمية :

وافق أخاك تجده خير رفيق ، * إن كنت لست عن الصبا بمفروق !
وإذا مررت بدير إسحاق قل : * جادتك غير محائب ورووق !
دير يُسبّه مأؤه بهوائه * وهوائه بلطافة المعشوق .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى أخيه من دير إسحاق :

أما طربت لهذا العارض الطرب * أما رأيت الصبا والجوف في لب
تعاثا فكان القطر بينهما * من فضة ، وكان الزهر من ذهب .
ومن في دير إسحاق ومجلىسنا * يشكو مغيبك فاحضره ولا تغيب .
لنجعل اليوم عيداً في ملاحته * وقلب المسم بالأدوار في القلب .

وقال فيه :

١٠

سلام على ليلة النور * هضت كرازة في الحلم !
أتتني في طليان الضياء * ولم تنفع بنور الظلم .
يعارض فيها ابتسام البروق * بروق دنائب بها تنقسم .
وصفراء لم تبق إلا النحيف منها الليالي وطول القدم ،
تمزقنها في ثياب الدجى * إلى أن تجلى الدجى للهزم .
زلنا بها وسط مكسوة * مطارف من نسج أيدي الدئم .
سقاني ابن قسيسها كأسها * على زورة من حبيب ألم .

١٥

وقال فيه :



أَتَظَاهِرُ رِيَاضَ الدِّيرِ مِنْ صَوْبِ مَا طَرِهَ . وَلَمْ أَقْرِضِيفَ اللَّيْلَ أَجْفَانَ سَاهِرَ .
 وَقُلْتُ : سَقَى الصَّحْرَاءُ بَيْنَ عَوَاقِصِ . ذَوَائِبِهَا فِي سَفْحِهِ وَنَوَاشِرِ !
 رَحِمَ بَاطِلُفَالِ الْعَرُوسِ يَضُمُّهَا . إِذَا مَا آتَنَتْ ضَمَّ الشَّقِيقَ الْمَاحِزِ .
 فَكَمْ قُلْتُ لِلسَّاقِ ، وَقَدْ فَجَّ النَّدَى . نَوَاطِرَهَا : قُمْ هَاتِيهَا لِاتِّسَاطِرِ !
 يَمُنْ إِلَى الدِّيرِ أَسْتَيْقِي كَكَاثِمَا . يُرِي الصَّبَا فِيهِ بِمَوْقِعِ نَاطِرِي .

دير ميماس - وهو بين دمشق وحمص على نهر ميماس ، وإليه تُسب . وهو
 في رياض وبساتين ، وعليه طواحين رومية . ويزعم رهبانه أن به شاهدا من
 الحوارين .

دير ميماس

وَحِكَى الْعَسْقَلَانِي أَنَّهُ كَانَ لَدَيْكَ الْحَقُّ غَلَامٌ يَهْوَاهُ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْوَجْدِ بِهِ ، فَنَحَدَعَهُ
 قَوْمٌ وَمَضَوْا بِهِ إِلَى دِيرِ مِيمَاسَ ، وَسَقَوْهُ نَيْدَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الدِّيكَ . فَقَلِقَ . وَقَالَ :

قُلْ لِمُضِيمِ الْكَشْحِ مِيمَاسَ : . إِرْتَفَعَ الْعَهْدُ مِنَ النَّاسِ !

يَاطَاقَةُ الْآسِ إِلَى لَمْ تَمُدَّ . إِلَّا أَذَلْتُ قُضْبَ الْآسِ !

وَنَقَّتْ بِالْكَاسِ وَشَرَّابَهَا ، . وَخَفَّ أَطْلَاكَ فِي الْكَاسِ !

فِي دِيرِ مِيمَاسِ ، وَيَابَعَدَ مَا . بَيْنَ مَغِيثِكَ وَمِيمَاسِ !

لَا بَاسَ مَوْلَايَ عَلَى أَتْنَاهَا . نَيْبَايَةُ الْمَكْرُوهِ وَالْبَاسِ !

فَالَهُ وَدَعَّ عَنْكَ أَحَادِيثَهُمْ . سَيُصْبِحُ الذَّاكِرُ كَالنَّاسِ !

(١) أنظر باتوت (ج ٢ ص ٧٠٢) .

وحكى ان أبا نُوَاس، لما دخل حصن ماراً بها، دعاه قتي من أدبائها إلى دير ميماس .
ودعاه معه أئجع السلمي، فجلسوا يشربون، وأبو نُوَاس يُشَدُّهم، له ولغيره. فقال أئجع :

صَبَحْتُ وَجَهَ الصَّبَاحِ بالكاس * ولم تُعَفِّني مَقَالَةُ النَّاسِ .

ونحن عِنْدَ المَدَامِ أَرْبَعَةٌ * أَكْرَمَ صَحْبٍ وَخَيْرُ جُلَاسِ .

نَدِيرُ حِصْيَةٍ مُعْتَقَةٍ * عَلَى نَسِيمِ النَّسِيرِينِ وَالْأَسِ .

ولم يَزَلْ مُطَرِّبًا وَمُنْشِدًا * أَبُو نُوَاسٍ فِي دِيرِ مِمَاسِ .

❦

دير محلي - وهو بساحل جيجان، قريب المصيصة .

وحكى أبو نصر النحوي أن أبا خالد الكاتب، آجناز بهذا الدير، ومعه ابن أبي زرعة
الدمشقي الشاعر، قال: فرأينا من حسن رياضته، وتدقيق مائه، وطيب هوائه، ونضرة
أشجاره، منظرًا حسنًا. فقال ابن أبي زرعة: لقد حُظِرَ علينا أن نتجاوز هذا الموضع
ولا نشرب فيه حتى نموت سكرًا . فقلت له : ويحك ! أنا مبادر في مُهم . فقال :
ما قد أملك أهم من هذا، ونحني رجله، ونزل عن دابته، فنزلنا، ثم أتانا الرهبان بتمايا الورد
والياسمين والتفاح، وأخرجوا إلينا شرابًا عتيقًا، في نهاية الصفاء والزقة، فأبتعناه منهم.
وأقنا يومنا هناك في أنهم عيش وأحسنه . فلما أصبحنا، غدونا، فأنشدني أبو زرعة

لنفسه :

دِيرٌ مُحَلِّيٌ بِحَلَّةِ الطَّرِبِ * وَصَحْنُهُ مِصْنُ رَوْضَةِ الْأَدَبِ .

والماءُ والخمرُ فيه قد سَبَّكَ * لِلصُّفْوِ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ ذَهَبِ .

(١) في الأصل : ولم يزد طربًا ومنشدًا .

(٢) سماء ياقوت "دير الحلي" وأظن كلامه عليه (ج ٢ ص ١٩٥) .

لا ودموغُ الغمام رَوْقُذا * وتلك لم تُعْتَصِرْ مِنَ الْعِنَبِ.
وَوَزَّذَهُ فِي الْفُصُوفِ يَتَمَيَّ * حُسْنًا وَتَفَاحُهُ يَبْرَحُ بِي.
فَلَا تَأْمَنِي إِذَا جَمَلْتُ إِلَى * حَانَتِهِ مَا حَيِّتُ مُثْقَلِي.
رَضِيْتُ أَنْ أَغْتَدِي بِلَا نَسَبٍ * وَيَسْتَدِي وَهُوَ قَدْ حَوَى نَسَبِي.

دير مار مروثا^(١) - وهو دير صغير، بظاهر حلب، في سفح جبل جوشن، على نهر العُرجان.

وكان سيف الدولة محسنا إلى أهله . وقلمها مر به إلا نزله ، ووهب لأهله هبة كبيرة . وكان يقول : رأيت أبي في النوم يُوصِفي به .

وله بسائين قليلة ومباقل . وفيه زجس وبتسج وزعفران .

ويعرف باليعتئين ، لأن فيه مسكينين : للرجال والنساء .



قال الخليلي وإياه عن الصنوبري بقوله :

مَا بَالُ أَعْلَى قُوَيْقٍ يَشْرُمُنْ * وَشِي الرِّبْعِ الْجَدِيدِ مَا الدَّرَجُ؟
كَأَنَّمَا أَخْتَبِرْتُ الْفُصُوفُ لَهُ * بَيْنَ عَقِيْقِي وَبَيْنَ فَيْرُوزَجِ.
أَمَا تَرَى الْيَعْتَيْنِ أَفْرِدَتَا * بِمُفْرَدِ الْأَنْحَوَاتِ وَالْمُزَوَّجِ؟
أَنْوَابُهُ الْمَزْنُ كَيْفَ مَا اتَّصَلَتْ . * وَنَارُهُ الْبَرْقُ كَيْفَ مَا أَجَّجَ.

١٥

دير الرصافة^(٢) - هو بالشام . قريب رصافة هشام بن عبد الملك ، وموضعه حسن .

دير الرصافة

وفيه قيل :

(١) - ساد ياقوت بالتأنيث "مارت مروثا" أي القديسة ماروثا . وأظن كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩١) .

(٢) - أظن الكبرى (ص ٣٧٩) ، وأظن ياقوت (ح ٢ ص ٦٦١) .

نراك جَزَعْتَ يا دير الرصافة * غداة تحولت عنك الخِلافه!
فلا تَجَزَّعْ وتُكْدرى الدَّمْعُ حُرْناً، * فإِنَّ لِكُلِّ جَمْعَيْنِ آفه!
وحكى أن أبا نَواَْسَ مرَّ به، فبات فيه . فلما رحل عنه، قال :

ليس إلا دَيْرُ الرِّصَافَةِ دَيْرٌ * فيه ما تَشْتَبِي النُّفُوسَ وَتَوَى.
بُشَّةٌ لَيْلَةٌ فَقَضَيْتُ أَوَّلَهَا * رَأَى وَيَوْمًا مَلَأْتُ قَطْرَ يَدِهِ لُحُوءًا.

وقد ذكره أبو الفرج وقال : إن ابن حمدون حكى أن المتوكل لما أتى دمشق،
ركب يوماً إلى رصافة هشام، يزور دوره وقصوره . ثم خرج فأتى الدير . وهو من بناء
الروم، حسن البناء، بين مزارع وأنهار . فيها هو يدور، إذ بصر برقعة قد ألصقت
في صدره . فأمر بها أن ترفع ويؤتى بها . فُطِّلَتْ وإذا فيها :

أَيَا مَتْرَلاً بِالْدَيْرِ أَصْبَحَ خَالِياً! * تَلَا عَبَّ فِيهِ شَمَالٌ وَدُبُورُ!
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْكُنْكَ بَيْضُ أَوَانِسَ : وَلَمْ تَتَجَخَّرْ فِي فَنَائِكَ حُورُ.
وَأَبْنَاءُ أَمْلَاجٍ عَبَّاشٌ سَادَةٌ : أَصَاغِرُهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ كَبِيرُ.
إِذَا لَيْسُوا أَذْرَاعَهُمْ فُضْرَاغُمْ * وَإِنْ لَيْسُوا تَبَجَانُغُمْ فُبُذُورُ.
لِيَسَالِ هِشَامُ بِالرِّصَافَةِ قَاطِنٌ * وَفِيكَ أَبْنَةُ يَادِيرٍ وَهُوَ أَمِيرُ
إِذِ الْعَيْشِ غَضَّ وَالْخِلَافَةِ لَدَنَةٌ * وَأَنْتَ طَكِيرٌ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ.

(١) في الأصل : سرك . (بدون نقط) . وقد صححت بما يقتضيه المقام ، بقدر الإمكان .

(٢) أى منسوبون إلى عبد شمس . وفي ياقوت . غياثهم وهو تصحيف .

(٣) في ياقوت صغيرهم . وهو أنسب

وروضك قينان يذوب نضارة • وعيش بني مروان فيك نصير •
رويتك إن اليوم يتبعه غد • وإن صروف الدوائر تدور •

فلما قرأها المتوكل ، أرتاع وتطير . وقال أعوذ بالله من شر أقداره ! ثم دعا بالديراني وقال : من كتب هذا ؟ قال : والله لا أدري . لأنني منذ نزل أمير المؤمنين هنا ، لا أملك من أمور هذا الدير شيئاً . يدخله الجند والساكبة . وغاية قدرتي أني متوارف في قلايتي . فهم بضرب عنقه وإحراق الدير . فلم يزل به الفتح بن خاقان حتى كفى . ثم ظهر أن الذي كتبها رجل من ولد رُوح بن زُبَيْع ، صاحب عبد الملك ، وأمه مولاة هشام .

دير حطورا – هو في شرق طرابلس ، في جانب الوادي . الذي أسفل من طرزيه والحلث .

١٠

وهو بناء في سفح الجبل . من ذلك الجانب ، قبالة الطريق السالك إلى طرابلس . وهو حصين جداً . لا يسلك إليه إلا من طريق واحد . وظهر الجبل الذي له تمتع .

دير البسات^(١) – وهو دير أبيض البناء ، مشرف على أرض طرابلس . له ذكر .

دير البسات

حكى أن الطيبي أتاه في يوم شعثت شمسُه ، وأترعت كؤوسُه . وكان الفصل ربيعاً قد استطلت فيه البسات ، وطلَّ الحسن تلك البسات . وفيمن كل عذراء تدهش المتحير ، وتحير المتخير . وكان قد صحبه غلام ذو عذار أخصب به البلد الساحل .

١٥

(١) ذكر المفريدي ديرين البسات بالقاهرة وهما غير هذا الذي ذكره ابن فضل الله هنا . (أنظر "الخطوط"

وقذف موج الخلد منه العبر إلى الساحل . وطافت عليه قطائع المدام ، وأمن شنائع
الملام ، وتقلب بين غلامه و غلام . فقال :

دير البنات الزهر أنت المني ! . وأنت من دون الأمان المرام !
لم أنس يوما فيك أذهبت ، . تعلقه بل ذهبته بالمدام !
ونحن في غيرة أيماننا . والعيش مثل الطيف حلوا الآلام .
والدوخ ما جفت له زهرة . والروض طفل ما جفاه الغام .
وبينا نؤود كشمس الضحى . وأغيد قد فاق بدر التمام .
لولا نبت الشجر في خده . لم تدر أي الأعين الغلام .

- دير كفتون - وهو بلاد طرابلس ، مبنى على جبل ، وهو دير كبير . وبنائه
بالحجر والكلس ، في نهاية الجودة . وبه ماء جار . وله حوض كبير مملوء من شجر
التاريخ . يحل تاريخه إلى طرابلس ، يباع بها . ويرتقى بئنه الرهبان ، وله مستشرق مطل
على البلاد والمزارع . ومنه مكان يشرف على بعد على البحر .
ولهذا الدير صيته جائل وسمعة مذكورة . وبه رهبان كثير العدد . والنصارى
تقصده ، ويحج إليه الذنوة . ويقصده كثير من أهل البطالة واللاهو ، لتفرج به
والتتره فيه .

وفيه يقول الطيبي :

أذير كفتون نكني كل نائبة . من المغموم وتلق كل سرا !
من كل خضراء في الأشجار مائبة . وكل صباء في الكاسات حمراء .
حالت في دير كفتون فلا عجب . إذ مت سكرًا بحمراء وخضراء !



دير القاروس ^(١) - على جانب اللاذقية ، من شمالها . وهو في أرض مستوية .

وبناؤه مربع . وهو حسن البقعة .

وفيه يقول أبو علي حسن بن علي الغزّي :

لم أنس في القاروس يوماً أبيضاً * مثل الجبين يزينه فرع الدجى !

في ظل هيكله المشيد وقد بدأ * للعين معقود السكينة ألبجا .

واللاذقية دونه في شاطئ * بلوره قد زين الفير وزجا .

ولدى من رهبانه متمسك * أضفى امرط بحاله متبرجا .

أحوى أغش إذا ترقد صوته * في مسمع رذا احتجاج ذوى الحجى .

لاثنى أطف من شمائله إذا * حث الشمول ولفظه قد جلبجا .

فله وللبوم الذى قضته * معه بكائى لأربع قد تبجا .

دير فيق ^(٢) - وهو في ظهر فيق ، بينها وبين بحيرة طبرية . في لحف جبل يتصل

بالعقبه . منقور في الحجر . وهو عامر بن فيهو بن يرد عليه . والنصارى تقصده وتعظمه .

قال الشافعى : ويؤمن أنه أول دير عُمل وأن المسيح (عليه السلام) كان

يأوى إلى ذلك الموضع الذى عمل به هذا الدير . ويجلس إلى ذلك الحجر . وكل من

دخل من النصارى ذلك الموضع ، كسر من ذلك الحجر : تبركا به . وعمل في هذا الدير

موضع على اسم المسيح ، (عليه السلام) .

(١) أنظر "فتح البلدان" لجيلادى (ص ٣٥٧) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٨٤) .

قال: ولأبي نواس قصيدة، يذكر فيها هذا الدير ويخاطب فيها غلاما نصرانيا كان يهواه . منها :

بعمودية الدين العنيق .
بمِرْ طَلِيْطَهَا ، بِالْحَائِلِيْ
تُحْمِلُ قاصداً ما سرَّجسان .
فَدَيْرُ التَّوْبَةِ فَدَيْرُ رَمِيْ
وَالصَّلْبِ الْفَجِيْنِ وَقَدْ تَبَدَّتْ .
وَبِالزَّائِرِ فِي الْخَصْرِ الدَّقِيْقِ
وَالْحُسْنِ الْمَرْكَبِ فَيْكُ الْإِلَا
رَجَتْ تَعْيِيْرِي وَجُفُوْفِيْ
أما والقُرْبِ مِنْ بَعْدِ الثَّانِي .
يَمِيْنُ قَتْلَ لِقَاتِلِهِ عَشِيْقِ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ زِينَةُ كُلِّ بَكَرٍ .
وَعِيْدًا مَعَ جَفَائِكَ وَالْعَقُوْقِ !



دير الطور - والطور جبل مستدير، متسع الأسفل، لا يتصلق به شيء من الجبال .
وليس له إلا طريق واحد ، بين طبرية والخلجون . مشرف على الغور والمرج وطبرية .
نزّهة، وفيه عين تنبع بماء غزير . والدير في القبلية ، منى بالبحر . وحوله كروم كثيرة ،
يعتصرونها . ويعرف بدير التجل . لأنهم يزعمهم أن عيسى تجلّ فيه لتلاذه ، بعد أن
رُفِعَ حَتَّى أَرَاهُمْ نَفْسَهُ وَعَرَفُوهُ .

وللهلhel بن يموت بن المزرع فيه :

مَضِيْتُ إِلَى الطُّورِ فِي فِتْنَةٍ .
سِرَاجُ التَّهْوِضِ إِلَى مَا أَحْبَبْتُ .
كَرَامِ الْجُنُودِ حِيَانِ الْوُجُوهِ .
كَهَوْلِ الْعُقُولِ شَبَابِ اللَّعْبِ .

(١) ذكره ياقوت باسم دير طور سينا (ج ٢ ص ٦٧٥) . وهو بالمشام . وهو غير المشهور فدننا وحديثا
في شبه جزيرة الطور (المعروف الآن باسم دير طور سينا) الذي سيأتى الكلام عليه باسم كنيسة
[دير] الطور في ص ٣٧٢ .

- فأَيُّ زَمَانٍ بِهِمْ لَمْ يُسَرَّ • وَأَيُّ مَكَلِّفٍ بِهِمْ لَمْ يَطْلُبْ •
 أَخَذْتُ الرَّكَابَ عَلَى دِرْبِهِ • وَقَضَيْتُ مِنْ حَقِّهِ مَا يَجِبُ •
 وَأَنْزَلْتُهُمْ وَسَطَ أَعْتَابِهِ • وَأَسْقَيْتُهُمْ مِنْ عَصِيرِ الْعَنْبِ •
 وَأَحْضَرْتُهُمْ قَسْرًا مُشْرِقًا • تَمِيلُ الْفُصُونُ بِهِ فِي الْكُثْبِ •
 نَحْتُ الْعُكُوسَ بِأَهْزَاجِهِ • وَمَرَّسُومَ أَرْمَالِهِ بِالْعَجَبِ •
 وَمَا يَرَى ذَاكَ حَدِيثُ يَرْوِقَ • وَخَوْضُ لَمْ يَفُتُّوا فِي الْأَذْبِ •
 فَيَاطِبُ ذَا الْعَيْشِ لَوْ لَمْ يَزَلْ • وَيَأْخُضَنَّ ذَا السَّعْدِ لَوْ لَمْ يَفْبِ •

وَأُنْشِدُ لَهُ الشَّابِثِيَّ فِي نَحْوِ مَنْ مَثَلَ هَذَا الْأَرْبَ . وَقَدْ دَعَا نَوَّارَ الرَّيِّعِ إِلَى شَرْبِ
 آيَةِ الْعَنْبِ :

- قَدْ أَبَانَ لِي الرِّيَاضُ مِنْ الزُّهْرِ غَرِيبَ الصُّنُوفِ وَالْأَلْوَانِ •
 وَبَدَأَ السُّنْبُوحُ الْمَفْتُوحَ يَرْوُ : مِنْ جُفُونِ الْكَافُورِ بِالزُّعْفَرَانِ •
 وَقَفَّ الْعُلُقُ فِي الْحَسَائِرِ مِنْهَا ثُمَّ مَسَتْ فَأَنْهَلَ مِثْلَ الْجَمَانِ •
 يَا غَلَامُ آسَفِي فَقَدْ صَحَّحَ الْوَقْتُ فَقَدْ تَمَّ طِبُّ هَذَا الزَّمَانِ !
 أَذِنِي دَنِي الدَّانِ ! صُبِّ الْأَبَارِ يَتَّقُ ! اسْتَحِثَّ الْكُؤُوسَ ! صُفِّ الْقَنَانِي !
 بَادِرِ الْوَقْتَ • وَأَغْنِمِ فُرُصَ الْمَيْشِ وَلَا تَكْذِبَنَّ فَالْمُرُفَانِ !
 وَكَذَلِكَ أُنْشِدُ لَهُ قَوْلَهُ :

زَمَانُ الرِّيَاضِ زَمَانٌ أَنْيَقُ • وَعَيْشُ الْخَلَاعَةِ عَيْشٌ رَقِيقُ !
 بَهَارُ بَيْمٍ بِهِ غَيْرَةٌ • عَلَى تَرْجِيهِ وَسَقِيهِ شَقِيقُ •

مَدَاهِنُ يَجْلَنَ طَلَّ النَّدَى * فَهَاتِيكَ تَبَرُّ وَهَذِي عَقِيْقُ !
فَبَادِرْنَا حَدَثَاتِ الزَّمَانِ * فَوْجَهُ الْحَوَادِثِ وَجَهُ صَفِيْقُ !

وقوله في مثله :

قَدْ قَدَمْتُ لِلْسُرُورِ أَتْقَالَ * وَحَثَّ شَهْرَ الصَّبَامِ سُؤَالَ .
وَأَقْبَلَ اللَّيْلَ لَابَسًا حُلَلًا * مِسْكِيَّةً مَالَهُنَّ أَذْيَالَ .
وَأَهْتَرَعُوْهُ وَحَنٍّ مِنْ طَرِيْبٍ * شَوْقُ وَغَنَّتْ بِالرَّاحِ أَرْطَالَ .
فَاغْتَنِمُوا فُرْصَةَ الزَّمَانِ وَلَا * تُفَرِّطُوا فَالزَّمَانُ مُفْتَالُ !

دير المصْلَبَة - وهو بظاهر مدينة القدس الشريف ، في شامها بغرب ، وهو دير رومى قديم البناء ، بالجمر والكلس ، مُحْكَم الصنعة ، مُوقَق البقعة . في بحيرة من أشجار الزيتون والكروم وشجر التين ، بإزاء قرية ، تجري على الدير بمرسوم السلطان .

وهذا الدير دخلت إليه ورأيت . وفيه صور يونانية في غاية من محاسن التصوير . وتناسب المقادير . وصعدت إلى سطحه ، فرأيت له حَسَنَ مُشْتَرَفٍ وَسَعَةَ فضاء . ورهبانه من الكُجج .

وقد كان أُخِذَ هذا الدير ، وجعل مسجداً للمسلمين ، وأُعلن فيه بالأذان وأقيمت الصلاة . ثم أعيد ديراً للنصارى ، وُضِرَ فيه بالنافوس وأظهرت فيه كلمة الكفر . وتوصل إلى هذا يكَلِّبُ أَحْضَرُ من ملك الكجج . وأغانه عليه قوم آخرون .

ورأيت عند الحافظ العلامة أبى سميد العلائى وعد سائر العلماء والصالحاء ببلاد القدس ، من إعادته إلى النصارى ما هو قَدِي عيونهم إلى أن يَتَحَلَّى وشجى حلوَقهم إلى أن يُسْتَعْرَ .

صار مجدا
ثم دبرا

(٢٢٢)

وعلى الله نذر إن وصلت يدي إلى هذا لأرددها حتى يرده! ولهذا المقصد،
شهد الله العظيم، قصيدته.

مدر الغزير

وحدثني رهبانه بأن على ديرهم وقوفا في بلادهم، منها خيول سائمة تُعَلُّ أثمانُ
تتاجها إليهم، وأنه يبيع منها في كل سنة قدر جليل، وأنها تنفق في مصالح الدير
وأبن السبيل.

وقوف الدير

وفيه بقول أبو علي حسن الغزّي:

يا حَسَنَ أباة قَطَعْتَ هَيْئَةً بِالديرِ حَيْثُ التَّيْنِ وَالرَّيْتُونِ!
دبر المصْلَبَ الرُّفِيعَ بِنَاوَهُ تَسْدِي عَيْرَ تَرَاهِ دَارِينَ!
فِي ظِلِّ هَيْكَلِهِ وَأَنْبَرَابِ الدُّنْيَا مَجْلُوءَةٌ وَالْمُسْرَمُ الْمُسُونُ.
وَمُرْتَرِينَ إِذَا تَلَّوْا بِإِنْجِيلِهِمْ وَتَعَطَّفُوا خِذَامَهُمْ وَغُصُونُ.
غَزْلَانِ وَجَرَّهَ هُمُ وَيْنِ جُفُوعِهِمْ لَأَسْوَدَ بَيْشَةٍ إِنْ عَرَضَنَ عَرِينُ.
تَزَعُّوا الْفَلَابِسَ وَالْمُسُوحَ فَرَحَرَفَتْ مِنْ عَن غُرُرِ الشَّمْسِ وَجُونُ.
وَسَعَوْا بِكَاسَاتِ الْمَدَامِ وَمَا ذَرَوْا أَنَّ لِلْكُؤُوسِ الدَّائِرَاتِ جُنُونُ.
فَقَضَيْتُ بَيْنَهُمْ زَمَانًا لَمْ يَزَلْ عِنْدِي إِلَيْهِ تَسَوُّقٌ وَحَيْنُ.
بِلكِ الْمَنَازِلِ قَدْ سَفَحَنَ مَمَامِي لَامِصُ قَاطِبَةٍ وَلَا جِيرُونُ!

١٠

١٥

دير السبق - قبل البيت المقدس، على نثر عال، مشرف على الغور، غور أريحا.
يطل على تلك البساتن الخضرة ويجري الشريعة، وبه رهبان ظراف أكياس.

د. السبق

ولا يأتيهم إلا قاصدٌ لم أو مازي مزارع القور. تحتهم وفوقهم الطريق الآخذة
إلى الكتيب الأحمر. وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها عليه الملك الظاهر
بيبرس.

وفي هذا الدير ومشرّفه، وأطلال قلايته وغرفته، قلتُ:



نصيدة المؤلف

أرى حُسنَ دير السَّيق يزدادُ كلما : نظرتُ إليه والنضاءُ به نَصْرُ!
بَنُوهُ عَلَى تَجْدِيدِ عَلَى الْقَوْرِ مُشْرِفٍ : كَتَبْتَ مَلِكٌ تَحْتَهُ بَسْطُ خُضْرُ.
وَأَشْرَقَ فِي سُودِ النِّعَامِ كَأَمَّا : تَشْتَقُّ لَيْلًا عَنْ جَلَالِهِ الْهَجْرُ.
وَقَامَ عَلَى طَوْدٍ عَلَى كَأَمَّا : مَصَابِيحُ تَحْتِ الشَّجَرِ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ.
وَزُفْتُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ جَنْبِ خَدِّهَا : وَنَاغَاهُ جَنَعَ اللَّيْلِ فِي أَفْهَةِ الدَّرُ.
وَأَلَفْتُ إِلَيْهِ الرِّيحَ فَضَلَ عَيْنَيْهَا : وَأَخْنَى عَلَيْهَا لَا تَبْلُ لَهُ عُدْرُ.
وَلَوْ كُنْتُ كَالنَّسْرَيْنِ هَا أَنْفَاقَهُ : وَلَكِنَّهُ قَدْ حُطَّ مِنْ دُونِهِ النَّسْرُ.
عَلَى نَهْرٍ رِيحًا وَالْحَجَرِ فَوْقَهُ : ثَمَنُ فَوْقَهُ نَهْرٌ وَهِنْ تَحْتَهُ نَهْرُ.

دير الدواكيس - شرق القدس. وهو دير حسن البناء. له بين النصارى سمعة
وذكر. ولا أعرفُ بانيه. ولا وقفتُ له على اسمه. ولا على السبب الذي شُيَّ به بهذا
الاسم. غير أن له وقفًا يعود منه على الرهبان السكان جليلٌ فائدةً ونفعًا.

وقد مررتُ به غير مرة في أسفاري، ونخرج إلى رهبانه بمسور ما عندهم .
وفيه قلتُ :

نصيدة مؤلفه

أَنْحَ بِلَيْسِلِ عَلَى دَرِ الدَّوَا كَيْسِ وَأَنْصَتِ إِلَى قَرْعِ هَاتِيكَ النَّوَامِيْسِ !
 وَأَحْبِسْ مَعَ الْعَيْسِيِّ الرَّكْبَ فِي طَرْبِ * طُولِ الزَّمَانِ وَلَا تَرْحَلْ مَعَ الْعَيْسِ !
 وَأَنْظُرْ مَعَ الصُّبْحِ هَاتِيكَ الشَّمُوسَ ضَحَى * وَخَلَّ عَنْكَ رِبَاطَاتِ النَّوَامِيْسِ !
 وَأَسْبَأْ مِنَ الدَّيْرِ نَحْمًا كُلَّهَا تَهَبْ * كَيْلَا تَعُدَّكَ فِي حَرْبِ الْمُقَالِيْسِ !
 وَخَلَّ كُلَّ شَجَبٍ كُنْتَ تَنْفَعُهُ ! * فَكَّرَ الرَّكْبُ فِي الْإِثْقَالِ لِلْكَيْسِ !
 وَأَنْتُمْ وَلَدَّ بِمَا قَضَيْتَ مِنْ وَطَرٍ * وَطَرُسُورًا إِلَى تِلْكَ الطَّوَاوِيْسِ !
 وقلت :

دَرِ الدَّوَا كَيْسِ أَمْ رِيْشُ الطَّوَاوِيْسِ ؟ أَمْ الشَّمُوسُ سَنَا تِلْكَ الشَّمَامِيْسِ ؟
 مَاوِي الْمَيَاسِيْرَ لَكِنْ بَعْدَ أَوْبِيْهِمْ . مِنْهُ يَعْشَوْنَ فِي حَرْبِ الْمُقَالِيْسِ !
 فَانْزِلْ بِهِ وَأَقِمَّ فِيهَا تَرِيدَ وَقُلْ إِمْلَا كُؤُوسِي وَفَرِّغْ عَنْدَهَا كَيْسِي !
 وَأَقْدَحْ زِيَادُ سُرُورٍ مِنْ مُدَامَتِهِ . فَهَذِهِ النَّارُ مِنْ تِلْكَ الْمُقَالِيْسِ !

دِرْ رُمَاتِيْنِ - قَالَ الْخَالِدِي : هُوَ بِالشَّامِ . وَلَا أَدْرِي فِي أَيْ نَاحِيَةٍ هُوَ مِنْهَا .
 وَلَكِنْ قُلْ إِنَّهُ كَبِيرُ حَسَنٍ عَامِرٍ . وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 قَالَ : خَرَجْتُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِي إِلَى الشَّامِ . فَدَخَلْتُ أَتْلُوكِيَّةَ . فَبَيْنَا أَنَا فِي بَعْضِ
 أَسْوَاقِهَا إِذْ قَبِضَ عَلَيَّ بِطَرِيقٍ مِنْ بَطَارِقِهَا . وَلَمْ يَكُنْ حَتَّى أَقْبُلَ دَارًا فِيهَا تَرَابٌ
 وَخَنْدَلٌ . وَإِذَا مِسْحَاةٌ وَزَيْبِيلٌ . فَقَالَ : أَنْقِلْ هَذَا مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا . يَشِيرُ
 فِي ذَلِكَ بِيَدِهِ . وَتَرَكَنِي وَمَضَى . فَتَقَاعَصَرْتُ فِي نَفْسِي وَخَشَعَتْنِي الْعَبْرَةُ وَقَعَدْتُ .

فلم أعمل شيئا . وكان أغلق على باب الدار حين معنى . ثم عاد إلى مد ساعة .
 وكان يوما شديد الحر . وإذا هو عريان ، مُتَشَحِّحٌ بِسَبِيلَةِ يَمِينٍ مِنْهَا جَمِيعَ بَدَنِهِ . فلما
 رأى القرباب والجنادل بحالهما ، قبض على وَجَعِ يَدِهِ وضرب بها لُقْدَى ، ضَرْبَةً أَفْرَحَ
 بها قَلْبِي . فقلت : تكلتك أمك ، يا عمر ! ما هذا الاستخذاء للملج ؟ وأقبض عليه
 فاطرحه تحتي وأخذ المسحاة . فأضرب بها رأسه ، ضربة فَلَقَتْ بها دماغه .
 فمات . وبادرت هاربا من المدينة . وسرت من يومى وليلتى ، فصَبَحْتُ دِيارا ،
 فدخلته . فلما رآنى راهبه قال : أَضِيفُ أَنْتَ ؟ قلت : نعم . وكنت قد أَعْيَيْتُ ،
 فاضطجعت نائما ماشاء الله . ثم أيقظنى الراهب وقال : من أين أنت ؟ قلت :
 من مكة . فصعدَ ظَهْرَهُ ووصَّو به . ثم قال : ما أَمْسَكَ ؟ قلت : عمر . فأخرج كتابا
 عنده ونظر فيه . وأعاد في مَرَّاتٍ . ثم وثب فقبَّلَ رَأْسِي . فقلت : ما حملك على
 هذا ؟ فقال : هل ظهر عندك رجل يذكُرُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

وقد كان وقع لي شيء من خبر النبي ، صلى الله عليه وسلم . فقلت : قد سمعت بعض
 الناس يذكُرُ ما سالت عنه . فقال : أعلمُ أَنَّكَ وَحَقُّ الْمَسِيحِ سَمَلُكَ أَكْثَرَ الْأَرْضِ ، وَتُخْرِجُ
 حِرْقُلَ مِنَ الشَّامِ ، وَتَغَابِ عَلَيْهِا . فَاكْتُبْ لِي أَمَانًا ، وَلَدِيرِي . فقلت : يا هذا ! ما أدري
 ما تقول . فقال : هو ما أقوله لك ، وَأَنْتَ هُوَ لَا نَحَالَةَ . ففعلتُ أَتَحَبُّ مِنْهُ وَأَدْفَعُ قَوْلَهُ ،
 وَهُوَ بَلَّغٌ عَلَيَّ فِي سَوَالِهِ ذَلِكَ . فلما أطال . قلت : ما تريد ؟ فقال : كَتَابِكَ . وَأَنَا بَقِيعَةٌ
 مِنْ آدَمَ . فَكُنْتُ لَهُ مَا أَمْلَاهُ عَلَيَّ مِنْ تَرْكِ الْخُرَاجِ وَالْوَصَاةِ بِهِ . وَلَقَدْ مَعَ كِتَابِهِ ذَلِكَ .
 وَأَكْرَمَ مَثْوَايَ . وَبُكِّرْتُ غَلَايَا مِنْ عِنْدِهِ . فَأَسْرَجَ لِي حِمَارَةً وَقَالَ أَرْكَبْهَا . فَإِنَّكَ مَا تَمُرُّ
 بِدِيرٍ ، فَيَرَاهَا رَاهِبُهُ إِلَّا أَكْرَمَكَ . وَإِذَا بَلَغْتَ آخِرَ دِيرِي بَلَدِكَ ، خَلَفْنَاهَا عِنْدَ سَكَّانِهِ .
 وَزَوَّدَنِي وَأَنْصَرَفْتُ .

فيقال إن عمر لما خرج إلى بيت المقدس، لقيه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه وذكره الأمر. فقال عمر: هذا كنيته في الجاهلية، وقد أتى الله بالإسلام. ولا يخل لي تضييع قيء المسامين. ولكني أقاطعت على إخراجك بما فيه مصلحة لك ورفق بك. فقال: قد رضيت. فقاطعه على ما فيه رفق به.

قال الخلدني: ويقال إن الرهبان يتوارثون الكتاب إلى وقتنا هذا، وإن الولاية تُخفيه لهم.

دير هرقل^(١) - قال الخلدني: هو بالشام. ولا أدري في قرب أي مدينة هو. وقد ذكره دجيل بن علي حين هما أبا عباد، كاتب المأمون، فقال:

فكأنه من دير هرقل^(١) قلت: حَتَّى يَحْرَسَ سَلْسَلَ الْأَقْيَادِ

وَحَكِي الْمُبَرَّدُ قَالَ دَحِلْتُ دِيرَهُ: قُلْ، وسألت رهبانه: هل فيه مجنونٌ طيب الكلام. نضحك أنا وصحبي منه؟ قالوا: ها هنا. وأومأ^(٢) إلى إيوان مرتفع في الدير. وقالوا: هم هناك. فإن أحببت النظر إليهم فامض ولا تدن من أحد. ففعلت. ورأيت مراتبهم على قدر بلاياهم. وكان معي وقت دتوى منهم المتولى على أمورهم. فلما رأوه معي أومأوا. فرأيت شيخاً منهم على حصير نظيف، ووجهه إلى القبلة، كأنه يريد الصلاة.

(١) في ياقوت هزقل فالزاي المصحح. قال وأصله حزقيل فعلى إلى هرقل. والتي في نسخة الأصل عندما: إزار المهلهلة. واستمدت رواية ياقوت لأنت وزن الشعر الخليل يقتضى السكون. (وأعظم كلامه عليه في ح ٢ ص ٥٤٢ و ٧٠٦).

(٢) في الأصل: وأومئ. فرعاً يكون أراد الراهب أوديس الرهبان.

(٣) في الأصل: قال. | ينظر الحاشية السابقة |.

فأوزته إلى غيره . فقال : سبحان الله ! أين السلام ؟ من ترى المجنون ؟ أنا أم أنت ؟
فاستحييت منه وسلمت . فقال : لو كنت بدأتنا ، لأوجبت علينا حسن الرد . على أنا
نعتذر لك أن للدخول على القوم دهشة . اجلس ، أعزك الله عندنا ! . وأوأم إلى موضع
من حصيره ففوضه ، كأنه يؤتمع لي . وعزمت على الدنو منه . فمغنى قيمهم . فوقفت
استجلب غطابته . فسألني . فقال : من أين أنت ؟ قلت : من البصرة . قال : أتعرف
المازني ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف الذي يقول فيه :

وفتي من مازن * ساد أهل البصرة .

أمه معروفة ، وأبوه نكوه !

قلت : لا أعرفه . قال : أتعرف غلاما قد نبغ في هذا العصر ، معه دين . وله حظ .
وقد برز في الحو ، وصار يخلف صاحبه في مجلسه ، يعرف بالمبرد . قلت : أنا عين
الخير به . قال : فهل أتشدك من عبثات شعره ؟ قلت : لا أعرفه قال شعرا . قال :

بلى ، هو القائل :

حبذا ماء العنابقِ شيد يربق الفانيات !

بهما يثبت الحصى * ودمي أي نبات !

أيها الطالب شيئا * من لذيذ الشهوات :

كل بماء الورد نفا * ح الخلود الناعمات !

قلت : أما تستحي من إنشاد مثل هذا الشعر في الدير ؟ فقال : سبحان الله . هل
تستحي أن تُنشد مثل هذا ، حول الكعبة ، دَعَّ عنك هذا . إني سمعت الناس يقولون
في نسبه . ثم لم ير لي حتى عرفني . ثم قال : أحوجني إلى الاعتذار إليك . ثم قام إلى

ابصاخني . فرأيت القيد في رجله قد شُدَّتْ إلى خشية في الأرض . فأمنتُ غائلته .
ثم قال لي : يا أبا العباس ! صنُ نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع . فليس يتبأ
لك كلُّ وقت مصادفةً مثلي على مثل هذه الحالة الجميلة ! أنت المبرِّد ! أنت المبرِّد !
وجعل يصفق . وقد أَقْلَبْتُ عباءه وتغيرت حليته ، فبادرتُ مُسرِّعا ، ونرجحتُ .

- د . يونس - حكى رجل من أهل أنطاكية قال : حدثني أبي قال : نزلتُ مع
الفضل بن إسماعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس في دبر يونس ، ونحن خارجون
إلى ناحية الرملة . فرأى فيه جارية حسناء ، ابنة لُقْص كان فيه ، لخدمته مدةً مُقَامه
ثلاثة أيام ، وجاءته بشراب صافٍ عتيق . فلما أراد الانصراف أعطاهَا عشرة دنانير
ورحل . وقال في طريقه :

- ١٠ عليك سلام الله يا دبر من قُتِي . بِمُحَاجَةٍ شَوْقٍ إِلَيْكَ طَوِيلُ !
ولا زَالَ من تَوَّءَ السَّامِكَيْنِ وَابِلُ . عَلَيْكَ بِمَا يَرَوِي زَاكُ دُطُولُ !
يُمَلِّكُهَا بِرُهَةٍ بِعَدْرَةٍ . سَحَابٌ بِأَخَارِ الْيَاضِ كَيْفُ !
بَذَا بَلِّ أَرْسَادِمْعَهُ بَأَنَّ مَقْطَرُ . بِهَا لَعُيُوفُ الْبَاطِرِينَ جَمِيلُ .
كَأَنَّ الْبُرُوقَ الْوَامِضَاتِ بِيَوْمِ . صَفَائِحُ تَبْرِقُ السَّمَاءَ تَجْوِلُ .
١٥ الْأَرْبُ لَيْلٍ حَالِكٍ قَدْ صَدَعَتْهُ . وَلَيْسَ مَعِيَ غَيْرَ الْحَسَامِ خَلِيلُ .
وَمَشْمُولَةٌ أَوْقَدْتُ مِنْهَا الصُّحُفِي . مَصَابِيحَ مَا يَنْبُو لَهْنُ قَبِيلُ .
تَحْلَسُنِي بِالرَّاحِ هَيْفَاءُ غَادَةٌ . يُخَالُ عَلَيْهَا الْقُلُوبُ كَيْفُ !



تجول المتأيا بينهم إذا عنت • ملاحظها بين القلوب تجول
أيا أبنه قس الدبر قلى مدله • عليك وجسى مذبت عليل!
وفيه يقول أبو شاس:

بادر يونس جادت سرحك الديم • حتى ترى ناظرا بالنور يتقسم!
لم يشف في ناجر ماء على ظمأ • كاشفى حر قلى ماوك الشم
ولم يحلك محزون به سقم • إلا تحلل عنه ذلك السقم
استغفر الله كلى فيك ذو غنج • برى على به في ربك القلم
ويقول أيضا:

لا تبدلن عن أبنه الكرم • بأى قضا حمة الجسم!
لو لم يكن في شرها فرج • إلا التخلص من يد اله
ويقول أيضا أبو شاس:

أعذل ماعلى مثل سبد • وعذلك في المدامة مستحيل!
ليس مطيئى حقوى غلام • ورحل أنا على كأس شمول!
إذا كانت نبات الكرم شرى • وقبله وجهى الوجه الجميل
أمنت بذن عاقبة الليالى • وهان على ما نقل العذل!

دير بصرى

دير بصرى - هو الشام • وقيل هو الذى كان فيه بحيرا • الراهب •

١٥٥

حكى المازنى • قال: نزلت بدير بصرى • فرأيت في رهبانه فصاحة • وهم عرب
متنصرة من طي • من بنى الصادر • أفصح من رأيت • قفلت لهم • ما لى لأرى فيكم

(١) أنظر باتوت (ج ٢ ص ٦٤٧) •

شاعرا، مع فصاحتكم؟ فقالوا: والله! ما فيها رجل ينطق بالشعر، إلا أمة لنا كبيرة السن . فقلت: جيؤوني بها . فجاءت، فاستنشدتها . فأنشدني لنفسها:

أيا رُقعةً من آل بعثى تحملت . تؤم الحى لقيت من رُقعة رُشدا!
إذا ما بلفسُتم سالمين فبلغُوا . تحية من قد ظن أن لا يرى تجدًا.
وقولوا: تركنا الصادري مَجَلًا . بكلِ هوى من حُبكم مُضمرًا وجدًا.
فإليت شعري هل أرى جانب الحى . وقد أثبت أجراءه بَقَلًا جعدًا!
وهل أردد الدهر ماءً وقبعية . كان الصبا تُسدى على منته بردًا?
فوهبت لها ذريعتي . وبث في دبرهم وأكرموا ضياعتي .

دير الخمان - وهو دير ببلاد أذربايجان مبنًى بالحجارة السود . على تَيز من الأرض . يُشرف على بركة القوار وهو من البناء الرومى القديم .

أُثبت عليه في أسفاري غبر مرة . ورأيت مرة به غلاما قد خرج من كنيسه، كأنه الظبي الكايس . فقلت :

يادير عزة في رُبى الخمان . دَرْتُ عليك السُحبُ بالهملان!
وسَقَنَّاك كُلَّ عَمَامَةٍ حَتَانَةٍ . تُحَنُّ مواطرُها على الكُثبان!
لم أنس في اللذات ساعةً مَيزِل . برباك فوق مصفائح القُدران!
والصبح تحت ملاءة مَرُومَةٍ . تَسَرَّتْ عليه غرائب الألوان!
وهناك كلُّ كَجِيلٍ طرفٍ فَايٍ . تُعزى لَوَاحظه إلى الفِزلان!
فمر مَسِيحِي كأنَّ جبينه . بدر الدجى في النصف من شعبان!
في وجنتيه جَنِيٌّ وَرْدٌ أَحْمَرٍ . قد سَجَّوه بأخضر الرِّيحان!

أشبهه به

ماشد زَنَارًا له في بيعة - إلا وحل عزائم الرهبان!

يسقى السَّمُول ولا كريمة نغمه : سكرى بها ويطرفه الفسان!

دير صليبا - ويعرف بدير الساعة . وهو بدمشق . مطَّل على الغوطة . ويليهِ دير صليبا من أبوابها باب القرايس .

نزل دونه خالد بن الوليد أيام محاصرة دمشق .

وهو في موضع نزه كثير البساتين . وبأوله حسن عجيب .

ولم يأت جانب ديرة للنساء فيه رهبان ورواهب . وإياه أراد جرير بقوله :

إذا تذكرت بالديرين أرقى . صوت الدجاج وقرع النواقيس .

قال الخالدي : ومما يدل على أنه على باب القرايس قول جرير في هذا الشعر :

قلقت للركب إذ جد النجاء بهم : يا بعد يبرين من باب القرايس !

وأشد فيه قول الآخر : وهو :

يأدب باب القرايس المنجى : بلابلًا بقلاليه وأخجاره!

لوعثتُ تسعين عامًا فيك مصطليحا لما قضى منك قلبي بعض أوطاره!

وحكى أن الوليد بن يزيد كان كثير المقام في هذا الدير . يخرج إليه ، ومعه حُرمة ،

استحسانًا له . وأنه كان يجلس في أيام مقامه فيه في صحنه كل يوم ساعة من النهار

ثم يأكل ويشرب في مواضع منه : طيبة حسنة .

وحكى الخالدي عن أحد من كان يتأدبه أنه دعا يوما بطعامه . وأمرني بالعداء

معه ، وحضر ندماؤه . وكان فيهم حنين المفتي . فتحن على المائدة ، إذ قال له :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٤ ج ٥ ص ٢٠) . وقد ذكر ديرا انتر اسمه "دير صليوبا"

(ج ٢ ص ٦٧٤) .

يَا حُتَيْنَ! غَيَّبَتِ الْبَارِحَةَ فِي آخِرِ الْمَجْلَسِ - وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابَ مِنِّي - بِشَعْرِ صَاحِبِكُمْ،
عَيْبَتِي بِنَ زَيْدٍ، فَلَمْ أُسْتَكَلِ الطَّرِبَ، لِأَجْلِ سَكْرِي . فَأَعَدَهُ عَلَى السَّاعَةِ . قَالَ :
فَأَخَذَ حُتَيْنَ رِقَاقَهُ وَوَقَعَ عَلَيْهَا وَغَيَّ:

يَا بَيْتِي أَوْعَيْدِي النَّارَ! - إِنْ تَمَنَّيْتَهُوَيْنَ قَدْ جَارَا!

رُبَّ نَارٍ بَثَّ أَرْمُقُهَا - تَقْضَمُ الْهِنْدِيَّ وَالْعَارَا!

عُسْلَهَا ظَنِّي يَوْجِيحُهَا . عَاقِدٌ فِي الْخَمْرِ زَنَارَا!

٢٢٥٧

قال : فطرب طرباً عظيماً . وأخذ رِقَاقَهُ . وقام وترك الغداء . وجعل يَنْفَرُ عَلَيْهَا مَعَ
حُتَيْنَ . وَأَخَذَ كُلَّ مَنْ عَلَى الْمَائِدَةِ رِقَاقَهُ . وجعلوا يَنْفَرُونَ عَلَيْهَا مِثْلَهُ . ومضى
يطلب باب الدِّهْلِيْزِ . وَحُتَيْنَ والندماء حوله . والحاجب قد جلس ينتظر جلوسه .
وقد حصر وجود العرب . فلما رآه الحاجب على تلك الحال . صاح بالناس : الْحَرَمُ !
الْحَرَمُ ! أَنْصِرِفُوا ! أَنْصِرِفُوا ! فخرجوا . فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وفودُ العرب
تنتظر جلوسك . وأنت تخرج إليهم على تلك الحال ! فقال : تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ ! أَدْخُلْ .
ودعا له بِرُطْلٍ . فحلف أنه مآذقه قط . فقال : والله ! لتشرَّبَنَّ مَعِيَ حَتَّى أُسْكِرَ .
ولم يزل يَسْقِيهِ . حتى مات سكرًا وأنصرف محمولا .

قلت : وهذا الدِّيرُ الْيَوْمَ لَا عَيْنَ لَهُ وَلَا أَثَرَ . وَإِنَّمَا صَارَ دُورًا وَأَبْنِيَّةً وَمَسَاجِدَ
وَمَدَافِنَ . وَهِيَ بِسَاحَةِ مَحَلَّةِ خَمَارِ النَّحَاسِ . والله أعلم :
وبهذه المحلة دارى التى بَنَيْتُهَا وَمَسَاكِنِي . وَهَنَّتْهَا !

الذم
المؤيد بدمشق

دير بونا^(١١) - وهو بجانب غوطة دمشق. ليس بكبير، ولا رهبانه كثير. ولكنه
في رياض مشرقه، وأنهار مندقة. ويقال إنه من أقدم ديرة النصارى. بنى بعد
المسيح (عليه السلام) بقليل.

وأجناز به الوليد بن يزيد، فرأى حسنه وطيبه. فاطم فيه أياما في تحرق ومجون.
وقال فيه :

حَبْذَا يَوْمَنَا بِدَيْرِ يُونَا حَيْثُ نُسِقُ بِرَاحِهِ وَنُقَى!
وَأَسْتَهْنَا بِالنَّاسِ فَمَا يَقُولُو نَ إِذَا خُرَّوْا بِمَا قَدْ فَعَلْنَا!

قَالَ: وَهَذَا الدَّيْرُ الْيَوْمَ لَا وَجُودَ لَهُ. فَدَاقَمَتِ الْأَرْضُ مِنْهُ مِنْ رَسْمٍ وَطَائِلٍ. وَوَضَعِي بِحَادِثٍ كُلِّ دَرٍّ بَعْدَهُ حَلَّلٍ.

دِير سَمْعَانْ - قال الخالدي: هو سواحي دمشق، بالقرب من القوطة. على قطعة من الجبل، يُطلُّ عليها، وحوله بسايتن وأنهار، وموضعه حسنٌ جداً، وهو من كبار الديرِ. وعنده دفن عمر بن عبد العزيز، يظاهاه.

قلت: وهذا غلط من الخالدي. وهكذا ذكره أبو الفرج. وغلط أيضا. إن هذا

(۱) أنصريانقوت (ج ۲ ص ۶۴۹).

(٢) أبي Saint Simon - وأطلق القبط (للسنة ١١٠٠ م. ١٣٦٠ و ١٣٦١) و
 "و" القبط واما القبط (ج ٣ ص ٦٣) و "و" القبط و الإلف "و" (ج ٣ ص ٣٩٩) و "و"
 القبط (ج ٢ ص ٦٧١ ج ٣ ص ١٣٩) و القبط (ج ١ ص ١٣١) و القبط (ج ٢ ص
 ٣٦٨ و ٣٧٠) و أبي القبط (ج ٥ ص ٤٢) و القبط (ج ٥ ص ٧٥٢) و القبط (ج ٢ ص ٦٧١)
 ج ٣ ص ١٣٩). وأطلق أيضا "مختصر القبط" أبي القبط (ج ١ ص ١٩٨).

الدير في قرية تعرف بالبقرة. من قبلى ممزة النعمان. وبه قبر عمر بن عبد العزيز مشهور لا ينكر. وليس يُسمع بدمشق لهذا الدير ناسبة، ولا يُعرف لمكانه في غوطته خضرأ ولا يابسة.

عُدا إلى ما ذكره الخالدي. قال: ذكروا أنه دخله جرير في يوم عيد. فرأى النساء والصبيان يملكون الصُلب ويسجدون لها، فقال:

رَأَيْتُ بِدِيرِ سَمْعَانَ صَلِيبًا تُقْبَلُهُ الشَّوَادِنُ وَالظُّلُمَاءُ
تُعْظِمُهُ النُّسُوسُ وَتَحْتَوِيهِ قَرَشَتُهُ وَتَحْتَقُّهَا الْبَكَاءُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: «هَلْ غَيْرُ عَوْدٍ تَمْلِكُهُ أَعْوِجَاجُ وَأَسْتَوَاءُ»

وذكر أن الوليد بن يزيد خرج متزها فيه، فأقام بصطيج، وافتتح معه ندماؤه ومغنتوه، فخرج يوما غيب مخاب، فنظر في صحن الدير غدران ماء، فاستحسناها. فقل
على أكبرها وأكثرها ماء. وقال: والله! لا أبرح حتى أشرب هذا كله، مزاجا
لكأسي. وشرب حتى نام. فقال بعض أصحابه لبعض: إني أقام حتى يدنى الفديرة.
طال علينا مغاما. فجعلوا يحملون ماءه بالليل ويصبونه في الزهال. فخرج بعد يومين
أو ثلاثة. فنظر إليه وقد قبي ماؤه. فقال: أنا أبو العباس! وأمر بالرحيل إلى دمشق.
ومما سمعته من الولي - لأحمد بن حلال - في صفة دير سمعان، مما مدح السيد
الرضي لعمر بن عبد العزيز:

يَا أَبْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ! بَكَتِ الْعَيْنُ مَنْ قَسَى مِنْ أَمِيَّةٍ، لَبِئْسَتْ!
أَنْتَ زَهَّاتٌ عَنِ السَّبِّ وَالشُّنْءِ! فَلَوْ يُمْكِنُ الْحَزْنَ، لَحَزَّاتُكَ!
قَبْرَ سَمْعَانَ، لَا عَدَّتْكَ الْقَوَادِي! خَيْرٌ مِثِّي مِنْ آلِ مَرْوَانَ مِثُّكَ!

وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تسبب في إبطال السب عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأثبت في الخطبة، «وضع السب،» «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» .

وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سمعان دخل على عمر بن عبد العزيز فباكاه فطره بها في مرضه . فقبلها منه، وأمر له بدراهم . فابى أن يأخذها . فزال حتى أخذها . وقال : يا أمير المؤمنين ! إنما هي من ثمر شجرنا . فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من ثمر شجركم ! ثم قال : يا صاحب دير سمعان ! إني ميت من مرضي هذا . فحزن وبكى . ثم قال له عمر : بني . وضع قبري من أرضك سنة ، فإذا جاء الحول ، فأتفق به . وهذا الذي حكاه أبو الفرج مؤكدا لقولنا .

(٢٥٩)

دير مَرَّان - وهو بالقرب من دمشق ، على تل في سفح قاسيون و بناؤه بالحصص الأبيض . وأكثر فرشته بالبلاط الملون . وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني . وفلاطيه دائرة به . وأشجاره متراكبة . وماؤه يتدفق .

دير مَرَّان

وحكى عن المبرد أنه قال : وأقيت الشام - وأنا حدث في جماعة أحداث - لا كتب الحديث وألقى أهل العلم . فأجرت بدير مَرَّان . فأجبت النظر إليه . ١٥

(١) أظهر الطبري (سلسلة II ص ١٢٧٠ و ١٧٩٢) ؛ و "الأغانى" (ج ٦ ص ١٩٥ ج ٧ ص ٥٥ ج ١٦ ص ٢٣) ؛ و "العيون والحدايق" (ج ٣ ص ١٢ و ١٣٧) ؛ واليعقوبي (ج ٢ ص ٢٧٢ و ٢٤٩٩) ؛ والبركي (ص ٣٦٢) ؛ وأبن الأثير (ج ٢ ص ٣٨١ ج ٥ ص ٢١٥ ج ٦ ص ٣٧٦) ؛ ونصوصا ياقوت (ج ٢ ص ٤٠٧ و ٦٩٦ ج ٣ ص ٥٥٥ و ٧٧٧ ج ٤ ص ٤٨٠ و ٦٠٤) .

٢٠

فصعدناه، فرأيت منظرا حسنا . وإذا في بمض بيوتِه كهلٌ مشدودٌ حسن الوجه
عليه أثر النعمة . فدنونا منه وسأمتنا عليه فردّ السلام . وقال : من أين أنتم ، يا فتيان ؟
قلنا : من أهل العراق . قال : أبأبي ! ما الذي أقدمكم هذا البلد الغليظ هواؤه ، الثقيل
ماؤه ، الجفأة أهله . قلنا : طلب الحديث والأدب . فقال : حبذا ! أنشدوني
أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا . فقال :

أفهُ يَلمُ اتِّي كَيدُ * لا أستطيع أثب ما أجِدُ !
روحاني : رُوحٌ قَسَمَها * بلدٌ وأُخرى حازها بلدُ !
وأرى المقيمة ليس يتفعها * صبرٌ وليس يصونها جلدُ !
وأظن غائبي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي أجِدُ !

ثم أغمي عليه . فافاق فصاح بنا فقال : أنشدوني أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا .
فقال :

لما أناخوا قُبيلَ الصبحِ عيرَهُم * ورجلوا ، فتنادت بالمسوى الإيلُ .
وأبرزت من خلال السجف ناظرها * رَنُّوا إلى ودمع العين منهلُ .
فودعت بنات حمله عَمَّ ، * فقلت : لاحت رجلك يا جملُ !
وبلى من البين ماذا حلَّ بي وبها * من ياربِ الوجد ! حلَّ البين فأرحلوا !
إني على العهد لم أنقض مودتهم * فليت شعري ، أطول العهد ما فعلوا !

فقال له فتى من الحبان الذين كانوا معي : ماتوا . قال فأموت ؟ فقال له : مُت .
فتمطى وتمدد . وما برحنا حتى دفناه .

وللصنوبري فيه، من شعر يقوله :

أمرٌ بدِرْ مُرَّابٍ فَأَحْيَا د وَأَجْعَلُ بَيْتَ لَهْوِي بَيْتَ لَهْيَا .
صَفَتْ دُنْيَا دِمَشْقَ لِمَصْطَفِيهَا . * فَلَيْسَ يُرِيدُ غَيْرَ دِمَشْقَ دُنْيَا !
مُظْلَلٌ لَهْوَا كَهَيَّ أَيْهَى * وَأَنْصُرُ فِي نَوَاطِرِنَا وَأَهْيَا !
فِنْ تُمْفَاحَةٍ لَمْ تَقْدُ خَدَا ، * وَمِنْ رُؤْمَانَةٍ لَمْ تَقْدُ ثَدْيَا !

٥

وقد ذكره أبو الفرج وقال : هو على تَلَمَّةٍ مُشْرِفَةٌ عَلَى زَعْفَرَانٍ وَرِيَاضٍ حَسَانٍ . نزله
الرشيد وشرب فيه . ونزله المأمون بعده . وكان الحسين بن الضحَّاك مع الرشيد ،
لما نزله ، فأمره أن يقول فيه شعرا ، فقال :

يَادِرِ مُرَّانَ ، لَا عَرَيْتَ مِنْ سَكَنِ ! * قَدْ فَجَّحَتْ لِي حَرَّتَا يَادِرَ مُرَّانَا !
حَثَّ الْمَدَامَ فَإِنَّ الْكَأْسَ مُتَرَعَّةٌ * مِمَّا يَبِيعُ دَوَاعِيَ الشَّوْقِ أَحْبَابَنَا !
وَأَمَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ ، فَنَقَّيَ فِيهِ الْحَبِينَ .

١٠

وحكى عن إبراهيم الموصلي أنه قال : مرَّ الرشيد بدِرْ مُرَّانَ فَاسْتَحْسَنَ نَزْلَهُ .
وأمر أن يُؤْتَى بِطَعَامٍ خَفِيفٍ . فَأَتَى بِهِ ، فَأَكَلَ ، وَأَتَى بِالشَّرَابِ وَالنَّدْمَاءِ وَالْمَغْنَمِ .
فَفَرَّجَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الدِّيرِ ، وَوَدَّ شَيْخَ كَبِيرَ هَرَمٍ . فَوَقَّفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، وَأَسْتَأْذَنَهُ فِي
أَنْ يَأْتِيَهُ بَشَى مِنْ طَعَامِ الدِّيَارَاتِ . فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهُ بِأَطْعَمَةٍ نَظَافٍ ، وَإِدَامٍ فِي نَهَايَةِ
الْحَسَنِ وَالطَّيِّبِ . فَأَكَلَ مِنْهَا أَكْثَرَ أَكْلٍ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، فَبَاسَ مَعَهُ يَمِخْذَهُ ،
وَهُوَ يَشْرَبُ . إِلَى أَنْ جَرَى ذِكْرُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : هَلْ نَزَلَ بِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ؟
قَالَ : نَعَمْ . نَزَلَ بِي الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَأَخُوهُ الْفَعَّرُ . فَبُغِلْنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَكَلَا
وَشَرَبَا وَغَنَيَا . فَلَمَّا دَبَّ فِيهِمَا السُّكْرُ ، وَشَبَّ الْوَلِيدُ إِلَى ذَلِكَ الْجُرْنِ فَلَاهُ ، وَشَرِبَهُ ، وَمَلَأَهُ

١٥

(٣٦١)

وسقى أخاه القمر . فما زالوا يتعاطياناه حتى سكا ، وملاّه لى دراهم . فنظر إليه الرشيد ، فإذا هو عظيم لا يقدر على أن يقبله ، ولا يقدر على أن يشرب مِلاه . فقال : أبى بنو أمية إلا أن يسبقوا إلى اللذات سبعا لا يجاريهم أحد فيه . ثم أمر برفع النبيذ ، وركب من وقته .

- قلت : والناس فى اختلاف : أين كان دير مرّان ؟ فمن قائل إنه كان بمشارق السفح ، وناحى برزة . والأكثر على أنه كان بمقاربه ، وأن مكانه الآن المدرسة العظمى ، وأما الذى كان بمشارق السفح ، فهو دير السائمة المسمى دير صليبا . وقد ذكرناه .

دير صيدنايا

- دير صيدنايا - وهما آثان : أحدهما يقصده النصارى بالزيارة . هو فى ديمة القرية . والآخر على بُعد منها ، مشرق على الجبل ، شماليا بشرق . وهو دير مار شربين . ويقصد للتنزه . من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض . وهو دير كبير . وفى ظاهره عين ماء سارحة . وفيه كوى وطاقات تُشرف على غوطة دمشق وما يليها ، من قبلها وشرقها . وفيها ما يطل على بواطن ما وراء نية العقاب . ويمتد النظر من طاقاته الشمالية إلى ما أخذ شمالا عن بعلبك .

- وأما الذى فى القرية ، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضا . ويُعرف بدير السيدة . وله بستان . وبه ماء جارٍ فى ركعة تحلب به . وعليه أوقاف كثيرة . وله مغلّات واسعة . وتأتيه ندور وافرة . وطوائف النصارى ، من الفرنج . تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة .

(١) فى الأصل : " وفى قرية صيدنايا دير " . وقد كتب المؤلف فوق الكلمتين الأولىين كلى : " أما الذى " لصحح السياق المتقدم . ولكه ماته أن يضرب على تلك الكلمات الارجح .

وكنْتُ أراهم يسألون السلطان في أن يُمكنَّهم من زيارته . وإذا كَتَبَ لهم زيارةً
فُصَّامَةً ولم يَكُتُبْ معها صيدنايا، يُعاودون السؤال في كتابتها لهم . ولهم فيها مُعْتَقَدٌ .
والتصارى تَزْعُمُ أنَّ بها صِدْعًا يَقَطُرُ منه ماءٌ، يأخذونه للتبرك . ويدْعُونَهُ في أوَانٍ
لِطَافٍ من الرُّجَاجِ ، ويكسونها من فَاخر الثياب . ولهم فيه أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ . وسمعتُ
نصرانية ، كانت معروفةً بينهم بالعلم ، تقول : إن ذلك الماء إذا أُخِذَ على أَسْمِ شَخِصٍ ،
وَعُلِقَ في بنته ثم أزداد مقداره عنده عما أخذه، دَلٌّ على زيادة ماله وجاهه ؛ وإذا
نَقَصَ، دَلٌّ على نقص ماله وجاهه وقُرب أوان موته .

(٢٣٢)

ورأيتُ هذا الماء، وله دُهْنِيَّةٌ تشبه الشَّيرَجِ أوالزيت الصافي، وليس بهما .
وجاءت مرةً كُتِبَ ريدفرنس وكتب الأذفونش على أَيْدِي رسلهم، ومما سألوا
فيها تَمَكِّينُ رُسُلِهِم من التَّوجُّه إلى صيدنايا للتبرك بها . فأجاب السلطان سؤالهم وحَمَلَ
الرسَل على خيل البريد إليها .
ومما قلَّته فيه .

شعره فيه

في جانبِ الدَّيْرِ لنا مَتَرْلُ * وَمَتَهْلُ عَنَبٌ به تَهْلُ .
وشادِنٌ قد جاءنا أَحْوَرُ * في كَفِّهِ كَأَنَّ له مُشْعَلُ .
وروضَةٌ تُشْرِقُ أنهارُها * قد شَقَّها في وَسَطِها جَدُولُ .
ومُطْطَرِبٌ مُطْطَرِبُ الحائِهُ . كأنه إِسْحاقُ أو زَلْزَلُ .
فَدُونُكَ الرَّاحُ في دَنِّها * شَهْدٌ وفي الطَّمِّ بها فُلُفْلُ .
وافي بها في الكائِسِ لِكَيْتِها * عَدْرَاءُ من خُطْبِها تَحْجَلُ .

١٥

(١) أي ملك فرنسا : Re de France

(٢) أي ملك إسبانيا : Alphonse وأسمه عند الآسبانيين Hde-fonse

٢٠

دِرْسَقٍ مَعْلُولًا - وهو بياض جَبَّة عَسال. وهو بناء رومى بالبحر الأبيض.
مُعَلَّقٌ يُسْقِفُ . وبها صُدْعٌ فيه ماء يَنْطُطُ، نحو الذى بصيدنايا. ويأخذه النصارى
للتبرك، معتقدين فيه نحو اعتقادهم فى الآخر. وإتاما الاسم للذى بصيدنايا.

دِيرُ بَلُودَانَ - وبنائوه قديم بديع الحسن. وافر الغلة، كثير الكرم والتواكه
مرءاء الجارى. بقرية بلودان. وهى محاذية لكفر عامر، تَطُلُّ من مُشْرِفِهَا على جَبَّة
الرَّيْدَانِي، ببلاد دمشق. و به رُعبان نِظَاف، وعِلْمان من أبناء النصارى ظراف.

مررت عليه، ونزلت إليه . ورأيت به غلاما يفوق الظلي حسنا، ويشبه البدر
أو أسنى . بخصر نخيل، وطُوف كحيل . قد قطع الزنار بين خصره وردفه، ونفت
السحر بين جفده وطرفه . ثم ما كان بأعجل مما استتر بدره، ولاح ثم خفى بجره .
فقلت فيه :

جَبَذَا الدِيرُ مِنْ بَلُودَانَ دَارًا ، أَيْ دِيرٍ بِهِ وَأَيْ نَصَارَى !
فِيهِمْ كُلُّ أَحْوَرِ الطَّرَفِ أَخَوَى ، فَاتَّقِ الْحَسْنَ فِي حَيَاءِ الْمَدَارَى !
وَعِلَامٍ رَأَيْتُهُ كِهْلَالٍ ، مَا بَدَأَ لِلْعُيُوبِ حَتَّى تَوَارَى !
بَقَوَامٍ إِذَا تَمَاسَلَتْ نُسُورًا فَالْحَاضُ مَقْلَبُهُ سُكَارَى !
نَاحِلٍ انْخَصَرَ حُلٌّ عَقْدَ أَصْطَبَارَى ، عِنْدَمَا شَدَّ خَصْمُ الزَّنَارَى !
قَبْلَ رُؤْيَاهُ مَا رَأَيْتُ غَرَالًا ، بَاتَ يَسْقِي مِنْ مَرَشَفِيهِ الْعُقَارَى !

دِيرُ نَجْرَانَ^(١) - وهو باليمن . وتسميه العرب كعبة نَجْران . وهو لبني الحارث بن
كعب . وسبأى ذكره فى موضعه .

دِيرُ نَجْرَانَ

(١) أنظر الكبرى (ص ٢٧٦) : وأنتظر ما قوت (ج ٢ ص ٧٠٣) .

ويقال إن بناءه أعجب بناء وأحسنه . على نحو عمارة عُمدان ، القصر المشهور . كان
محجوجا ، وبه الزاهبان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب ، في قوله :
أياراهي تجرآن ، ما فعلت هند ؟ * أقامت على عهدي ؟ وأثى لها عهد ؟
إذا بعد المشتاق ، رثت جباله . * وما كل مشتاق يغيره البعد !
ولهنين البيتين غناء حسن .

وقد ذكره أبو الفرج الاصبهاني وقال : إنه كان لآل عبد المذان ، سادة
بنى الحارث . قال : وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى ، يتبارون في البيع
وزيها وحسن بنائها : آل المنذر بالحيرة ، وغسان بالشام ، وبنو الحارث بن كعب
بجنران . فتكون دياراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرياض والفُردان ، الشاذلة
البناء . ويعملون الآتي من الذهب والفضة ، وستورها من الديباغ . ويعملون في حيطانها
الصافس ، وفي سقوفها الذهب . وكان بنو الحارث على ذلك ، إلى أن جاء الإسلام
وفي كعبتهم هذه قال الأعشى :

وكعبة تجرآن حتم عليّك حتى تُناني بأبوابها !
زور يزيد وعبد المسيح * وقيسا ، وهم خير أربابها !
إذا الحبرات تلوّث بهم * وجروا أسافل هذابها ،
وشاهدنا الجُل والياشمين * والمُسِمعات بقصاها ،
وبربطنا مَعْمَل دائب ، * فأى الثلاثة أزرى بها ؟

(١) عطف طابع الأغاني لحرف هذا الشطر (ح ١٠ ص ١٤٢) .

(٢) أى الزور .

(٣) فى الأصل : تقصى بها .

(٤) فى الأصل : سربطنا .

قال: وفي هذا الشعر غناء حسن أخذ بحظّة عن بنان.

ولهذا الدير أخبار كثيرة، ليس هذا مكانها.

بيمة أبي هور^(١) - وهي بسر يافوس - عامرة برهبانها، مثرية بفضة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرة القلالي، مذهبة بالوقود جُنع الليالي. ولها أعياد مقصودة الأوقات، منتظرة المقات.

حكى الشاشي أن به - على ما ذكره أهله - أعجوبة. وهي أنه من كانت به خنازير وقصد هذه البيعة للمعالجة، أخذه رئيسها وأصغحه. وجاءه بخنزير وأرسله على موضع العلة. فيلحس الخنزير موضع الوجع جميعه، ويأكل الخنازير التي فيه، لا يتعدى ذلك إلى الموضع الصحيح. فإذا نظف الموضع، دُر عليه من رَماد خنزير فَعَلَ مثل فعل الأول من قبل، ومن زيت قنديل البيعة فيراً. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيُدبح، ويُحرق، ويُعد رماده لمثل هذه الحالة.

وقال: وهو إلى الآن كذلك، كما ذكره. قال: ولهذا البيعة دخل عظيم من يرأ من هذه العلة. وفيه خلق من النصارى.

دير يحنس^(٢) - وهو بسنهور، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضر بسكّانه.

قال الشاشي: وقد ذكر بعض المتقدمين أنه إذا كان يوم عيد، أخرج الرئيس

(١) وتسمى دير أبي هور، ودير سر يافوس. أنظر كلام ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١)؛ والشاشي

(درة ١٣٤)؛ والقزويني (ص ١٣١).

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٧١٠).

الذى فى الدبر الشاهد فى تابوته . ويسير التابوت على وجه الأرض ، فلا يقدر أحد
يُسككه ولا يَمِيسُهُ ، حتى رَدَ البحر فيفطس فيه ، ويرجع إلى مكانه .

وقال : كذلك قول المتقدمين على أنه على هذه الحلة .

قلت : وهذه حكاية مكتوبة ، لاصحة ذا .

تصحيح المؤلف .

وإنما الذى يلفى ، وأنا بمصر تلك المدة الطويلة ، أنه إذا كان أو أن تحرك النيل ،
يُخرج تابوت . يقال إن فيه إصبع الشهيد ، ويرى فى البحر . وذلك لوقت معلوم ،
يسمونه عيد الشهيد . ويكون الذى يرميه بعض أعزاء كبراء القبط . عادة كنت
أسمها ، لا تتغير . ويظن القبط أن رمى الإصبع سبب الزيادة . وإنما هو بمشيئة
الله وقدرته .

دير مريخا - وهو على شاطئ بركة الحبش . قريب البحر ، إلى جانب بساين
الوزير . وهى التى أنشأ بعضها تميم بن المعز وأنشأ به مجلسا على عهد . وقريب هذا الدير
عين ذهب بها الرمال .

قال الشافعى : وهذا الموضع من معادن اللب والطرب ، زه فى أيام
النيل ، وزيادة البحر ، وامتلاء البركة . وكذلك هو فى أيام الزرع . لا يكاد يخلو من
المتزهين . وقد ذكرته الشعراء . وفيه قال ابن عاصم :

(١٦٥)

يا طيب أيام سَفَحْتُ مع الصبا : طَوَّعَ الموى فيها بسَفَحِ المنظر !
فالبركة الفناء فالدير الذى : قد هاجَ قَرطَ صَبَابَى وَهَكَرَى !
فأَحْسَتْ كَوُوسَكَ يا غلام وأعفنى : فلقد سَكِرْتُ ونمِرَ طَرَفُكَ مُسَكِرَى !

(١) أنظر باقوت (ج ٢ ص ٧٠١) .

وأرى الشرايا في السماء كأنها : تاجٌ تنصّل جانباه بجوهر !
فأشرب على حُسن الرياض وغنى : وأنظر إلى الساقى الأغنى الأحرار !
فلعل أيام الحياة قليلة . ولعلنى قدرتُ مالم يُقدّر !

دير نهبيا^(١) - ونهبيا بالحيرة، وديرها هذا من أطيبها موضعا، وأجلها موقعا . عامر
برهبانه وسكانه .

وله في النيل منظرٌ عجب، لأنّ الماء يحيط به من جميع جهاته، ويَزيد في حسن
منزهاته . فإذا تصرّف الماء أظهرت أرضه غرائب النوار، وعجائب الزهور المشرقة
الأنوار . ولا خليج ينساب أنساب أرقم، وعليه شطوط كأنها بالدياج تُرقم .
وقال الشافعي : وهو متصيد مُمتنع، وأنشد فيه لأبن البصري :

- ١٠ أَتَشْطُ لِلشَّرْبِ يَاسِدِي ، فيومك هذا دقيقُ الدُّرُوزِ ؟
فَعِنْدِي لَكَ اليَوْمَ مَشُوتَانِ : مِرْقَتُهُمَا مِنْ دَجَاجِ العَجُوزِ !
أَتَشْطُ عِنْدِي عَلَى نَبَقَتَيْنِ : عَلَى أَوْزَتَيْنِ ، عَلَى قَطَرِ مَيِّزِ ؟
وَقَصِدْتُ نَهْيَا وَدِيرًا لَهَا ، بِهِ مَيِّتُ الوردِ والمَرْحُورِ ؟
وَنَشَرْتُ فِيهَا بِرِطْلِي وَجَامُ ، وَطَائِسَ وَكَأْسَ وَكُوبِ وَكُوزِ ؟
١٥ فَعِنْدِي خَشْفٌ رِخِمَ الدَّلَالِ ، تَسَا فِي النِّيمِ وَلَيْسَ الخَزُوزِ !

(١) أمداد المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٤) : وياقوت (ج ٢ ص ٧٠٤) : والشافعي (درة ١٢٩) .
وهنا أيضا أبيصالح الأرمي في تاريخه "أخبار من نواحي مصر وإقطاعها" الذي طبعه المستشرق الانكليزي
فانت ١٨١١/١٤ وترجمه إلى الانكليزية . مدينة اكسفورد سنة ١٨٩٥ (ص ٧٧ - ٨١) .
(٢) وفي الشافعي : لباس بن البصري . وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٢) : وأبن أبي أصيمة (ج ٢
ص ٨٩) : وديلموت (ج ٢ ص ٦٨٥) : والشافعي (درة ١٢٤) .

دير القصر

دَيْرُ الْقَصْرِ ^(١) - هو في أعلى الجبل ، على سطح قُبَّةٍ من بلاد الفتح . وهو حسن البناء ، زِيَّةُ البَقْعَةِ . وله بئر مقورة في الحجر .

وفي أعلاه غرفة بناها أحمارويه بن طولون ، تُطلُّ من كل جهة . وكان كثير الغُشَيَان لهذا الدير .



والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ ، ومن قبله سهل .

وإلى جانبه صَوْمَعَةٌ ، لا تخلو من حَيٍّ .

وإلى جانبه قرية تُعرف بِشهران ، يقال إن أُمَ موسى (عليه السلام) منها ألقته في التابوت ، في البحر .

وبها دير آخر يعرف بدير شهران . وهو المعروف الآن بِشهران ^(٢) .

١٠ قال الشافعي : دِيرُ الْقَصْرِ أحد الديارات المقصودة ، والمتنزهات المطروقة :

لحسن موقعه وإشرافه على مِصْرَ وأعمالها . وفيه يقول محمد بن عاصم المصري :

إِنَّ دَيْرَ الْقَصْرِ هَاجَ أَذْكَارِي : لَمَّا أَيْمَنَا الْحِصَانُ الْقِصَارِ !

وَكَأَنِّي إِذْ زُرْتُهُ بَعْدَ هَجْرِي ، لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنَازِلِي وَدِيَارِي .

إِذْ صُعِدْتُ عَلَى الْجِيَادِ إِلَيْهِ . وَأَتَخَذْتُ فِي الْمُنَشَّاتِ الْجَوَارِي .

١٥ (١) ضبَّه هنا في الأصل (بالفتح كأمير) . وفي ياقوت القُصَيْرِ . (بالضغير) . وقد عاد المؤلف فيما سجد . من الأبيات فضبَّه بالقصير . وعلى ذلك ضبطها الشافعي . وأنظر أيضا ما ذكره أبو صالح الأديني (ص ٦٢ و ٦٥) .

(٢) الذي في الشافعي هو " في أعلى الجبل على سطح في قلعة " أما قول ابن فضل الله " سطح قبة من بلاد المصنع " فهو من عنده . ولعل هناك تغير بها من المصنع . فتنبى لأدري ما يريد بوجه " بلاد الفتح " هنا .

٢٠ (٣) هذه البيانات كلها ابن فضل الله عن الشافعي بأختصار .

- مِثْرَلاً لَسْتُ مُحْصِياً مَا بَقِيَ * وَلِنَفْسِي فِيهِ مِنَ الْأَوْتَارِ!
 مِثْرَلاً مِنْ عُلُوِّ كَيْمَاءٍ * وَالْمَصَائِغِ حَوْلَهُ كَالدَّرَارِ!
 كَمْ شَرِينَا عَلَى التَّصَاوِيرِ فِيهِ * بِصَفَارِ عُمُودِيَّةٍ وَكَارِ!
 صُورَةٌ مِنْ مُصَوِّرٍ فِيهِ ظَلَّتْ * فِتْنَةً لِلْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ!
 لَا وَحْشِي الْعَيْنَيْنِ وَالشَّفَةِ الْأَشْيَاءِ مِنْهَا وَخَدَّهَا الْجُلُنَارِ!
 لَا تَحْلُقْتُ عَنْ مَرَارِي دَبْرًا * هِيَ فِيهِ، وَلَوْ نَأَى بِي مَرَارِي!
 فَسَقَى اللَّهُ أَرْضَ حُلُوانٍ فَالْجَسَدَ فَدِيرَ الْقَصِيرِ صَوْبَ الْعُشَارِ!
 كَمْ تَبَهَّتْ مِنْ لَذَازَةِ نَوْمِي * بَنَمِيرِ الرُّهْبَانِ فِي الْأَصْحَارِ!
 وَالنَّوَاقِيسِ صَائِحَاتٍ تَادِي : : حَى يَانَمْنَا عَلَى الْأَبْتِكَارِ!^(١)

- ١٠ وقال ابن ظافر: مضيتُ أنا والشهابُ يعقوبُ ابنُ أختِ نعيمِ الدين (يعني ابنِ مجاور) ^(٢)
 والقاضي الأعزُّ المؤيدُ في جماعةٍ من أصحابنا إلى الديرِ المعروفِ بالقصيرِ إشاراً لنظرِ
 تلكِ الآثارِ، فلما تنزهنا في حسنِ منظره تعاطينا العملَ فيه على عادةِ الشعراءِ ^(٣) الذين
 قطعوا طريقَ الأعمارِ بطروقِ الأعمارِ، وضيّعوا العينَ والعقارَ، في تحصيلِ العينِ
 والعقارِ . فقال الشهابُ :

- (١) هذه القصيدة في كتاب الشائقي يتألف من ٢٧ بيتاً . وقد ترك ابن فضل الله منها ١٥ بيتاً .
 (٢) في بدائع البداهة صمعة ١٢١ : الأعرين المؤيد رحمه الله .
 (٣) في بدائع البداهة زيادة . وقضينا الوطر من نظره .
 (٤) في بدائع البداهة : القول .
 (٥) في بدائع البداهة : جر يا على عادة خلاء البلاء ، وظرفاء الادياء ، ونجبان الشعراء ، الذين ينفذوا الوفاة
 بالمرء ، قطعوا طريق الأعمار بطروق الأعمار .

سقى الله يومى بدر القصير * قصير العزالي طویل الذیول !
محل إذا لاح لي لم أقف * بصحبي على حومل فالدخول .

قلت :

فكم فيه من قر في دجى * على غصن في كتيب مهيل !
يود صحيح وطرف سقيم * وروح خفيف ويزد تقبل !

قال الأعز :

قطعت به العيش مع فتية * صباح الوجوه كرام الأصول !
بكل كريم قصير المرا * حازر المصالي باع طویل !

قال الشهاب :

إذا قسه سل سيف المدام ، فكم من سليل وكم من قيل !

قال الأعز :

وكم من خيلع كريم الفعال ، * يُحمد بالجوذ غيظ البخل !

قلت :

يوافيه ذا ذهب جامد ، * فيفنيه في ذائب للسؤل !

ثم صنع الشهاب :

على عمر القصير قطعت عمرى ، * وصنت خلعتي وأزلت وفري !

(١) بالأصل صفحة ٢٦٦ : محلا . وقد اعتدنا على البدائع .

(٢) ل ، غير موجودة بالأصل . وأخذناها عن البدائع .

(٣) في البدائع : لمعظ صحيح وبغير سقيم .

(٤) زاد في البدائع : على غير هذا الروى والوزن فقال .

(٥) في البدائع : قصرت [وهى أحسن] .

قال الأعز :

ولم أسمع لعمرك قول زيد : إذا ما لامني أو قول عمرو !

قلت :

ظفرتنا فيه من شفة وكأس - بمشروبين : من ريق ونحر !

قال الشهاب :

ودافعتنا بين الرأي فيه * بمظنونين : من حجر وحصر !

قال الأعز :

كسوت به الكؤوس البيض حمرا ، من القمص أشتريناها بصفر !

قلت :

وظلت بمأزق للهواتلو * بهز البيض فيه عناق شمير !

١٠

دير شعرا^(١) - هو في حدود طرا ، من ضواحي القاهرة القبلية ، في حلف الجبل الأحمر المعروف بالمقطم . و بناؤه بالجمر واللبن . وعليه نخل . وبه جماع من الرهبان . وهو من ديارات اليعاقبة .

دير شعرا

حكى أن السراج الوراق مر عليه ، فنزل به . فرأى به جماعة من أودائه على راح تفتح لهم أقفاحها ، وتهدئ إليهم أفرأحها ، وكان السراج قد طفت فليلته من

١٥



(١) في البدائع : لعمري .

(٢) * * : الدين .

(٣) أى القمص .

(٤) أسطرأ يضاق حطاط المقرئ (ج ٢ ص ٥٠١) ، وأظلم ما أوردته أبو صالح الأديني

سُئِلَ ذلك اللَّهْبُ، وَنَكَرَتْ قَافِيَتُهُ صُفْرَةَ ذَاكِ النَّهْبِ . فَأَتَاهَا السَّاقِ فَرَدَّهَا ،
وَوَاصِلَتُهُ فِي الْكَاسِ فَصَدَّهَا . هَذَا حِينَ نَكَسَ الْكَبِيرُ صُعْدَتَهُ، وَأَغْدَ الْعِمْرُ مُدَّتَهُ .
وَذَكَرَ يُجْلِسَاتِهَا فَقَدْ إِخْوَانَهُ، وَذَهَابَ زَمَانُهُ . فَلَامَهُ مِنْ حَضَرٍ إِذْ صَدَّ الْكَاسُ ،
وَقَالَ : أَمَا لَكَ أَسُوءُ هَؤُلَاءِ الْجُلَاسِ ؟ قَالَ :

عَجِبَ السَّاقِ لِرُدِّي الْقَدَحَا : وَلَا أَمْرِي فِي التَّصَايِ قَدَحَا !
وَأَنَا تَا بِحَيْبَا كَأْسِهِ دَ حَيْثُ جِئْنَا دِيرَ شِعْرَانَ تُحْيَا .
قُلْتُ : بِأَقْرَبَةِ عَيْنِي رُبَّمَا . غَضَّ طَرْفٌ بَعْدَ مَا قَدْ طَمَعَا !
لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ وَلَمَّا نِ سَلَا . لَا وَلَا أَوَّلَ تَشْوَانِ صَحَا !
أَشْرَبُ الرِّاحَ أُرَجِّي فَرَحَهَا : فَيُتِيحُ الْخَطَّ مِنْهَا تَرَحَا !
سَوْءُ حَظِّي لَوْ رَمَى الصَّبْحَ دَجَا . أَوْ رَمَى لَيْلَ عِنْدَارٍ وَهَحَا !
وَتَحْمُولٍ مُنْطِقٍ بِالشُّمِّ لِي ، مَنَ أَرَى تَهْمِيرِي لَهُ مُتَمَحَا ؟
زَادَ فِي سَبِيٍّ إِلَيَّ أَنْ خِلْتُهُ : شَهِدَ اللَّهُ بِهِ قَدْ سَبَحَا !
أَنَا مَا ذُنْبِي لَمَّا اللَّهُ أَمَرَا . لَأَمَّ فِي التَّوْبَةِ مِثْلِي وَلَمَّا !
بِأَنْدِيمِي أَنْتَ لِلرَّاحِ فَلَمَعْنِي . أَنْزَحُ الدَّمَاعَ إِلَى أَنْتَ بَزَحَا !
هِيَ أَوْقَاتٌ وَكُلُّ آخَذُ . مِنْ صَفَا أَوْقَاتِيهِ مَا مَحَحَا !

حُكِيَ أَنَّ السَّرَاجَ الْوَرَّاقَ وَأَبَا الْحُسَيْنِ الْجَزَّارَ نَحَرَا فِي عَهْدِ صِبَاهِمَا، وَالشَّبَابِ
أَعْقَدَ حُبَّاهُمَا، يَرِيدَانِ التَّزَمَةَ . فَوَجَدَا غُلَامًا زَاغَرًا، يُتَمَتَّى مِنْهُ الْفَقَاءُ، وَيَجْتَمِعُ فِيهِ
الْفَصْنُ وَالْوَرَقَاءُ . يَتَلَقَّتْ بِصَفْحَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ، وَيُطْرَبُ كَأَنَّمَا زَمُرُهُ مِمَّا أَوْقَى آلُ

داودَ من المزامير . فلفناه إليهما لأمر، وظننا أنه ستأينيه لما انخر . فأتينا به دير
شعران ، وصعدا إليه ، فوجدنا راهبا يصدعُ حُبَّهُ الفؤاد، ويطلعُ قره ولا شئ
أحسن منه في ذلك السواد . فزاد سرورهما بمحصول الزامر والراهب ، وأيقنا ببلوغ
المأرب . فلما حيت فيهما سورة الحيا ، وظن كل منهما أنه قد حصل له فراشه
وتبنا . فظن الزامر والراهب لمرادهما قتركماهما ومضيا قبل التام ، وتركاهما وكل واحد
منهما يشكو صجيحا لا ينال . فقال السراج :

في فَحْنَا لم يَحَقَّ الطائرُ : * لا راهبُ الدير ولا الزامر !

فقال أبو الحسين الجزار :

فَعَلَدْنَا ليس له أوَّلُ ، * وَنَحْنُ ليس له آخِرُ !

١٠

فقال السراج :

فالقلبُ في إثرهما حاتمُ .

فقال الجزار :

والقلبُ من أجلهما حائرُ !

وحكى أن السراج الوزاق كان يفتنى راهبا بدير شعران وافر العقل ، كامل
الفضل . فخرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبان قد بقى على أقل من نصفه ،
١٥ و بدره قد أخذ يتقهقر إلى خلفه . وشهر رمضان قد آن له أن تُقلَّ فيه شياطينُ
الأنام . ويَحْتَمُّ فيه على الأقواد بالصيام . فالتفوا الراهب وقد لبس مسحه وساح ، وعزل
الدير فما هبت فيه رائحة راح . فلما رأوا أن دين رمضان قد حان حلول أجله ،
وأن وجه الدير الوقاح ما دبَّت فيه من انخر حرّة تجليه ، خافوا أن يأتي الصيام ، وما

تسرع سوي فنبذل نحوّه الذي بان . ولا ملك مُدَامُ يأتي منه أوائل وَرْدٍ في أواخر شعبان . فتدب السراج إليه راهبا من شباب الدير ليقبه ، وكتب معه :

أبلغ الفاضل الرئيس السّلاماً ، شقّ عن زهره الصّباح كما !
قُلْ له : أيّها الحكيم الذي في دين عيسى قد برهن الأحكاما !
كم رقبناك كاللّلال إلى أن . لحست لنا طيرين بدرّاً تماماً !
يا أبا اللّيلة المسيحية أرحم . معشراً مذ طعنت عنهم يتأى !
فطمؤا من رضاع كاس الحياء . وهى أنكى للرّضعين فطاماً !
وآستحلوا وضع الصليب عن الرا . ووق من بعد حمّله أعواماً !
عبدؤا راحة النفوس من الرا . ج . فدارك بالأنف الأجمام !
وأطالوا حبس المدامة في الدن . ويكنى حبس المدامة عاماً !
ودعا الديك للصّبح فهبؤا . كالخبيث لا يهون الملاماً !
فأسقمهم من سلفة تطرد المسم . وعجل لهم بذاك آهتاما !
وعنى قائل يقول لحظلى . ونصبي : أطلت في ذا الكلاما !
كذب المدعى وأحرشعبا . ن يُنادى الصيام الصياما !

١٥ دير البغل^{١١} . هو شمالي دير شعران . وبنائه مثل بنائه في لحف جبل المقطم . دير البغل وعليه نخل . وبه جماع من الرهبان الباقية .

قالوا : وسمي بدر البغل لأنه كان به بغل لسنى الماء . تعود هذا وألعه . وكانوا إذا أطلقوه ، أتى مورد الماء . وهناك من يملأ عليه . فإذا حمله أتى الدير بالماء .

(١) انظروا أوردته أبو صالح الأرمي (ص ٦٣) .

نخرج إليه السراج الزواق مع أبي المفضل بن العسال في جماعة من أهله . وأقاموا به أياما في طمو . يجوزون أعطاف الزهو . وكان بالدير غلام لا يتعداه أمل المقرح . ولا يحاكي ذوايل عيونه الا الترجس المنفتح . فآلفه السراج الزواق وهو إلى وصل منه محتاج . فلما عادوا ، قال السراج يذكر أيامه ويمدح أبا المفضل . ويذكر شيئا كان عليه به قد تفضل :

- أَجْنَاكَ مِنْ عَارِضٍ فِي خَدِّهِ لَاحَا * رَيْحَانَةٌ جَاوَرَتْ مِنْ رِيْقِهِ رَاحَا .
وَمَا كَفَاهُ الشَّدَا الْمِسْكُ بَيْنَهُمَا * حَتَّى حَلَا مِنْ خَضِيبِ الْخَلْدِ مُنْهَا .
عَيْنِي رَأَيْتُهُ بِدِيرِ الْبَغْلِ فِي مَلَا * قَدْ قَامَ فِيهِمْ مَعَ الْأَشْحَارِ نَوَا .
مَقْرَطٌ تَرَكَ الثُّدْمَانَ مِنْ يَدِهِ * صَرَعْتُ وَقَدْ حَثَّ أَحْدَاقًا وَأَقْدَا .
عَاطِيَتُهُ كَأَسْهَا وَالشُّهْبُ مَا جَنَحَتْ * إِلَى مَنَارِبِهَا وَالْدَيْكُ مَا صَا .
وَالنَّجْمُ حَيْرَانٌ لَوْلَا مَا رَفَعَتْ لَهُ * مِنْ كَأْسِهَا تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ مِصْبَا .
حَتَّى إِذَا أَذْنَتْ الصَّبَاءُ خُطُوتَهُ * وَرَحَلَتْ يَدُهُ عَنِ رَاحَةِ الرَّاحَا .
وَبَاتَ طَوْعِي فَلَمْ أَزْدَدْ عَلَى قُبُلٍ * إِذْ لَا أَيْتُ لِبَابِ الْعَارِ قَتَا .
أَغْلِبَ النَّفْسَ عَمَّا تَسْتَسِي كَرَمًا * جِدًّا فَلَا تَحْسَبْنِي تَمَّ مَرَا .
وَقَدْ يَرُوقُكَ لَفْطَى الْخُلُوفِ لَاسِيًا * إِذَا قَيْتُ بَنِي الْعَسَالِ مَدَا .
الْقَوْمُ جَادُوا وَلَمْ أَسْأَلْ ، وَهُمْ مَتَحُوا * وَمَا غَشِيَهُمْ وَاللَّهِ مُنْهَا !
وَشَادَ بِحُلُمِهِمْ بَيْتًا بَيْتَ لَهُ * طَرَفَ الْحَبْرَةِ مِمَّا طَالَ طَمَا !
مَنْ كُلُّ أَزْهَرِ لَوْلَا فِي تَطْلُمِهِ * مَطَالُ الصَّبِيحِ زَادَ الصَّبَحِ لِمِصْبَا ،

تَحْيِيَّتُهُمْ نَحْوَ دِيرِ الْبَيْسِلِ مُطْلَبًا * صِهَاءُ جَرَتْ بَطْوَقُ اللَّيْلِ فَاتَزَاخَا .
أَبَا الْمُفَضَّلِ ، لَمْ أَلْبَغْ مَدَاكَ وَلَوْ * طَارَحْتُ فِي مَنَهَبِ الشَّعْرِ الطَّرْمَاخَا !
إِنْ رُمْتُ إِخْفَاءَ مَا تَعْطِي فَقَدْ نَطَقَ الشَّعْرُ وَفُتَّ عَنَّا بِمَا تُخْفِي وَقَدْ بَاخَا !
لَا تَبْتَغِ لِلْجُودِ كَيْثَانَا فَتَغْلِيهِ * إِنَّا رَأَيْنَا نَسِيمَ الْجُودِ قِيَاخَا !

- ٥ دِير طَمُويه ^(١١) - ويُعرف المكان الآن بطَمُوه، وهو في الجانب الغربي، بإزاء
حُلُوان . والدير رَاكِبٌ عَلَى الْبَحْرِ . تحفٌ به الكروم والبساتين والأشجار . وهو
عامر الأوطان . أهل بالرهبان . وحين تخضر الأرض يكون بين إساطين من البحر
والزرع .

قال الشاشي : وهو من المنتزهات المذكورة، والمواقع الموصوفة . وأنشد فيه
١٠ لأبي عاصم قوله :



وَأَشْرَبَ بِطَمُويِهِ مِنْ صِهَاءٍ صَافِيَةٍ - تَزْرِي بِجَمْرِ قَرَى هَيْتٍ وَعَانَاتِ !
عَلَى رِيَاضٍ مِنَ النُّوَارِ زَاهِيَةٍ * تَجْمِرُ الْجَدَاوِلُ مِنْهَا بَيْنَ جَنَاتِ !
مَنَازِلًا كُنْتُ مَشْغُوفًا بِهَا كَلْفًا * وَكُنْتُ قَدِمًا مَوَاحِيِرِي وَحَانَاتِي ،
إِذْ لَا أَزَالُ مُلِحًّا بِالصُّبُوحِ عَلَى * ضَرْبِ النُّوَاقِيسِ صَبًّا بِالْدِيَارَاتِ .

- ١٥ (١) وأحار أيضا في حطط المقرري (ج ٢ ص ٥٠٤) . وياغوت (ج ٢ ص ٦٧٤) . الشاشي
(رددة ١٣١) وأصل أيضا ما أورده أبو صالح الأرمي (ص ٨٥) .

(٢) في الأصل : ترى . وفي الشاشي : ررى . هكذا بغير قط .

- (٣) هذه رواية الشاشي . والى في أبي فضل الله "إني وإن كنت" وقد ضلت الرجوع إلى رواية
الشاشي لأن أبي فضل الله أحزله من هذه القصيدة ثلاثة أبيات . ولأن جرحه هذه الجهة الترطية التي مال
٢٠ إليها لم يرد .

كنيسة الطور

كنيسة الطور^(١) - قال الشافعي: وهذا الطور هو طور سيناء الذي صعد عليه موسى عليه السلام، والكنيسة في أعلى الجبل، مبنية بحجر أسود، عرض حصنه سبعة أذرع، وله ثلاثة أبواب من الحديد، وفي غربته باب لطيف، وقد أمه شجر قديم، إذا أرادوا رضه رفعوه، وإذا قصدوا متغلب أرسلوه، فأنطبق، فلا يعرف أحد مكان الباب، وداخلها عين ماء، وخارجها عين أخرى.

قال: «زعم النصارى أن بها من أنواع النار الحديدة التي كانت بيت المقدس: يقدون منها في كل عشية السراج، وهي بيضاء ضعيفة الحز، لا تحرق، ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهبان، فلا يخلو من أحد من أهل البطالات للتفرج فيه والتبرك - على رأيهم - به.

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة، ومن وصفه ابن عاصم، قال فيه:

يا راحب الدير، ماذا الضوء والنور، فقد أضاء بما في ديرك الطور؛

هل حلت الشمس فيه دون أرجحها، أو غيب البدر عنه فهو مستور؛

فقال: ما حلّه شمس ولا قمر، لكن يقرب فيه اليوم قور!

(١) وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥١٠) والشافعي (ورقة ١٣٢) و إقوت (ج ٢ ص ٦٧٥)

(٦٧٦) والفزريق (ص ١٣١) - وكلهم يسمي هذه الكنيسة بأسم "دير الطور" وشرأبن عاصم الوارد في المتن يشهد بهذه التسمية، وهو غير دير طور سيناء الذي سبق الكلام عليه بأسم دير الطور.

(٢) صوابه يوقدون لأن "وقد" لازم ويمتد بالهمزة، وقد جاء بعد سطر على الصحة.

دير طراً^(١) - وموقعه قبلى القرافة ومصر. على بركة الحيش وبساتين الوزير.
يقصده أهل مصر للفرجة والتزه. ويؤتى إليه على ظهر البر والنيل. وله إشراف على
النيل. ولا يخلو من قَصَف وشرب. ولأمرء الديار المصرية إليه إفضاء فى القضاء
ومتنهى الركوب. وفيه أقول :

شعر المؤلف فيه

يَوْمَ طَرَا وَدِيرَهَا • وَمَا أَتَى مِنْ خَيْرِهَا !

وَأَبْيَضَ مِنْ يَوْمِهَا • وَأَحْمَرٍ مِنْ مِيرِهَا !

مُدَامَةً تَسِيرُ بِنَا • مُجِدَّةً فِي سِيرِهَا !

لَمْ أَتَسْ هَيْفَ نَخْلُهَا • وَيَوْمَنَا فِي حَيْرِهَا !

وَأَكَلْنَا مِنْ حُوتِهَا • وَوَحِشِهَا وَطَيْرِهَا !

هَذَا إِلَى فَاتِيَةِ • مَلِيحَةٍ فِي دَرِهَا .

فَلَا تَقُلْ لِي : غَيْرُهَا . • مَا أَرَى فِي غَيْرِهَا !



(١) وأظن المقرئ (ج ٢ ص ٥٠١) .

المدارات السبع^(١)

وهي في الوجه البحري ، وهو سُفلى ديار مصر . ممتدة غربا على جانب البرية
الفاطمة بين بلاد البحيرة والقُيُوم .

مررتنا على بعضها في الصحبة الشريفة الناصرية . وهي في رمال مُتقطعة ، وسباخ
مالحة ، وباري مُعطشة ، وقفار مهلكة . وشرب سكانها من جفارات لهم . وهم
في غاية من قسَف العيش وسَقَط القوت .

مرور المؤلف
على بعضها في
أيام السلطان
الناصر

ويُحِلُّ النصارى إليهم جلائل الذنور والقرايين ، ويخصهم بكرائم التحف .
ويتخذ كُتُبَ القبط وخدمُ السلطان منهم خاصة ، أيادى معهم ، ليكونوا لهم ملجأ
من الدولة ، إذا جارت عليهم ضرورتها .

ولم أعلم فيها أخبارا فاذكرها ولا أشعارا فأطرق بها . وإنما ذكرتها لشهرة اسمها
وبعد صيتها .

الدير الأبيض^(٢) ... وهو دير جليل البناء ، أبيض كما سُمي . عليه رونق . قد بُني

الدير الأبيض

(١) هي المشهورة التي يراى الطرون . وقد زرتها في سنة ١٨٩٤ ميلادية .

(٢) في الأصل : فهم .

(٣) وصف دير "دير شتوده" . وأنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١) . وقد اختصر على القول بأنه
في الصعيد وأنه قاله "دير الأبيض" . وقد ذكر أن نالها ديرا آخر بهذا الاسم في جبل على تلك
المدبة المعروفة الآن باسم أورفا . وأن نالخرسه متى ضرب يسمع بها . وأنظر أيضا ما أورده أبو صالح
الأرسى (ص ١٠٤ إلى ١٠٦) . وقد سماه "دير يوستوده" وقال إنه ياتبع على جبل يسمى أدربة .

بالبحر الأبيض، وَزَيَّنَ في أبيته، وَوَسَّعَ في قدر أفنيته . وهو غربي النيل، في طَرف
الحاجر المَظِلُّ على المزدرع، فيا يقابل إنجيم . وله إشراف على بساطت تلك الزروع .
وسواح تلك المواشي . وبإزائه نخل خاص به .

ويعبر من النيل خليج طويل المدى ، كأنه السيف النقي من الصدى ؛ ينتهي وصف المؤلف له
إلى مَلَقَةٍ متسعة ، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة ، شرق الدير . يفصل بينهما الطريق .
وبطل على هذه المَلَقَة رابية عليه ، قد تكونت من قَصَلات الترع المنفورة والجسور
المستحقة .

لا بُدَّ مثل نزاهته في زمن الشتاء والربيع : يتضحك في جَنَابِه التَّوَارِ ، وتَحَضَّرُ
فيه شِقايق الزروع ، وتكثر فيه مصايد الطير ، ويكون من الحسن في غاية تَمَلُّاُ البصر .
وتريد على الخبر . ومررنا به محبة السلطان وزلنا على تلك الرابية . وأشرفت على
البركة وفيها قاربٌ يصاد فيه السمك . ومَرَّتِ الأطلابُ مُزِينَةَ التَّركِ (١) وحياد
الخليل . فَمُسِئِلَتُ أَنْ أَعْمَلَ في مثل هذا شيتاً ، على رسم ما يقال في الديارات . فقلت :

١٧٢

ترجوزة طويطة
للفيل به

- ١ يوم لنا بالدير ، دير الأبيض - قد آتقضى وطيبه لم يقضى .
- ٢ قد جثته في السك المنصور ، ففلق الأبواب كالمنصور .
- ٣ وازل الرهبان بالديوس : فيه إلى قرارة الديوس .
- ٤ وأطلمت نحوى هناك رابية ، تياهة على الوهاد آية .
- ٥ قد خضعت من جانيها الوهد ، كأنها فوق الصدور نهة .

(١) يظهر أنه سقط كلام من الأصل . فان كلمة "مزينة" جاءت في آخر الصفحة . وكلمة "الترك" جاءت
في أول الصفحة التالية . وورما كانت الحملة هكذا ومَرَّتِ الأطلابُ مزينة "أما" ، ذلك وحياد الخليل .

- ٦ كَأَنَّمَا تَطْلُبُ مَنَى الْمَائِي ۖ هَذَا وَقَدَوَّلَ زَمَانُ الْمَشْقِي .
 ٧ وَلِلرَّبِّعِ مُدُّ أُنَى أَعْيُدَال ۖ وَلِلنَّسِيمِ بَيْنَهُ أَعْيِلَالُ .
 ٨ وَالشَّمْسُ قَدِ دَبَّ بِهَا السَّقَامُ ۖ وَالْيَوْمُ لَمْ يَسِقْ لَهُ مُقَامُ .
 ٩ وَاللَّيْلُ قَدْ هَيَّا صَفَّ عَسْكَرَهُ ۖ وَإِنَّمَا مَعْرُوفُهُ فِي مُنْكَرِهِ .
 ١٠ وَالْجَوْفُ فِي رَدَائِهِ الْمُصْنَدِل ۖ وَالْأَرْضُ تُدْكِي بِاشْتِعَالِ الْمُنْدِلِ .
 ١١ وَبِحَجَرِ الشَّقِيقِ فِيهَا مُوقَدُ ۖ وَشِعْلُ النَّهَارِ فِيهَا نُوقَدُ .
 ١٢ وَزَهْرُ الْعُيُولِ أَدْعَى بِالْحَقِّ ۖ شَيْبَةُ أَذْنَابِ الدَّجَاجِ الْبَلْقِي .
 ١٣ وَزَهْرُ الْكَتَّانِ كَالْبَغَفَسِج ۖ وَمِثْلُهُ لَوْلَا ذِكْرُ الْأَرْجِ .
 ١٤ تَبَدُّوعِيْ أَعْطَاهُ التَّرَافَهُ ۖ ذَوْهَيْفٍ فِي شَكْلِهِ ظَرَافَهُ .
 ١٥ كَأَنَّهُ فِي مَائِهِ الْمَتَرَجِ ۖ زَرْجَدُ رُصْعٍ بِالْقَبْرِ وَزَجِ .
 ١٦ وَسَاثِرُ الزَّرْعِ شِقَاقُ خُضْمٍ ۖ وَبَعْضُهَا طَارِزُ نَهْرٍ .
 ١٧ وَالتَّخْلُ حَوْلَ الدَّيْرِ كَالْعَرَائِسِ ۖ تَجَلُّوَةٌ فِي فَائِرِ الْمَلَائِسِ .
 ١٨ كَأَنَّهُ مَشْمَرًا فِي هِمَّةٍ ۖ صَفٌّ وَقُوفٌ حَوْلَهُ فِي الْخِدْمَةِ .
 ١٩ وَتَمَّ مِنْ بَاقِي مَدْوَدِ النَّيْلِ ۖ مَاءُ شَيْبَةِ الصَّارِمِ الصَّقِيلِ .
 ٢٠ وَاقَتْ إِلَيْهِ خُلُجٌ مُفْرَقَةٌ ۖ وَأَجْمَعَتْ جَمِيعُهَا فِي مَلَقَةٍ .
 ٢١ دَائِرَةُ قُرُورَاءَ مِثْلِ الْأَفْقِ ۖ تَأْوِي بِهَا حَيَاتُهَا فِي نَفَقِ .
 ٢٢ صَافِيَةٌ كَشَلَّ عَيْنِ الدَّيْكِ ۖ فِي غَايَةِ الصَّقَالِ وَالتَفْرِكِ .
 ٢٣ قَدْ وَلَعَتْ فِيهَا الرِّيحُ بِالطُّرُرِ ۖ فَشَوَّشَتْهَا ثُمَّ سَالَتْ كَالْفُسْرِ .
 ٢٤ فَسِجَةُ الْأَرْجَاءِ كَالْمِيدَانِ ۖ تَشَقُّهَا سَوَاحِجُ الْحَيَاتَانِ .

- ٢٥ فيها من الأسماك أشتات تُرى . تأخذ من أنواعهن العسرا .
 ٢٦ فيها من البلطي والبقي . ما صكل كالرطب الحسي .
 ٢٧ والبركة الفيحاء فيها قارب . وفيه صار للشباك ضارب .
 ٢٨ يحسرى به قاربته على نفس . وهو يه في الماء ناري القيس .
 ٢٩ كأنما أجرى به جوادا . أسرع في الركض وما تمادى .
 ٣٠ كأنه إذا أراد المركبا . صل من الحيات برقي عقربا .
 ٣١ يسير الحيات وسط الماء . كأنها التجوم في السماء .
 ٣٢ يأتي إليها بأضاليل الخدغ . لأجل ما يأخذ منها ويدغ .
 ٣٣ ولم يزل بحفنة في الحركة . حتى أنه يلقي عليها السكة .
 ٣٤ وكل ما يريد به يصيد . يازرعها أن لك الحصيد .
 ٣٥ وعن لي سرّب مها جاذر . أجفانها تغم ما تمحاذر .
 ٣٦ أقار ترك فوق شهب الخيل . وبينها أدم ضافي الذيل .
 ٣٧ جئت حتى صرت فوق المضبة . وعانيت عناء تلك الحلبة .
 ٣٨ وإلها من حلبة لا تلحق . نكبو ورامع الرياح الشبق !
 ٣٩ كأنها أفتق حوى أقارا . قد طلّعوا في أفتقها نارا .
 ٤٠ من نسل خافان وجنين الترك . قد عودوا لحاظهم بالترك .
 ٤١ كم فهم من سحر الأجنان . قيسى خد طرفه يمان !
 ٤٢ لله إن جرد أسياف الحدق . وبدد الدماء في الحد آليق !
 ٤٣ فيها ملاح للمناق خلّفوا . ما برزوا للعين حتى عُشّوا .

- ٤٤ وَمَيْدُ الْأَغْصَانِ ثُمَّ تَسْتَقِيقُ طَوْرًا تَحْتَ ثَمَّ طَوْرًا تَمْتَنِّقُ .
 ٤٥ أَغْصَانُ بَابِ آءٍ هُمُ غَزْلَانُ أَوْ الشُّمُوسُ بَلْ هُمُ الْوِلْدَانُ .
 ٤٦ قَدْ رَكِبُوا صَوَافِنَ السَّوَابِقِ وَأَقْرَبُوا لَكِنْ فَوَادَ الْعَاشِقِ .
 ٤٧ مِنْهُمْ فَتَى يَسْتَرْكَلُ دِينِي مَنْ لِي مِنْهُ لَوْ قَصَبْتُ دِينِي ؟
 ٤٨ قَدْ أَسْرَجَ النِّعَامَ بِالْهَلَالِ مُطَهَّمًا فِي صِبْغَةِ اللَّيَالِ .
 ٤٩ يَفْرُقُ شَطْرِي وَجْهَهُ بُفْرَهُ : كَأَنَّهُ فِي وَسْطِهَا مَسْرَرَهُ .
 ٥٠ أَحَدُهُمْ مِنْهُ فِي السَّابِقِ قَدْ بَدَّرَ لَيْلٌ وَلَكِنْ فَوْقَ عِطْفَيْهِ قَرَرُ .
 ٥١ مُبْلِلُ الشَّدْعِ رَخِيمُ الدَّلِّ أُرِيدُ مِنْهُ الْهَوَى مُعَلَّى .
 ٥٢ لَهُ مِنَ الْعَجَبِ جُفُونٌ مُطَبِّقَةٌ وَأَقْفَى مِنَ الْعُيُونِ النَّصِيقَةُ .
 ٥٣ لَمْ أَرْ مِثْلَ نَفْسِهِ إِذْ صَحَّكَ لَقَدْ حَكَاهُ الْبَرْقُ لَكِنْ مَا حَكَى .
 ٥٤ بَدَّرَ وَلَا تَفْضَحْ لِي أَسْمَاؤُهُ ذُو تَرْفٍ يَكَادُ يَجْرِي مَأْوُهُ .
 ٥٥ مَا لِي وَمَا لَلْأَرَاخِ أَوْ لَلْأَكُفُوسِ إِذْ حَلَّ لِي بِنْدَ النَّبَاءِ الْأَطْلَسِ !
 ٥٦ وَبَانَ مِنْ نَيْبَاهِ الْمُجَرَّدُ كَأَنَّهُ مِنْ فِضَّةٍ تَنْقَدُ .
 ٥٧ فَيَا أَتَى إِنْ قَضَيْتُ نَحْبًا دَعْنِي أَمُوتْ فِي هَوَاهُ حَبَا !
 ٥٨ أَهْوَى بَدْمَجٍ مَقْلَقَى الصَّبِّ قَدْ نَعِشْتُ صَيًّا يُصْبِي !
 ٥٩ مَا الْمَوْتُ فِي هَوَاهُ إِلَّا تَحْيَا لَوْ مِتُّ عِشْقَافِهِ كُنْتُ أَحْيَا !
 ٦٠ لَمَّا أَنَا بَيْنَ مِنْ بَعِيدٍ وَوَقَفْتُ قَمْتُ لَهُ لِلَّيْلِ أقدامُ وَكُفْتُ .
 ٦١ وَكَانَ قَدْ حَانَ غُرُوبُ الشَّمْسِ وَطَلَعَ الْبَدْرُ كَتِلَ الثَّرَائِسِ .
 ٦٢ وَظَلَّتْ أَلْهِيهِ بِأَشْغَالِ السَّمَرِ لَعَلَّ لِلَّذِي فَعَلْتُهُ ثَمَرُ .

- ١٣ وقلت هذا منزلُ نزيه * ليس له فيما هنا شبيه.
- ١٤ يا صرّجاً شرفت هذا الموضعاً * وجفتنا والبدر في وقتٍ معاً!
- ١٥ فلو زلّته هناك أو هنا * عمّ بقربك السور والهمنا.
- ١٦ فأنزل بنا وأقعد قريراً ساعه * ولا تخف من فاضح الشناعة.
- ١٧ فلان لي جانبُه ثم أبتم * وفاح لي طيب رضاه ونتم.
- ١٨ وقال لي أقم حوالينا الحرم * ولا تحطلي كالسهم عن ظهر القرم.
- ١٩ فقلت: ما تقول في ذا إن مسك * هذا لنا وجبت من هذا الحسن؟
- ٢٠ ونوقد النار له ليقلى * ومن أتى مزاجاً في المقل.
- ٢١ ونا كل السؤلور والشبوطا * والفرخ والمسلوخ والمسرطا.
- ٢٢ هذا وما تضم أكتاف الشفر * وما تكون منه الطاف السقر.
- ٢٣ فقال لي: دونك ما تريد! * فكان عني باللقاء عيّد.
- ٢٤ هذا وكنا قد أمرنا الطاهي * بأخذ تلك الحلة الزاهي.
- ٢٥ فأعترى الجميع بالتنظيف * وزانها في الوضع والتصنيف.
- ٢٦ وحط عن أجسامها الجواشأ * وأظهر الجمال والمحاسن.
- ٢٧ وأقصدح النار من الزناد * مثل أصطكاك البرق في المهاد.
- ٢٨ يطير من جانبها شرار * هل منه للرمانة انتشار.
- ٢٩ يورث الموقف جل نار * كانتا سبت بطنار.
- ٣٠ وبعد هذا صنف المقالي * وكلنا نحب ذلك القالي.
- ٣١ وسكب الدهان في الطنجير * كشل سبط الظل في القدير.

- ٨٢ ثم قُلْ فِي الطَّائِفِ الْأَسْمَاكَ . ٥ لَوْلَا قَلِيلٌ ، لَقَلَّ السَّمَاءُ .
- ٨٣ وَنَضَّدَ الصُّحُورَ ثُمَّ صَفَا . ٥ سَبَاكَ مِنَ النَّضَارِ قَدْ صَفَا .
- ٨٤ أَعَادَهَا بَعْدَ الْخَمْسِينَ عَجَدًا . ٥ صَفَّرَ أَلْوَانًا لَهَا وَوَرَدًا .
- ٨٥ وَجَاءَ بِالْمِلْحِ وَالْبَازَارِ . ٥ سَكَارِجًا تَرُوقُ لِلْأَبْصَارِ .
- ٨٦ مَصْفُوفَةً لَنَا عَلَى مَقْدَارِ . ٥ كَيْدَرَهُمْ صُفِّىَ إِلَى دِينَارِ . ٥
- ٨٧ وَصَّبَ مِنْ أَطْيَابِ الْأَصْلَاحِ . ٥ حَقَابًا مَسْدُودَةَ الْعِقَاصِ .
- ٨٨ مِنْ حَامِضٍ مُطَبَّبٍ وَمُرٍّ . ٥ وَغَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ حَمَضٍ يَجْزِي .
- ٨٩ وَنَضَّدَ الْبُقُولَ فِي الْأَطْيَاقِ . ٥ مِثْلَ الْحَرِيرِ تُفِّى الْأُورَاقِ .
- ٩٠ وَوَضَعَ الْبِكَاجَ وَالرَّقَاقَا . ٥ حَتَّى أَسْتَدَارَ حَوْلَهَا نِطَاقَا .
- ٩١ وَجَاءَ بِالْفُسَّاقِ وَالْمَشْرُوبِ . ٥ يَسُمُّ فِي الْيَكْزَانِ بِالْوُثُوبِ . ١٠
- ٩٢ وَمِنْهُ فِي إِيَّانِهِ مَسْكُوبٌ . ٥ كَأَنَّهُ مِنْ دَهَبٍ مَعْجُوبِ .
- ٩٣ وَفَرَّبُوا الْحَلَوَاءَ مِلَّ الْجَامِ . ٥ كَيْتِلَ قُرْصِ الشَّمْسِ بِالْتِمَامِ .
- ٩٤ فَقَامَ لِي وَزَنَ سُرُورِي وَقَسَطَ . ٥ لِأَنَّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ قَدْ أَبْسَطَ .
- ٩٥ وَمَتَّعْنِي يَدُهُ ثُمَّ أَكَلْ . ٥ ثُمَّ تَقَلَّنَا بِمَنْهَبِ الْفَبْلِ .
- ٩٦ فَكَمْ أَصْبَتْنَا مِنْهُ مَا أَرَدْنَا . ٥ وَلَوْ نَشَاءُ بَعْدَ هَذَا زِدْنَا ! ١٥
- ٩٧ ثُمَّ أَتَمْنَا حَمْدًا وَالشُّكْرَا . ٥ وَهَوَّيْنَا جَادَ عَلَيْنَا أَدْرَا .
- ٩٨ ثُمَّ أَنَا الطَّلَسْتُ وَالْفُسُولُ . ٥ كَانَ بَعْنِي مَجْمُولُ .
- ٩٩ ثُمَّ تَلَاهُ الطَّيِّبُ وَالْمُنْدِيلُ . ٥ يَا حَبِذَا مَا حَبَّهِ الرُّسُولُ .



(١) جمع صلصة . (معرفة عن اللاتينية والطلانية Natica) وعدة العرفيين (Natica) .

- ١٠٠ حتى إذا ما نَزَلَ السُّلْطَانُ « وَأَشْتَلَّ النَّوْغَاءُ وَالْفُلْهَانُ. ^(١)
- ١٠١ وَنَامَ كُلُّ مُسْتَكِنٍ فِي الْحِمَمِ : وَنَكَرَ الْأَفَاقُ جِلْبَابَ الظُّلَمِ.
- ١٠٢ وَأَمِنَ الرَّاهِبُ وَالْقِسِّيسُ « وَأَتَشَقَّ عَنْ مَوْتَاهُمُ النَّوُوسُ.
- ١٠٣ وَأَوْقَدُوا فِي الْبَيْعَةِ الْقِنْدِيلَا : وَرَجَعُوا الْمِزْزَمَارَ وَالْإِنْجِيلَا.
- ١٠٤ وَزَيَّنُوا الْمَيْكَلَ بِالْقُرْبَانِ : وَصَفَّوْا الشُّمُوعَ وَالْقَنَانِ.
- ١٠٥ وَسَكَبُوا الصَّبَاءَ فِي الْإِبْرِيقِ « صَفْرَاءَ أَوْ حِرَاءَ كَالْعَفِيقِ.
- ١٠٦ وَصَبَّأَ فِي الْكَاسِ مِثْلَ الْهَيْبِ « مَمْتَنَةً مِثْلَ شَرِيطِ الذَّهَبِ.
- ١٠٧ يَسْمَعِي بِهَا مُقَرَّطَقٌ مُزْمَرٌ : شِبْهُ الْغَزَالِ الْخَشْفِ أَحْوَى أَحْوَرُ.
- ١٠٨ مِنْ فِتْنَةٍ دَامُوا عَلَى الْإِنْجِيلِ « مَنْ لِي بِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ جَبَلِ.
- ١٠٩ وَبَضَّعَهُمْ دَبٌّ لَهُ عِذَارٌ : كَأَنَّهُ مِنْ صَدِّهِ اعْتِذَارٌ.
- ١١٠ وَفِيهِمْ ذَلِكَ الْغَزَالُ النَّافِرُ : خَلِيفَةُ الْمَلَأَحِ وَهُوَ الظَّافِرُ.
- ١١١ لَمَّا بَدَأَ مِنْهُ الصَّبَاحُ السَّافِرُ : تَسَرَّ اللَّيْلُ فَقَبِلَ الْكَافِرُ.
- ١١٢ أَوْ يَنْتُ قِسْمٌ عَلَيْهَا مَسْحٌ : كَاللَّيْلِ قَدْ أَقْبَلَ فِيهِ الصَّبَحُ.
- ١١٣ يَمِصُّ فِيهِ دَلَالٌ وَتَرَفٌ : كَأَنَّهُ مِنْ مَاءِ خَلْبِهَا اعْتَرَفَ.
- ١١٤ فَاتَنَّتْ مِنَ الظُّلُمَاءِ الْعَيْنُ : قَدْ نَاصَبَتْ يَدَيْهَا لِدِرْخِي.
- ١١٥ مَاذَا أَقُولُ فِي بَدِيعِ صُنْعِهَا : وَالبَدْرِ فِي الظُّلُمَاءِ حُشْوِدِ رِعْمِهَا؟
- ١١٦ غَصْنٌ رَطِيبٌ دَبٌّ فِيهِ الرَّاحُ : وَمِنْ جَنَى خُلُودِهَا التَّفَاحُ.
- ١١٧ آفَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ : وَفِتْنَةٌ فِي أَوَّلِ وَآخِرِ.

(١) لم يرد جواب الشرط، إلا أن يكون مقرونا بالوار في الآيات التالية.

- ١١٨ ياما جرى منها واما يجري * منّا ومنها من بُكا وبكى !
 ١١٩ قَدْ هَلَّتْ عَنَّا عِيُونُ النَّاسِ * نُزِتَتْ بِهِ فِي غَسَلَةِ الْحُرَّاسِ .
 ١٢٠ وَقُلْتُ ، قُمْ حَتَّى زَوْجِ فِي النَّفْسِ ، فِي خُلْسَةٍ ، فَاطِيبُ الْعَيْشَ الْخُلْسِ !
 ١٢١ فَالَّذِي قَدْ آنَ لَهُ أَنْ يُفْتَحَا * وَكَانَ قَدْ أُغْلِقَ عَمْدًا مِنْ سُحَى .
 ١٢٢ قُنَا إِلَيْهِ تَحْتَ سِتْرِ اللَّيْلِ : نَوَازِعًا نَزِيًّا عَلَى سُهْلٍ .
 ١٢٣ وَقَدْ عَلَا هَيْكَلُهُ الْقَنْدِيلُ * كَأَنَّهُ لِرَأْسِهِ إِكْبِيلُ .
 ١٢٤ وَتَمَّ فِي الدِّيرَانِ صَدِيقُ : مِنْهُمْ كَيْفَ الشُّكْرُ لَا يُفِيقُ .
 ١٢٥ لَكُنْتُ لَخُوفِهِ قَدْ كَانَا : مَا شَرِبَ الصُّبْهَاءُ حَتَّى الْآفَا .
 ١٢٦ وَعِنْدَهُ جَمِيعُ مَا نَطْلُبُهُ * وَصَوْتُ أَوْتَارٍ لَهُ طَرِبُهُ .
 ١٢٧ وَهُوَ إِذَا تَبَيَّنَ الشَّلَاةُ . لَمْ تَسْتَطِعْ مَلِيعَةً حِلَاةُ .
 ١٢٨ لِأَنَّهُ عَرَفَ كُلَّ رَاهِبِهِ . بِمَكْرِهِ أَنَّ الْحَيَاةَ ذَاهِبِهِ .
 ١٢٩ وَكُلُّ مَا تَزِيدُ مِنْهُ يُجْعَلُ * وَفَقَّ الْمُنَى مَسَارَعًا يَسْتَعْجَلُ .
 ١٣٠ فَاتَهَضَّ وَقُمْ وَطَبَّ وَلَا تَوَقَّ * وَأَقْتُلْ بِمَا شِئْتَ سِوَى النَّجَى !
 ١٣١ قُمْ بِنَا أَتَهَضَّ وَدَعْ الْعُدَالَا ! * كَمْ ذَا الْقَعُودُ هَكَذَا كُمَالَا !
 ١٣٢ لِنَنْفِخِ الصَّعْتَةَ وَالْقِرَاعَا * وَنَشْرِبَ الْعُمُرَنَا مَا أَنْشَا !
 ١٣٣ وَلَمْ أَزَلْ بِهِ بِهِ حَتَّى نَزَلَ . شَابَاثِرِي ! صَدَّتْ الْغَزَالُ بِالْغَزَلِ !
 ١٣٤ خَدَعْتُهُ فَاطَّاعَ لِي الْعُلَامُ * وَكَانَ مَا قَدْ كَانَ ، وَالسَّلَامُ !
 ١٣٥ وَبِثَّ مَسْرُورًا بِذَلِكَ الْخُشْفِ * وَفَوْقَ مَا وَصَفْتُ مِنْهُ الْخُشْفِ .
 ١٣٦ وَكَانَ لِي عَلِيمٌ طَرِيفُ * حُلُوُّ الْكَلَامِ فَكَيْفَ خَفِيفُ .

١٣٧ جميع ما يقوله مجنون * ما كان مثله ولا يكون.
 ١٣٨ حديثه ليس عليه من حرج * لنا به القال وقد سمي فرج.
 ١٣٩ قلته: كائن من نيم * لأجل ذاك الظبي لما أن طيم.
 ١٤٠ ونحن لم أطلع هذا إذا سلمك! * فقال: لولاه لما كان آمنك!
 ١٤١ جعلته لصيده كالفتح * لأجل ذا أبصرته مسترجي.
 ١٤٢ يا شاطر البلاد أنت القيم * فعلت ما لا تستطيع الأسهم!
 ١٤٣ لاشك قد أختت علم السحر * وصنعت صيد البر بعد البحر!
 وما قلته فيه :

والدير يوم أبيض لي كاسمه * وقد طلعت من جانب الدير أقدار.
 وقد جليت في الكأس صباهمزة * تكشفت منها في الدججة أستار.
 والدير ديرانيسة برزت لنا * فسم لنا فيها حديث وأخبار.
 جلتها كأن الطور جانب كاسها * وإلا ربي دارين من دونها دار.
 وقلت :

ولم أنس بالدير يوماً لنا * وعيش السرور به يتهب!
 فضض أبقاره بالقيين * ومروه أصالة بالذهب!
 وكأس المدام علينا تطوف * بحراء صافية كاللهب.
 يطوف بها من نبات القسو * سباحة الكف ليست تهب.
 مبسلة بين زهائنا * لألحاظها في حشانا رهب.
 مسيحية طلعت في الأسوح * كصبيح أطل وإبل ذهب.

وقد غاب عَنَّا عَيْنُ الرَّقِيبِ : وجاد الزمان بما قد وهب .
فَرَشَفُ اللَّيْلِ خَلَسَ بَيْنَنَا . وعَصَّ الخُدُودُ لَدَيْنَا نُهْب .

د ر ر ي ف سة ^(١) - وهو بصعيد مصر، فوق سيوط، لا بعيد، على الجبل الغربي د ر يمة .
المطلَّ على رفة .

وهناك عدة دياريات، المشهور أكبرها، والبقية كالثلاثي .

وهو من الأبنية القديمة المحكمة . ولأهله رزق من أطيان تُزرع وتستغل .
جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة في حساب الدواوين، وهو دير مذكور، وله أخبار .
وفيه حكايات وأشعار .

يُحكى أن شاعرا مغربيا، يُعرف بابن الحداد، مرَّ به وهو مُصعِد إلى قوص ،
ليُحجَّ من جهة عَيْذاب ، في البحر . فرأى دِرَانِيَةً اسمها نورية . كأنما أذكاهَا
في قلبه نَظَرَهَا، وشَبَّهَا في جوانحه من خدودها المُحَمَّرَةِ نَضْرُهَا . فالتقى عندها عصا
سمره . ولقِيَ عندها متنبئاً ما يؤمِّل من ظَفِرِهِ . وترك الحُجَّ كأنه ما تَعَيَّ له من أَقْصَى ^(٢)
بلادِهِ . ولا نوى ^(٣) إليه السفر في رحلته وزاده . وقال فيها :

ورأت جُفُونِي مِن نُّورَةِ كَأْسِهَا . نَارًا تَضِلُّ، وَكُلُّ نَارٍ تُرْشِدُ !

والمساءنت . ولا يصحُّ لقايش ! . والنار أنيت، وفي الحشا تنوقد !

(١) سماء أبو صالح الأرمي "دير ربة وأدركته" وأنظر كلامه عليه (ص ٩٤ و ١١٣) . وقد ذكر
القرطبي دياريات كثيرة باسم أدركته (ج ٢ ص ٦٠٥) .
(٢) أنيت في الأصل لفظة "إلا" من السطور في المرحضين . وعليه يكون الضمير عائدا على الدير الذي
يذكر عليه الكلام . أما على عدم الزيادة فاعاد على الحج .

ولما طال مقامه ، وقفت عليه وسالت عن سبب إقامته فقص عليها الخبر ، ونص العبر . وأعلمها أنه إنما أتى ليحج^(١) ، فلما رأها أقام ، وتطلب ما يبالغ به السقام . فقامت غير متباطيه ، ووثبت كالظبية العاطيه . وطلت أنه لم يصب ، وأنه مذلها شره ونصب . فلما رأى ما رآب من شغورها ، وإعراض طينتها الأدماء وسرعة فورها ، أسأل عبرته ، وإلى حشرته . ثم قال :

حديثك ما أحل ! فزیدی وحدتی * عن الرشا القرد الجمال المثلث^(٢) !
ولا تسأی ذكراه ، فالذکر مؤنسی * وإن بعت الأشواق من كل مبعث .
أحقا وقد صرحت ما بي أنه * تبسم كاللاهي بنا المتعبث^(٣) ؟
وأقسم بالإنجيل إني لكاذب * وناهيك دمي من حقي ونحيت !

ورأها يوما بين صواحبها ، كما أطلعت ليلة القمر بين كواكبها . فلما دنا منها الحديث تحث ، ويحث عليه بكلامها ونحث ، فقال :

وبين المسيحيات لي شاعرية * بعيد على الصب الحنيئ أن تدنو !
مثلثة قد وحد الله حسناتها * ففتى من قلبي بها الوجد والحزن !
فطلى الخمار الجون حسن كائنا * تجتمع فيه البدر والليل والدجن !
وفي معقد الزنار عقد صباي : * فمن تحته دغص ومن فوقه غصن !

ثم إنه صارت لآثراه إلا أحتجبت ، وهيات للشموس أن تحجبت . فزاد بها بلباؤه ، وعظم آخباؤه . فلما كان يوم عيد من أعياد النصارى ، طلعت تلك الشمس ،

(١) في الأصل : وأعله .

(٢) في الأصل "سفورها" بالسين المهملة ، ولا معنى لها على الإطلاق . لذلك صححت بالسين المعجمة ليكون المعنى أنه رأى أنها تنظر إليه شررا .

(٣) ضبطها في الأصل بفتح اللام . والصواب الكسر ، لأنه يشير إلى العيرانية التي تقول بالتثنية ، يشهد بذلك البيت الثاني من القصيدة التالية . وقد وردت كلمة "مفتة" في الأصل مكسورة اللام .

كأنجم السما ، وبرزت تلك الدِّيَارِيَّة في أترابها ، ونحرجت كالصَّباح المسفر من وراء
حجابها . فوقف عليهن وقال :

عَمَّاكَ بِمَحَقِّ عَيْبَاكَ مُرِيَّةٌ قَلْبِي الشَّاكِي !
فَإِنَّ الْحَسَنَ قَدْ وَلَا ۚ لِكَ إِخْيَافِي وَإِعْلَافِي !
وَأُولَمَنِي بِضَلَابِي ۚ وَرَهَابِي وَتُفَاكِ !
وَلَمْ آتِ الْكَائِسَ عَنِ ۚ هَوَى فَيَهِنٌ ۚ لَوْلَاكِ !
فَهَلْ تَدِيرِينَ مَا تَقْضِي ۚ عَلَى عَيْنِي عَيْنَاكِ ؟
وَمَا يَذْكِيهِ مِنْ نَارٍ ۚ بِقَلْبِي نَوْرُكَ الذَّاكِي " (٢٨٢)
تَجَمَّعَتْ سَتَاكِ عَنِ بَصَرِي ۚ وَفَوْقَ الشَّمْسِ سِيَاكِ " (٢٨٣)
وَفِي الْفَضْلِ الرُّطِيبِ وَفِي النَّسْفِ الْمَرْجَعِ عِطْفَاكِ !
وَعِنْدَ الرُّوْضِ خُذَاكِ ۚ وَفِي رَهَاهُ رِيَاكِ !

١٠

وكانت سوى هذه الدِّيَارَات حَانَاتٌ بِمَوَاضِعَ شَتَّى ۚ لَهَا أَخْبَارٌ ۚ وَفِيهَا أَشْعَارٌ ۚ
وَأَشْهَرُهَا مَا نَذَكَرَهُ هُنَا وَلَعَلَّحَهُ مِنَ الدِّيَارَةِ بِأَمَثَالِهِ ۚ وَنَضِيفُهُ مِنْهَا إِلَى أَشْكَالِهِ ۚ وَهِيَ :
حَانَةُ الْعَطَائِفِ ۚ - كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ۚ وَكَانَ تَحَارُهَا يُسَمَّى آيْنَ بُيُوتَةٍ ۚ وَكَانَتْ
قُرَيْشٌ وَسَائِرُ الْعَرَبِ تَقْصِدُهَا ۚ فَتَشْرَبُ فِي حَانَتِهِ ۚ وَتَتَشَارَّ مِنْهُ وَتَعْمَلُ إِلَى أَوْطَانِهَا ۚ
وَتُورِدُ أَحْيَامَهَا مَوَاقِرَ إِبِلِهِ لِتَضْرِبَ بِأَعْطَانِهَا ۚ وَفِي آيْنِ بُيُوتَةٍ يَقُولُ أَبُو ذُؤَيْبُ :
فَلَوْ أَنَّ مَا عِنْدَ آيْنِ بُيُوتَةٍ عِنْدَهَا ۚ مِنَ الْخَمْرِ لَمْ تَبْلُغْ لَهَا نِيَّ بِنَاظِلِ ! (٢٨٤)

١٥

فذلك التي لا يُذهِبُ الدهرُ حُبَّها * ولا ذكَّرها ما أُرْزِمَتْ أم حائل^(١) !
وإن حديثاً منك لو تبدَّلَنيَّ - جَنَى النَّمْلِ في البَانِ عَوْدَ مَطَائِلِ^(٢) !
مَطَائِلِ أَبْكَارِ حَدِيثِ نَتَاجِهَا : يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ^(٣) !
لَعَمْرِي ! لَأَنْتِ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلَهُ * وَأَجْلَسُ في أَيْبَانِهِ بِالْأَصْنَافِلِ^(٤) !

حانة بن قُرَيْظَةَ - وكان نَحَّارها في جِوَارِ سَلَامِ بْنِ مِشْكَمَ . وكان عزيزاً مَنيعاً .
ولما أنصرف أبو سفيان بن حرب من غزوة السَّوِيقِ ، نزل على ابنِ مِشْكَمَ ، فأكرمه
وأحتسبه عنده ثلاثة أيام . وبعث إلى جاره النخَّار ، فابتاع كلَّ ما في حانوته ، وسقاه
أبأسفيان ومن معه من قريش . فقال أبو سفيان :

(١٧)

(١) وفي المتن : " لا أصله " أُرْزِمَتْ أم حائل . والإِرْزَامُ صوبَ تَحْرُجِهِ النَّافَةِ من حلقها لاهتج .
وأما : أوردده الحسان في " دة (و ز م) . والمخالف ولد النافه سائتة ظفيرة " إذا كان أُنثى . وأما أم حائل .
فكذلك صرح صاحب اللسان في مادة (ح و ل) وكذلك أوردده الميداني في مجمع الأمثال .

(٢) جمع عائد . وهي النافه الحديثة الناح .

(٣) - مَطَائِلُ . وهي النافه الصغرة الأطفال | والمراد أن لبن الأبقار أطيب | .

(٤) - يَفْصَلُ . وهو مقطوع السيل في الجبل . | والمراد بليب هذا الماء لأنه يجري في رمراض | .
| ومعنى البيت أن حديث المجبوبة - لو سمحت به - هو الشهد مروجاً بأطيب الألبان وأصنئ المياه | .

(٥) وردت في الأصل بكسر الهمزة إشارة إلى المجبوبة . ولكننا نالفتح في الديوان التي يخطها المرحوم
الامام محمود الشافعي المخطوط بدار الكتب المصرية (رقم ٦ ش . أدب) . وهو الصواب لأن الشاعر
انتقل إلى النكلام على بيت محبوبه . ومن البعيد على مثل أبي ذؤيب أن يجعل محبوبه يبتا يخلص فيه
بالأصناف ويكرم أهله .

(٦) قد نقل ابن فضل الله هذه الأبيات عن أبي ذؤيب . وقدم فيها وثيرة وحذف . وهي واردة
على ترتيبها المستقيم في ديوان الشاعر (رقم ٦ ش . أدب) . فالأول والثاني هما : أثر التصديده . وبين
الراعي والخامس هنا بيتان أغفلهما ابن فضل الله .

(٧) نص جمهور العلماء على أنه بقشيد اللام . ولكن بعضهم قال فيه بالقشيد و بالتصديق .

حانة بن قريظة

١٠

١٥

٢٠

سَقَانِي وَرَوَّابِي كَتَيْتَا مُدَامَةً ۖ عَلَا ظِلِّي مَنِي ، سَلَامٌ بِنِ مِشْكٍ !
تَحْيِرُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا ۖ لِحْلِفٍ فَلَمْ أَغْنِ وَلَمْ أَتَسَدِّمْ !^(١١)^(١٢)^(١٣)

حانة هجر - وتُعرف بحانة رَمَّان . وهي مذكورة . وقال فيها الراعي التميمي :

وَصَبِيَاءُ مِنْ حَانُوتِ رَمَّانٍ قَدَعَدَا ۖ عَلَى وَلَمْ يَنْظُرْ بِهَا الشَّرْقُ صَابِغُ ،^(١٤)^(١٥)
تُبَصِّرُهَا الْيَوْمَ كَأْسُ رَوِيَّةٍ ۖ وَبَرْدُ الْعَشَا وَالْقِيَانُ الصَّوَادِحُ .^(١٦)
وَيُنَاعِلُ الْأَطَاطُ ، وَالْبَيْضُ كَالدُّمَى ۖ نَضِيءٌ لَنَا لَبَّائِنُ الْمَصَابِغِ .^(١٧)
إِذَا نَحْنُ أَنْزَفْنَا الْخَوَاطِي ، عَلْنَا ۖ مَعَ اللَّيْلِ مَلُتُومٌ مِنَ الْقَارِطَاغِ .^(١٨)

(١) رواية ابن هشام "مل مجل" . وهي التي يربطها سياق الواقعة .

(٢) في الأصل : نحره أهل . ويمكن قراءتها "تَحْيِرُهُ أَهْلٌ" ويكون المعنى تحييره من أهل المدينة الخ .
أما الرواية القديمة الصحيحة التي أوردها ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن أبي عمير . فهي : "بني تحييت
المدينة" . وهذه الرواية يؤيد صحتها وصدقها أبو ذر الخنسي في شرحه لها الذي طبعه صديق العلامة الدكتور
برونو الألساني في مطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م) فقد قال الشارح ص ٢١٠
ما نصه "فعله بني تحييت المدينة واحدا . أراد من المدينة لحذف حرف الجر وأوصل الفعل" .

(٣) في الأصل : سواء . وفي الألف : سواءه . وكلا الروايين لا يستعمل بها المعنى بل يكون
في التركيب تعسف واضطراب وهكلا وارثا . لذلك اخترت رواية ابن هشام وهي ناية في الوضوح والبيان .
(٤) رواية ابن هشام : فلم أندم ولم ألتزم . وأصل الأبيات كاملة على اختلاف الروايات ونصاؤها
في الألف (ج ٦ ص ٩٩ طبع بولاق) وفي سيرة ابن هشام (ص ٥٤٤ طبع بونين) . وقد أورد
أبن فضل الله البيت الثاني في مكان الأول وجعل الأول في محل الثاني .

(٥) أي لم ينظر شرق الشمس .

(٦) الصبيح سابق الصبح . قال في اللسان (ج ٣ ص ٣٣٤) وأصل طبع القوم شربوا الصبح
وصبحه يصيبه صبيحا وصبيحه : سقاء الصبح . وفي معجم البلدان "صبيح" (ج ٢ ص ٨٨٩ طبع ليسان) .
وهو غلف .

(٧) أصل وضع الغف في الأصل . ولعل المعنى أن الكأس الروية . ويرد العشاي والقيان كل هذه
تبصر أي تنهي عن تلك الصبابة .

(٨) في الأصل : كأس روي . يكسر تين تحت الحرف الأخير |

حانات الحيرة - وهي أربع حانات :

حانة عَوْن - وكان عَوْنٌ ظريفاً، طيبَ الشراب، نظيف الثياب . وكان فتیان الكوفة يشربون في حانوته، ولا يختارون عليه أحداً . وشرب عنده ليلة أبوالمهندی الشاعر، حتى طلع الفجر وصاحت الديوك، على أنه يصبح يومَ شكّ . فقيل إنه من رمضان . فقال :

شربتُ الخمرَ في رَمَضانَ حتى = رأيتُ البدرَ للشعرى شربكا!
فقال أحمى : الديوكُ منادياتُ ! = قتلْتُ له : وما يُدري الديوكُ؛

حانة دَوَمَة - وعن أبي عُبَيْدة قال : مرَّ الأقرش بجماعة في الحيرة ، يقال لها دومة . فزل عندها، واشترى منها شرابا . ثم قال : لما جَوَدَى لي الشرابُ حتى أَجَوَدَ لكِ المديح . ففعلتُ . فأنشأ يقول :

أَلَا يَأْدُوكمَ، دامَ لكِ النعمُ ! = وأسمُرُ ملءَ كفِّكَ مستقيمُ،
شديدُ الأسرِ يَنْقُصُ جانباهُ = يُحَمُّ كأنه رجلٌ سقيمُ،
يُرَوِّيه الشرابُ فَيَرْجِيهِه = وَيَنْفُخُ فيه شيطانٌ رَجِيمُ!

﴿٢٨٥﴾

قال: فظننتُ الجمارة أن هذا مدحٌ . فسُرَّتْ به وزادته في الشرب. وقالت : ما قال

في أحد أحسن من هذا .

حانة جابر - قال ابن الصلصال: كان أبو نُوَاس يأتى الكوفة، يزورنى. وكان يأتى بيت نمار بالحيرة، يقال له جابر: لطيف الخليفة، نظيف الثياب، نظيف الآلة، يُعَبِّقُ الشرابَ سنين . فقدم علينا مرةً، وقد نهأ الأيمن عن الشراب . فقال غنى . فقيل: هو بالحيرة. فوفاني، وفي يدي شيء من شراب جابر، عجيب الحسن والرائحة .

حانة جابر

فقال لي: يا أبا جعفر، لا يجمع هذا والممّ في صدر واحد! قال: وكان شديد العُجب بضرب الطنبور، وكان إذا جأني جمعتُ له ضُراب الطنابير، وكانت الكوفة معدنهم، وكان يسكن في الليلة الواحدة سَكَراتٍ، فوجهتُ بجمعتُ له منهم جماعة، وأحضرتُه شيئاً من ذلك الشراب، فقال لي: ألم تعلم ما حدث عليّ؟ قلت: وما هو؟ قال: نهاني أمير المؤمنين عن الشراب وتوعّدني عليه!

ثم أنشدني قصيدته التي فيها:

أَيُّهَا الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ، لَوْ مَا * لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيماً!

إِلَى أَنْ أَتَمُّهُ إِلَى قَوْلِهِ :

فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنُ مِنْهَا قَمَرِي يُعَمِّنُ التَّحَكُّيماً،^(٢١)

كَلَّ عَنْ حِمْلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ : يَبْ فَاوْصِي الْمَطِيقَ أَنْ لَا يَقِيماً.^{١٠}

فقلتُ له: أقم معنا كما حكيتُ من قُلِّ الْقَعْدِيَّةِ، قال: أَفْعُلُّ . وصرنا إلى حانة جابر، فقلتُ شعراً ذكرتُ فيه ما قاله لي وأنشدته إياه، وهو قولي:

عَبَّتْ عَلَيْكَ مَحَاسِنُ الْخَمْرِ . أَمْ غَيَّرَتْكَ نَوَائِبُ الدَّهْرِ؟

(١) الطنبور والطنبور من آلات الطرب، ذو عنق طويل وستة أوتار، معزف تقييد (أحله ذئب بزة أي بزه الخيل، سمى به على التشبيه)، وقد انتقل هذا الاسم إلى سائر اللغات على بعض تنوع في الالة.^{١٥}

(٢) "ورد هذا البيت في "ناج المروس" في مادة (ق ع د) ويستفاد من كلامه أن القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة الإمام علي بن أبي طالب، وأن الذي يرى رأيهم يسمى "قعدياً". وهم يرون التحكيم حقاً، لكنهم قعدوا عن الخروج على الناس، والبيت فيمن يأتي أن يشرب الخمر، وهو يستحسن شربها لغيره.

(٣) أي كما فعل القعدة من الانصراف على تحسين الثوب ودمج الخمر بأوصافها التي تلذذها للشاربين.

فَصَرَفَتْ وَجْهَكَ عَنْ مُعْتَقَةٍ . تَعْتَرُ عَنْ دُرٍّ وَعَنْ شَدْرِ .
يَسْبِي بِهَا ذُو غُنَّةٍ غَنَجٌ . مَتَكْوِلُ الْهَفَاطَاتِ بِالسَّحْرِ .
وَنَيْتَ قَوْلَكَ حِينَ تَمْزُجُهَا . قَتْرُكَ مِثْلَ كَوَاكِبِ الْقَسْرِ .
«لَا تَحْسَبَنَّ عَفَا خَائِبَةً . وَالْهَمُّ يَجْتَمِعَانِ فِي صَدْرٍ!»

(٢٨٦)

• فقال: هايتها في كذا وكذا من أُمِّ الأُمِينِ! ومدَّ يده، فأخذ القَدَحَ وشرب معنا . ثم
شَخَّصَ إِلَى الْأَمِينِ . فقال له: أَيْنَ كُنْتُ؟ قال: عند صديق الكُوفِ . وحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ .
قال: فَمَا صَنَعْتَ، حِينَ أَتَشَدُّكَ الشَّعْرُ؟ قال: شَرِبْتُ، والله! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال:
أَحْسَنْتَ وَأَجَلَمْتَ . فَأَشْخَصَ حَتَّى تَعْمَلَ إِلَى صَدِيقِكَ هَذَا . فَقَدِمَ إِلَى غُلْمَانِي إِلَيْهِ . فَلَمْ
أَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ .

١٠ حَانَةُ شَهْلَاءَ - وَكَانَتْ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ . وَحَكَى أَنَّ الْأَقْيِشَرَ كَانَ بِالْفُهَا ،
وَكَانَ يَشْرَبُ فِي دَارِهَا ، بَغَاءً شُرْطَى فَقَدَّى الْبَابَ . فَقَالَ: أَسْفَنِي وَأَنْتَ أَمِنٌ . فَقَالَ:
وَاللَّهِ! مَا أَمْنُكَ . وَهَذَا النِّقَبُ فِي الْبَابِ ، فَأَنَا أَسْفِيكَ مِنْهُ . فَوَضَعَ لَهُ أَنْبُوبَ قَصَبٍ
فِي النِّقَبِ . فَصَبَّ فِيهِ اللَّبِيدَ مِنْ دَاخِلِ ، وَالشُّرْطَى يَشْرَبُ مِنْ خَارِجٍ . فَقَالَ الْأَقْيِشَرُ:
سَالِ الشُّرْطَى أَنْ تَسْقِيَهُ . فَسَقَيْنَاهُ بِأَنْبُوبِ الْقَصَبِ .
١٥ إِنَّمَا لِفَحْشَا خَائِبَةٌ ، فَإِذَا مَا مَرَجَتْ كَانَ الْعَجَبُ .
لَبَّيْ أَصْفَرُ صَافٍ طَعْمُهُ يَتَرَعُّ الْبَاسُورُ مِنْ عَجَبِ الذَّنْبِ .
إِنَّمَا تَشْرَبُ مِنْ أُمُومِنَاءَ . فَسَالُوا الشُّرْطَى: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟

حانات العراق - وهن أربع حانات :

حانة طَيْرَنَابَاد^(١) - وكان نهارها سرجس . وحكى سليمان بن نوبخت قال :
 حججت واستصحبت أبا نُوَاس ، بعد امتناع منه ونِفَار . وشرط على أن أتقدم معه
 الحاج إلى القادسية ، فنقيم نَشْرِب بِطَيْرَنَابَادَ ، فنزل على نهار كان بالقمه ، فشرب يومه
 وليته . ثم أتبعه يقول :

حانة طَيْرَنَابَادَ

وَنَحَارَ اتَّخْتُ إِلَيْهِ لَيْلًا * قَلَّيْصَ قَدْ وَنِينَ مِنَ السَّفَارِ .
 قَرَّبَ ، وَالْكُرَى فِي مُقْلَتَيْهِ * كَمْخَمُورٍ شَكَا أَلَمَ النُّحَارِ :
 "أَيْلَى كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرَمِي" * وَلَوْ أَلَيْلٌ مَلْتَيْسٌ بِقَارِ" .
 فقام إلى العُقَارِ فَسَدَ فَأَحَا . فعاد الليلُ مُسَوِّدَ الإِزَارِ .

(TAV)

ثم جلس يشرب ، فلم يزل كذلك حتى ورد علينا أوائل الحاج ، ومجئوا . ثم عادوا .
 فرحلنا معهم إلى بغداد ، على أننا كنا مُجْجَاًجاً معهم .

حانة قَطْرُبَل - وكان نهارها ابن أذين .

حانة قطربل

حكى أبو السبل البرجعي قال : اجتمعت بأبي نُوَاس في النوبختية . فسلمتُ
 عليه ، وسانته عن خبره ، وتحدثنا طويلاً . ثم قال : أتساعدني حتى تمضي إلى موضع
 طَيْبٍ ؟ قلت : أين هو ؟ قال : قَطْرُبَل . فقلت : ضاقت الدنيا حتى تسافر ؟ فقال
 لي : إن هناك نهاراً ظريفاً ، لَيْقَا ، مساعداً ، عنده شراب عتيق وغلمان صباغ^(٢) . فامض
 (١) طَيْرَنَابَادَ موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج . كان من أزه الموضع
 مخموراً بالكرم والشجر والحانات والمناصر . وكان أحد الموضع المقصودة للفرج والبطالة . وهو الآن نراب ،
 ولم يبق به إلا أثر قباب يسمونها "قباب أبي نُوَاس" . ويقال إن معنى اسمها عمارة الضيق . (أنظر بامقوت
 في الجزء الثالث من معجم البلدان) .

بنا، فضيئت حتى أتى حانة نمار . فقال لى : أتعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أذين الذى أقول فيه :

إِسْقِنِي يَا أَبْنَ أَذِينَ .. مِنْ شَرَابِ الزُّجُونِ^(١)!

إِسْقِنِي حَتَّى تَرَى بِي * جَنَّةَ غَيْرِ جُنُونِ!

عُثِّقْتُ فِي الدِّذْحَى * هِيَ فِي رِقَّةٍ دِينِي!

وَلَنَا سَاقٍ عَلَيْهِ * جُبَّةٌ مِنْ يَاسْمِينِ^(٢)!

قال : فاقمنا عنده ثلاثة أيام ، فى أثره موضع ومع أكفيس خادم . ثم أنصرفنا .

- حانة الشطّ - قال حمد بن حمدون : كان الواثق يحبّ المَوَاحِر ، وما قيل فيها ، وما غنى به فى ذكراها . فمقدحانيتين : إحداهما فى دار الحرم ، والأخرى على الشطّ . وأمر بأن يُختار له نمار نظيف ، جميل المنظر ، حافظ بأمر الشراب . ولا يكون إلا نصرانيا من أهل قُطْرُبُل . فأُتي بصراقي ، له آبنان نظيفان مليحان وآبنان بهذه الصفة . فجعلهم الواثق فى الحانتين ، وضمّ إليهم خدما وعلمانا وجواري رومية . وأخدم النساء حانة الحرم ، والرجال حانة الشطّ . ونقل إليهما طرائف الشرب . وفرشهما من فرش الخلقة ، وعلق عليهما الستور . وجعل فيهما الأواني المذهبة والدنان المدهونة . فكانتا أحسن منظري وأبهاء .

فلما فرغ منهما ، أمر بإحضار المغنين والجلساء . ولم يدع أحدا يصلح من ضراب الطباير إلا أحضره . وحضرنا . وخرج الخمار ، هو وأولاده معه . عليهم الأفيّة المسهّمة ، وفى أوساطهم الزناير المحلاة ، ومعهم غلمان يحملون المكابيل والكبيران

(١) كلمة فارسية مركبة من " زَر " أى الذهب ومن " كُون " أى الثوب .

(٢) فى رواية : يَدْنَى . والسياق يصح هذه .

(٣) هو المشوم المعروف . وأصل اللفظ مصرى قديم " أَسْمَى " ثم انتقل الى الفارسية فالعربية فالبرنانية فالأرامية فالتركية فالكردية فالأرومية فالأرمية فصار اللغات الإفرنجية .

والمبازل في الصواني . وأخرجت تلك الدنان المنعبة . وقد طُيئت رؤوسها تطيينا
نظيفا ، يعقب منه الطيب . فأقيمت بإزاء المجلس الذي كان فيه جالسا ، فبزلت ، كما
يفعل في الحانات وجعل يؤتى بالأمودجات ، فيذوقها ويعرض ذلك على الجلساء .
فيختار كل منهم ما يشتهي . فيأخذ دنا . ويحیی إلى الخمار ويكال منه بمكال في إنائه ،
كما يفعل في المواخير . ويعود إلى موضعه فيجلس . ويوضع على رأس الحضورا كاليل
الأس وما أشبهه من الراحين . فكان أحسن يوم رأيته .

فشرب الوراق شربا كثيرا وأمر للخل بالفر دينار . ولزوجه بالف دينار ، ولكل
واحد من أولاده بمائة دينار . ولم يرح أحد منا إلا بمائة سنية .

وحكى الحسين بن الضحاك في حكاية له أن الوراق قال له : هل لك في حانة
الشطّ ؟ قال : قلت إني والله ! يا أمير المؤمنين . فقام إليها فشرب هناك وطرب .
وما ترك أحدا من الجلساء والمغنين والحشم ، إلا أمر له بصلّة . وكان من الأيام التي
سارت أخبارها ، وذُكرت في الآفاق .

فما كان من الغد ، غدوت عليه فقال : أنشدني إاحسين شيئا ، إن كنت قلته
في يوم هذا الماضي . فأشده :

يا حانّة الشطّ قدأكرميت مثنوانا . عودى بيوم سرور كالذي كانا !

(١) جمع بزل . وهو المنصب أي الآية التي تنصب بها الدنان والبرامل ليسيل ما فيها . ويسون هذه الآية
بـ : (١) أبوب . (٢) بزل . (٣) صبور . (٤) بزون | تعريبا لكلمة بوزنية | . والمبزل الذي
نحس هدهد تحذء دقة الخشب . وهو معروف عند أهل هذا الشأن . ويسمى عند الفرنسيين :
Canale و Canette . وهذه الأسماء الثلاثة الأرمينية هي أيضا مستعملة في اللغة العربية
سند الجزائريين ينسب معنى المزل في الاصطلاح الطبي العربي . و Canelle هي الأكثر استعمالا عند
العلماء الفرنسيين .

وقد ورد المثلث لفظه «الزل» في استعراج الخمر من الخمار (أنظر ص ٢٦٦ ص ٩٩ و ص ٣٠٩ ص ١١١
ص ٢٢١ ص ١٩٠ و ص ٣٢٢ ص ٢٢٠) .

[لأُتْقِدِينَا دُعَابَاتِ الْإِمَامِ وَلَا : طِيبَ الْبَطَالَةِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا.]
وَلَا تَحْأَلِّفْنَا فِي غَيْرِ فَاحِشَةٍ ٥ إِذَا تُطَرَّبْنَا الطَّنْبُورُ أَحْيَانًا.
وَمَسَلَلِ الرُّطْلَ عَمْرُومَ عَمِّ بَنِي الشَّقِيَا فَاَلْحَقْ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا.
سَقِيَا الْعَيْشَ كَمَنْ عَيْشَ خُصَصَتْ بِهِ ٥ دُونَ الدُّمَى كَرَمٍ لَذَاتِ دُنْيَانَا!
قال: فَأَمَرَ لِي الْوَاتِقَ بِصَلَةِ سَنَةِ مَجْدَدَةٍ، وَأَسْتَحْسِنَ الشَّعْرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُغْتَنَى فِيهِ.

حالة خويث - وتُعرف بِمُحَاةِ بَزِيعٍ، وَهُوَ خَادِمُ الْمُتَوَكِّلِ.
وَكَانَتْ عَمْرُومَةُ لَا يَعْزِضُ لَهَا أَصْحَابُ الْمَعَاوِنِ، وَكَانَتْ حَسَنَةَ الْبِنَاءِ، مُؤَزَّزَةً مَسْتَقْفَةً
بِالسَّاجِ، وَإِلَى جَانِبِهَا بَسْتَانٌ نَزَّهَ حَسَنُ الْبَزِيعِ ٥ وَكَانَ يَتَخَذُ فِيهَا آلَةَ الشَّرَابِ.
وَكَانَ فِيهَا تَحْمَارُ يَهُودِيٍّ، لَا يَبِيعُ إِلَّا شَرَابًا مُخَارًا سَرِيًّا، لَا يَبِيعُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَامَةِ
وَالْوَضْعَا، وَكَانَتْ حَانَتُهُ لِنَزْهِ الْخَاصَّةِ وَالسَّرَادِ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَتْ مَوْصُوفَةً بِالْحُسْنِ
وَالنِّظَافَةِ.

وفيهما يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن الزيات (وكان قد دناهُ بَزِيعُ
إليها، ومعهما جَنَى الْخَالِدِمْ، وَكَانَ نَهَايَةً فِي الْحُسْنِ ٥ وَحَسَنَ الْفَنَاءِ) :
سَقَانَا بَزِيعُ ٥ وَالسَّيَّالُ مُشْرِقُ ٥ وَنَجْمُ السُّرِّيَا فِي السَّيَاءِ مُخَلِّقُ،
كَيْتَا كَانِ الْمِسْكُ حَشَوُ كَوْسِمَا : بِهَا الشَّعْلُ جَمُوعٌ فَاسْتَفْرِقُ،
سُلَاقَةُ كَرَمٍ أَخْلَصَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا : يُضِيءُ لَهَا اللَّيْلُ الْبَهْمُ وَيُسْتَفْرِقُ.

- (١) دُنَاْنَا هَذَا الْبَيْتَ عَنِ الْأَنْثَى (ج ٦ ص ١٩٧ طبع بولاق) ليصح المعنى ويستقيم سياق البيت بعدد.
- (٢) فِي الْأَصْلِ : إِذْ لَا تَحْأَلِّفْنَا (وَلَا مَعْنَى لَهُ مَعَ هَذَا التَّحْرِيفِ وَلِهَذَا صَحَّحْنَا عَنْ الْأَنْثَى).
- (٣) أَيْ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْمَعْرُوفَةَ، أَيْ الضَّرَائِفَ وَالْمُرَاجِ.
- (٤) إِسْمُ السَّاقِ الْمَذْكُورِ قَبْلُ.

حالة خويث

١٥٥

وقلت لحني : هَلُمَّ فَنَتِي ! . "أَرَقْتُ، وما هذا السَّهْلُ الْمُرَوِّقُ؟"
فَنَتِي غَنَاءَ حَرَكِ الْقَلْبِ حُسْنُهُ . وَلَمَّا يَحْرَكُهُ الشَّرَابُ الْمُصَفَّقُ !

حانة سيجستان - حكي أن أبا المهندي، لما ضُرب عليه البَعْثُ إلى سيجستان،
كان يلزمها ويشرب عندها مع نديم له . فشربا يوما حتى سكرَا وناما . فلَمَّا هَبَّ هَوَا
الْأَسْحَرِ . أَتَبَهُ أَبُو المهندي، والزَّقْ مطروحٌ، قد بقي فيه شَطْرُ الشَّرَابِ . فأقامه
وصَبَّ منه في كأس . وجاء إلى نديمه فخره وقال :

تَصَبَّحَ بَوَجهِ الرَّاحِ وَالطَّائِرِ السَّمْدِ . كُتِبَتْ وَبَعْدَ الْمَرْجِ فِي صِفَةِ الْوَرْدِ !
تَصَحَّهَتْهَا زَقُّ ازْبُ كَكَانَهُ . صَرِيحٌ مِنَ السُّودَانِ دُوْشَعَرٍ جَعِدِ .
وَلَمَّا حَلَلْنَا رَأْسَهُ مِنْ رِبَاطِهِ . وَفَاضَ دَمًا كَالْمَلِكِ أَوْ عَنَبِ المِهْنِدِ ،
وَجَدْنَاهُ فِي بَعْضِ الزَّوَايَا كَكَانَهُ . أَخُو قِرَّةٍ يَهْتَرُ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ .
أَخُو قِرَّةٍ يُسَيِّدِي لِنَا وَجْهَ صَفْحَةٍ . كَلَوْنِ رَقِيْقِ المِلْدِ مِنْ وَلَدِ السَّنْدِ .
حانات الشام - وهي اثنتان :

حانة عَرَاز - وكانت بتل عَرَاز .

حكى إسحق - قال : كنتُ مع الرشيد، حين نرج إلى الرَّقَّةِ . فدخل يوما يشرب
مع النساء . فخرجتُ ومضيتُ إليه . فتركتُ عند نَحَارِهِ هناك . لها زَوْجٌ قَسٌّ . ولها
منهُ بَنٌ . لم أرَ مثلها قَطُّ جمالا . ولا مثل بنتها . وأنجرتُ إلى شربها لم أرَ مثل حُسْنِهِ
وطيب رِيحِهِ وطعمِهِ . فأجلستُ في بَيْتٍ مَرشُوشٍ فيه رِيحَانٌ غَضٌّ . وأنجرتُ
بنتها تَحْمِلُنِي كَأَنَّهَا حُوطُ بَابٍ ، أَوْ جَدَلُ عَيْنَانِ : لم أرَ أحسنَ منها قَطُّ، ولا أسهلَّ

حانة سيجستان

حانة عَرَاز

خداً، ولا اشرق وجهها، ولا أبدع طرفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتمّ تماماً . فذقت
عندها ثلاثاً، والرشد يطلّني ، فلا يقدر عليّ . ثمّ أنصرفت . فذهبتُ بي رُسُلُهُ إليهِ .
فدخلتُ عليه ، وهو غضبانٌ . فلما رأيتُهُ ، خَطَرْتُ في مشيقي ورقصتُ (وكانت
في رأسي فَضْلَةٌ قَوِيَّةٌ من السكر) وَغَيَّتُ في شعري قَلْنُهُ في بيت الخمارِ صنعت
فيه . وهو :

إِنِّي قَلِيٌّ بِالْقَلِّ ، قَلَّ عَزَايَ * عِنْدَ ظَمِيٍّ مِنَ الْقَبَاءِ الْجَوَازِي
شَادِنٌ يَسْكُنُ الثَّامَ وَفِيهِ مَعَ شَكْلِ الْعِرَاقِ ظَرْفُ الْحَجَازِي .
يَا لَقَسْوَى لَيْتَ قَسْ أَصَابَتْ نِ مِنْكَ صَقَوَ الْهَوَى وَلَسْتَ تَجَازِي !
حَلَقْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُخَيَّرَ الْوَعْدُ ، وَلَيْسَتْ تَهْتَمُ بِالْإِنْجَازِ !

١٠ قال : والحق في هذا الشعر خفيفٌ ومملٌ بالوسطى . قال إبحق : فسكن غضبه .
ثم قال لي : ويحك ! أين كنت ؟ فأخبرته فضحك وقال : عُدُّهُ ، والله ! وإنّ مثل
هذا لطبيبٌ ، إذا اتفق . أَعِدْ غَنَاحَكَ ! فأعدته . فَأَغْنِبَ بِهِ ، وأمرني أنْ أَعْنِيَهُ
لبثني كلها ، أعيده أبداً ، ولا أَعْنِيْ أَنَا ولا غيري سواه . وأمر المُنْتَبِينَ بأخذه .
فما زلت أَعْنِيَهُ ويشرب عليه إلى الغداة . ثم أنصرفا . ففعلتُ ونمتُ . فما
١٥ استقررتُ جنباً حتّى وافاني رسولُ الرشد ، يأمرني بالحضور . فركبتُ ومضيتُ .
فلما دخلتُ إذا أنا بـابن جامع يتخترع على دكان في الدار ، لغاية التبيذ والسكر
عليه . فقال لي : أتدري لِمَ دُعِينَا ؟ قلت : لا . قال : بصرايتك الزانية ،
عليك وعليها لعنة الله ! فضحك . فلما خرج إلينا الرشد ، أخبرته بالقصة .

فضحك وقال : صدق ، أعيدوه جميعا ، ولا تغنوا غيره . فإني آشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني . ففتّيناه جميعا يومنا كلّهُ ، حتّى نام في موضعه ، مُشكّراً . ثم أنصرفنا .

حانة هُشيمَة - وكنت بدمشق . وكانت تحدّم الوليد بن يزيد في شرابه وتتلوّى آخذه له . وكان يقال إنه لم ير أعرف منها به ، ولا أنظف آلة وصعة ، ولا أبقى في الخدمة .

وقد ذكرها يزيد في شعره إذ قال :

قد شربنا وحتّ الزمّاره . فاسقني بأدبغ بالقرقاره !
من شراب كأنه دُم خفيف .. عَقَقَتْهُ هُشِيمَة الخماره .
إِسْقِنِي ! إسْقِنِي ! فَإِن دُنُونِي . قد أحاطتْ فها لَهَا كِفَارَه !

وعمرتُ حتّى أدرِكت الرّشيد وماتت في أيامه . مات يوم مات الكسائي (١) [النحوي] والعباس [من بن الأحنف الشاعر . فصل] الماءون عليهم .

وها قد ذكرنا ما اتصل بنا علمه . ووقع إلينا خبره . وبه تم الفصل السادس . وهو آخر فصول الباب الأول من القسم الأوّل .

ولله الحمد وبه التوفيق !

(١) هـ سنة الخلفاء المسترشدون توفّر على كلمات وحروف مبدؤها بمراجعة اليراق من حروفها على رواية الأندلس (ج ٥ ص ٤٦) . وتظهر فيه شريف الزبارة بمناسبة صلاة المأمون عليهم .

تصويبات تصحيحات

لما وقع في نسخة الأم لما وقع أشاء الطبع

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٩	٢	أورد النسخ "المعاجة" من أسماء النصار . والصواب "المعاج" . أما المعاجة فهي الإبل الكثيرة الضخمة . وهذا وذاك عن كتب اللغة .
٥٤	٩	في الأصل "حاقولي" . ولله يريد "خافوني" . وانظر "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" للمدني المعروف بشيخ الزيرة .
٥٨	٦	"باش بالقي" . مناه عند الترك "المدائن الخمس" . وعلى ذلك جرى اليونان في قولهم Pentapole (أي المدائن الخمس) في تسمية إحدى المدائن الشهيرة بناحية قة ، وهي التي اختزل العرب اسمها بـ"عقلوه" أو "عقلابس" .
		أل بالقي . مناه بالتركية "المدينة الحمراء" لأن أل مناه الأحمر . وهي باكين عاصمة الصين .
٦٢	٦	جبل "قُصَّعَان" . يسمي الآن "الجيل الهندي" . وهو مدرسة عربية في موضع مستثنى صغير ، كان لترك قبل الحرب العظمى .
٦٦	١٣	القرينة وسياق الكلام يوجبان تغيير كلمة "البحر" بكلمة "الجيل" . ذلك لأن المؤلف لم يذكر قط نهرًا مشيًا بتفصيل «الراويل» . وإنما ذكر (في ص ٤٨ و ٥٥ و ٦٠) جيلًا بهذه الصفة ، وهو الذي يرجع إليه الكلام .
٦٨	٥	الكلام على البعيرتين يقتضى التنية . ولذلك يجب إصلاح "منها" الواردة في الأم بـ"منها" .
٧١	١٩، ١٩	Trismégiste [وصاه عنه العرب "المثلث بالذرة والحكمة والملك" . واللفظ اليوناني يدل على المثلث والكبرياء] .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٧٧	١٠	الأثر . (بضم قح) .
٧٨	٢١	Pont-Euxin
٨٢	١	الأردن (بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه وتشديد رابعه) .
٨٣	٨	الدهالك (بالتكاف في آخره لا باللام) . كما في ص ٦ ص ٢٢٩
٨٤	٢	البج (بضم تشديد) جبال مشهور بتركستان .
٨٥	٥	أشار المؤلف الى مدينة «لوقر» في الصين . هكذا كتبنا الناصح بهذا الرسم في نسخة الأم ، وفي نسخة آياصوفيا . وأكبر خلق الله يسبح الى مدينة «لوقين» التي وصفها ابن فضل الله هذه هذه المدينة في الجزء الثاني من «مسالك الأنصار» (ص ٣٣٦ جغرافية) قال : «ومدينة لوقين . وهي مدينة حصة عن صمة خور عذب . تدخله المراكب . وهذه آخر حد بحر الهند من جهة الشرق» . وقال ابن برداذبه : «لوقين وهي أول مراقي الصين ... وكثيرا من العرب استعملوا «مراق» (بالقاف) مثل البلاذري والبكري والأدريسي وابن جبير وابن خلدون . كما أشار اليه دوزي في «نكتة المعجمات العربية» وأما أصيب عليه المغربي (ج ٢ ص ١٤٠) وإن كان هو أيضا استعملها بالقاف في صفة الخرد (مرطأ) عند إيراد الجبله بنصها في مكان آخر (ج ١ ص ١٤٠) ولا نذكر أنهم استعملوا «مراق» في مقابلة قولنا الآن «يسكة» عن (Senda) أي «سلم» و«مرقه» . وقد نسه المغربي الى تصحيح الفناء فاما كما أشار اليه دوجويه في «فتح البلدان» فلاذري .
٩٣	١٩	المرة وزدب في الأصل ياء موهلة . وتكون معنى المثل أنه شرب المُر . وإذا أجمعا الحرف فيكون أنه شرب المرة أي الحرفيا حوصة . وفي آسف لعدم تمكن من مراجعة نسخة صحيحة من كتاب ابن عساكر
٩٨	١٥	«الأساطيم» الواردة في نسخة الأم ، هي بلا شك من أوهام الناصح . وربما سمع لاءه الاستشهاد بالمثل العربي «أساء سمطأساء جاة» ويزيد عليه «وأساء كتابة» . فربما كان يصحح على «الأساطين» فسمعها يجم في آخرها . فكتبنا كذلك . والقاصم يمين

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		« الأساطين » جمع أسطوانة . وانظر "الإعلام بأعلام بلد الله الحرام" (ص ٨٦٥٣) و "أخبار مكة للذرق" (ص ١٦٤) « كلاما طبع العلامة وتستعمل الألف . ولما كان الكلام يدور على السوارى والتمدان ، فلا معنى مطلقا في هذا المقام للإسقاط الذي يدل فقط على المسار الخندية المقطوعة بجزءها البار ، أو الحابطة التي تكون في طرف السهم حيث ينشئ الحجر الذي يرمى به المحقق (انظر عن الاسقاط القاموس وشرحه ، ومفاتيح العلوم) .
٢١٠٢		وَكَسَوْنَا ... الذي ...
٣١٠٧		أُسْطَوَانَةٌ (بضم أوله) .
١٢١٣٦		أَبَى (بضم أوله وضع ثانيه وتشديد آخره) .
٥١٢١		الصخرة والأعمدة . والحائط أي أن الحائط هو أول كلام جديد .
١٩١٤١		انفتح الخلق الذي في هذا السطرير صواب مني . فذلك يجب حذفه . وكلمة "إنبذارية" وربما تكون إنبذارية . — وإن كنت سمعت كثيرا وبجنت طويلا لمعة أصلها على غير طائل — تدل على نطاق من الزحام البارز . وبعضه متمثل بالعنصر الآخر على دائرة الجدران الأربعة . كما شاهدها بنسب حينما زرت الحرم المقدسي لأحل تخفيف بعض اليبات الواردة في هذا الكتاب . وأحسبها الإنبذارية هذه . وما قضيت الوطء بها يتفق بهنده الكلمة . بشيء سوى امتناع النظر بتركها وجملا . وكانت رحلتى إلى فلسطين لهذا الغرض في شهر يونيو سنة ١٩٢٣
١٧١١١ ١٥٧		قال ابن فضل في نسخة الأم أثناء كلامه على السور الشمال للسجد الأقصى ان المدرسة الكريمة « جاورت ما أمامها من الاروقة بتقاطعين غربية وشرقية » . وقد صححت « جارت » بـ « جاورت » لأنه محال أن تكون المجاورة من الشرق إلى الغرب مما . وقد نهت على اللفظ الأصل في الحاشية . لكنني راجعت فيما بعد نسخة آياصوفيا ، فرأيت فيها « حازرت » . بالخاء

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
		المهمة والزاي . ولعل هذا هو الأقرب للصواب ، إذا جعلنا « الدال » بدلا من « الزاي » . فتكون المدرسة « محاذية » لما أمامها من الأوتة ، شرقا وغربا .
٧١٥٨		ويؤخذ (بناء المعجمة) .
١٧١٦١		يترجل (يضم فسكون فتفتح) .
١٤١٧٥		سكان بن أرتيك (هكذا بالياء المقردة التحتية في الأصل) . صوابه سكان [أوسيان] بن أرتيق بن ييلنازي . ولعل اسم أبيه كان في أول الأمر « أرتيك » ثم عربوه فقالوا « أرتيق » . فيجب التصحيح .
٩١٨٤		جران الكروم . هكذا ورد في نسخة الأم عند الكلام على ساقية مسجد دمشق . فقد أشار المؤلف إلى أنهم سفروا لأركانها حتى يلقوا الماء ثم القوا على الماء . جران الكروم . ولكن جران لا معنى لها .
		وقد وردت « جراز » في كتاب « مطالع البدر » أثناء كلامه على هذا الموضوع ، والنسخة المطبوعة وفي أخرى محطوطة « بنغازي الزكية » .
		ولا يجه المصنف مطلقا مع كل هذه التصحيحات والتعديلات . فرجعت إلى « المختصر » فزأيت فيه « وجران » و « جفان » في باب الكلام على الكرم . ولكن « وجران » يدل على الخشب الذي يثقف قربة الكروم ، وأما « جفان » فهي قضبان الكرم قسمه أي « عقل العنب » على ما يقول العامة الآن في مصر .
		فارتفعت هذه الكلمة الأخيرة . لأن هذه القضبان من شأنها حبس الماء ، وطبعه ، فتكتمه وتمنع هودد إلى أساس البناء الذي ينام فوقها . على أني ، مع ذلك ، سميت لتحقيق هذه الكلمة عن نسخة متبعة لابن عساكر ، ولكن على غير طائل . لعدم وجود أثر صحيح لها بنغازي مصر . فاضطرت لمراجعة الطبيعة التي مسحتها يضم وتزورها وخلطت كلامه بكلام مؤلفها وبزمنها ما يتر ، ووصلت به المرأة على العلم وعلى الأمانة ، بل عدم التهذيب إلى إبرازها للناس بهذه المادبة مع نعمتها بـ « تهذيب تاريخ ابن عساكر » . فوجدت الكلمة التي نحن بصدد « جفان » . فحدثت الله على عدم

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		ومول التشويه والتعريف والتصحيح والمنسخ والقلط الى هذه الكلمة كما وصل الى غيرها مما لا يد ولا يحصى . وكل ذلك يجب تصحيح كلمة "جران" بكلمة "جفان" .
٣١٨٩		بينها (بدلا من) بينهما الموجودة بصيغة المثني في نسخة الأم [اللهم إلا أن يقال أن "بينهما" هي الفصل بين "الاقباء المقنودة" من جهة وبين "العدد" من جهة أخرى . وفيه نقص] .
١٢٢١٣		بصنعة القوط . [ويمثل ذلك يصحح الخامس]
٦٢١٦		لم يعد [هذا الضبط أفضل]
١٣٢١٧		المعنى (بضم الميم ، لا فتحها ، نسبة الى معين الدين ، من حالات الدولتين الموروثة والصلاحية) .
١٤٢١٧		عربية "تتلى" بالساحل من أعمال الرملة . هكذا ورد اسمها في الأصل بالهاء الخانة الدوقية وبصورة التي للجوهول . والصحيح أنه بالياء آخر الحروف "تتلى" . وهي في عصرها هذا من أعمال غزة . وقال ياقوت إنه بليد قرب الرملة فيه قبر صهابي . يقول بعضهم هو قبر أبي هريرة ، وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبي مرثد .
		أما "تتلى" فهي على ما في ياقوت ببلدة بجران من أعمال دمشق . قال الياقوت : فلا زال قبر بين "تتلى" و"جيسم" طرس من الوسي "جود ورايل وبنت حودانا وعروا مشورا" . ساعدى له من خير ما قال قائل
		والبيت الأول وحده رواه المخصص (ج ١٥ ص ١٩٣) عما أنشده سيوريه ، ولكنه جعل "طل" بدل "جود" . وهو أفضل .
١٢١٨		في الأصل : "وقيل إن مدينة دقيانوس ويقال إن مدينة دقيانوس هي طليطلة" .
		تحلث أن الكلام فيه تكرار . لذلك حذفت الجملة الأولى ، أثناء الطبع ، ونبت على ذلك في الحاشية .
		بد أننا اذا وضنا "إنها" بدل "إن" الأولى لاستقام الكلام عاما . اذ يكون على هذه الصورة : "وقيل أنها مدينة دقيانوس ، ويقال ان مدينة دقيانوس هي طليطلة" .

صفحة	سطر	تصويحات وتصحيحات
		<p>وذلك لأن بعض المؤرخين يقولون إن أنيس (أفسس) Ephesus هي مدينة دقيانوس ، مضطهد أصحاب الكهف ، وبصمهم يقول إنها طليطلة بالأندلس .</p> <p>ويحقق هذا الكتاب بحث واسع باللغة الفرنسية عن "الكهف والرقم" من الوجهتين التاريخية والجغرافية . وعن جميع الاماكن التي زعم أهلها انها بها .</p>
١١٢١٨		<p>قرية "إربيل" تعرف في أيامنا هذه باسم "إربيد" بالدهال المهمة في آخره . وهي الآن من أعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي . وكانت في أيام الحكومة العثمانية عاصمة قضاء عجلون . وبها مسجد وسراي (بني سنة ١٨٨٤) . ومناخها طيب ، ولها مستشفى بدع على الصحراء ، يمتد شرقا لغاية بادية الشام ويطل من الجنوب والجنوب الشرق على جبل عجلون بناباته التي يتكاثر فيها شجر البلوط العتيق . وفي ساحتها حوض ملاء المطر . فيستقي منه أهلها ، على طول السنة . وهي قائمة على موقع المدينة القديمة "أربلا" (Arblan) . وسكانها قبل الحرب العامة زهاء ١٣٠٠ نسمة . وهم الآن أكثر عددا .</p>
		<p>وإنما جعلها الأتراك "إربيد" بالدهال المهمة لتعيينها وبين مدينة "إربيل" الشهيرة (Birbil, Arbil, Arbellan) بأرض الموصل . كانوا في حصص التي بطرابلس الغرب فسومها خمس ، وكانوا بمدينة نصيبين بولاية حلب فسومها "زريب" ، تميزا لها عن نصيبين التي بال عراق .</p>
١٦٢١٨		<p>سيلون . تعرف الآن عد أهل فلسطين باسم "سيلة الظهر" .</p>
١١٢١٩		<p>كفر يريك (بالبا - الموحدة) . لا كما وردت في نسخة الأم باتاء . الفوقية : "كفر ترك" . وهي قرية بفلسطين .</p>
١١٢٢٣		<p>سُوَيْل [وهو أيضا "سُوَيْل" الذي تسميه التوراة "سُوَيْل قايين"] .</p>
١٥٢٢٣		<p>منوشهر [وهو "منوجهر" عند الفرس والترك] . وليس منوشهر (باتاء) كما في نسخة الأم .</p>

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢٢٤	٦٤٣	أورد الباعث أسم . لك الحرس مرتين متواليتين هكذا : سورأسف [يسين مهمة في أوله فوفها خمة . وصحته على ما يسميه العرب "سيوراسب" وأما القوس فيسمونه : هُوراسب .
٢٢٦	٢٠	روى المؤلف عن البكري الاندلسي ان للصابئة بيتا بمحزان في باب الزفة يعرف بمعلنيشا .
		فرايت الرجوع الى علم صديق العلامة الفاضل الأب أسستاس الكركلي . المعروف بالتحفيظ والندقيق في مثل هذه الموضوعات . فحرم وأعانني بما نصه :
		كلمة «معلنيشا» من "معلنيشا" . وهذه متخوذة من الإردنية ... وتقرأ (بيت علوانا) أي هيكال الاصنام . وقد أكد لي بعض علماء الصابئة الحاليين ان هذا الهيكال وارد ذكره في كتبهم باسم "معلنيشا" . وبنى أيضا على الضحية أو المحترقة وبيت الصنم الأعلى . اهـ .
٢٢٩	٥	في الأصل : "السند" بنون . والواجب حذف هذا الحرف لتكون الإشارة الى "السند" أي سد ياحوج وما جوج . وذلك ما ختصه الموقع الجغرافي . لأن بلاد الخطأ في شمال الصين ، وأما السند في شرق الهند . وثباتنا أيضا ! فلا يمكن أن يكون صم الخطأ المصحح اليه الذي في نهاية الشرق المتشامل . قريبا من بلاد السند . يؤكد ذلك : ما أوردته المؤلف نفسه في ص ٤٧ س ١٦
٢٢٩	٩	الغزيرة يشير إلى بلاد الفز .
٢٢٩	١٠	أرض الأزرير . هكذا ورد في نسخة الأم . وقد أكثر من البحث عن هذا الأزرير ، فلم أحتد إليه . وعندى انه محرف عن القدير ، لانه هكذا تكلم عليه المؤلف (ص ٢٨٥ س ١١ و ص ٢٨٦ س ١١) .
٢٣١	٧	مدينة جرش . هكذا ضبطها في نسخة الأم يضم الميم . وهو غير صواب ، اللهم إلا فيما يتعلق ببلد الجرس . أما الذي نحن بصدده وهو المدينة الأثرية التي يتكلم عنها المؤلف ، والتي هي الآن تأسسة لامايرة الشرق العربي فيما وراء الأردن . فسمى جرش (بفتح أوله وثانيه) ولا يزال أهل تلك الجهات يعلقون بالاسم على هذا الوجه ، لافرق في ذلك بين الخاصة والعامة .
		(*) رسم الأب الفاضل حروف هذه الكلمة باللغة الإردنية ، وقد اضطرت لاهمالها ، مع الاسف الشديد . لعدم وجود شيء منها في دور الطباعة بمصر .

صفحة	سطر	تصحيحات وتصحيحات
٧٢٣٤		في الأصل: "وَسَلَّى تَلَّى". أهمل النسخ التاء الثانية في صدر الكلمة الأولى. فيجب التصحيح هكذا: "وَسَلَّى تَلَّى".
٧٢٤٤		أسراب (بالسين المهملة) جمع "سرب" لقناة في جوف الأرض. ووضع الخط في نسخة الأم فوق الشين المعجمة غلط.
١١٢٤٥		Centa
١٣٢٤٥		Port-Vendrom
١١٢٤٨		رواية "التفاض": وَشَا كُرُجْ وجلاجله. [والكُرُج: الحلي. والوشى: معروف]
١٧٢٥٤		وكانا. (لا: كادتا)
١١٢٥٨		في الأصل: "فوجه اليها عشرين دنا غربا ومائة دجاجة وعشرين حنلا وسامح فاكهة"
		فأزلا — كلمة "اليها" يجب جعلها "اليها" كما يحتمل السياق. لأن الكلام عن رجلين، أحدهما جفنة وهو الملاك القصة والمنتم للرواية عن نفسه وصاحبه.
		وثانيا: — كلمة "سامح" عليها في نسخة الأم قطعة من المداد جعلني أعتقد أن المؤلف ضرب عليها بالقلم. فذلك أهملها في الطبع، لاسيما وانني لم أهتم لها معنى وقتئذ. لكن الأمانة أوجبت على المراجعة عينا والتدقيق فيها. وقد وجدت أن صاحب القاموس أشار في مادة (ن ب ج) الى أن "البيج" هي "الغرائر السود" أي الجواقي والزكابيب. فتكون الفاكهة حينئذ من التوافف أي من فروع شتل. ويكون ابن فضل الله قد أراد الرجوع عن جمع الجمع (نباغ) لعدم وروده، فضرب على الكلمة ثم سها عن وضع الكلمة الواردة في كتب الفقه؛ أو يكون أراد أن يضع بدلها كلمة "أطباق" وهي التي استعملها هو في ترجمة الأمر بأحكام الله، إذ مر برجل من أهل مصر

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		واقف على بيتان له فاستسقاء • فلما شرب ، قال الرجل : أطمعني في السؤال يا أمير المؤمنين • وطلب منه الزول عليه ، وقدم له وجبته أشياء كثيرة تحمل عن الرصف ، منها مائة طبق فاكهة • هذا واستعمال الأطباق الفاكهة مهود أيضا في بغداد • فقد روى المؤرخون وأهل الأدب أن عبد الملك بن صالح أهدى لما روى الرشيد فاكهة في أطباق خيزران ، وسماها في كتابه في الخليفة "أطباق الغضبان" احتشاما من نسبة الشيء باسمه • لأن أم الرشيد كان اسمها الخيزران (انظر مطالع البدور ج ٢ ص ٢٦) •
١٤٦٦		فلأن كتاب بغداد قد استعملوا الكلمة التي نحن صدها • فقد ورد في كتاب الموشى (طبع ليد • ص ٩٤) ما نصه "والنباتات المتضدة بأنواع الرياحين" ووردت في نسخة أخرى : النباتات • وعنى أنها مصفحة عن نباتات و نباتات
٢٦٧		العمر (بضم أوله وسكون ثانيه ، بمعنى الدهر الكبير) • الزناير • أوردتها السمع بهذه الحروف في قول الشاعر :
		"وبار مثل الزناير محفو * ف يهر الخيري والحوداد"
		وأنت تعلم أن البليار لا يشبه بالزناير بل بالذناير • فقد روى المؤلف هذه (في صفحة ٢٠١ ص ١٨) قول الصلاح الصفدي :
		وبالأرض من حيا حفرة * فأتت الأرض إلا يبارا كما روى قول الخالدي (ص ٢٩٥ س ٩)
		وقد قُط الزهر حد الرى * يدرمه ويدراره وتضيف إلى ذلك قول أبي نواس :
		زهرة عند زهرة عند أخرى • كأقتران الدنيا بالدينار

صفحة	سطر	تصويّات وتصحيحات
		وعلى ذلك يجب تصحيح "الزناهير" بـ "الدنائير".
		الهم! إلا إذا قيل إن الشاعر أراد "الزناهير" لنوع من الدباب، صغار، تكون في الحشوش،
		أي المراسع التي يذهب الناس إليها في السائين وبين مجنّح النخيل، لقضاء الحاجة، وذلك بعيد وغير
		مقبول. ولقائل أن يذهب إلى أنه أراد "الزناهير"، أي تلك الدبابات اللساعة المعروفة باسم
		الدبابير. فحي برقتها ما قد يسوع منه مثل ذلك الرأى. ولكننى أؤثر "الدنائير"
١٢٠٢٦٧		تُرانا ... تنقصه.
١٧٢١٠		أورد النسخ البيت هكذا :
		ونعيم يوصل من كنت أهوى . قد تبدلته بيؤس العتاب
		والذى أراه أنه أراد "الغياب" ، لفنّين المعجمة والياء آخر الحروف . لأن الشاعر يقابل به
		ما كان له من نعيم الوصول . فقد كان يصح أن فتح كلمة "العداب" ولكن الشاعر استعملها
		في البيت الثالث ، فضلا عن أن "العتاب" لا "يؤس" فيه . وقد يجوز أن يكون أراد
		"العقاب" لما وقع عليه من الظلم .
٧٢٧١		يُرمى إلى الرّجوان . (هذا هو الضبط الصحيح) .
٤٢٧٩		بقطريل . (هذا هو الضبط الصحيح) .
١٧٢٨٠		فَقَصِيَّةٌ بضم الفاف ، نسبة لقريبة بين بغداد وكابا . مشهورة بمحباتها ونحوها الجديدة .
٣٢٨٢		أكثرُت البحث والتساؤل عن أصل لفظة "ماشوش" . فلم أظفر إلاّ ببطائى . وقد أفادنى
		الدّامة الّلاب أنستاس الكزلى أن ما رواه الثّابثى هو غرافة . ولا مانع عندى من الانضمام
		الرّداية الرّشيد . ليس فيما يتعلق بجملة الماشوش ، في در الخواصّ غلب . بل فيما يخصّ عامة الناس
		أيضاً مما يصارع هذه الأشنعة إلى الدروز بلبان وحموران ، وإلى الانصارية والتصيرية (أنتاج

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		الشيخ نصير) يولاية حلب وخاصة بناحية اطلاقية ، والى الاسماعيلية المتوطنين بناحية القندوس بقضا. قلعة المرقب من بلاد سورية .
٢٨٢	٣	الصَّبوح (فتح الصاد).
٢٨٥	٦	جَنَّاخا (بالنون) .
٢٨٦	٨	عندى أن الأصوب دواية البيت هكذا :
		بريسة شتواتها ❖ بحرية فيها الصايف
		فان اللباس يتطلون الاصطياف بجوار البحار كما هو مألوف منذ قدم الزمان .
٢٨٧	١٦	ورد في الأصل : "يجوز العيس أبو الخندي" مع وضع كسرة تحت العين المهملة . ولا معنى لذلك . بل لا بد أن يكون الصواب "يجوز العيش أبو الخندي" . والرجل على ما عرفنا به صاحب الأغاف (ج ٢١) والويرى (نهاية الأرب ج ٤ ص ٥٤ فخرافية) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس ابن شمت بن دجى الي يوى . كان من المستترين بشرب الخمر . جمع مع نصير بن سيار فقال له نصير : إنك بقاء بيت الله الحرام ، ومحل حرمة ! فذع الشراب ! فما هو إلا أن زال عنه صاحبه . حتى وضع الشراب وجعل يبكي ، ويقول :
		وضع مدام طارق الزجاج دوحه . فقال عليها مستبَل المدامع أدبرا على الكأس ، إلى قدتها . كما فقد المقطوم دَر المراضع !
		ومر به نصير بن سيار . وهو يميل سكرًا . فقال له : صدت شرقي ! فقال لو لم أفقد شرقي . لم تكن أنت اليوم والى نخراسان . (واظفر ص ٣٩٦ من هذا الكتاب ، وص ٢٢ من "حلية الكيت"
		طبع بولاق)
٢٨٨	١١	وَقَدِّر

صفحة	سطر	تصويّات وتصحيحات
١٩٢١٨		وداروت نُحِبُّ الأبطال ، ل نَحْتُمُ الشرب
٥		هكذا في الأصل "الأبطال" ، ولا شك أن ذلك باطل ، ومن هفوات النسخ . لأن المقام بين الشرب بـ "الأبطال" ، التي دارت على التدهان دورا حثيثا يشابه سير التناق المرمية النجبة . ويبدو أن يكون الشاعر أراد الأبطال أي اقتراح النحر . وذلك أقرب لرمس الحروف ، ولكنني أتأكد بـ "الأبطال" ، لا سيما وإن المؤلف قد استعمل هذا اللفظ فقال "نفسينا بالأبطال" (ص ٢٧٨ م ٣) ؛ "نأسقى رطلًا" (ص ٣٢١ م ١٨ ، ص ٣٢٢ م ٣ - ٦)
١٢٨٩		على أوجه أعمار على نُقُبٍ على نُكْبٍ
		هكذا كتب النسخ . ولا معنى للأعمار هنا . بل هي "أقار" ، ياسيدي . ويؤكد يجب رواية البيت على "الوجه" الآتي :
١٢٢٩١		على أوجه أُنْجٍ . على نُقُبٍ على نُكْبٍ
١٢٢٩١		تراكب (بالراء المهملة بضم التاء ، بمعنى هل ترى نفسك ؟) .
١٣٢٩١		أُنْجٍ (بضم أنزه وكسر ثائه) .
٣٢٩٢		فأجراها (بسكون الجيم) .
١٠٢٩٢		غوارب (بالمهملة) - لا (عوارب بالعين المهملة) .
١٨٢٩٥		نُسَطُ البُشْج نُسَطُ في : صموت آمن وخيرات نفاع
		سقطت كلمة من الشعر لم يكتبها النسخ ولعلها "الفسرين" ، أو ما على هذا الوزن . فتكون رواية البيت على هذا المثال .
		نُسَطُ البُشْج والفسرين نُسَطُ في : صموت آمن وخيرات نفاع
		واقية أعر .

صفحة	سطر	صوريات وتصحيحات
١٦٣٠١		<p>(*) الطيِّبوت . لفظة إرمية ، وهي بلسانهم ... (وتلقظ طليونا بناء مثلة في الآخر) . وهي عند نصارى الميافيسة أصحاب دير القيارة : " مادة قسرى أو تؤخذ من زيت قد ملئ عليه مطرانبه وبإركه ، وقد أخيف اليه شيء من الماء وقليل من تراب وفات أحد الأنمة في الفدامة .</p> <p>وكان الحق في تمر بها الطيِّبوت بناء مثلة في الآخر . لكن العرب عربروا ما كان على هرزن صلبوت بفتح الأول والثاني بناء مثلة ، فقالوا : ملكوت وجبروت وعظمت وملكوت . وعربروا ما كانت على هاتوت ماسكان الثاني بناء مثلة في الآخر فقالوا : باعوت وراعوت وطيِّبوت . وقد غافقوها ، لاسوت ولاهوت ، وحيوت ، وياقوت .</p> <p>(فلا ب أنفاس الكرمل)</p>
٣١٢٠٤		<p>نيسرين (بكر التود) .</p>
١٥٣٠٨		<p>زُتَّارَه (بضم الزاي) .</p>
٩٣١٠		<p>" عمر عسكر " . هذه رواية ابن هبل الله . وقد قلت في الحاشية ان ياقوت سماه " عمر كسكر " باسم نيه . فمعرفة الحقيقة في عصر الحاضر ، استغفمت من المحقق المدقق الأب أنفاس الكرمل ، فكنت في : م بكر عُمر من الاعداد بسم عُمر عسكر وانما هو عُمر كسكر (بكافين ، متوحدتين يتوصفه سين مهلة وفي الآخر را مهلة) . والمُمر كبة إرمية معناها الدر الواسع ، يكون للرجل . اهـ</p>
١٣١١		<p>التَّخَب (بفتح التود وانحاء المعجمة) ، بمعنى معاينة الشراب بين الدماي .</p>
		<p>(١٠) أمثلت رسم الحروف الإرمية التي كتبها ل الأب القاضل ، لعدم وجود شيء منها بدور الطباعة في مصر .</p>

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
١٦٣١٨		كتب الناصح :
		وترية وغناء : ذى يروى بها • سقم السقم • وذائجل به البصر وذا أهل من المعنى يستقيم تمامه • إذا عدا الصائر • ورويا البيت على الوجه الآتى :
		وترية وعناء : ذى يروى به • سقم السقم • وذى يُجلى بها البصر لأن الغناء مزيل للسقم • ولأن التربة جعلها الشاعر كالإمعة الذى يُجلى به البصر •
٥ ٣٢٢		أدبك (بكسر الباء) •
٢٠ ٣٢٢		الأسماء بعضها ببعض (لا يصبها) •
١٧ ٣٢٦		وروى المؤلف عن أبي الفرج الأصفهاني أن النعمان بن المنذر كان بعد قضاء الصلاة في دير الحج • يصرف إلى مستشره على التجب •
		معيهم من ذلك أنه كان يركب النوق السريعة أو الأفراس الكريمة إلى ذلك المستشرق • وهو كلام قد يكون وجها • أولا ما فيه من الإيهام فيما يتعلق بتعيين المكان • ولولا أنه لا معنى لأن يكون مستشرق الملك من البلد عن قصره بحيث يحتاج إلى النعم للوصول إليه •
		ومن الأسف • حتى ثم أشر على كتاب الديارات لأبي الفرج • لتعريف هذه الكلمة (التجب) • والحكاية غير واردة في الأغنى •
		وحتى أتخيل أنها محرفة عن (التجف) •
		وذلك تقرب التجف من الحيرة عاصمة النعمان • ولأنه أرض عالية • فيكون المستشرق فوقها •
		• وما يلقى بالملك كما أتى بيته •

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		ذلك أن الحية صغيرة البقعة، وكل دياراتها حول النجف وبضها راكية عليه، وكل آثار في المنزلة على طرفه (ص ٣٢٧ س ١٠، ١١ ر ص ٣١١ ص ١٤ و ٣١٧ س ١١ من هذا الكتاب).
		وفضلا عن ذلك، فقد ذكر المؤلف أدب ديارات الأساف تشرف على النجف وعلى الظهر كله، وأن الصمود إليها يكون من أسفل في حين درجة إلى سطح أفتح فيه للوقوف والسدر (أنظر ص ٢٨٥ - ٢٨٦ من هذا الكتاب وأنظر ديارات الأساف في معجم باغوت).
٢٣٣٨		أُعْتَابَهُ (بالتون في وسطه) . هذا هو الصواب، وليس: أَعْتَابَهُ، كما في نسخة الأم. كيف لا، والمصنف قد عرفنا كثرة الكرم حول ذلك الدير؟ أما جلوس التمدان بين الأعقاب، فلا محل له من الاعراب، فضلا عن أن هذا الجمع سقيم لا يستعمله إلا العامة. ومثل ابن فضل الله قد كان يقول "العتبات".
١٢٣٤٣		الزياب "السبيحية" مسوبة لهذه يمداد، وهي أزود سود للنداء. وهي حرر فيها أمثال الارج. ونسج على "سباني".
١٣٤٦		شَدَّ (بصفة المذكور المبنى للجهول اشارة الى القيد). وليس: شُدَّتْ، كما في نسخة الأم
١٢٣٤٦		يَدُنْ مِنْهَا يُرْجَعُ عَدَّ بِرَحْمَةٍ . سجد باب أخبار الزياص كنفي
		على أن نسخ لا يتكامل إلا "بإحياء" الرياض لا بأخبارها. والأخبار - إن مع التعريب - إنما نأوي من شأن التسمي. لذلك يجب وضع "إحياء" بدلا من "أخبار" الواردة في نسخة الأم.
٥٣٥٨		جنة الزيداني: وهي حديقة كبيرة جدا بالقرب من دمشق ولا تزال باقية، ومنها تصدر الفواكه الكثيرة إلى مصر وغيرها. وغلط الخ في الأم إذ جعلها "جنة" بإاء المصوطة بواحدة. أما جنة عسال، فإبالياء ثاني الحروف، كما في الأصل.

صفحة	محل	تصويحات وتصحيحات
٩٣٦٢		مجتع (بغير نون بعد التاء) إشارة الى كثرة الصيد فيه .
٩٣٦٣		قال أين فضل الله إن دبر التمسح الكائن بين مصر القديمة وحلوان على " مطيح قنبة من بلاد الفتح " .
		وقلت في الحاشية إنى لا أدري ما يريد بقوله " بلاد الفتح " . وأنا الآن أظن أنه قد يكون مراده " الفتح " . فقد أسمعتها المؤرخون في ذكر الطريق بين القسطنطينية وبين عين شمس . قال النكتدى في كتاب الولاية والقضاء (طبع لوندرة . ص ٢٨٣) : " وأقبلوا إلى القسطنطينية فسكر محمد بن تكين من بركة الماهر بل الفتح " . وهذه البركة هي التي عرفت ببركة الحبش ، على ما ذكره المقرئ في الخطوط ، في كلامه على البركة .
		وذلك الدير يعرف الآن باسم دير العريان .
٩٣٦٣		هو أبو صلاح الارنى (لا أبو صالح كما كتبه أنا خطأ) .
٩٣٦٥		عُمر (بضم العين ، بمعنى الدير الكبير) .
٩٣٧٥		"ومرت الاطلاب مزينة الترك" . هكذا وردت هذه العبارة في نسخة الأم .
		وقد عتبت عليها في ذيل الصفحة ، بهذا احتمال سقوط كلمة « بأبناء » لتكون الجملة هكذا " مزينة بأبناء الترك وجمياد لتليل " .
		بدلنى بعد إنضم الطرء ، أن تخيل أن التامع غير كلمة «البرك» (لأنه لم يفهمها) بكلمة «الترك» .
		والبرك كلمة تركية كانت فاشية الاستعمال بمصر ، على عهد انماليك . ومعناها السلاح . وكثيرا ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد . ويكون المعنى أن " الاطلاب مرت مزينة أسلحتها وغيلها الجيدة " . والطلّيب (بضم الطاء) جماعة من الجنود يكونون في خدمة الأمير .
٩٣٨٠		الكُراج (بضم الكاف لا كسرهما) . نوع من الخبز كان معروفًا بمصر ، ولا يزال مستعملا بصعيدا وفى بلاد فلسطين ، ولا سيما بلد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

